

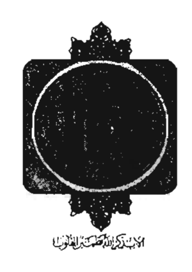
موسوعة أهل الذكر بالسودان
المجلد الأول
التصوف

تمت اعادة رفع مجلدات الموسوعة

من موقع وقفية الأمير غازي للفكر القرآني

في التاسع من شهر ذي الحجة لعام ١٤٤٢ هجرية

ابراهيم بن حسن بن ابراهيم آل ابراهيم العباسي



المجلس القومي للذكر والذاكرين

موسوعة أهل الذكر بالسودان

المشرف العام

الشيخ طه الشيخ الباقر

رئيس التحرير

بروفسير يوسف فضل حسن

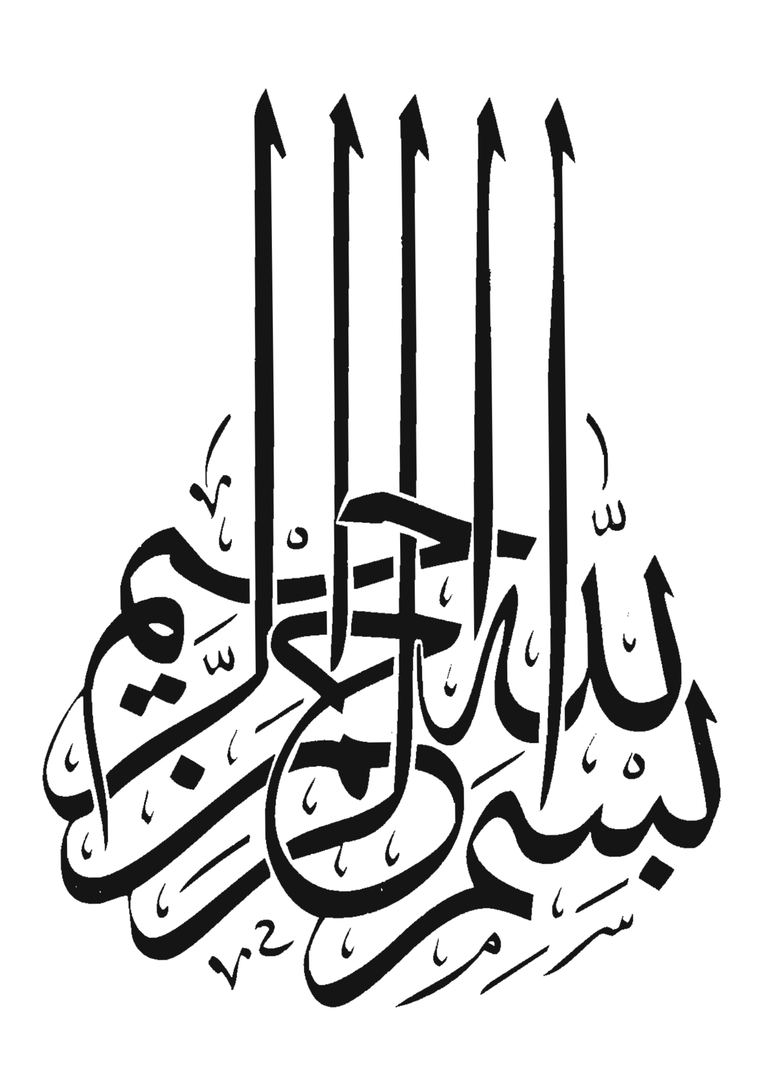
مدير الموسوعة

الأستاذ عبد الحميد محمد أحمد

طبعت على نفقة حكومة السودان (وزارة المالية والإقتصاد الوطني)

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
الخرطوم

الطابعـــون
شركة مطابع السودان للعملة المحدودة


بسم الله الرحمن الرحيم



محتويات الموسوعة

صفحات

المجلد الأول (التصوف) .... ١ - ٤٣٣

المجلد الثاني (أ - ت) .... ٤٣٤ - ٨٦٥

المجلد الثالث (ج - ط) .... ٨٦٦ - ١١٧٢

المجلد الرابع (ع - ك) .... ١١٧٣ - ١٥٦٩

المجلد الخامس (م - ي) .... ١٥٧٠ - ٢٠٤٠

المجلد السادس (مراكز الإشعاع) .... ٢٠٤١ - ٢٣١٥



محتويات المجلد الأول

الصفحة

- التقديم ٥
- المقدمة ٧
- نشأة التصوف الإسلامي وتطوره ٣٥
- تعريف التصوف ٤٥
- أهمية التصوف ٤٨
- الصوفية والجهاد ٥٠
- الصوفية والحكام ٥٢
- الصوفية والموسيقى ٥٤
- من اصطلاحات الصوفية ٥٦
- الجنيد ٦٠
- رابعة العدوية ٦٣
- جهود آثار صوفية السودان في العالمين العربي والأفريقي ٦٧
- أدب الرحلات في التراث الصوفي السوداني ٧٩
- أدوات المتصوفة وأولياء الله الصالحين والدراويش ٨٢

الطرق الصوفية بالسودان:

١- الطريقة الأحمدية البدوية المرازقية ٩٩

٢- الطريقة الأحمدية الشوادفية الخلوتية ١٠

٣- الطريقة الإدريسية ١٠٤

٤- الطريقة الإسماعيلية ١٠٥

- الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية في كسلا ١٠٨

- الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ببحر الغزال ١١٠

٦- **الطريقة البدوية :**

- أحمد البدوي ١١٠

٧- **الطريقة التجانية** ١١٦

- الطريقة التجانية في غرب بحر الغزال ١٣٠
- الطريقة التجانية في بحر الجبل ١٣١
- الطريقة التجانية بقرية الشيخ عباس ١٣٢
- الطريقة التجانية بالدندر ١٣٣
- الطريقة التجانية بالفولة بغرب كردفان ١٣٤

٨- الطريقة التسعينية ١٣٥

٩- **الختمية** ١٤٣

- الطريقة الختمية في نيالا ١٥٩
- الطريقة الختمية بالحقنة ١٦٠
- الطريقة الختمية بالدندر ١٦١
- الطريقة الختمية بولاية نهر النيل ١٦٢
- الطريقة الختمية في كسلا ١٦٣

١٠- الطريقة الخلوتية ١٦٤

١١- الطريقة الرفاعية ١٦٥

١٢- الطريقة الركينية ١٧٠

١٣- الطريقة السمانية ١٧٥

- المنهج التربوي في الطريقة السمانية ٢٦٢
- الطريقة السمانية بأم ورق ٢٧٠

- الطريقة السمانية بالفريجاب ٢٧٢
- الطريقة السمانية بالفولة بغرب كردفان ٢٧٥
- الطريقة السمانية القادرية ٢٧٦
- الطريقة السمانية بولاية سنار ٢٨١
- الطريقة السمانية الطيبية بنيالا ٢٨٢

١٤- الطريقة السطوحية ٢٨٣

١٥- الطريقة الصفائية العزيزية الموافقية ٢٨٧

١٦- الطريقة الشاذلية ٢٨٩

- الشاذلي أبو الحسن ٢٩٣
- انتشار الشاذلية في السودان ٢٩٧

١٧- الطريقة العجيمية ٣٠٠

١٨- الطريقة العزمية ٣٠٤

١٩- الطريقة القادرية ٣٢٢

- الجيلاني عبد القادر ٣٢٣
- الطريقة العركية بأبو حمد ٣٢٦
- الطريقة العركية بكسلا ٣٢٧
- الطريقة القادرية بولاية غرب بحر الغزال ٣٢٨
- الطريقة القادرية بالمناصير ٣٢٩
- الطريقة القادرية بمحلية الشريك ٣٣٠
- الطريقة القادرية بالحسيياب ٣٣١
- الطريقة القادرية بالخنجر ٣٣٢
- الطريقة القادرية بالدندر ٣٣٢

- الطريقة القادرية المكاشفية بغرب كردفان ٣٣٣
- موجز تاريخ أبو حراز ٣٣٤
- البادراب ٣٣٩
- ملامح القادرية بالصادقاب ٣٥٥
- الصادقاب الركابية ٣٥٧
- مقاديم الصادقاب ٣٧٠
- شعراء الصادقاب ٣٧٠
- الطريقة القادرية الكباشية ٣٧١
- الطريقة القادرية المكاشفية ٣٧٨
- اليعقوباب ٣٩٣

٢٠ - الطريقة الكسنزانية ٤٠٢
٢١ - الطريقة النقشبندية ٣٣٤
٢٢ - طائفة الأنصار ٤١٣
٢٣ - الطريقة الهندية ٤١٦
٢٤ - الطريقة الدندراوية ٤١٠
٢٥ - الطريقة المجذوبية ٤٣١

تقـــــــــديم

القارئ الكريم...

تذهـب الأمـم مذاهـب شتَّى لتترجم ذخائرها العلمية وكنوزها الثقافية وإرثهـا الديني من ضمير الأمة إلى وثائق علمية تضحي بفضل أبنائها ووفائهم من علامات الحضارة وآيات التقدم.

والآن، ودينـنا الحنـيف ووضـعنا الحضاري يدعواننا إلى التقدم إلى المسلمين كافة وإلى عامة أهل السودان بهذا الإنجاز العلمي (موسوعة أهل الذكر بالسـودان) غير مسبوقة بهيئتها ومحتواها، اللهم إلاَّ من (طبقات ود ضيف الله) التـي غـدت مصـدراً للدراسـات السودانية الهامة، فلا أقل من أن تكون هذه الموسوعة إضافة حقيقية للتراث الديني والاجتماعي والثقافي في السودان بعد أن نضجتْ فكرتها في واعية الأمة، وثبتتْ أهميتها تأريخياً.

مـا جاء في محتوى الموسوعة هو عصارة الأمة السودانية المسلمة بعد أن تأصـلتْ فيها أركان التصوف، وقام الصوفية تجاه الدين الإسلامي بالسودان كمـا لـم تقم به جهة من ذي قبل دعوةً ونشراً وحفظاً في ظلال القرآن الكريم وعلـى ضـوء (تُقَّابـته) الموقدة منذ قرون مضت وللأبد بإذن الله في حضرة الذاكريـن الله فـي الفيافـي والمغارات وفي سفوح الجبال وتحت الأشجار وقد تداعـتْ إلـيهم شرائح الأمة الإسلامية من كل حدب وصوب مؤلفين نهجاً دينياً وسلوكاً في الحياة وكفالة في المجتمع هي عين الحياة الإسلامية المنشودة.

ومن نعم الخالق (سبحانه وتعالى) على الأمة السودانية المسلمة، أن تعددت عندهم الوشائج المفضية إلى ذكر الله فعلاً وقولاً تمثَّلتْ في كثير من مراتع الذكر، فكان

أن سـعتْ الموسـوعة إلى توثيق حياتهم وجمع شتات مجهودهم وتبنِّي الإعلان عنهم كي يكونوا قدوة للآخرين ومنارة على درب الدعوة الإسلامية٠

لقـد سعدتْ الأمانة العامة للذكر والذاكرين بتقديم هذا السِفْر للسودانيين الـذي هو منهم وإليهم بدأب أخلص فيه المعنيوُن بالأمر تنفيذاً لنهج اختطَّته هذه الأمانـة التـي ستوالي النظر في توثيق الحياة السودانية المسلمة عبر عدد من القنوات٠

طه الشيخ الباقر

الأمين العام للمجلس القومي

للذكر والذاكرين

مُقدِّمة

بداية المشروع

بدأ مشروع إعداد موسوعة أهل الذكر بالسودان بفكرة في خاطر مولانا الأستاذ علي عثمان محمَّد طه عندما كان وزيراً للتخطيط الاجتماعي في منتصف عقد التسعينيات من القرن العشرين.

وعندما شرفني فضيلة الشيخ طه الشيخ الباقر الأمين العام للمجلس القومي للذكر والذاكرين بالمساهمة في إعدادها والإشراف على تحريرها ترددت في قبول هذا التكليف لكبر المشروع، وقلقت من عظمة المسئولية، وأشفقت على فريق الباحثين والمحررين لضعف المدونات وشح المصادر. ولكن بفضل متابعة الشيخ طه الواعية وتوجيهاته الصائبة والتزامه بتهيئة المناخ العلمي السليم لجمع مادة هذه الموسوعة وتزويد الباحثين والمحررين بما يحتاجون إليه، تمكن القائمون على هذا الأمر من تذليل كثير من الصعاب والمضي قدماً لتحقيق الهدف وبلوغ المرام.

لا شك أن مشروع إصدار موسوعة لأهل الذكر فكرة نيّرة لأهمية الطرق الصوفية وتعاليمها ومؤسساتها من زوايا وخلاوى ومساجد في تاريخ السودان الوسيط والحديث. ففي البدء أسهم المتصوفة بدور رائد في نشر العقيدة الإسلامية في سودان وادي النيل وترسيخ قيمها. وقد خضعت تلك العملية خضوعاً تاماً للجو الصوفي المتفشي في العالم الإسلامي بعد أن كتب للتصوف النصر في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي ، بعد صراعه الطويل مع أهل السنة.

دور المتصوفة في انتشار الإسلام في السودان

عـند قـيام سـلطنة الفونـج الإسلامية ٩١٠هـ/١٥٠٤م وبعد اكتمال الهجـرات العربـية إلـى السودان – كان انتشار الدعوة الإسلامية في مراحلها الأولـى فقد اهتم الدعاة الأوائل وجُلّهم من التجار والبدو بالتركيز على السمات العامـة للعقـيدة دون التطرق إلى التفاصيل المرهقة. وقد شارك هاتين الفئتين بعض العلماء الذين أسهموا في بث تعاليم الدين الإسلامي وتعميق مفاهيمه. ولما وطّـد سلاطين الفونج أركان ملكهم توافد عليهم العلماء والمتصوفة بتشجيع من الملوك والزعماء الذين أجزلوا لهم العطاء والهبات، وأخذ رجال الدين يشرحون للـناس أصـول دينهم موضحين لهم ما يتعارض مع إرثهم المسيحي والوثني. وبكلمـات أخرى سعى هؤلاء الدعاة وهم خليط من الفقهاء والمتصوفة في نشر العقيدة الإسلامية وتعميق مبادئها. وقد تزامن مجيء العلماء والفقهاء إلى سودان وادي النـيل مـع فترة الركود الفكري التي غلبت على العالم الإسلامي، أيضاً توافقـت تلـك الفـترة مـع هيمنة تعاليم الصوفية على كثير من مظاهر الفكر الإسـلامي، كمـا نوهت من قبل. ولما كان هذان الرافدان العلمي والصوفي قد تفاعلا مع البيئة السودانية فقد افرزا بعض السمات المميزة للثقافة الإسلامية في السودان سنذكر بِضْعاً منها.

اهـتم الـرواد الأوائل من العلماء، وجلهم من اتباع مذهب الإمام مالك ،بتحفيظ القرآن الكريم للبنين وتدريسهم مبادئ الفقه والتوحيد، ثم أدخلوا تدريس كتابـيْ **رسـالة أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل بن اسحق**، وهما من كتب المالكـية المنتشـرة فـي إفريقـيا. وكانت **المدوّنة** لأسد بن الفرات وسحنون، وشرحها لأبي عمران الإفجومي، **وفتح الجليل على مختصر الخليل** لمحمّد بن إبراهـيم التتائـي، **ومختصر الأخضري في العبادات ، وشرح الشبراخيتي على**

العشـــماوية، وغـــيرهما مـــن الكتب والشروح متداولة. ولما ازدادت المعارف الفقهـــية أخذ بعض الفقهاء السودانيين يقلدون رصفاءهم في العالم الإسلامي في تأليف الشروح والحواشي.

صَـــاَحَب هذا الوعي بالعلوم الفقهية اهتمامٌ بجمع الكتب الدينية وغيرها مـــن كتب التاريخ والأدب خاصة على أيدي من اغترب من طلاب العلم. وخير مـــثال لهذا التوجه الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ صالح ولد بان النّقا، وهو ممن جمـــع بيـــن علم الظاهر وعلم الباطن، الذي اهتم بجمع أنماط مختلفة من الكتب وأســـتأجر النساخ ليكتبوا كل ما يعثرون عليه من مؤلفات داخل البلاد، ثم أرسل الرســـل إلـــى مصر والحجاز لشراء غيرها فملأ من ذلك ست خزانات من كل عزيز وغريب نادر على حد تعبير محمَّد النور بن ضيف الله.

كـــان لهذه الكتب على قلتها، وسفر بعض الطلاب للخارج ووفود بعض العلمـــاء أثـــر عظيم في تبديد شيء من العزلة الفكرية التي فرضتها سعة رقعة الـــبلاد، وصعوبة المواصلات من الخارج وقلة الاتصال في الداخل. ورغم هذا كله فقد بذل الفقهاء جهداً كبيراً في إرساء تعاليم الإسلام على أسس سليمة.

ولكن هذا النمط من الثقافة الدينية العلمية المؤسسة على الكلمة المكتوبة فـــي الأعـــم، والتـــي حددنا بعض معالمها قد استهوت قلة من السودانيين بينما انخـــرط الأغلبـــية منهم في سلك الطرق الصوفية – الرافد الثاني. ويغلب على تصـــوف أصحاب الطرق الصوفية الجانب العملي من تقديم المجاهدة ، والتغلب علـــى الصـــفات الذميمة ، والإقبال بهمة على عبادة الله تعالى ، والمداومة على ذكره. ويشتمل هذا النمط من التصوف على قواعد السلوك وآدابه وعلاقة المريد بالشيخ. وبما أن المتصوفة كانوا على خلاف عقدي كبير مع أهل السنة فيحسن

الإلمام ببعض مظاهره قبل أن نؤرخ لجهودهم في بسط تعاليم الإسلام في سلطنة الفونج.

بدأ الصراع بين المتصوفة وأهل السنة لما بلغ التصوف مرحلة النضوج، وصارت الطريقة الصوفية بما فيها من مجاهدة ورياضة للنفس لبلوغ " المعرفة بالحقيقة ". في ذلك الوقت أدرك الصوفية أن الدين قد أصبح في عرف الفقهاء جملة رسوم وأوضاع لا حياة ولا روحانية فيها.

وهذه الرسوم وإن أرضت ظاهر الشرع.. لم تكن لترضي باطن الشرع ولا تشبع العاطفة الدينية عند الصوفية. كما أن جماعة من الفقهاء لم ترضها شطحات بعض المتصوفة مثل اعتبار النوافل في مرتبة أعلى من الفرائض ، وأن التأمل خير من العبادة الدينية، أو ظنهم أن الشريعة مجرد رمز للعبادة الصحيحة. ولا غرابة أن اتهم الفقهاء المتصوفة بالتحلل من الشريعة والخروج على الدين. مثل تلك الشطحات وإن كان القصد منها توسيع دائرة التجربة الدينية في العبادات إلا أنها شجعت الجهلة والأدعياء على إفساد بعض مظاهر التصوف، إذ أخذ العامة والسذج ممن سلكوا "طريق القوم"، يسبغون الكرامات وخوارق العادات على مشايخهم، ويتخذونهم عوناً ضد قسوة الحياة وجبروت الحكام وغير ذلك.

اتسعت دائرة الخلاف بين علماء السنة وقادة الطرق الصوفية في ماهية الدين والأحكام الشرعية وطريقة الاستنباط. وقد حسم هذا الخلاف الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) إثر تجربة فكرية روحية رائدة في التوفيق بين " الشريعة والحقيقة" إذ مزج تعاليم الدين ومبادئ التصوف جاعلاً من تعاليم الأولى أساس المعتقد. وأصبح التصوف – وهو ما يرمز إليه بالتصوف السني –طريقاً من طرق أهل السنة والجماعة ، يمثله صوفية معتدلون

في نظرتهم الدينية، يثمنون تصوفهم بميزان الشريعة. ونتيجة لهذا التراضي بين الفقهـــاء والمتصوفة تبوأت الحركة الصوفية المعتدلة مكانها اللائق بها في إطار العقــيدة الإســـلامية ، وبعد أن كان التصوف مقصد الصفوة من المسلمين صار مطلباً للجميع. فانتشرت الطرق الصوفية حتى عمَّتْ سائر بلاد المسلمين. وقوى ســلطانها علـــى الخاصـــة والعامـــة بل أصبحت أداة كبرى لنشر تعاليم الدين الإسلامي في أجزاء كبيرة من آسيا وإفريقيا – بما فيها سودان وادي النيل– فلما بلغــت الطرق الصوفية (وعلى رأسها الطريقة القادرية) سلطنة الفونج (١٥٠٤ هـــــ/١٨٢١م) وجــدت المناخ مهيئاً لها فكتب لها الانتشار والسيرورة، وملك التصوف قلوب عامة السودانيين قبولاً تشهد به القباب والأضرحة المنتشرة على شواطئ النيل، والنيل الأزرق، كما تؤكده تراجم الأولياء التي جمعها ابن ضيف الله في **كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في الســـودان**. وكانت الطريقة القادرية أول الطرق دخولاً في عهد الفونج وأكثرها انتشاراً في مملكتهم.

ولــم يخل دخول التصوف إلى السودان من بعض المشاكل والمنازعات التـــي أثــيرت هنا وهناك ، كما يخبرنا بذلك محمَّد النور بن ضيف الله ، لكن طبــيعة هذه المشاكل في عمومها كانت جانبية لا تتصل اتصالاً مباشراً بجوهر العقــيدة كـــالخلاف حـــول تحريم التدخين وخلافه وكانت الغلبة في معظم هذه المنازعات لصالح المتصوفة .

دور الطرق الصوفية

سعى رواد الطرق الصوفية الذين وفدوا إلى سودان وادي النيل إلى نشر العقيدة الإسلامية وتعميق تعاليمها بطريقة مبسطة قوامها فيما أرجح إلزام المريد بإتـــباع منهج تربوي ونظام تعبدي خاص مع المداومة على قراءة أوراد وأذكار

محـــددة· وكـــان نجاح الشيخ في مسعاه الصوفي وتميزه الديني ومكانته الأدبية يعـــتمد على ما يتمتع به من علم وخلق وورع وزهد وعون للفقراء والضعفاء ، ومـــا يعتقده المريدون فيه من تملك لمقدرات خيّرة من بركات وكرامات· فصار هـــؤلاء الشيوخ يمثلون عند أتباعهم قوة روحية ذات سلطان عظيم يهابها العامة وذوو الشأن· ولاشك أن المتصوفة كانوا مصدر خير للضعفاء والفقراء يحمونهم من جبروت الحكام وظلم السلاطين، وكانوا ملاذاً عند الملمات·

لـــم يكن الاعتقاد، الذي يجنح إلى إضفاء خوارق العادات على الأولياء وقفـــاً على جمهور الأتباع ،بل شمل الملوك الذين صدّقوا تلك القدرات· ونتيجة هذا الوضع المتميز لقي المتصوفة، كالعلماء من قبلهم ، كثيراً من أسباب العون المادي، كما أغدق عليهم المريدون الهدايا والنذور· فاستغل المتصوفة هذا الدعم المـــادي فـــي تأديـــة وظيفتهم التي تجمع بين الإرشاد الديني والهداية الروحية والتعليم، وعلاج المرضى والإنفاق على طلاب العلم والمحتاجين والهاربين من بطش الحكام· ولا أعدو الصواب إذا قلت أن الطريقة الواحدة كانت تجمع أشتاتاً مـــن الأعـــراق وأبـــناء القـــبائل المختلفة، مما أدى إلى درجة كبيرة من التآلف والوحـــدة والاســـتقرار، ولا غرابة أن صار التصوف مقصداً للجميع حتى بين العلماء والفقهاء·

فـــرغم بعـــض مظاهـــر الخلاف بين المتصوفة والعلماء الذين لم يكن بعضـــهم ليحسن الظن بالمتصوفة، فقد سعى كثير منهم لترسم خطاهم آملين أن ينالوا شيئاً مما حظوا بعد أن رأوا المكانة السامية التي تبوّؤها في قلوب الخاصة والعامـــة· وكانت النتيجة أن جمع كثير من العلماء بين علم الظاهر وعلم الباطن أو وظـــيفة العالم الفقيه والشيخ الصوفي· وصارت هذه هي السمة الغالبة، ونجد

ذلــك واضحاً في نظام الخلوة ووظيفة الفقير مما يؤكد تلاحم الوظيفتين بمرور الزمن.

ويظهر ذلك التمازج جلياً في استعمال ابن ضيف الله لمصطلحي مسجد (أو مسيد) وخلوة في شيء من الترادف في المعنى للدلالة على معهد العلم.

ولكــن الخلوة اشتهرت أصلاً بأنها مكان للتعبد يخلو فيها العبد إلى ربه فــي عــزلة عــن الناس. فلما انتشر التصوف في السودان انتقلت فكرة الخلوة بمعــناها التعبدي وصار دخول الخلوات أمراً شائعاً بين الأولياء والفقهاء. ولما جمع رواد الدعوة الإسلامية في السودان بين تدريس مبادئ الفقه ، وتعليم القرآن (أي علم الظاهر) ونشر التصوف. أي علم الباطن) صارت المساجد (أو المكان المعــد لذلك المنشط) مسرحاً لنشاطهم التعليمي والتعبدي. وحول هذه المساجد – خاصة المأهولة منها بالطلاب شيد عدد من الخلاوى (حجرات صغيرة) يختلي فــيها الشيوخ (وبعض مريديهم) للتعبد كما استعملت للتدريس ولسكن الطلبة في بعض الأحيان ومن ثم جمع نفس الموضع بين وظيفة المسجد والخلوة وتشابهت أغراضــهما، وصــارت الخلوة تجمع بين الوظيفة التعليمية والتعبدية بينما جمع الشــيخ الواحــد بيــن وظيفتي المعلم (الفقيه) والصوفي(الفقير). وبعد أن طغت الــنزعة الصوفية على الثقافة الإسلامية في المجتمع الفونجاوي أصبحت الخلوة أكــثر الصيغ استعمالاً ودلالة على معهد التعليم. وصارت بمثابة مركز الإشعاع الثقافــي والروحــي والاجتماعــي في كل قرية. ومن ثم الخلوة ، تحت رعاية المعلم أو الفقيه الصوفي، بين وظائف تدريس مبادئ القراءة وتعليم القرآن والفقه وتنشــئة المريدين في سلك المتصوفة والعبادة بما فيها من صلاة وتأمل وانقطاع إلى الله تعالى.

يتضح هذا التمازج بين الوظيفتين في الاستعمال المحلي إذ صارت كلمة "فكـــي"· (وترســـم أحياناً فَقهْ في المخطوطات المعاصرة وتجمع " فقرا") وتعنى فقِـــيهْ (وتجمـــع فقهاء) كما تشير إلى فقير (وتجمع فقراء) أي صوفي· ومن ثم صــــارت كلمة الفكي ترمز دون تميز إلى الفقيه الصوفي ، ومازالت ظلال هذا المعنى سائدة في كثير من الخلاوى حتى يومنا هذا·

تعـــاظم دور الطـــرق الصوفية وزاد عددها في العهد التركي المصري وكان لاتباعها دور كبير في معارضة تلك الإدارة ومن صفوف المتصوفة ظهر الإمــــام محمَّد أحمد المهدي الذي كان قد تبوأ مقاماً رفيعاً في الطريقة السمانية· وقـــد مهدت تعاليم الصوفية لظهور المهدي وجعلته في صورة قطب صوفي[1]· قاد المهدي الثورة المهدية التي كان العامل الديني محركها الأول·

ومـــع أن قلـــة مـــن العلمـــاء قد عارضوا دعوته، فإن رجال الدين من المتصـــوفة قـــد ناصروه، وكانوا يفخرون بأنه واحد منهم· إلا أن المهدي أبطل الطرق الصوفية· وقد روى عنه "·· من كان عنده مذهب أو نص أو شيخ فيترك مذهـــبه ونصـــه وشيخه، لأن هذا أخذ من هذا، فقد أبعدوا من نور النبي (ﷺ) ونحن جئنا نحيّي نور النبي (ﷺ)"· وقال عن الأئمة أصحاب المذاهب الأربعة: "هـــم رجـــال ونحـــن رجال ولو أدركونا لأتبعونا وإن مذهبنا هو الكتاب والسنة والتوكل وقد طرحنا العمل بالمذاهب ورأي المشايخ"·[2]

ومهمـــا يكن من أمر فإن الثورة المهدية قامت على نمط سلفي جمع بين الهداية الروحية والإصلاح الديني والجهاد في سبيل الله· ونجحت تلك الدعوة في

---

[1] القطب هو محور الكون عموماً · وعند المتصوفة السودانيين يشير "القطب الصوفي" في الأعم الى شخص يعتبر داعية (أو معلماً) صوفياً ورجلا صالحاً أو ولياً ·

[2] مكي شبيكة – السودان في قرن، القاهرة ، ١٩٤٧م . ص ٢٣٧–٢٣٩·

مخاطبة وجدان السودانيين ووحدت بينهم في هبتّهم ضد الحكم التركي المصري والغـــزو البريطانـــي المصري· وحققت دولة المهدي بتطبيقها لشرع الله تعالى مرجعـــية إســـلامية تهفـــو إليها تطلعات السياسيين الطامعين في إقامة حكومة إسلامية·

وفـــي العهد الثنائي وجد عامة الناس في الطرق الصوفية ملاذاً يحميهم مـــن الهجمـــة الاستعمارية وما يصحبها من ثقافات غربية، فزاد عدد المنضوين تحـــت ألويـــتها· وأخـــذ المتصوفة يتسلحون بسلاح العلم ،وعملوا على تأسيس المساجد وإنشاء الخلاوى ووجدوا في المعهد العلمي وجامعة أم درمان الإسلامية وجامعة القرآن الكريم خير معين لهذا التوجه وبكلمات أخرى فإن " نار القوم" لم تخـــب وزاد أوارهـــا، ووجد المتصوفة كثيراً من تعاليمهم تنتشر وتصبح واقعاً ملموســـاً· وأنتجت بعض هذه الطرق إنتاجاً علمياً ثراً· وبذلك استطاع المتصوفة أن يحـــافظوا على جذوة الثقافة الإسلامية متقدة؛ وطرق بعض المريدين السياسة من أوسع أبوابها مؤيدين لبعض الأحزاب وناشطين في برامجها·

فإذا كان ما تقدّم حدثاً وتفاعلاً افرزهما الوجود الصوفي بالسودان ، فإن نتاج هذا التفاعل كان مثمراً ومتمثلاً في التالي:

أولاً: كـــان العنصـــر التربوي في الوجود الصوفي من أهم ما أصاب المجتمع السوداني بخير دافق، إذ قوّم السلوك على المستويين الفردي والجماعي، وأصبح القطـــب الصوفي رائداً ومربياً يجد السمع والطاعة من مريدي الطريقة ما داموا جمـــيعاً علـــى هدى القرآن، ولعل التجمع البديهي الذي أوجدته الخلوة أو المسيد عمل على خلق مزيد من التآلف والربط الاجتماعي الذي كان له نتائجه التربوية الباهرة·

ثانــياً: يأتــي العنصــر الاقتصادي، حيث تربّى المريدون على فلاحة الأرض وزراعــة المستصلح منها، وبعثوا فيها الحياة، وغدت لكل خلوة أو مسيد مناطق زراعية يشرف عليها أقطاب الصوفية يصبُّ ريعها بأكمله في رفعة شأن الخلوة وطلابهــا، فــتعلّم الطلاب إلى جانب العلم كيفية فلاحة الأرض ورعاية الماشية فيها والاحتطاب.

ثالــثاً: وَغَــرَ في صدور طلاب العلم – وهم صغار– معنى التنشئة ،على ثقافة التصــوف ،ومــا يتــبعه من تلاوة وذكر ودعاء ، إلى جانب أمر هام جداً وهو التربــية علــى الالــتزام والضــبط علــى المستوى اليومي أو المستوى العام والاستمســاك بعناصر وقواعد حفظت لهم دينهم ،وعلّمتهم معنى التواضع للعلم وملاحقــته والهجــرة إليه. لذا كانت أنشطة الهجرة بين الخلاوى والانتقال إلى الشــيوخ المتصــوفة تمثل حركة دائبة لها أدبيات خلاصتها الحصول على العلم بالجلوس إلى عدد من الشيوخ أينما وجدوا.

رابعــاً: المتصــوفة في السودان وخلاويهم ومسائدهم وسائر علماء السودان لم يكونــوا حكــراً علــى الســودان في أي وقت منذ أن دخلته الصوفية بأنشطتها المعروفة، إذ كان الباب مفتوحاً على مصراعيه ولم يزل عبر جامعات السودان ومعــاهده، فقصــده طــلاب مــن كافة أقطار إفريقيا من غرب القارة ووسطها وشرقها وجنوبها وجيران السودان قاطبة ولا بأس أن كان السودان مقصوداً في هــذه الناحــية من دول عربية كاليمن وتونس فضلاً عن دول جنوب شرق آسياً قاطبة.

خامساً: يأتي الأثر الاجتماعي خلاصة للأسباب آنفة الذكر دون فواصل عرقية، أوعــوازل اجتماعــية، أو مفارقات طبقية فبدأ المجتمع السوداني وحدة متنوعة تظلّلها روح الإخاء.

وعلى ضوء ما تقدّم وما كان مستخلصاً من الحقائق التي ذكرنا – أو لم نذكر – فقد تشرّفت الموسوعة باستضافة جميع هذه الفئات ما كان ذلك ممكناً وتعاملت مع الشخصيات المترجم لها باعتبارهم ركيزة من مراكز الإشعاع الصوفي لأنهم دعامة ومع المؤسسات بدءاً من الخلوة وانتهاءً بالجامعات الإسلامية والعلماء بكونهم أركان القاعدة.

وفوق نشر الطرق الصوفية للعقيدة الإسلامية وتعميق تعاليمها، وبذر روح الإخاء بين أعراق المجتمع المتعددة، أسهمت تلك الطرق في المحافظة على المقومات الإسلامية في المجتمع وتصدت للهجمة الاستعمارية وما صاحبها من استقطاب ثقافي جارف.

مشروع موسوعة أهل الذّكر

يوطد مشروع الموسوعة واحداً من أهداف المجلس القومي للذكر والذاكرين في سعيه إلى تأسيس نهضة روحية شاملة تستلهم مقومات الدين الحنيف والتراث القومي والثقافة الوطنية. ويدعو ذلك الهدف إلى تعزيز الاهتمام بالطرق الصوفية في حدود الرعاية والسعي إلى تحريك طاقاتها وتفعيلها والمشاركة في مناسباتها وتوثيق جهود المتصوفة في بسط تعاليم الإسلام، وحماية قيمه والذود عنها في وجه الهجمة الاستعمارية الساعية لفرض ثقافة الغرب؛ ورصد جهودها في تقوية أواصر الإخاء ومعالجة التشوهات الاجتماعية من فقر وحاجة. وعليه تأتي الموسوعة استجابة للحاجة الدينية الروحية مطلقاً، والثقافية تأطيراً والاجتماعية معنوياً وسميت موسوعة أهل الذكر لاشتمالها على نماذج من كل من أنشأ وقدم وخطط وأعان وأقام للذكر منشطاً وهم:

- مؤسسو الطرق الصوفية وأقطابها، أحياءً وأمواتاً،
- حفظة القرآن الكريم،

- معلّمو القرآن الكريم ومجوّدوه بالروايات المتوارثة،
- العلماء والفقهاء،
- المادحون " مدّاح الرسول(ﷺ)" تأليفاً ورواية وأداءً،
- بــناة المنشآت الدينية كالمساجد، والخلاوى والزوايا ومؤسسات البرّ.
- المنفقون على طلاّب الخلاوى، والمهاجرين إليها.
- الساعون لتحقيق تلك الأهداف من المسئولين وصنّاع القرار.

التجربة العربية الإسلامية

يؤسس مشروع إعداد **موسوعة أهل الذكر** على تجربة عربية إسلامية ثــرة. فقد زخر الأدب العربي والحضارة الإسلامية بتقليد قديم في إعداد التراجم البيوغرافــية وكتــب الطــبقات في سير الرجال خاصة رجال ،الحديث النبوي الشــريف، وهــو من العلوم التي أولاها المؤرخون قدراً كبيراً من الاهتمام في صــدر الإســلام وبــرعوا فــيها. فكتبوا عن طبقات المحدثين والقرّاء والفقهاء ومؤرخي السير، والأدب والنحاة والحفّاظ والمفسرين وشمل هذا النشاط مشاهير الرجال والحكام والساسة وترجم بعضهم للأعيان كما فعل ابن خلِكّان **في وفيات الأعــيان**، والكتبي في **فوات الوفيات** ،وابن جعفر العسقلاني في **تهذيب التهذيب** ،واختصره في **تقريب التهذيب**. ومن أقدم هذه الموسوعات **كتاب الطبقات الكبير** لابن سعد (أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن مانع البصري الهاشمي(١٦٨–٢٣٠/ ٧٨٤–٨٤٥) الذي ترجم فيه لنحو ٤٢٥٠ شخصية من رواة الحديث الشريف ، مــن بينهم ستمائة امرأة. وربما كان الحافظ الكبير عبد الله بن عون الجرجاني أول مــن ألّــف من التراجم على حروف المعجم. وقد اهتم المؤرخون بالترجمة

للأمـــوات من الأعيان ولكن المعاجم صارت تتضمن تراجم للأحياء ممن تركوا بصمات واضحة في المجتمع.

التجربة السودانية

وفي السودان نشرت بعض كتب التراجم وعلى رأسها كتاب **الطبقات في خصـــوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان**، لمحمَّد النور بـــن ضـــيف الله (١١٣٩-١٢٢٤هـ/١٧٢٧-١٨٠٩-١٨١٠م) ويحتوي على تـــرجمة مائتيـــن وسبعين عالماً من العلماء والمتصوفة. وتعتبر هذه الموسوعة أســـاس ما كتب عن تاريخ العروبة والإسلام في عهد سلطنة الفونج الإسلامية (١٥٠٤هـــــ/١٨٢١م). وقد اعتمد المؤلف في إعداد هذه الموسوعة على بعض المدونـــات والرســـائل والفتاوى والإجازات العلمية .ومع أنه وقف على بعض الأخـــبار المدونة كما وقف على بعض المصادر. ولكنه يؤكد أنه لم يعتمد على عمـــل غـــيره وأنـــه اعـــتمد على ما اختزنته ذاكرته وكان غالب اعتماده على الروايات والأخبار التي تداولها مجتمع " الفقرا" من الفقهاء والأولياء . وقد أورد من الأخبار ما تواتر، وبقدر ما سمحت به إمكاناته.

والمادة التي يتضمنها هذا السفر واسعة وتتطرق إلى موضوعات كثيرة، كـــان الديـــن الإســـلامي محورها الأساسي. وقد اهتم المؤلف في تراجمه بذكر الاسم، واللقب واسم الشهرة، وتاريخ الميلاد، والوفاة، ومكانها، والنشأة، والتعلم، والتربية، الصوفية وعلى من تتلمذ، ومن تتلمذوا عليه، ويذكر اسم الوالد والولد، كما يورد نسب المترجم له، وبعض الأخبار المتصلة به، ولكن المؤلف لا يلتزم بذكر كل هذه المعلومات عن المترجم له، بل ما تيسر له منها. وقد سار المؤلف علـــى نهج ألف بائي بحيث يأتي الألف قبل الباء. وهكذا .غير أن الترتيب داخل الحـــرف الواحـــد غـــير منتظم. والحقيقة أن التراجم في عمومها تفتقد الموازنة

الداخلية فبعض ما أورده عن الشخصيات المهمة قليل جداً، أو مبثوث في تراجم أخرى، وقد اهتم عدد من الباحثين **بكتاب الطبقات** واعتمدوا عليه فيما ألفوا مثل نعــوم شقير، وكروفورد، وهولت وعبد المجيد عابدين والشيخ البروفسير حسن الفاتح قريب الله في بحثه عن التصوف في السودان. وحقيقة الأمر ان أي بحث عــن الإسلام او التصوف أو الثقافة العربية في السودان لا يأتي مكتملاً إلا بعد الاستعانة بطبقات ود ضيف الله

وكان من أوائل المهتمين بهذا السفر الرائد الشيخان إبراهيم عبد الدافع، وأحمـــد الســـلاوي فقـــد كتبه الأول رَجَزاً وشرحه الثاني، وأطلق عليه محققاه: البروفســـير محمَّد إبراهيم أبو سليم والبروفسير يوسف فضل حسن **طبقات ود ضيف الله: الذيل والتكملة**.

وقـــد بلـــغ ما ترجم له في هذا السفر ٣١٦ علماً وبلغ من ترجم لهم من تحقيق يوسف فضل حسن للطبقات ٢٧٠، ويكون ما أضافه الشيخان إبراهيم عبد الدافـــع، وأحمـــد السلاوي ٥٦ علماً ومن هنا يتبين أن هذه الإضافة تمثل تكملة لكـــتاب الطـــبقات، وليس تداركاً لمن أغفلهم ابن ضيف الله من أعلام زمنه، بل لذكـــر مـــن اشتهر من الأعلام بعد تأليف **كتاب الطبقات**. والتراجم التي أضافها الراجز والشارح على كتاب الطبقات مختصرة جداً، ولا تزيد عن الأربعة أسطر في المتوسط، ومن ثمّ كانت فائدتها أقل عن ماترجم ابن ضيف الله.

عـــند هذيـــن السفرين: **كتاب الطبقات** لابن ضيف الله، **وكتاب الطبقات** لإبراهـــيم عـــبد الدافع وأحمد السلاوي توقفت الجهود السودانية المبذولة لتوثيق جهـــود الفقهـــاء والمتصوفة إلا ما ورد في معاجم الشخصـــــــيات السودانية عامـــــة، مـــثل كتاب رتشارد هلّ. ***A Biographical Dictionary of Sudan*** وقـــد صدرت منه طبعتان في عامي ١٩٥١م و١٩٦٧م ويحيى محمَّد

عـبد القـادر، **شخصـيات مـن السودان: أسرار ورجال**، ٣ أجزاء ١٩٨٧م، ولمحجـوب عمر باشري كتابان أولهما **رواد الفكر السوداني**، بيروت ١٩٨١م **وكذلـك تـراجم الشخصـيات السـودانية** نشر في سلسلة مقالات في الصحافة السـودانية، وأذيعت أطرافاً منه من إذاعة (هنا أم درمان)، ولكن هذه التراجم لم تـر الـنور في شكل كتاب؛ ولأحمد محمَّد شاموق **معجم الشخصيات السودانية المعاصرة**، بيروت، ١٩٨٨؛ ونشر المجلس القومي للآداب والفنون الجزء الأول مـن كتاب معجم أدباء السودان، الخرطوم ١٩٩٤م. وهذه التراجم لا تحتوي إلا النذر اليسير من تراجم لرجال الدين من علماء وفقهاء، وقرّاء وقضاة ومتصوفة، ودعـاة ومعلميـن. هـذا الجانـب الديني مع أهميته لم يكتب عنه الكثير، وكاد الاهـتمام بهذا المرفق الحيوي أن يتوقف عند جهود ابن ضيف الله وعند مؤلفيْ **الذيل والتكملة**.

ومن ثمّ ظهرت الحاجة الماسة لمواصلة جهود محمَّد النور بن ضيف الله وزميلـيه، أولاً لاستدراك ما فات عليهم توثيقه من أعلام الذكر والذاكرين وذلك لسد تلك الفجوات، وثانياً لتوثيق أعلام الذكر والذاكرين خلال القرنين الماضيين بتوثـيق الحياة الدينية والتربوية والثقافية للطرق الصوفية أصولاً وفروعاً، على نسـق علمي يواكب هذه المرحلة التي اتسعت فيها دائرة المعارف وتعقدت فيها أسـاليب الحياة. ويهدف مشروع الموسوعة من ذلك لتعريف المواطنين، والعالم مـن حولـنا بدور هذه الشريحة الرائدة في الحياة الدينية وذلك يتمثل في الدور المركـزي الذي ظلت الطرق الصوفية تؤديه خدمة للمجتمع السوداني، وتأسيساً للحـياة الدينـية في البلاد منذ أن سطع نور الإسلام فيها ولا بد من إبراز دور أعلام المتصوفة البارز الدؤوب والتعريف به.

خطة إعداد الموسوعة

شهدت مكاتب رئاسة المجلس القومي للذكر والذاكرين انعقاد سلسلة من الاجـتماعات التمهـيدية لوضع خطة عمل مفصلة لتنفيذ مشروع موسوعة أهل الذكـر بدءاً من عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. وقد شارك في تلك الاجتماعات خبراء مـن المهتميـن بإعداد الموسوعات والتراجم كما شَرُفَ بعضها برئاسة فضيلة الشيخ طه الشيخ الباقر.

وبعـد أن حددت لجنة الخبراء أهداف الموسوعة المؤسسة على أهداف المجلس القومي للذكر والذاكرين، والتي أشرنا لها من قبل، رأت اللجنة ضرورة التبكـير بجمـع المـادة التاريخـية والأخـبار التي يستند عليها في إعداد هذه الموسـوعة، خاصـة بعـد أن أدركت لجنة الخبراء ندرة المادة المكتوبة، وشح مصـادرها، وقلـة من أسهموا في إثراء أدب الطبقات، وموسوعات السِّيْر من السودانيين.

ولمـا كـان جمع المادة مؤسساً على دراسات ميدانية في المقام الأول، عجلت اللجنة بتكوين فريق من الباحثين وجامعي الروايات المتواترة من مظانها. وقـد انتشـر هذا النفر بعد أن تسلحوا بالتدريب اللازم لإجراء المقابلات وجمع الأخبار من شخصيات ذاكرة. وكان الباحثون يؤدُّون عملهم الميداني على ضوء استبانات أسهم في وضعها، على أسس علمية موضوعية، بعض أعضاء اللجنة.

وفـوق هـذا عهدت اللجنة إلى نفر من الباحثين بجمع المادة التاريخية المـتوفرة في المكتبات والمصادر الخطية. وكان نتاج ذلك أن جمعت مادة ثرة عـن الطـرق الصوفية في السودان ، ورجالها من أهل الذكر والذاكرين ومن يدعمون جهودهم الخيِّرة. وقد جمعت هذه المادة التاريخية من:

- دار الوثائق القومية.

- مكتبة السودان بجامعة الخرطوم.
- مكتبات الجامعات المتخصصة في الدراسات الإسلامية.
- المكتبات الخاصة.
- رسائل الدبلوم والماجستير والدكتوراة التي تطرقت إلى بعض مواضيع موسوعة أهل الذكر والذاكرين.
- المادة المتوفرة في الدوريات العلمية، والمجلات والصحف اليومية.
- مؤلفات بعض أقطاب الطرق الصوفية، والنشرات التعريفية التي أصدرتها بعض هذه الطرق.
- المدائح والأشعار التي ارتبطت ببعض مشايخ الطرق.
- ما أضافه المراجعون العالمون بشؤون الطرق الصوفية.

وبعد اكتمال عملية جمع المادة ورصدها على نسق علمي موضوعي، يأخذ في الاعتبار أنه قد يكون من المتعذر أحياناً مراجعة ما كتب أو التحقق منه، خاصة إذا كان المُتَرْجَم له قد رحل إلى الدار الآخرة، بدأت عملية الكتابة والتحرير ، وتمر هذه العملية بثلاث مراحل:

الأولى: رصد المادة وتفريغ الاستبانات، ويقوم بهذا العمل محرِّرون ذوو خبرة، يتأنون في اختيار المادة ، وتحليلها ونقدها ضمنياً.

الثانية: المراجعة التاريخية وذلك بمراجعة الحقائق والمعلومات ،وتقويم المادة. وعُهد بهذا الأمر لبعض المختصين ذوي الصلة الحميمة بالمترجم له والمعرفة الدقيقة بإنجازاته.

الثالثة: مراجعة اللغة ومحاولة الالتزام بنسق علمي متقارب.

خطة إصدار المجلد

لكبر مشروع الموسوعة واتساع دائرته وضخامة المادة المستند عليها رؤى الآتي:

- إصدار الموسوعة في مجلدات متتابعة.
- كتابة التراجم على نسق ألفبائي (أبجدي).
- ان يحتوي المجلد الأول من الموسوعة على فذلكة عن الطرق الصوفية الرئيسة والطرق الفرعية المؤثرة وعلى نبذة عن تاريخ التصوف في السودان، وعلى تعاريف لبعض المصطلحات كالزهد، والتصوف والخلاوى، وهذه المادة تظل وقفاً ومصدراً مكانه المجلد الأول.
- تتوالى المجلدات الأخرى بالنظام الألفبائي الأبجدي، دون ما ورد ذكره في النقطة الثالثة.
- أن تشتمل الموسوعة على كل ما هو مألوف ومتبع في تأليف الموسوعات من نظام الكشاف والملاحق ،والخرائط اللازمة، والفهارس الدقيقة المتنوعة..إلخ.
- وان تعتمد الترجمة الموسوعية على الانتقاء من بين أسماء الفعاليات الكثيرة التي ذكرت في المراجع ووردت في الروايات الشفاهية. وتكتب مادة الترجمة بما يلائم الطابع الموسوعي لمعاجم الشخصيات من غير توسع في الخبر أو إفاضة في الشرح؛ وذلك بذكر المعلومات بأقل الكلمات وأقرب العبارات للمعنى باعتبار أن الموسوعة أعدت أساساً لتلبية حاجة سريعة عند القارئ وتكون ميسورة التداول حيث تنشأ الحاجة.

وبعـــد اكتمال عملية جمع المادة ورصدها على نسق علمي موضوعي، خاصـــة وأن بعـــض هذه المادة قد جمعت من مصدر أُحادي يتعذر التحقق من بعض مكوناته بمرور الزمن بدأت عملية الكتابة والتحرير.

اللجان المتخصصة

أشرفت على هذا العمل أربع لجان متخصصة:

المجموعة الأولى: التي وضعت السياسة وخطة الإشراف العام وتتكون من:

- فضـــيلة الشـــيخ طه الشيخ الباقر – الأمين العام للمجلس القومي للذكر والذاكرين.
- الأســـتاذ صديق عمر الإمام – نائب الأمين العام للمجلس القومي للذكر والذاكرين
- البروفسير يوسف فضل حسن، رئيس التحرير.
- الأستاذ عبد الحميد محمَّد أحمد – مدير المشروع.
- بعض مساعدي الأمين العام للمجلس القومي للذكر والذاكرين.

المجموعـــة الثانـــية: لجـــنة الخبراء الذين وضعوا الخطط وصاغوا الاستبيان وأقروا منهج التحرير:

- البروفيسور يوسف فضل حسن.
- الدكتور عبد الرحمن أحمد عثمان.
- الأستاذ كمال عبد القادر بلة.
- الأستاذ عبد الحميد محمَّد أحمد.
- الدكتور شرف الدين الأمين عبد السلام والذي أختاره الله بجواره قبل إتمام المشروع .
- الدكتور علي صالح كرار.

- الدكتور إدريس سالم الحسن.
- الشيخ عبد الرحمن دفع الله أبو نائب
- الدكتور يحيى محمَّد إبراهيم.
- ممثل مصلحة الإحصاء بالخرطوم.
- الأستاذ عباس عبد الرحيم عثمان بادناب.

المجموعة الثالثة: الباحثون الذين وضع خطة تدريبهم وأشرف على تنفيذها الدكتور عبد الرحمن أحمد عثمان محاضراً مع أساتذة في جامعة أفريقيا العالمية وذلك لجمع المادة العلمية لموسوعة أهل الذكر بالسودان من ولاياته المختلفة من يوم ١٩٩٩/٦/٢٥م ولمدة أسبوع ، فكانوا نواة حقيقية لهذا العمل الكبير وهم على النسق التالي:

الولاية	الباحث
ولاية كسلا	عمر عبد الله حامد – أبو بكر عبد الله البر
ولاية سنار	عوض الكريم الفضل نور المدينة– عبد الباقي صالح حمودة.
ولاية القضارف	يوسف دفع الله الشيخ– محمَّد عبد الله محمَّد الحاج
ولاية شمال كردفان	حسن محمَّد إبراهيم – مدني سليمان مدني
ولاية جنوب كردفان	محمّد الحسن عوض الكريم– محمَّد الأمين الشريف عبد الله
الولاية الشمالية	حاتم مختار محمّد إبراهيم –عبد الله موسى الشيخ
ولاية نهر النيل	عبد الحميد عبد الرحيم محمّد احمد – محمَّد أحمد عبد الله
ولاية الخرطوم	وليد عبد المنعم مصطفى –الطيب علي دفع الله
ولاية البحر الأحمر	عيسى حمد محمّد أدروب – انس محمَّد عبد الله
ولاية النيل الأبيض	علي إبراهيم خير الله –مصطفى محمَّد نور عثمان
ولاية شمال دارفور	محمّد إدريس آدم – جلال الدين خالد قرشي

ولاية جنوب دارفور الزين الخاتم الحجاز

ولاية غرب دارفور
ولاية جنوب دارفور
ولاية سنار
ولاية نهر النيل
ولاية غرب كردفان

} يحيى يس خير الله

المجموعة الرابعة : المحررون

- الأستاذ عبد الحميد محمَّد أحمد.
- الدكتور محمَّد الأمين الغبشاوي.
- الأستاذ عبد الرحمن إدريس عبد الرحمن.
- الأستاذ محمَّد عثمان محجوب عووضة.
- الدكتور أبو إدريس عبد الرحمن محمَّد .
- الأستاذ أبو بكر عبد الله البر.
- الأستاذ عبد الرحمن الحسين عبود .
- الأستاذ حسن محمَّد عثمان.
- الأستاذ حاتم مختار محمَّد .
- الأستاذ عباس عبد الرحيم عثمان (بادناب).

المجموعة الخامسة : مصادر ومراجع

أطروحات جامعية ودراسات وبحوث استعانت بها الموسوعة :

- البروفسير علي أحمد محمَّد بابكر وآخرون من جامعة أم درمان الإسلامية.
- الدكتور طارق أحمد عثمان.

- الأستاذ عبد الرحمن حامد الحمدابي.
- الأستاذ صديق محمّد احمد البادي .
- الأستاذ هاشم عبد الرازق صالح.
- الشيخ عبد الله محمَّد عثمان الزبير.
- الأستاذة رابعة علي عثمان.
- الأستاذ عبد الوهاب الطيب البشير.

المجموعة السادسة: مراجعة المادة على مستوى اللغة والصياغ

- الدكتور وداعة محمَّد الحسن عكود.
- الدكتور مهدي ساتي صالح.
- الأستاذ عباس عبد الرحيم عثمان بادناب.
- الأستاذ حسن سيد احمد الناطق.
- الأستاذ تاج السر بشير صالح.
- الأستاذ محمد الحاج محمد صالح.

المجموعة السابعة: وهم الذين طبعوا المادة و أعانوا على إدارة العمل :

- الأستاذ/ هشام إبراهيم عبد الله.
- الآنسة /هبة محمَّد الشيخ سيد أحمد.
- الآنسة /نادية إبراهيم محمّد سيد أحمد.
- الآنسة /آمال عوض علي حسن.
- الأستاذ /يحيى يس خير الله سامي.
- الأستاذ /عبد القادر الشريف عبد الله.
- الأستاذ/ حيدر خالد محمّد الزبير (التصميم).
- الأستاذ /سلمان محمّد الحسن متوكل (الصور الفوتوغرافية).

- السادة مهندسو مصلحة المساحة (خريطة السودان).

كـــان هناك مجهود صادق سبق هذا العمل الذي نحن بصدده، ومحاولة جـــادة لتوثـــيق جوانب من الحياة الصوفية في السودان وتسجيل بعض مناشطها علـــى (اشرطة فيديو) شملت ليالي الذكر والحوليات والأعياد الإسلامية وتخريج حفظة القرآن في الخلاوى وعملية تسليك المريدين وتجليس الخلفاء، فضلاً عن أنشطة المديح والإنشاد الديني وذلك في مواقع مختلفة من السودان شملت مراكز الإشعاع الصوفي والديني، وقد تصدى لهذه المهمة الدقيقة:

١- الأستاذ علي هاشم السراج
٢- الأستاذ عمر الشريف
٣- الدكتور احمد عبد العال
٤- الأستاذ عبد الحليم عبد الله

وهـــي أن لـــم تكن أعمالاً مباشرة تخدم شأن الموسوعة ، فهي أنشطة كانت بمثابة إرهاصات للعمل الموسوعي.

هـــذا وقـــد تشـــرّفت **موســـوعة أهل الذكر بالسودان** باهتمام ورعاية الـــوزراء الذين تعاقبوا على وزارة التخطيط الاجتماعي بعد الأستاذ على عثمان محمَّـــد طـــه وهم الدكتور الطيب إبراهيم محمَّد خير والدكتور قطبي المهدي، والدكـــتور عصـــام أحمد البشير وزير الإرشاد والأوقاف الذي آلت إلى وزارته الأمانة العامة للمجلس القومي للذكر والذاكرين، ويشار هنا إلى اهتمامهم وتسهيل مهام المشروع وتذليل صعابه ومتابعة مراحله.

وبـــالقدر ذاته نشير إلى أقطاب الصوفية بالسودان ورجالاتها ومريديها وأهـــل الذكـــر عموماً من بناة الخلاوى والمساجد ورعاية لطلاب العلم، وعلماء وحفظـــة القـــرآن ومادحيـــن، إذ لم يبخلوا بعلم كعهدهم، وساعدوا الباحثين في الحصول على المادة العلمية التي توثق لكل هذه الشرائح وتثبت تاريخها وتحفظ تراثها.

ومما يشار إليه في هذا المقام، الموقف الذي وقفته وزارة المالية والاقتصادي الوطني وتبنّيها للمشروع ودعمها الدائم والسخي له حتى مرحلة طباعة الطبعة الأولى من الموسوعة مما يؤكد الحرص الصادق لإخراج الموسوعة إلى حيّز الوجود.

خاتمة

يمثل مشروع إصدار **موسوعة أهل الذكر** خطة طموحة، ومحاولة جادة لسد فراغ علمي كبير في المكتبة العربية السودانية، ونأمل أن يشكل ما ينجز إضافة مهمة في صناعة المعاجم السودانية. هذا وقد اشتملت الموسوعة على عدد (٦) مجلدات حرصنا أن نقدم في المجلد الأول أهم وأقرب المعلومات عن التصوف عموماً وأهم موضوعاته فتحاً لآفاق المعرفة وتقريباً لمدارك القراء دون تفصيل شامل. أما المجلدات من الثاني إلى الخامس فقد احتوت على أسماء الأعلام وعددهم (١٥١٥) متصوفاً وشيخاً حافظاً وذاكراً ومحسناً ومادحاً ، بينما اشتمل المجلد السادس على مراكز الإشعاع الديني والصوفي مثل قرى المتصوفة وبلداتهم والخلاوى والمسايد والمراكز والمجمعات الإسلامية وبعض الأسر ذات الأثر الديني وعددهم (٢٨٩) موقعاً كما اشتمل أيضاً على خريطة السودان تبيِّن مواقع أهم مراكز الإشعاع الديني والصوفي إلى جانب بعض الصور المصحوبة بمعلومات توضيحية موجزة وقد اختيرت بعناية لتكون نبراساً لما جاء بداخل الموسوعة من مساجد قديمة وحديثة وخلاوى وقباب وأضرحة ومزارات وآثار صوفية وأدوات يستعملها المتصوفة وهي ذات أثر ديني في حياتهم اليومية .كل هذا يقع في إطار محاولة جادة لإبراز هذا النشاط وليس حصراً له ، مما يعني إمكانية التنقيح في الطبعات القادمة.

ويسعدني أن أتقدم نيابة عن أسرة التحرير بخالص الشكر والتقدير لكل مـن كان لــه فضل المبادرة والرعاية والتوجيه والدعم والمشاركة في التخطيط وجمــع المـــادة وكتابتها وتحريرها· والشكر موصول لمن سيمعِنون النظر في محـتويات هذه الموسوعة آملين أن يبعثوا لنا بملاحظاتهم وتصويباتهم حتى تجد مكانها اللائق بها في الطبعات القادمة لهذا العمل إن شاء الله ، والشكر موصول للســادة وزراء الشـئون الثقافــية والاجتماعية ولمساعديهم الإداريين بولايات السودان المختلفة لما أبدوا من حسن تعاون ·

والشـــكر لوكيل وزارة المالية والاقتصاد الوطني الاتحادية الأستاذ احمد عمــر لدوره الفاعل والمؤثر في طباعة الموسوعة ،والشكر للدكتور حسن عمر مديــر مطــابع السودان للعملة المحدودة ومساعديه وفنيي المطبعة لما بذلوا من جهد فني رفيع مقدر ·

وحــق لــنا ان نشــكر بصفة خاصة الأستاذ/ياسر محمد عثمان المدير التنفــيذي للمجلــس القومي للذكر والذاكرين ،شكراً يسمو إلى مقام وفائه ودأبه وحرصه على أخراج الموسوعة إلى حيز الوجود·

والله نسأله التوفيق والسداد وحسن القبول ،، ،،،،

البروفسير

يوسف فضل حسن

٧ جماد الأولى ١٤٢٥هــ

٢٤/ يونيو ٢٠٠٤م


التصــــــــوف

نشأة التصوف الإسلامي وتطوره

أصل كلمة التصوف

اختلفت الأراء حول أصل الكلمة فبعضهم على أنها مشتقة من اسم صوفة، أحد كهان الجاهلية. ويعارض الدكتور محمَّد كمال جعفر هذه النسبة إلى هذا السادن لا ستبعاد أن ينسب الصوفية أنفسهم وهو في محيط إسلامي إلى سادن في الجاهلية .

وينسبها بعضهم إلى أهل الصُّفة، وهذا يعارضه الاشتقاق اللغوي، لأن النسبة الصحيحة إلى أهل الصُّفة هي صَفِّي. وقيل أنه مشتق من الصفاء وهذه الكلمة وإن كانت أكثر قرباً من صفاء الصوفية ونقائهم إلا أننا نواجه باستحالة الاشتقاق اللغوي، لأن الجمع الصحيح لكلمة صفاء هو صَفَوى وليس صوفي. وهناك من ينسبها إلى صوفيا اليونانية. وهذا الاشتقاق بعيد، لأن هذه الكلمة عرفتها البيئة العربية قبل أن تترجم المعارف اليونانية، كما يعارضه ما قيل عن عدم إيثار العرب استبدال حرف السين اليونانية بالصاد العربية.

أمّا القول بأن الصوفي من الصف باعتبار الصوفية في الصف الأول بين يدي الله فيخالفه الاشتقاق اللغوي أيضاً ،لأن النسبة إلى الصف هو صفي لا صوفي.

وأياً كان الأمر فإن الذي عليه أكثر الباحثين وبينهم المستشرقون هو نسبته إلى الصوف لتوافق الاشتقاق اللغوي وكما ورد في الأثر، ولواقع حياة الزهاد والذين اشتهروا بلبس الصوف الذي كان زيّاً شائعاً للزهاد الأوائل الذين اثروا الصوف لما فيه من خشونة فتوافق مع حياتهم التي قامت على القناعة والزهد. ولعل بعضهم آثره لما نُقِل إليهم عن لبس الرسول (ﷺ)الصوف.

واشـــتهار الصوفية الأوائل بالزهد ولبس الصوف اعتبره بعضهم إشارة دالـــة فـــي وقـــت معين على منهج خاص، ثم تُوثِّقت العلاقة بين أصل التسمية وحقيقة المسمى، من غير أن نستنبط من ذلك أنه تقليد للمسيحية في اللباس.
ويذكـــر الدكـــتور محمـــد حلمي مصطفى عبد الرازق عن أصل التصوف بأنه مصدر الفعل الخماسي المصوغ من صوف للدلالة على لبس الصوفي، ومن ثم كان المتجرد للحياة الصوفية يسمى في الإسلام صوفياً.

تعريفات التصوف

عرف أبن خلدون التصوف بأنه "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعـــالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور مـــن لـــذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ". وعند الكتاني: "التصـــوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء" وهذا التعريف كان الصفة الغالبة على الصوفية الأوئل، ولكنه – كما يذهب الدكتور محمَّد كمال جعفـــر تعـــوزه الدقة، لأنه يفعل الجانب النفسي الذي يعتمد على دراسة النفس الإنســـانية وأحوالهـــا ومقاماتها وغايتها التي هي فناء العبد عن نفسه ظن بقائه بخالقه واتحاده به.

ولمعـــروف الكرخـــي تعريف دال على بعض حالات العبادة الروحية، يقـــول "التصـــوف الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق" وهو عند بشر الحافي "من صفا قلبه لله". ويصف ذو النون حالهم فيقول "هم قوم آثروا الله عزّ وجـــلّ على كل شيء فآثرهم الله عزّ وجلّ على كل شيء". الجفير شيخ الطائفة الصـــوفية يعـــرف التصوف بأنه "ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع إتـــباع " ويقـــول أيضاً "التصوف هو أن تكون مع الله بلا علاقة" وهذا التعريف

قريب مما عرف عن دعاء رابعة العدوية بالمحبة الخالصة لوجه الله دون طمع في الجنة أو خوف من النار.

وهو عند الجُريري "الدخول في كل خُلق سنى، والخروج من خُلق دنى".

من أشهر التعريفات شمولاً ومضموناً "ألا تملك شيئاً ولا يملكك شيئ"، و الصوفي عند أبي الحسين النوري هو "من لا يتعلق به شيء ولا يتعلق بشيء".

وللجنـيد تعـريف أخـر للتصـوف غير ما سبق وهو أن يختصك الله بالصـفاء، فمـن أصـطفى من كل ما سوى الله فهو الصوفي، وهو عند سهل التسـترى "مـن صـفا من الكدر، وأمتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر، واسـتوى عـنده الذهب والمدر" وعند رويم: التصوف مبني على ثلاثة خصال: التمسـك بالفقـر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار. والشـيخ عـبد القادر الجيلاني يراه "الصدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخلق" وزكريا الانصاري يراه في ترك الاختيار.

وتعـريفات التصوف كثيرة، وقد أورد نيلكسون في كتابه في التصوف الإسلامي أكثر من سبعين تعريفاً لمن يريد الاستزادة .

يتبيـن ممـا سبق صعوبة وضع تعريف واحد وإتخاذه نموذجاً ومرجع الصـوفية فـي ذلـك إن النصوف تجربة ذاتية تتعلق مجالاتها بالنفس والسلوك والخلـق وجانب منه عملي ومنه ماهو مرتبط بالمعرفة والمشاهدة .ومن محاسن التصوف أنه – كخلق وعبادة – يستوعب كل التعريفات .

مصادر التصوف الإسلامي

ثمـة اختلاف بين المؤرخين حول المصادر التي استقى منها التصوف مادتـه، وهـم بين معتدل ومغال. ففريق يرى التصوف إسلامياً خالصاً مصدره القرآن الكريم والحديث، وعبادة وسيرة الرسول(ﷺ) وأحوال الصحابة وأقوالهم،

وفـــريق مـــنهم مستشرقون وعرب يرون أن الأثر الأجنبي من فارسية وهندية ومسيحية وغنوصية وغيرها هي أصل لتصوف، وهؤلاء بنوا آراءهم عامة في آثار الصوفية المسلمين المتأخرين من أفكار أجنبية.

ولئـــن ركـــز الأتجاه الإستشراقي كثيراً على المصدر الأجنبي للتصوف الإســـلامي، فـــأن هؤلاء عجزوا عن التمييز بين التصوف في صورته الأولى عـــندما أرتبط بحركة الزُهَّاد العبَّاد، وبالكتاب والسنة وبين التصوف في مراحل تالية عندما ارتبط بحركة الفلاسفة والآراء الأجنبية من أفلطونية وسواها.

والحـــق أن أراء هـــؤلاء يعوزهـــا نـــوع من الدقة وينقصها الاستقراء التاريخـــي للدعـــوة الإســـلامية وطبيعـــتها، وما فيها من نظرة إلى الحياة الدنيا والآخرة.

وإذا وافقـــنا هـــؤلاء – أفتراضاً – على ما بين المصادر الأجنبية وبين التصـــوف الإســـلامي من نشأته، فإن تماثل شيئين وتقاربهما، أو ظهور عادات مماثلـــة لأنـــاس في أماكن مختلفة لا يعني وجود علاقة بينهم، فهناك كثير من العـــادات والتقاليد والمعتقدات المشتركة بين الشعوب في قارات مختلفة دون أن يكون هناك أي أتصال بينهم.

وكيفما كان الأمر فإن الرأي الأكثر قبولاً واتفاقاً مع الحقائق هو إسلامية التصـــوف، ومـــن يتـــبع حياة الرسول(ﷺ) قبل الدعوة وفي خلالها يلمس ذلك بوضـــوح، وكذلك أقوال الصحابة وأفعالهم وحياتهم التي اتسمت بالزهد والورع والتقشف والزهد مع الغنى والفقر بعد الثراء.

نشأة الزهد والتصوف

نشـــأ الزهد إسلامياً حيث استمد مادته من شواهد القرآن، ومن أحاديث الرســـول(ﷺ) وتعـــبده وتقشفه وزهده، كما ضرب صحابته رضوان الله عليهم

أروع المـــثل فـــي الزهد مع الغنى إيثاراً لنعيم الآخرة الدائمة على بريق الدنيا الزائلة. ويؤكد استقراء حياة الزهاد منذ الصدر الأول للإسلام والخلافة الراشدة الأصـــل الإسلامي للزهد الذي تأثر أيضاً بالأحداث السياسية التي شهدتها ساحة الإســـلام منذ أحداث الفتنة الكبرى التي تعد بداية التصدع في الصف الإسلامي، ودفعـــت بعض كبار الصحابة إلى اعتزال الحياة العامة والسياسية والابتعاد عن المتنازعيـــن، كمـــا اعـــتزل آخرون من أنصار على (رضي الله عنهم) الحياة عقب تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية، كما أن التوابين الذين أحسوا بالندم لتخاذلهم عن نصرة الحسين بن علي بعد أن دفعوه للخروج على دولة بني أمية أنصرفوا للعبادة واعتزلوا الحياة السياسية.

ويمكـــن القـــول أن قســـوة بعـــض حكام بني أمية كانت دافعاً لاعتزال جماعات أخرى بعد أن عجزت عن الدفاع عن آرائها، والانتصار على مؤسسي هذه الدولة الذين اغتصبوا الخلافة من آلـــ علي .

ويضـــيف الدكتور أبوالوفا التفتازاني عاملاً آخر يتفق فيه معه كثير من المؤرخين وهو التطور الذي طرأ على الحياة الاجتماعية في العهد الأموي نتيجة الفـــتوحات، وظاهرة الترف والإنحراف عند ولاة الأمور ، مما دفع الأتقياء إلى تبصير الناس بخطورة المتغيرات التي حدثت،وضرورة الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة في طهرهم ونقائهم وزهدهم وتعبدهم[١]

إذن، فـــإن حـــركة الـــزهد نبعـــت من منبع إسلامي صاف، ومن واقع الأحـــداث السياسية والتحولات الاجتماعية حتى صارت لها مدارس في القرنين

[١] المدخل إلى التصوف الإسلامي ص ٧١

الأول والثاني للهجرة من أشهرها مدرسة المدينة[١] ومدرسة مصر[٢] ومدرسة البصرة ومدرسة الكوفة[٣]

علـــى أنه يصعب في هذه المرحلة التمييز بين الزهد والتصوف ، ولكن عـــرف بعض الزهاد بالنظر في النفس وتزكيتها حتى صنِّفوا في الطبقة الأولي من الزهاد ، وكانوا النواة للصوفية أصحاب المواجيد والرياضيات ٠

وبـــرز فـــي هذه المرحلة الحسن البصري (١١٠ هـــ/ ٧٢٨م) ورابعة العدوية[٤] (١٨٥هـــ/٨٠١م) ويعتبر الحسن البصري من كبار علماء عصره ، وخـــير ممـــثل لحـــياة الزهد عن الدنيا وبريقها ٠ وقد استمد الصوفية في حياته وأقوالـــه وطـــريقة عـــبادته الكثير من القيم الروحية والتعابير الجديدة من حزن وبكاء وخوف وهموم وشوق إلى الجنة ٠ ولذلك يعده بعضهم مع الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الدارمي وسفيان التوري أحد من تكلموا عن التصوف في عصره ٠ وتعتبر رابعة العدوية أكثر الزاهدات اقتراباً من التصوف في أواخر القرن الثامن الهجري / الثامن الميلادي ٠

يدلـــنا مـــا نقل عنها من عبادات على أنها أضفت على التصوف روحاً جديـــدة ، وغـــيرّت بعض المفاهيم عن العبادة الموصلة إلى الله التي قامت على

---

[١] اشتهر في المدينة زهاد أقتدوا في زهدهم بالرسول وظلوا على هذا الحال رغم التطورات السياسية . وأفول نجم المدينة بعد تحول الخلافة إلى الشام على عهد معاوية ويأتي على رأس هؤلاء السلفيين أبوذر الغفاري وأبوعبيدة بن الجراح وعبد الله بن مسعود وهؤلاء عُرفوا بالزهد وإيثار الآخرة على الدنيا ٠

[٢] ظهر أصحاب هذه المدرسة في مصر في القرنين الأول والثاني للهجرة وترجم لهم السيوطي في (حسن المحاضرة) والكندي في (القضاة والولاة) ، ومن اشهر هؤلاء ابن حجيرة وعبد الله بن عمر ، ويُذكر مع هؤلاء الليث بن سعد تلميذ يزيد بن حبيب النوبي ٠

[٣] اشهر رواد هذه المدرسة في البصرة ٠ ويرى ما سينيون أنهم عاشوا في بيئة علمية وبين قوم فطروا على النقد ، وكلفوا بالمنطق في النحو والواقع في الشعر والنقد في الحديث . وظلوا على مذهب أهل السنة مع ميل إلى المعتزلة والقدرية واشهر أعلامهم في الزهد الحسن البصري ومالك بن دينار ٠ أنظر مادة (التصوف) بدائرة المعارف الإسلامية ٠

[٤] ولدت في البصرة سنة ١٨٥هـــ/٨٠١م ٠ واشتهرت بالعبادة الخالصة . وكثرة البكاء والحزن وبمفهومها المتطور للعبادة الخالصة حباً في الله واهتم من ترجموا لها بتدوين أقوالها وآرائها أكثر من عنايتهم بنشأتها وحياتها في مراحلها المختلفة٠

التقوى والزهد والشوق إلى الاخرة والخوف من النار ، ولكنها اتخذت الحب الإلهي وسيلة إلى الظهور ، وانتشرت آراؤها في ذلك بعيداً عن إيثار النفس، ولها في ذلك عبارتها المشهورة " إلهي أن عبدتك حباً في الجنة فأحرمني منها ، وإن عبدتك خوفاً من النار فألقني فيها ، واما إن عبدتك من أجل محبتك فلاتحرمني يا إلهي من جمالك الأزلي " .

ويذهب الدكتور محمد مصطفى حلمي إلى أن رابعة العدوية أخرجت الحياة الروحية الإسلامية في الزهد من عند الحسن البصري وزهاد عصره الذي كان طابعه الخوف من عذاب النار إلى نوع آخرمن الزهد وهو حب الله وطاعته والأنس به والإقبال عليه والشوق إليه ولهذا اعتبر بعضهم هذا الحب الخالص في الله نقطة تحول هامة في الزهد الإسلامي الممهد لظهور الصوفية والتصوف .

وخلاصة القول أن الزهد في القرنين الأول والثاني قام على حب الجنة ومخافة النار ثم الحب الإلهي الخالص لله وتمثله رابعة العدوية ، كما ظهر في أراء هؤلاء نوع من العمق فهو التصوف في القرن الثالث الذي برز فيه زهاد انطبقت عليهم صفة الصوفية وهؤلاء تحدثوا عن النفس والطريق والمقامقات والأحوال والمعرفة والفناء ثم الحلول والاتحاد.

وبرزت في هذه الفترة حركة نشطة للتدوين وظهرت مدونات في التصوف فالمحاسبي كتب عن النفس ومحاسبتها ، ورعاية حقوق الله ، وظهرت مؤلفات للحكيم الترمذي والجنيد والخراز في قضايا التصوف والطريق .

ولهذا التطور الكبير اعتبر ،التفتازانين، القرن الثالث الهجري بداية تكوّين علم التصوف بمعناه الدقيق ، ويضيف صاحب كتاب **قواعد الأخلاق في التصوف الإسلامي** أن التصوف في أول نشأته تدرج في صدور الرجال من

كابـــر إلى كابر حتى استقلت به صدور الرجال إلى أن جاء عصر التدوين فكان للتصوف الحظ الأوفى فأنتشرت رسائل الجنيد وكتب الحارث المحاسبي، وعاش التصوف عصره الذهبي بين هؤلاء الكرام ·

انتقلــت آثـــار هؤلاء إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي الذي شهد مرحلة نضوج الأراء عن الكشف والذوق حتى صار التصوف علماً مستقلاً عـــن علم الفقه موضوعاً ومنهجاً وغاية كما صوّر ذلك ابن خلدون (المقدمة ص ٤٦) ·

ويـــرى التفتازانـــي نقلاً عن أبي العلا عفيفي أن القرنين الثالث والرابع الهجريين شهدا اكتمال التصوف الإسلامي ، وأن صوفيته يمثلون العصر الذهبي للتصـــوف الإســـلامي في أرقى وأصفى مراتبه وصاروا رواداً لكل من جاءوا بعدهم ·

أمـــا القـــرن الخامس الهجري الموافق الحادي عشر الميلادي فيعد بحق عصـــر التصوف للفكر الصوفي السنى وفيه تراجع آراء أصحاب الغلو ويمثله البســـطامى والحـــلاج ، وبـــرز فيه القشيري ممثلاً للأتجاه المعتدل ، معارضاً لأصـــحاب الحلـــول والاتحـــاد ، ورافضاً لكل تجاوز عن تراث أوائل الصوفية بورعهـــم وزهدهـــم وقـــد عُرف بحرصه على ربط التصوف بعقيدة أهل السنة والجماعة ، وضمن كثيراً من آرائه في رسالته المعروفة بالرسالة القشيرية ·

وشـــهد هذا القرن ظهور الإمام الغزالي الذي أشار ابن خلدون إلى الاثر الـــذي أحدثـــه بقولـــه " وصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطـــريقة عـــبادة فقط " ، وإلى هذا العالم الجليل يرجع الفضل في التوفيق بين التصـــوف وعلـــوم الإسلام ، وربط هذا العلم بالكتاب والسنة وما عليه جمهور المسلمين ·

ويلاحظ أن آراء الغزالي استرعت انتباه بعض المستشرقين الذين غيروا بعـض مفاهـيمهم عن التصوف الذي كانوا لا يرون منه إلا ما يتعلق بالسطح والغلو والحلول ·

ويعترف نيكلسون أن الغزالي أعطى للتصوف معنى جديداً ويذهب رأي بـور إلى أن التصور صار عند جمهور المسلمين منذ أيام الغزالي دعامة تقدم عليها صرح العلم ·

وإذا اعتـبرنا الغزالـي موازنـاً بيـن التصوف والسنة ، وفاصلاً بين التصـوف المغالـي والتصوف المعتدل فإن أصحاب الطرق الصوفية الذين أتو بعده ساروا على دربه ، واستمدوا كثيراً من تعاليمهم من فكره ، ويعد أبوالحسن الشاذلي أكبر ممثل لآراء الغزالي ·

وأبعـد ، نظـراً لأن الطـرق الصوفية التي كُتب لها البقاء قد انتشرت وصارت لها فروع في بلاد كثيرة – ومن بينها السودان – وتفرعت منها فروع أخـر تذهب إلى أنها استمدت تعاليمها من أصولها الأولى فلابد من الإشارة إلى بعض مظاهرها التي لا تمت إلى هذه الأصول بصلة·

ويمكن القول أن ابتعاد بعض تعاليم الطرق الصوفية الحالية عن أصولها نتج عما شاب التصوف بدءاً من القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي من جمود وضمور فكري ، وخمود في القرائح حتى صارت المؤلفات السائدة لا تعدوا أن تكون مختصرات وشروحات وتقارير على آثار السلف ·

وبمـرور الأيـام وتقـادم العهد زاد انفصال هؤلاء عن النبع الأصلي الصـافي، كمـا أن انتشار التصوف العلمي الذي جذب إليه قاعدة عريضة من الجماهير ذات النزعات المختلفة ساعد على ذلك فضلاً عن حالة العالم الإسلامي وتمزقه آنئذ·

علـــى أن هذه الطرق على تعددها، تجمعها وحدة الهدف وهو السير إلى الله، وهـــي تتخذ لها ألواناً من الأعلام تميزها، ولكن أكبر مميز لها هو أورادها وأحزامها، ووسيلة تلاوتها وإعدادها وأوقاتها·

والأوراد والأحـــزاب عـــبارة عـــن أدعية واستغاثات واستغفار وإقرار بالعـــبودية ومـــناجاة وهي في عمومها لاتخرج عن دائرة الكتاب والسنة ، وقد يـــنحرف بعضـــها عن هذه القاعدة ، ولكنها تهدف في النهاية إلى تربية النفوس وتهذيبها وتزكيتها من الأغبار في الطريق إلى الله·

ولمتابعة ما قلنا عن الأصول والفروع ومدى حفاظها على أدبياتها ومدى القرب والبعد نورد موجزاً عن دخول هذه الطرق في السودان ، ونقف عند ذلك بآثارها في المجتمع السوداني سلباً وإيجاباً ونختمها بلمحة موجزة عن آثارها في الخـــارج لعـــل هـــذا يخرج الباحثين والعلماء من الدائرة الضيقة التي حصروا كتابـــتهم فـــيها وهـــي الآثار الخارجية في التصوف السوداني دون إدراك للأثر المعاكس لذا نرى ضرورة التركيز عليها ·

المراجع : دائرة المعارف الإسلامية

- أبوالوفا التفتازاني ·
- المدخل إلى التصوف الإسلامي ·
- القشيري – رسالة القشيري ·
- الكلابادي : التعرف لمذهب أهل التصوف دكتور كمال جعفر ·
- التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً ·
- نيكلسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه ·
- محمّد مصطفى حلمي : الحياة الروحية في الإسلام ·

تعريف التصوف

للجنيد البغدادي تعريفات عدة منها:

التصوف: هو:

- هــو أن يميــتك الحق عنك ويحييك به ، أي : لا حركة ولا سكون إلاّ وفيها نية لله تعالى.
- هو أن تكون مع الله بلا علاقة ، أي: بلا غرض دنيوي دنئ ولا أخروي ، بل التوجه إلى الله خالصاً.
- هــو ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتباع ، أي : ذكر مع حضور القلب ، يثير الوجد فيبعثه ذلك على العمل والاتباع.

ولأبي الحسين النوري:

نعــت الصوفي: السكون عند العدم والإيثار عند الوجود ، أي: ساكن مع التسليم للقضاء ، كريم يؤثر غيره على نفسه.

الصـــوفي: مَــنْ سمع السماع وآثر الأسباب ، أي: سمع ما يحثُّه إلى القرب من المحبوب واستسلم لقضائه وقدره.

قال السهل التسترى:

الصـــوفي: من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عند الذهب والمدر.

ولأبي بكر الشبلي:

التصوف:

- هو الجلوس مع الله بلا هم ، أي : بلا غرض.
- هو برقة محرقة ، أي : صعقة القلب في محبة بلا رجفة فيها.
- هو العصمة عن رؤية الكون ، أي : بالانقياد للمكون.

- الصوفي : منقطع عن الخلف متصل بالحق ، كقوله تعالى (واصطنعتك لنفسي).

ولمعروف الكرخي:

التصوف: الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق.

ولذي النون المصري:

الصوفية: قوم آثروا الله على كل شيء ، فآثرهم الله على كل شيء.

ولدى سمنون:

التصـــوف أن لا تملـــك شـــيئاً ولا يملكك شيء ، أي يكون العبد وما ملك ملكاً لسيده.

قال أبو سعيد الخراز:

التصوف تمكين من الوقت ، أي : لا إضاعة لشيء من الوقت دون طاعة الله.

قال عمرو بن عثمان المكي:

أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت.

قال محمَّد القصاب:

أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام.

قال رويم:

- التصوف هو استرسال النفسي مع الله تعالى على ما يريد.
- التصـــوف مبني على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار.

ومن أقوال الجنيد:

الصوفية قوم قائمون بالله بحيث لا يعرفهم إلا الله.

ولأبي محمَّد الجريري:

التصوف هو:

- الدخول في كل خلق سني ، والخروج من كل خلق دنى.
- مراقبة الأحوال ولزوم الأدب.

وقال السهر وردي :

الصـــوفي ، هـــو الذي يكون دائم التصفية ولا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس.

وللشيخ عبد القادر الجيلاني ٤٧٠هـ/٥٦١هـ:

التصوف: الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق.

المتصوف: الشارع في طريق الوصل.

الصوفي: مَنْ قطع الطريق ووصل إلى مَنْ إليه القطع والوصل.

ولأبي على الروذباري:

التصوف هو الإناخة على باب الحبيب وأن طُرد عنه.

وللكتاني:

التصوف: خلق فمَنْ زاد عليك في الخلق ، فقد زاد عليك في الصفاء.

ولأبي تراث النخشبي:

الصوفي: لا يكدره شيء ، ويصفو به كل شيء.

ولأحمد زروق:

التصوف: علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله عمَّا سواه .

وللسيد الشريف الجرجاني:

التصـــوف: الوقـــوف مع الآداب الشرعية ظاهراً ، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن ، وباطناً فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال.

وللقاضي ذكريا الأنصاري:

التصوف: إنه ترك الاختيار.

ويقال هو: حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك

ويقال هو: الجد في السلوك إلى ملك الملوك.

ويقال هو: الانكباب على العمل والإعراض عن العِلل.

أهمية التصوف

إن الإسلام بكماله دين يؤدي بالبشرية إلى الرفعة في كل ما يبتغيه الإنسان والمجتمعات الإنسانية، وقد عالج الإسلام كل قضايا الإنسان علاجاً نافعاً ومثمراً ودقيقاً ، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها ، ما اتضح منها وما خفي، والمجتمعات الإنسانية أن تلبست بالإسلام كلاً حملها نحو ما يبتغيه من الكمال.

والمفردات التي جاءت بها كليات الشريعة الإسلامية تتناول مقاصد شتي، منها أحكام تكليفية، ومنها نظم فقهية، ومنها تربية روحية، وإهمال أي جانب منها يضر إضراراً جسيماً بهذا البدن المتكامل، وقلب هذا الجسد النابض بالحياة. والروح هو التربية الروحية، التي تمثَّلتْ – بعد تفرع العلوم الإسلامية إلى أنواع مختلفة– بعلم التصوف.

تتفاوت أهمية العلوم الإسلامية بحسب مؤداها ومقتضاها، فمنها ما هو مطلوب بذاته امتثالاً لأمر الله تعالى به كعلم الإيمان واليقين وهو أفضل العلوم، لأن كل علم من العلوم يمكن لكل إنسان مداولته تعلماً وحفظاً ونشراً حتى للكفار والمنافقين إذا تهيأت الرغبة والحرص على ذلك. لأن العلم نتيجة ذهنية وثمرة من ثمار نتاج العقل إلا علم التصوف لا يمكن لأحمد أن يحصل مشاهداته وتذوق ما فيه والتكلم بحقائقه إلا لمؤمن موقن.

قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون* ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون*).

وهــذا تصــريح بأنهم خلقوا للعبادة ، فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له، والإعــراض عن لهو الدنيا ولعبها، فلهذا كان الأيقاظ هم العبّاد وأعقل الناس هم الزهّاد.

إن الله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) فرض على القلوب عملاً من الاعتقادات، وعلى الجوارح الظاهــرة عمــلاً مــن الطاعات، فجميع التكاليف الشرعية التي أمر الإنسان أن يتعبّد بها في خاصة نفسه تقسم إلى نوعين:

١- أحكام تتعلق بالأعمال الظاهرة، وهي أحكام العبادات، والعادات.

٢- أحكــام تتعلق بالأعمال الباطنة، وهي: الإيمان ، وما يتصرف في القلب ويتلون به من الصفات ، وهي قسمان:

أ/ محمودة، كالعفة والعدل والشجاعة والكرم والحياء والصبر.

ب/ مذمومة، كالعجب والكبار والرياء والحسد والحقد.

وهــذا النوع أهم عند الشارع، وإن كان الكل مهماً، لان الباطن سلطان الظاهــر المســتولي علــيه، وأعمال الباطن مبدأ لأعمال الظاهر، وأعمال الظاهــر آثار عنها، فإن كان الأصل صالحاً كانت الآثار صالحة، وإن كان فاسداً كانت فاسدة.

ولذلــك قال الشيخ زروق : إن نسبة التصوف في الدين نسبة الروح من الجســد ، لأنــه مقــام الإحسان الذي فسّره رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لجبريل عليه السلام: (أن تعبد الله كأن تراه).

قــال الإمــام الغزالــي (ت٥٠٥هــ) فــي وصف سلوكه في طريق التصوف: (لما فرغت من العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طــريقهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس والتــنزه عن الأخلاق المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية

القلـب عن غير ذكر الله تعالى وتحليته بذكر الله··إلى أن يقول: فعلمت أنهم أربـاب الأحوال لا أصحاب الأقوال، وما يمكن تحصيله بطريق العلم ، قد حصـلته ولـم يـبق إلا مـا لا سـبيل إلـيه للسـماع والتعلّم، بل بالذوق والسلوك،وكن قد ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكـف الـنفس عن الهوى، وإن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافـي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإقبال بكنه الهمة على الله تعـالى، وأن لا يـتم إلا بالإعـراض عن هذا الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق·

ومـا أحوج مجتمعات اليوم بعدما عانت من الفراغ الروحي الكبير إلى سـد خلتها بالتصوف الإسلامي، فالتقدم الحضاري المادي مهما توصل إليه مـن الرقـي، لم يؤت ثمرته الفعلية من إسعاد الناس، بل على العكس جلب التعاسـة والخـراب الناجمين عن الحروب المتلاحقة، فمازال القوي يفترس الضعيف، ومازال الاستعمار ينشب مخالبه في صدور الدول الضعيفة، وما هذا إلا دليل على إفلاس الحضارة المادية الخالية من القيم الروحية·

الصوفية والجهاد

يصـف صـاحب كـتاب **فرسان ودراويش** الصوفية المجاهدين بأنهم شخصيات من ذوي الصبغة الدينية الصادقة الموروثة أو المكتسبة، ثم سنحت لهـم فرصة الجهاد في سبيل الله والحق، فانقلبوا فرساناً وقواداً أدهشوا العالم بـبراعة تخطـيطهم، وسلامة تفكيرهم السياسي والعسكري بالرغم من فقدان الصـلة بين حياتهم الأولى الزاهدة وبين حياتهم كمحاربين تمت على ايديهم انتصارات رائعة في غير ممارسات سابقة أو تدريب منظم من فنون الحرب، ثم يتخذ من عثمان دقنة ومحمَّد الخير الغبشاوي وعبد القادر ود حبوبة مثالاً·

وصـــوفية الســـودان – مـــثل غـــيرهم عـــرفوا بالزهد والعبادة وتربية المريدين، وملازمة الزوايا والمساجد، وكانوا ممثلين للجانب العلمي في الإسلام، وقـــد وصفوا بالانكفاء والسلبية والخمول، وحاول بعضهم تجريدهم من أي دور وطنـــي في مقاومة الظلم أو الاستعمار، وقد جانب هؤلاء الصواب عندما لجأوا للتعمـــيم والحكم المتسرع دون تعمق فصفحات التاريخ تشهد أن هؤلاء ضربوا أروع المـــثل فـــي التضحية والجهاد الأكبر جهاد النفس والجهاد الأصغر جهاد الكفار ، وعندما جاهر الإمام المهدي بدعوته لبوا النداء وتركوا الخلاوى وأغلقوا أبوابها للجهاد، فالفرسان والدراويش في فترة المهدية كانوا المثال الحي لإيجابية الصوفية وجهادهم، وأنظر إلى بطولات المهدي الذي خرج من صفوف الطريقة السمانية موازياً بين القيادة والجهاد ورآه لازماً من لوازم الحياة وأنظر إلى جهاد الشـــيخ محمَّـــد الخـــير أستاذ المهدي والشريف ود طه والعبيد ود بدر وأسرته وتلامـــيذه وهم يلتحمون مع جيش الإنجليز في معارك كثيرة ، وينتصرون على أحـــدث الأســـلحة والعبـــيد ود بدر هو الذي فاجأ جيش الترك بالتحرك السريع لمحاصـــرة الخـــرطوم مـــن الجهات الأربع مؤقتاً تحركه هذا مع تحرك جيش المهـــدي مـــن الرهد لحصار الخرطوم، كما فوجئ غردون باشا بالحصار من حوـــله، والشريف ود طه انضم للمهدية وحارب الترك بشجاعة وواجه فرسانهم والحق بهم هزيمة مرة وقتل منهم عدداً، وعبد القادر ود حبوبة صارع الإنجليز والشـــيخ محمَّد ماضي أبوالعزائم أستاذ الشريعة بكلية غردون ومؤسس الطريقة العزمـــية كـــان يمجـــد الـــبطل عثمان دقنة ويكره الإنجليز ويغرس في طلبته ومعاصريه روح التضحية والدفاع عن العقيدة والوطن وكان الغرس لهذه الثمرة قادة ثورة ١٩٢٤م الذين كانوا من تلاميذه.

وتلبـــية نداء الجهاد أمر طبيعي لُعباد وزَهاد يرون الكفار يطؤون تراب البلاد، ويرون جهادهم طريقاً إلى نعيم الآخرة ما يسترعى الإنتباه هو أين تدرب هــؤلاء، وكــيف عــرفوا التكتيك الحربي وأساليب القتال التي واجهوا بها قادة الجــيوش مــن خريجي المدارس العسكرية الحديثة، وأين تدرب أبوقرجة على حرب العصابات والكر والفر وتشتيت قوات الجيش النظامي بشن الهجوم عليه مــن الاطــراف والمؤخــرة كمــا طــبق في معركة شيكان، وأين تعلم هؤلاء (الدراويــش) نظام الأرض المحروقة والحرب النفسية، وكيف هزموا جنرالات أوروبــا ومصــر، وأنظــر إلى محمّد أحمد المهدي الصوفي الزاهد عند الشيخ محمّد الخير والشيخ محمَّد شريف نور الدائم يوقع الهزيمة بجيش الترك في أول المعــارك فــي الجزيــرة أبا· ويصعب حصر هؤلاء العباد الزهاد الذين أغلقوا خــلاوي القرآن وحلقات الأذكار للإنضمام للمهدي لجهاد الترك الكفار· والشيخ مصطفى الأمين ود أم حقين حارب الترك في صفوف جيوش المهدية وحاصر بجماعــتة مــن الجموعية والمحس طابية أم درمان، وارغمها على التسليم ، ثم ســار بجيشــه لملاقــاة حملــة إنقاذ غردون عند السبلوقة· والشيخ عبد الباسط الجمري السماني حاصر الدويم بأمر من المهدي، وأسر وأعدم شنقاً فمات شهيداً وقطع الحاكم التركي – انتقاماً – رأسه وعلقه على عمود ، والشيخ عبد الله ود الشــيخ حمد النيل شيخ العركيين كان أمير قومه أيام المهدية والشيخ ود البصير عسكر شمال الخندق لأعتراض المدد عن الخرطوم ·

الصوفية والحكام

ظلت العلاقة بين العلماء والحكام زماناً ومكاناً مثار جدل وخلاف حول مــنكر ومؤيــد، وفي التاريخ مرت هذه العلاقة بين مد وجزر واختلاف طبيعة العلاقــة ومردودها الإيجابي والسلبي فهناك من الصوفيين من اتصلوا معاونين

ناصحين، وآخرين خوفاً أو طمعاً أو حفاظاً على مكانة أو وظائف يقلدونها وكان للإمام الغزالي تصور واضح ويرى أفقه منهم ويسميهم علماء السوء ·

وفي السودان عرف من ابتعد عن ساحة الحكام ناصحاً غيره بالبعد عن ايديهـــم وفي الطبقات ترجمة ولى صار باراً بتلاميذه ورأى في الطريق سلطاناً قادمـــاً فتحاشـــى مقابلـــته وتوارى وراء شجرة ووجه طلبته أن يقولوا عنه أنه مـــورود (محمـــوم) أن ســـألهم هذا السلطان عنه، ومنهم من كان يفر من توليه وظيفة القضاء خوفاً من الفتنة والمسئولية·

ومن جهة أخرى وجد من العلماء من سجلوا مواقف مشهورة من رفض للجـــاه مبرراً سبب الرفض الذي كان من شأنه أن يثير غضب هؤلاء · فهؤلاء رفضوا عطايا الحاكم لاغتصابهم الأراضي، وعبد الرحمن بن جابر كان صوفياً يمـــنع تلاميذه من الوضوء في جداول الساقية لاعتصامهم أيثار الدنانة ويرى أن جداولها تمنع المدد والفيض·

وهـــناك من فرض هيبته على العلماء والسلاطين الذين كانوا إذا جلسوا بحضرته كانوا كالأطفال، وهناك سلاطين كانوا يستعينون بهذه القبة ويتبصرون في كراماتهم وصلاح أمرهم، وفي التراث الإدريسي والعزمي أمثلة حية ونصح للعلمـــاء للـــبعد عـــن الملـــوك أوعدم الخوف من الرزق لامة وعن عبادة بذلك ولايمكـــن أن يخلـــف وعده ولدينا أمثلة من الشيخ خوجلي الذي كان مهاباً عند الحكام مقبول الشفاعة، وهو كما رأينا مع ذلك ناصحاً لمعاصريه في عدم طرق أبواب السلاطين ·

ومـــن جهة أخرى كانت هذه الفئة سياجاً مانعاً للعامة في أن تمتد أيدي الســـلاطين إلـــيهم من ظلم الحكام يلجأون إلى مراكز الصوفية فيجدون الأمن، والكفالة الاجتماعية ·

وموقــف آخــر للصــوفية يتمثل في علاقتهم بتلاميذهم التي تقوم على الاحترام والثقة والمحبة الصادقة وهذه الظاهرة التي كان للصوفية القدح المعلى فــيها نــراها ماثلة اليوم في كثير من المريدين الذين يمشون في الأرض هوناً ويؤثرون السلامة والحياء ولا ترتفع أصواتهم بل هم أكثر همساً أمام كبارهم ولا يتكلمون إلا بعد إذن وفي الطبقات خبر عالم كان يفاخر بأن طلبته من كثرة حفظ أبصــارهم كان لا يطعنهم الشوك٠ احدهم كان يحبو حتى يصل إلى شيخ ليحيه ويشرب من حفرة ملئت ماء وأخر كان يقول عن شيخه " كنت خادمه وملازمه وهــناك تلمــيذ للشيخ القدال ظن الناس أنه خادمه من فرط مبالغته في خدمته " وآخــر أرسله والده للعلم على يد أحد الفقهاء فبدأ بحش القش لجمل شيخه حتى ســافر والــده إليه وآخر تفرق تلاميذه في زمن مجاعة بإشارة من الشيخ رفض أحدهــم ذلك مبرراً أنه لايرضي أن يصاحبه في وقت الرخاء ويغادره في وقت الشدة ٠

ولعل العبرة واضحة وجلية فهذه العلاقة الوثيقة تبنئ عن نجاح الصوفي فــي تربــية تلاميذه تربية مثالاً وهو ما عجز عنه رجال التربية ولا زالت آثار تربــية الصــوفية ظاهرة للكثير من كبار علماء التربية تلقوا تعليمهم على أيدي هؤلاء ٠

الصوفية والموسيقى

يشــير زكــي مــبارك في كتابه **التصوف في الأدب والأخلاق** إلى أن الصــوفية تفــردوا بين أهل الأدب والأخلاق بالتجويد في الموسيقى، فهم الذين نظــروا فــي ذلــك نظراً فلسفياً وهم الذين جعلوا الموسيقى والغناء في المسائل الخلقــية، وهــم الذيــن صيروا إنشاد الشعر في المحافل العلنية نوعاً من الأدب الرفيع ٠

ويتحدث فهمي عبد اللطيف في كتابه عن أحمد البدوي عن أثر المتصوفة والدراويش في الموسيقى والغناء، فهم كانوا عمادها لحقبة طويلة من التاريخ، ويضيف أن الجماهير كانت لا تنعم بالسماع والطرب إلا في مجالاتهم وحضراتهم ومواكبهم لأنهم وجدوا في ذلك متنفساً لم يكونوا يجدونه في ناحية أخرى، ولأن للفن سلطاناً يأسر النفوس ويخلب الألباب.

وفي بلادنا نجد الاهتمام بالنحاس عند القبائل وأفرادها ، وهو له دور حربي وترفيهي، ونغماته يعرفها هؤلاء ويطربون لها والطبول عند الصوفية والاهتزار في حلقات الذكر كان مثار رفض السلفيين، وكان العلماء حوله بين مؤيد ومنكر. ولكنه في الحالتين كان وسيلة إعلامية ناجحة في نشر الفكر الصوفي بكل معطياته وما به من زهد وصدق وخلق وذكر وعبادة وترابط بين الأفراد والقبائل .

من هذه الفقرة يمكن أن نستنبط أن الذكر والاهتزاز كان وسيلة لغاية سامية وهي تربية المريدين والعامة وغرس السلوك الديني في النفوس .

وفي طبقات ود ضيف الله أشارات إلى أرتباط الناس بإيقاع الطبول والنغمات التي تطرب النفوس، وتجذب الناس، وثمة نوع آخر من الرقص والاهتزاز نجده عند الدقلاشي وهو رائد هذا الفن، ويصف ود ضيف الله حاله بقوله "أول ما يقوم عليه الحالة يمشي في حوشه ويحضر البنات والعرائس والعرسان للرقيص، ويضرب الربابة: كل ضربة لها نغمة يضيق منها المجنون وتذهل فيها العقول، وتطرب لها الحيوانات والجمادات" حتى أن الربابة يضعونها في الشمس أول ما تسمع صوته تضرب على نغمته من غير أن يضربها أحد وفرسة بنت بكر يشدوها له ويلبسها الجهر والجرس وقوادها ما سكنها أول ما تسمع ترنيمة في كلام الحروب وهو يقول:

بنــت بكَر المَرْدا سلطية العرضة فإن الفرس تقوم وتعقد وتدانى برأسها ويديها ويلبسوها الحرير وتقول: (شَلَوْ شلو) وأياً كان الأمر فإن صوفية المجلس تعــاملوا مع الموسيقى والغناء و نجحوا في جذب الأتباع والمحبين الذين جذبهم ما كان يصاحب أذكارهم واورادهم من جو موسيقي بل أن قراءة القرآن بطرقها المعــروفة كانــت جاذبة للقلوب، ومطربة للأسماع كما أن قصائد الصوفية كان يصاحبها نوع من الموسيقى، وكانت قصائد الختمية أكثر انتشاراً من غيرها من الطــرق لســهولة كلماتها وجوها الموسيقي حتى رددها التلاميذ والمريدون في حلقات الأذكار وخارجها مما كان سبباً في انتشار تعاليمها بتلك السرعة التي لا نجدها في الطرق الأخرى.

من اصطلاحات الصوفية

الاتحاد : هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به، معدوماً بنفسه، لا من حيث أن له وجوداً خاصاً اتحد به فإنه محال.

الاتصــال: هو ملاحظة العبد عينه متصلاً بالوجود الأحدي بقطع النظر عن تقيد وجوده بعينه وإسقاط إضافته إليه، فيرى اتصال مرد الوجود ونفس الرحمن إليه على الدوام بلا انقطاع حتى يبقى موجوداً به.

الجذبة: هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيأة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه.

الوجود: وجدان الحق ذاته بذاته، ولهذا تسمى حضرة الجمع حضرة الوجود.

الولــي: مَنْ تولى الله أمره وحفظه من العصيان ولم يخله ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال، قال الله تعالى (وهو يتولى الصالحين).

الولايـــة: هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكن.

الطـــريقة: هـــي الســـير بالسير المختصة بالسالكين إلى الله، من قطع المنازل والترقي في المقامات.

المقام: هو استيفاء حقوق المراسم، فإنه ما لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصح له الترقي إلى ما فوقه.

السالك: هو السائر إلى الله ، المتوسط بين المريد والمنتهي مادام في السير.

سر التجلــيات: هو شهود كل شيء، وذلك بانكشاف التجلي الأول للقلب، فيشهد الأحديـــة الجمعـــية بين الأسماء كلها، لاتصاف كل اسم بجميع الأسماء لاتحادها بـــالذات الأحديـــة وامتيازها بالتعينات التي تظهر في الأكوان التي في صورها، فيشهد كل شيء في كل شيء.

العارف: من أشهده الله ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث عن شهود.

العالم: منْ أطلعه الله على ذلك لا عن شهود، بل عن يقين.

القطب: هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام.

القطبـــية الكبرى: هي: (مرتبة قطب الأقطاب وهو) باطن نبوة محمّد (ﷺ)، ولا يكون إلاّ لورثته، لاختصاصه عليه السلام بالأكملية، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة.

الشـــيخ: هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حد التكمـــيل فيها لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها والقيام بهداها إن استعدت ووُفقت لاهتدائها.

التجلّي: ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب.

التصوّف: هو التخلُّق بالأخلاق الإلهية.

الخـــاتم: هو الذي قطع المقامات بأسرها وبلغ نهاية الكمال وبهذا المعنى يتعود ويتكثر.

الخلوة: محدثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره، وهذه حقيقة الخلوة ومعناها.

الغوث: هو القطب حين يُلجأ إليه ولا يُسمى في غير ذلك الوقت غوثاً.

قطب الشمال: هو خليفة الغوث.

قطب اليمين: مرتبة تالية لقطب الشمال.

الأبدال: (وعددهم أربعون) أفراد في الحضرة النبوية.

النقباء: بعد الأبدال مرتبة.

المشايخ:

أ/ **الشيخ المرشد**: هو الذي ينتفع به المريدون ويسلّكهم في الطريقة.

ب/ **الشـــيخ المجـــذوب** : يكـــون فـــي حالة فناء مع الذات العلية ولا ينتفع به المريدون من حيث التسليك والإرشاد..إلخ.

المقدّمـــون: هم المساعدون للشيخ في تنظيم الأذكار والخدمة العامة في الطريقة ورعاية شؤون المريدين.

الفقراء: هم تلاميذ المشايخ في الطريقة، وهم جمهرتها.

المـــريدون:هـــم أحـــباب الشيخ وقاصدوه لأداء بعض الأغراض وغير ملزمين بقواعد الطريقة.

الذكـــر: إحضـــار القلـــب مذكوره ومواجهته إياه واستمراره على ذلك إلى حد تنطمس فيه موارد الذهول والنسيان.

الأوتـــاد: وهـــم أربعـــة رجال من ألزام القطب، وأركان دولته في ولاية التدبير ومـــنازلهم على منازل الأربعة أركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب، مقام كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهي على ثلاثة أقسام:

- نفوس علوية، وهي الحقائق الأمرية.
- نفوس سفلية، وهي الحقائق الخلقية.
- نفوس وسيطة، وهي الحقائق الإنسانية.

وهم – أيضاً – الواقفون على الخبرة بكل ما كمن فيها كشفاً وشهوداً على القوة فـــي اســـتخراج مـــا بطن في مطاويها بحكمة ومصلحة وهم ثلاثمائة على عدد الدرجات والدركات والمدارج.

السُـــكر : غيـــبة بـــوارد قوي، وهو يتضمن على الأحوال، وهو يعطي الطرب والاستلذاذ المفرط.

الحقيقة: سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه.

الوارد: ما يرد على القلب الظاهر من أحداث الكون من الخواطر المحمودة من غير تعمل واجتلاب..

الشاهد: ما يعطيه المشاهد.

السِّرّ: سِرّ العلم هو حقيقة العلماء بالله لا بغيره من الأسماء .

الرياضة: رياضة الأدب، وهو الخروج عن طبع النفس بمعنى أن يتصرف عن سراحها وإطلاقها الطبيعي تعمداً.

الجُلوة: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية.

الإشارة: تكون مع القرب مع حضور الغير.

التحلّي: الاتصاف بالأخلاق الإلهية.

الإمام: هو الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعاً.

أهل الذوق: من يكون حكم تجلياته نازلاً مقام روحه وقلبه إلى مقام نفسه وقواه كأنه يجد ذلك حسّاً ويدركه ذوقاً بل يلوح ذلك من وجوههم.

الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة.

الكشف: هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً.

المجـــاهدة: محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحملها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع.

الجنيد

أبـــو القاسم الجنيد بن محمَّد الجنيد، أولّ من تكلّم في علم التوحيد ببغداد ومولده ونشأته بها ووفاته سنة ٢٩٧هـــ /٩٠٧م، أصله من نهاوند، ومذهبه يقيده بالكـــتاب والسنة (فمن لم ينفق في الدين ويحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى بـــه)، فحفظ تصوفه من شبه الغلاة، وصانه من العقائد الذميمة، فكان مقبولاً من الجمـــيع، وكـــان الكتـــبة يحضـــرون مجالســـه لألفاظه، والشعراء لفصاحته، والمـــتكلمون لمعانيه، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، واشتغل في الـــبداية بالفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعيّ وراوي مذهبه القديم، وكان يُفتـــي في حلقته وبحضوره وسِنّه عشرون سنة، وصحب خاله السِرّي السقطي وتلقّـــى عن المحاسبي والقصّاب ، وينفي أن ينسب إلى السِرّى ، ويتبنى أستاذية القصـــاب له، وكتـــب الكثير من الرسائل إلى اخوانه منها ما اشتهرت عنه في التوحيد والألوهية. وأساس مذهبه مراقبة الباطن، وتصفية القلب وتزكية النفوس

والـــتخلق بـــالأخلاق الحمـــيدة، وطريقـــته تقوم على الصحو وتابعه فيها أغلب الصـــوفية لأنها لا تتصادم مع الشريعة وتجمع بين الظاهر والباطن· والجنيد في شـــريعته– أصولها وفروعها –أستاذ ، وكان مريدوه يلقبونه بالأستاذ وهو مربّي صوفيّ بالمعنى الاصطلاحيّ للمربيّ فهو العارف بفنون علوم التصوف والمؤيد بعلـــوم الفقـــه، وقيل لذلك :إنّ طريق الجنيد، أصلح للمبتدئين وخاصة أصحاب طـــريقة الشـــكر، وهي الطريقة المقابلة لطريق الجنيد، كما هي عند البسطاميّ والخرقانـــيّ وأبـــي سعيد بن أبي الخير والحسين بن منصور الحلاّج، قد حمل الفقهـــاء والمتشـــرعون وأهـــل الظاهـــر على الصوفية حتى أعتبر بعضهم إنّ التصوف كفر أو بدعة وأفتوا بقتل جماعة منهم وأغلب كلام الجنيد لذلك تعاريف ودوره في التصوف هو دور المعلم وهو يقول: إنّ ما يتكلم به هو علم لم يكن له فـــيه فضـــل وكـــان هـــذا العلم عند من سبقوه تحققاً ولكنه صار اليوم تعاليم· والتصـــوف فـــي مذهبه رسم للعبد ولكنه بالنسبة لله تعالى حقيقة، والأخلاق فيه إلهـــية، وهي شمائل الأنبياء، فالسخاء فيه لإبراهيم ولاسحق، والصبر والإشارة لزكـــريا والرغـــبة ليحيي ولبس الصوف لموسى والسياحة لعيسى والفقر لمحمّد والتصـــوف هـــو صفاء المعاملة مع الله وأصله العزوف عن الدنيا، والصوفية القدامـــى لـــم يـــأخذوه عن القيل والقال وإنما عن الجوع وترك الدنيا والمؤلفات والمستحســـنات والمعـــرفة فـــيه ما منها هو للخاصة، وما هو للعامة ولكنها في الحاليـــن معرفة واحدة· لأن مدارها جميعاً على الله سبحانه وهو واحد، غير أن المعرفة لها أول وأعلى فالخاصة في أعلاه وإن كانت لا يمكن الوصول فيها إلى نهاية وكيف يمكن أن تكون معرفة محيطية والمعروف فيها لا يحيط به فكر ولا يتوهمه ذهن ولا تتكيفه رؤية ، وأعلم خلق الله أشدّهم إقراراً بالعجز عن إدراك عظمته أو تكشف ذاتهم لمعرفتهم عن عجزهم عن إدراك من لا شيء مثله ، إذ

هو القديم وسواه محدث وهو الأزلي وغيره المبدأ ، وهو الإله وما سواه مألوه ، فســبحانه الاول بغير بداية والباقي إلى غير نهاية ،لا يستحق هذا الوصف غيره ولا يليق بسواه ، تأهل الخاصة من أوليائه في أعلى المعرفة من غير أن يبلغوا فيها نهاية ، والعامة من المؤمنين في أولها تواحد ودلائل هل من العارفين على أعلاه وأدناه والشاهد على أدناه الإقرار بتوحيد الله وخلع الأنداد عنه· والتصديق به وبكتابه وما فرضه فيه ونهى عنه والشاهد على أعلاه القيام فيه بحقه وإيثاره علـــى جميع خلقه واتباع معالي الأخلاق التي كان أنبياؤه فيها القدوة والأسوة ، فالمعــرفة التي فضلت الخاصة على العامة هي عظيم المعرفة في قلوبهم بعظيم القــدر والإجلال والقدرة النافذة والعلم المحيط والجود والكرم لله تعالى ، فعظم فـــي قلوبهـــم قدره وجلاله وهيبته ونفاذ قدرته وأليم عذابه وشدة بطشه وجزيل ثوابـــه وإحســـانه ورحمته وعفوه ، فلما عظمت المعرفة بذلك، عظم القادر في قلوبهـــم فـــأجلوه وهـــابوه واستحيوا منه وخافوه ورجوه فقاموا بالحق وأعطوه المجهود من قلوبهم وابدانهم ولذلك قيل فلان بالله عارف ، وفلان بالله عالم ، لما رأى المسلمون منهم هذه الأخلاق وأنهم بها أعلم وأعرف من العوام ، والتوحيد الذي ينفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث، وعلم التوحيد كما يقول: هو علـــم قـــد طـــوى بساطه منذ عشرين سنة والناس يتكلمون فيه حالياً ، أي وقت الجنـــيد في الحواشي لا غير · ويعلّم الجنيد أصحابه أن العلم له ثمنه فلا تعطوه إلا به وثمنه هو وضعه عند من يُحسن حمله ولا يضيعه فتوسموه في الحُرّ ذلك الـــذي خرج عن كل العلائق وكان لله وحده ومما دونه حُرّاً، والحُرّ الحقيقي هو الـــذي عبوديته لله خالصة ولن تكون على الحقيقة عبدا لله وشيئاً مما دون اللـــه يســـترقّك، والعـــبودية لله هي أن تخلص له الحُبّ، فتُحِبّ ما يُحِبّ الله وتكره ما يكـــره الله ومـــن يعرف الله لا يسرّ إلاّ به· والله تعالى يخلص إلى القوم من برّه

حسب ما تخلص له العوام من ذكره الورع في الكلام عند الجنيد أشد منه في الاكتساب، لأن مذهبه أصلاً مذهب تعليمي أي أنه يذهب فيه إلى الناحية التعليمية، وكان فيما يقوله لأصحابه ظريفاً يراعي كافة الاعتبارات ولا يتشبح جوابه على أحد ويعطي الجواب بحسب السائل وثقافته الدينية، وما يعلمه للمريدين ليس ليعرفوه دون استعماله ، وإنما العلم للاستعمال في مراتبه ويفسر قوله تعالى: (سنقرئك فلا تنسى) العمل به، ولما سألوه أيهما أتم: استغراق العلم في الوجود أو استغراق الوجود في العلم، أجاب: بل استغراق العلم في الوجود فليس العالمون بالله كالواجدين له.

رابعة العدوية

هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدويّة البصريّة، مولاة آل عتيك المتوفاة نحو ١٨٥هـ/٨٠١م كانت البنت الرابعة لأبويها وهي بخلاف رابعة بنت إسماعيل الشامية زوجة الصوفيّ أحمد بن أبي الحواري والمتوفاة سنة ٢٣٥هـ /٨٤٩م والأولى دفنت بالبصرة والثانية قبرها ببيت المقدس . ويروون عن العدوية أنها وهي طفلة خرجت هي وأخواتها من شدة الجوع وقت أن نزل القحط بالبصرة فوجدها رجل باعها بستة دراهم وكانت تقرض الشعر وتغنّيه وتعزف على الناي ولها مزاج فنيّ رقيق وميل طبعي إلى الحزن ولعلمها لذلك كانت تحب الناي على العود وشعرها أنثوي فيه لغة النساء، وربما استعملها سيدها للغناء في مجالسه وكان ذلك يسخطها عليه بسبب اتجاهاتها الدينية القوية حتى أنها شرعت في الهرب وناجت ربها قائلة: "الهي إني غريبة ويتيمة وأرسف في قيود الرّق ولكن هميّ الكبير هو أن أعرف أراضٍ أنت عني أم غير راضٍ؟" أي أنها تخشى أن تبوء بغضب الله بسبب ما كان يجبرها عليه سيدها ، وقد زادها ذلك من التهافت على العبادة والابتهال إلى الله أن ينجيها من عثرتها ،

وقد تسمع عليها سيدها في ليلة فوجدها تقول وهي ساجدة " الهي ! أنت تعلم أن قلبـــي يتمـــنى طاعـــتك ونـــور عيني في خدمة عتبتك ولو كان الأمر بيدي لما انقطعـــت لحظة عن خدمتك ولكنك تركتني تحت رحمة هذا المخلوق القاسي من عَبَدتك!".

فلمـــا كـــان الصباح طلبها سيدها واعتقها فكان ذلك مدعاة أكثر للتوجه للشـــكر لربّها فانصرفت بكليتها إليه وقد تحررت من رقها وكانت إذا انتهت من صلاة العشاء تصعد إلى سطح دارها بعد أن تشد درعها وخمارها وتدعو " إلهي أنارت النجوم ونامت العيون وغلّقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامـــي بين يديك" ، ثم تقبل على الصلاة فإذا كان السحر وطلع الفجر قالت " إلهـــي ! هـــذا اللـــيل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت من ليلتي فأهـــنأ، أم رددتها علي فأعزى ؟ فوعزتك هذا دأبي ما أحييتني وأعنتني وتقول في حياتها الجديدة وقد طويت:

تركت هوى ليلى وسُعدي بمعزل وعدت إلى مصحوب أول منزل

ونادت بي الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فأنزل

وإنشـــادها الآن يـــتوجه لسيدها الحقيقي وشعرها فيه من نسجها وليس ابياتاً من أشعار المحبين كالتي كانت تحفظها وتقولها لمولاها من آل عتيك:

يا سروري ومنيتي وعمادي وأنيسي وعدتي ومرادي

أنت روح الفؤاد أنت رجائي أنت لي مؤنس وشوقك زادي

أنت لولاك يا حياتي وأنسي ما تشتت في فسيح البلاد

لكم بدت منه وكم لك عندي من عطاء ونعمة وأياد

حبك الآن بغيتي ونعيمي وجلاء لعيني وقلبي الصادي

ليس لي عنك ما حييت براح   أنت مني مُمكّن في السواد
أن تكن راضياً علي فإني   يا منى القلب قد بدا إسعادي

وتزهد رابعة في الزواج وتخطب مرتين في الأولى لعبد الواحد بن زيد وهو صوفيّ مثلها وفي الثانية لأمير البصرة محمَّد بن سليمان الهاشميّ ويعدها بمائة ألف مهراً وبعشرة آلاف في كل شهر دخلاً ، فخاصمت الأول عدّة أيام إلى أن صالحها عليه إخوانها من الصوفيّة فجاءها على استحياء فقالت له: " يا شهوانيّ ! أطلب شهوانيّة مثلك! أي شيء رأيت فيّ من الشهوة؟"، وكتبت إلى الثاني تقول " ما يسرني أنك لي عبد –كما ذكر لها في خطبته– إنّ كلّ مالي لـــك وأنك شغلتني عن الله طرفة عين!" ، وتقول رابعة:

راحتي يا اخوتي في خلوتي   وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضاً   وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حســـــنه   فهو محرابي إليه قبلتي
أنا متّ وجداً وما ثم رضـــا   وأعناني في الورى واشقوني
يا طيب القلب يا كل المنـــى   جُد بوصل منك يشقي مهجتي
يا سروري وحياتي دائمــــــا   نشأتي منك وأيضاً نشوتي
قد هجرت الخلق جمعا ارتجي   منك وصلاً فهو أقصى منيتي

وأشهر أبيات رابعة في الحُبّ الإلهي هي التي تقول فيها:

أُحبُّك حُبّين حُبّ الهـــــوى   وحباً لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهـــوى   فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهـــل لــــــه   فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي   ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ومعنى قولها حب الهوى أي رأيتك فأحببتك عن مشاهدة اليقين لا من خبر

وسمع وتصديق من طريق النعم والإحسان فتختلف محبتي إذ تغيرت الأفعال لاختلاف ذلك عليّ وكنت محبتي من طريق العيان فقربت منك وهربت إليك فاشتغلت بك لمّا تفرّغت لك · وأما الحب الثاني الذي هو أهل له فتعنى به حب التعظيم والإجلال لوجه العظيم ذي الجلال · تقول ثم إني مع ذلك لا استحق هذا الحب ولا أستاهل أن أنظر إليك في الآخرة على الكشف والعيان في محل الرضوان لأن حبي لك لا يوجب لك جزاءً عليه بل يوجب عليّ لكل شيء مما لا أطيقه ولا أقوم بحقك فيه أبداً، إذا كنت قد أحببتك فلزمني خوف التقصير ووجب علي الحياء من قلة الوفاء، والخوف لما تعرضت به من حبك، إذ ليس كمثلك شيء فتفضلت عليّ بفضل كرمك وما أنت له أهل من تفضلك فأرني وجهك عندك اخراً كما أريتنيه اليوم أولاً، فلك عليّ ما تفضلت به في ذاك عندي في الآخرة، ولا حمد لي في ذا ها هنا، ولا حمد لي في ذاك هناك، إذا كنت أنا وصلت إليهما بك، فأنت المحمود فيهما لأنك وصلتني بهما وهذا هو وجد المحبين المحققين·

ولا غرابة أن أطلقوا على رابعة العدوية لهذا أنها شاعرة المحبة الإلهية عند الصوفية، وأول من تكلم فيها وأدخل هذا المعنى في التصوّف الإسلامي·

جهود آثار صوفية السودان في العالم
(العالم العربي ، افريقيا وفي الغرب)

يلاحـــظ من يتابع ما نشر من دراسات عن الإسلام والثقافة العربية في السودان التركيز على الروافد العربية والأفريقية في تكوينها، من مصدر عراقي حجـــازي ومصري ويمني وأفريقي حتى سرى اعتقاد عند غالبية الفئة المتنورة أن بلادنـــا لم تسهم في الفكر الإنساني، مكتفياً بالتقليد وترديد تعاليم تلك الروافد، وهذا قصور في التفكير يعارضه ما وصلنا من تراث خطي عن الأثر المعاكس، أي الأثر السوداني في البلاد العربية والأفريقية التي بلغت شأوا في الرُقى ، ولا يفـــيد كثـــيراً الإســـهاب في البحث عن الأسباب، ونكتفي بالإشارة إلى الوضع الجغرافي وميل السودانيين إلى التلقي المباشر دون اللجوء للتدوين إلا في القليل·

وفيما يلي نورد أمثلة عن هذا الأثر بقدر ما يتسع له المجال، ونبدأ ذلك بمصر المجاورة ·

إذا تجاوزنـــا الـــتطور الحضـــاري للســـودان في العهد الفرعوني وأثر الجـــنوب فـــي الشمال وحماية وتسيير المواكب احتفالات بالآلهة، وما حدث من تطور ثقافي حضاري فني في عهد بعانخي وتهراقا فإن الأثر يبدو أكثر وضوحاً فـــي أواخر العهد التركي المصري في السودان بقدوم علماء من مصر وتأسيس الخـــلاوى والمساجد، وذهاب طلاب السودان للدراسة على علماء الأزهر، فإن ثمـــة أثراً صوفياً تسرب إلى مصر عن طريق السيد أحمد الطيب البشير قطب السمانية الذي زار مصر بدعوة من أحبابه ومريديه هناك حسب روايات الأسرة ممـــا يـــدل على أن تعاليم طريقته كانت قد سبقت زمانه التي شملت الكثير من القـــرى بدءاً من الصعيد وفيها سلَّك عدداً من أبنائها، واستمرت زيارته إلى بقية

المـــدن مـــنها اســـوان وســـوهاج وقـــنا وأســـيوط وأمتدت إلى القاهرة وطنطا والأسكندرية.

ويتضـــح من متابعة مسيرته أنه سلّك عدداً كبيراً في طريقته من علماء مصـــر وخلّـــف عدداً من الأتباع واتصل بأعلامها وتدارس معهم، وزار قبور بعض الأولياء منهم الشيخ عبد الرحيم القناوي .

وروايـــات أســـرة الشيخ احمد،على أنه أتخذ الوعظ والإرشاد وسيلة بل تصـــوره مدرساً للطلاب وإماماً للمصلين ومصلحاً بين المتنازعين ويعقد الزواج ويواسى المرضى ويبر اليتامى .

والـــروايات لاتني عن تعداد نشاطه وجولاته واتصاله بمشاهير الأولياء والمشـــاركة فـــي المناســـبات وقيادة حلقات الأذكار والأوراد، والذكر السماني الطيبـــي، وزيارة مشايخ الطرق وحثهم على نشرها في السودان، وأهداء بعض المؤلفـــات لهم. ومقابلة خلفاء السيد البدوي في طنطا وحثهم على نشر الطريقة الـــبدوية فـــي الســـودان وإن كانت هذه الطريقة التي استقدمها محمَّد على لنشر أفكارهـــا في السودان على أن تعاليم الميرغني وجدت طريقها إلى مناطق كثيرة فـــي مصر وانتمى إلى طريقته بعض العلماء الذين تولوا مسؤولية نشر الدعوة بعـــده، وقـــد تأثـــر الشيخ أحمد أبو حربية بهؤلاء وهو بدوره نقل تعاليمها إلى تلامـــيذه أمـــثال شيخ الإسلام حسين القويشي وشيخ الإسلام إبراهيم البيجوري والشـــيخ العـــالم الخاتمـــي. وقد درج خلفاء الطريقة على إحياء ليالي المولد في الخـــلاوى والـــزوايا والمساجد وترديد أذكار الطريقة وإنشاد أشعارها مما جذب إلـــيهم الكثير من أبناء مصر ، فضلاً عن تأثير من دفنوا ،ويهتم الناس بما قيل عن مناجاتهم وكراماتهم ويرددونها. وللسيد محمَّد سر الختم دور مباشر في نشر تعالـــيم الطريقة في مصر جاء مكملاً لدور والده محمَّد عثمان الميرغني. وفي

تـــاريخ الطـــريقة الختمية أن أحد أبناء محمَّدسر الختم ١٩١٧م ذهب إلى مصر ليصبح زعيماً للطريقة· ويلاحظ أن هذه الطريقة في مصر اقتصر تأثيرها على المـــدن وعلى نخبة معينة دون التغلغل بين الفئات الشعبية ولذلك لم تكن طريقة جماهـــيرية فـــي مصر ولذلك نرى مآل هذه الطريقة بعد وفاة محمَّد سر الختم عندما تعرضت مبادئها لتتوع في الاستهلاك وذلك في غياب سلطة مركزية تدير وتنظم ·

وإذا تركـــنا الشـــيخ أحمد الطيب البشير وهو يواصل نشاطه في مصر، فإن الطريقة الختمية المبدعة وجدت طريقها إلى هناك أيضاً، حيث أثارت بعض آراء الميرغنـــي الكبـــير بعـــض المهتمين بقضايا الدين وهؤلاء استفتوا العلماء بشأنها، وترجع صلة الميرغني بصعيد مصر عندما زارها بصحبة أستاذه أحمد بـــن إدريـــس وظل زمناً يتردد في قراها، استقر فترة في أسيوط وتنقل بين قنا والزينـــية ومـــنفلوط وتعتبر هذه بداية بذور الختمية في بيئة مصر ومن علماء السودان الذين تركوا أثراً كبيراً في صعيد مصر الشيخ إبراهيم الرشيد الدويحي الذي نشر تعاليم الطريقة الإدريسية الذي تسامح مع الناس قبل زيارته ولعل ذلك مـــن مؤثـــرات أقرانه من تلاميذ أحمد الإدريسي وهم من الصعيد، منهم الشيخ زيدان وعلي عبد الحق القوصي وكانت له علاقة خاصة بالرشيد·

ويصـــور موسى أغا راسم من أغوات صعيد مصر وهو الذي سيصير نائـــبه فـــي الطريقة بعد ذلك يصور قدومه وحرارة استقبال أهل الصعيد بقوله "وهرعـــت الـــبلاد كلهـــا لأن تتلقن منه وتأخذ عنه الطريق" وأعقب ذلك زيارة الرشـــيد لكثـــير من قرى الصعيد واستقر بجوار مسجد أستاذه أحمد بن إدريس، وهناك أخذ عنه بعض أعيان الصعيد أمثال الشيخ أبو القاسم الحجاز من حجازة قـــرية شـــمال الزينـــية والشيخ علي الجِربي والذي صار وأعظا عاماً للسجون

المصــرية، والشــيخ محمَّــد خليل الهجرسي وهو عالم أزهري ولما سمع عن الطــريقة انضــم إليها وكتب في مناقب الرشيد وشرح بعض صلوات أحمد بن إدريس.

وللرشيد أثر غير مباشر في الصعيد، فقد تناقل الناس أخباره، وما أثاره مــن جــدل فكــري فــي بعض قضايا التصوف مع تلاميذ السنوسي وما رواه أصهاره ومحبوه في الزينية ومدامور والبياضية بالأقصر ولا زالت آثار الرشيد باقية للآن في حجرة العبادة والفناء الذي كان يلتقي فيه بالناس في بيت أصهاره في المدامور وفي منزله في النجع المسمى باسمه (نجع الرشيد). وهناك حجرته وســريره يقــوم بالحراســة أحد المحبين، كما نرى أثراً آخر للرشيد في صعيد مصر، يتمثل في المؤلفات التي تداولتها الأسر والأتباع منها:

١. **عقــد الدر النفيس** وهو كتاب عن كرامات أستاذه أحمد بن إدريس وسيرته ومكانته وقد درج الأتباع على قراءته في حولية أحمد بن إدريس.
٢. **توثيق العرى لمن أراد هدى خير الورى** .

ويحــتوي علــى المســائل العشر في الفقه التي كانت مثار خلاف بين السنوسي ومدرسة أحمد بن إدريس وبين كبار علماء المالكية في الأزهر.

وواضــح أنهــا وجدت من يصغي لبعض تعاليمها، ومن هؤلاء بعض علمــاء مصــر الذيــن تولوا مسئولية نشر الطريقة بعده. وقد تأثر الشيخ أحمد أبوحريبة بهؤلاء وهو نقل بدوره تعاليمها بين تلاميذه أمثال الشيخ حسن القويني والشــيخ إبراهــيم البيحوري، فضلاً عن نشاط الأتباع الذين كانوا يحيون ليالي الموالــد في خلاويها والزوايا وينشدون أذكار الطريقة وأشعارها الجاذبة ، وقد جــذب هــؤلاء كثــيراً من أبناء مصر، كما كان شيوخ الطريقة الذين دفنوا في مصر أثرهم الكبير حيث ظلت مقابرهم وأضرحتهم مزارات لهؤلاء وخاصة في

أيـــام الحولـــيات وبذلك تعلق هؤلاء بشيوخ الختمية ورووا عنهم كراماتهم التي تداولتها الألسن وراجت حيث الأتباع.

وانتشرت الطريقة في اليمن وفي الحجاز ونشر أبناء الميرغني تعاليمها فـــي اليمـــن عـــن طريق التلاميذ الذين التفت حولهم مجموعة ولكنهم آثروا أن ينســـبوا إلـــى المنبع حيث ادعت مجموعة إبراهيم موسى العقيلي أنهم استمدوا نفوذهم من السيد محمَّد عثمان .

ويقـــول الرشيد أنه كتبها استجابة لمن طلبوا منه الإجابة عنها، مما يدل على أثره ونظر الناس إليه كمرجع في المسائل الفرعية الخلافية .

الأثر الصوفي السوداني في بلاد الحجاز

تتضـــح أهمية هذا الأثر المعاكس إذا عرفنا أن بلاد الحجاز كانت رافداً أساســـياً استقى منه السودان ثقافته العربية ومبادئ التصوف والفقه، ويبدو تعلق الســـودانيين بهذه البقعة الطاهرة من خلال رواياتهم الشفاهية عند رجوعهم إلى مـــناطقهم ومن خلال مروياتهم عن شعائر الحج ووصف المدن ومعالمها توثقت العلاقـــة مـــع مرور الأيام وإزداد تعلق العلماء والملوك ، وأوقف الشيخ عجيب المـــانجلك شـــيخ العـــبدلاب رواقـــاً ومـــزارعاً للإنفـــاق منها على طلبة العلم والمجاوريـــن، وبلـــغ من اهتمامه أن أصلح طريق القوافل الذاهبة للحجاز داخل الـــبلاد. ونرى السلطان إبراهيم قرض سلطان دارفور يرسل صرة للحرمين مع الحجـــيج المصري ويشمل ٢٠ ألف ريال لمكة والمدينة للصرف منه على طلبة العلم والمجاورين والخدم.

كانـــت هذه التوطئة ضرورية لفهم الصوفي في الأراضي المقدسة التي شـــد هؤلاء الرحال إليها وعبروا عن مشاعرهم شعراً ونثراً ونتجاوز عن جهود

الفقهـــاء وممن وردت أخبارهم في طبقات ود ضيف الله ونوجز القول في جهود ثلاثة من أعلام الصوفية في بلادنا، وهم :

١- محمَّد المجذوب بن قمر الدين

أرتـــبط علمـــاء الســـودان صوفية وفقهاء ببلاد الحرمين التي تكررت زياراتهم لها للحج، وفي طبقات ود ضيف الله خبر زياراتهم ومنهم حج أربعين مـــرة ذهابـــاً وإياباً، ومن زار وآثر البقاء في رحاب الحرمين وانقطع عن أهله حتى سافروا إليه لإحضاره. ومن الطرق الصوفية التي ارتبطت بالحجاز طريقة المجاذيـــب من جدهم الشيخ حمد المجذوب فضلاً عن الأصل الجعلي الذي يعود إلى بلاد الحجاز.

يهمنا في هذا متابعة الشيخ محمَّد مجذوب قمر الدين الذي يروى أنه جدد فـــي الشاذلية التي أتخذها طريقة موصلة، وعندما ذهب إلى بلاد الحرمين ركز نشاطه في المدينة ودرس على علماء كثيرين أبرزهم الشيخ السويدي الذي تلقى عنه المنقول والمفعول وأجازه وأشاد بعلمه ونسبه ووصفه بأنه "ممن جمع الله له شـــرف العلم والنسب وفضلى العلم والأدب، وأناله الميراث النبوي ما أحب فقام يشكر هذه النعم كما يجب" .

والمجـــذوب كأقـــرانه جمـــع بين العبادة والتدريس في المسجد النبوي، وذهـــب إلى انجلاء الحضرة الكريمة بلا نور عليه، وحصل على أسرار لطيفة وزالـــت عنه الحُجب فرأى رسول الله(ﷺ) بلا واسطة وهي غاية كل صوفي، وأخـــذ عـــنه مباشـــرة، وصار يراه كما يقول في كل لمحة وطرفة عين، وهذه مـــرحلة لا يدركهـــا إلا قلة من الزهاد والعباد أصحاب الفيض وهو بذلك أعتبر سنده من أقوى الأسانيد لاستمداده من الرسول مباشرة. ثم أخذ الطريقة الشاذلية وذهب إلى أن ذلك كان اختياراً من الرسول.

وإذا اعتبر هذا المقام الذي بلغه المجذوب مما روى عنه وهو مادرج عليه كل الصوفية فأنه ثَمَّة أقوال من معاصريه يقصد مكانته وهم علماء يملكون مشارب مختلفة، ومن هؤلاء السيد أحمد بن إدريس الذي قال "ولو يعلم الناس ما في المجذوب لتركوا جميع الصالحين القريب والبعيد وأتوا إلى بابه لما له من المكرمة والمنزلة عند الله" ويروى عن الشيخ إسماعيل الولي مؤسس الطريقة الإسماعيلية قوله أن المجذوب سبق جميع الأولياء في الحضرة حتى صاروا لا يرضون أمراً إلا بإشارته· وقال عنه الشيخ مختار الكنتي أن الله جمع في المجذوب خصائص لم يجمعها في غيره من الأولياء وأنه أوتى من الهبات ما بلغ به من الكمال منتهاه وأضاف ميزة اشتهر بها المجذوب ويظهر في مؤلفاته وهي قوله أنه "ما زاع عن الشريعة في حياته كلها ، ولا جره الباطل إلى أن يفعل أو يقول في حال غيبته ما يخالف ظاهر الشرع" ·

إذا قرأنا ما سبق عن علمه وشخصيته مع ما قدمنا عنه مقامه وعرفنا ما رواه تلاميذه عن عبادته وتجرده وزهده لساعدنا ذلك على تأكيد ما عرف عن أثره في الحجاز، فالذين درسوا عليه من أهل مكة والمدينة والذين سمعوا عن زهده وعبادته وما عاناه في سبيل ذلك لاشك قد تأثروا به واهتموا بسيرته واستفادوا من علمه·

وفي كتاب **الوسيلة إلى المطلوب** للشيخ المجذوب تصوير طيب لمعاناته وحياته عابداً زاهداً متبتلاً مجاوراً ومادحاً ، وحياة الكفاف التي تبعه تلاميذه فيها وتخييره تلاميذه بين ما عزم عليه وبين ما يرون فتعاهدوا على التجرد والانقطاع إلى الله ورفض كل مناهج الحياة، وهذا ما يصوره أحد تلاميذه بقوله "وكنَّا نبيت القوى في المنامة موضع المساكين خارج السور الأول وداخل الثاني

وإذا قمـــنا للصلاة يقترن صاحباي في ثوب وأنا على ثوب خَلِق أصلّى به وأقمنا على تلك الشدة ثلاثة أشهر".

مـــا سبق يعكس أسلوب الدعوة عند المجذوب الذي اشتهر ذكره فأرتاد العلمـــاء حلقـــات درسه ونلمس جانباً من ذلك في ثناء بعض علماء المدن عليه، حيث يصفه أحد أدباء المدن في عينية:

بـــرق تألـــق أم شموس تسطع   أم بـــدر تم في الدُجُنّه يلمـــع

أم نور حسن من محاسن زينب   هيفاء يسلب للعقـــول وتخلع

ويورد صاحب كتاب الوسيلة نماذج كثيرة من مدح العلماء له.

٢/ الشيخ إبراهيم الرشيد الأحمدي الإدريسي

ومـــن صـــوفية الســـودان الذين تركوا أثراً كبيراً في مكة الذي سبقت الإشارة إلى أثره في مصر.

هاجر الرشيد إلى مكة من صعيد مصر وأمضى فيها ثلاث سنوات داعياً إلى تعاليم أستاذه احمد بن إدريس، واتصل بوفود الحجاز من الأقطار الإسلامية في مواسم الحج فنقل هؤلاء بعض آثاره إلى بلادهم عند عودتهم إليها.

ولـــم يكـــن الطريق ممهداً أمام الرشيد الذي ووُجهَ بمعارضة شديدة من أتباع الختمية الذين رفضوا ادعائه وراثة أستاذه وهو أستاذ الميرغني .

ورمـــوه بالخـــروج عن تعاليم أحمد بن إدريس وفي تراث الإدريسية ما يشـــير إلى محاكمة عقدت له، وتبرئة ساحته وإدانة الخصوم، وكيفما كان الأمر فقـــد نجـــح الرشـــيد في نشر تعاليم طريقته بين الأتباع، ويذكر تلميذه إسماعيل النواب أن الضعفاء من أهل مكة هم الذين تبعوه في بداية الأمر، ولكنه يشير إلى قلـــة من تبعوه في آخر العمر بينما "سلك عليه أهل البلاد البعيدة والآفاق العديدة

فــي السودان ومصر والصعيد والشام والهند واليمن وجاوا وجبرت" وكما نرى فإن أكثر هؤلاء تأثروا بنشاطه وسلكوا عليه في مكة ·

ويتحدث الأتباع عن كراماته التي ذاعت في مكة والشام التي كان أهلها يــرددون بعضــها "وبعضهم صحبه وخدمه زمناً، وبعضهم بحثوا عنه ونشدوا لقاءه، ورووا من ما يعد من الخوارق"·

وتؤكد انتشار الطريقة ما رواه الشيخ محمَّد خليل الهجرسي الذي ألمحنا إلــى نشــاطه في مصر في إطار الطريقة عن سماعه بهذه الطريقة في الحجاز واجتماعه ببعض رجالها عند ما كان باحثاً عن حقيقتها ·

ويذهــب الــنواب وهــو أقرب تلاميذه أنه كان يعالج الناس من بعض الأمــراض فــي مكة والطائف وقد ساعد هذا على ذيوع اسمه واهتمام الناس بأمــره وعشــقه الصوفي ويضيف إلى ذلك أنه كان كريماً زاهداً مواسياً للفقراء ومراعــياً الكبــير والصغير، باحثاً عن أحوالهم، ومعيناً لهم بالمال "وكان دائماً يستدين في العيد ليكسي الأخوان ويتكلف باحرامهم وطعامهم في رمضان" ·

مــرض الرشــيد بعــد نشــاطٍ دعويّ ناصحاً تلاميذه بالالتزام بأوراد الطــريقة، شــارحاً لهــم المقامــات والكشــف والذوق، وتوفي في سنة شعبان ١٢٩١هـ/١٨٧٥م ·

٣/ الشيخ عبد المحمود نور الدائم

كــان له دور كبــير في غرس تعاليم الطريقة السمانية التي نشرها جده أحمــد الطيب البشير في السودان وفي الحجاز بعد أن أخذها عن مؤسسها الشيخ محمَّــد عبد الكريم السمان ولذلك كانت لرحلة الشيخ عبد المحمود أهمية خاصة بما فيها من شوق وحب لزيارة المنبع والمدينة المقدسة ·

ويصـــور الشـــيخ عـــبد المحمود جانباً من نفوذ السمانية في المدينة في رحلـــته الحجازية المسمى **الدرة الثمينة في أخبار مكة والمدينة** وهي مخطوطة توجـــد منها نسخة مصورة بأرشيف دار الوثائق القومية بالخرطوم. وهو يصور فـــيها أثر الطريقة، ونزوله في ضيافة الشيخ محمَّد عبد الكريم السمان، وترحيب الناس به والأخذ عنه، ثم يشير إلى بعض أتباع الطريقة وكثرة المريدين وولائهم لأقطابها، وبالزاوية السمانية التي كانت مركزاً علمياً يرتاده العلماء.

ولعل أتباع هذه الطريقة وقفوا على بعض مؤلفاته وتأثروا بها واستعانوا بهـــا خاصـــة مـــا يتعلق بوصف الحجاز والمدن وشعائر الحج التي أسهب في وصفها وشرحها.

وامتد نشاط صوفية السودان إلى شمال أفريقيا وخاصة ليبيا التي أتخذَّها السيد محمَّد علي السنوسي مركزاً لنشاطه الصوفي الدعوى، حيث أنشأ في برقة وغـــيرها الـــزوايا وقد هاجر معه بعض تلاميذ أحمد بن إدريس من السودانيين وكـــانوا يـــزاملون السنوســـي، ومـــن هؤلاء السيد محمَّد الشفيع وهو من أبناء دارمالي، وقد اشرف على بعض الزوايا، وآثره السنوسي وقربه إليه وكان يوفده إلـــى بعـــض الحكام لجلب الكتب، وعُرف عنه تمسكه بالدين والشدة مع الحكام، واشتهر بدرايته التامة بأخبار السنوسية ونقل عنه أحمد الشريف الحفيد معلومات كثـــيرة عـــن رحلة السنوسي من الحجاز إلى برقة وضَمَّنها في كتابه المخطوط **الكوكب الزاهر**.

أما عبد الله السني فهو من أسرة مدني السني وولد في الجزيرة، وسافر للحـــج، والتقى بأحمد بن إدريس، وأخذ عليه الطريقة وزامل السنوسي، وصحبه فـــي رحلـــته إلى برقة وهناك أشرف على بعض الزوايا في طرابلس وغدامس وعيـــن ولـــيد والقليقيلة وثمت مطوية صادرة من مركز الجهاد الليبي عن ابنه

محمَّـد عــبد الله السني تذكر عن عبد الله السني تشير إلى أنه قام بنشاط علمي تــربوي واجتماعــي حيث قام بنشر الوعي والثقافة بين الأهالي وعلمهم بعض مبادئ الدين، ودرَّس العلوم الدينية في زاوية مزرة حيث تخرج العلماء والفقهاء والوعاظ على يديه كما أشار إلى أنه أصلح بين القبائل ورغب الناس في زراعة الأرض واســتثمارها. وقــد استقر به المقام في ليبيا وتزوج وأنجب أبناءً منهم محمَّد الذي قدَّر الليبيون جهاده معهم ضد إيطاليا. ورووا نشاطه بالدعوة للإسلام في غرب أفريقيا لأكثر من ربع قرن وجهاد أسرته الذين عانوا الأسر والحصار وتجئ سيرته في مكان آخر.

ومــن الطرق التي امتد تأثيرها خارج البلاد الطريقة البرهانية الدسوقية وهــي أكــثر الطــرق الصــوفية السودانية انتشاراً وقد أسسها بعض أبناء حلفا والسَّــكوت ويــرجع فضل تأسيسها ونشرها في السودان في تاريخها البعيد إلى الشيخ إدريس ود الأرباب سنة ٩١٣هـ/ ١٥٦٠م عند ما جاء إلى جزيرة توتي ومعــه أحد أبناء الشيخ حمد زروق لنشر الطريقة بعد ذلك في السودان، ما يهم هنا هو انتشارها في عهد الحكم الثنائي بجهود الشيخ عبد الحميد عبد الجليل في سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م وكان يعمل طباخاً بكلية غردون ، وخلفه الشيخ يوسف مصطفى الذي نشط في نشر مبادئها وإقامة الحولية سنوياً في منزله ، كما نشط الشيخ فضل إدريس وهو من أبناء السَّكوت وكان طباخاً للحاكم العام كما اشتهر الشيخ خليل بِتيك وغيره من أبناء المحس في نشر تعاليمها .

وإلــى الشــيخ محمَّــد عــثمان عبده البرهاني يرجع فضل انتشار هذه الطــريقة بشــكل أوسع وكان من رواد حلقة الشيخ النذير خالد بجامع الخرطوم وعلــى عهده انتشرت تعاليمها في مصر، وصار لها أتباع هناك كان لهم جهود ونشاط وتم تغيير اسم الطريقة إلى برهانية بدلاً من برهامية وهو الاسم الأصلي

للطـــريقة ثـــم طبعـــت أورادها بعد تجديد وتغيير، وشملت التهليل والاستغفار والذكر والحزب الكبير والصغير والجوهرة والتوسل ٠

وحـــدث تطـــور آخر في عهد محمَّد عثمان عبده بمزج بعض أحزاب الشـــاذلية وأحزاب البرهانية وهي الحزب الكبير والصغير وحزب البحر وحزب البر وحزب النصر ٠

ومـــن سمات هذه الطريقة انتشارها الواسع خارج البلاد في آسيا وأوربا وفي ألمانيا وفرنسا وايطاليا والدنمارك وبريطانيا وهولندا والنمسا والسويد وفي البلاد العربية والآسيوية في الأردن والجزائر وتونس واليمن والسعودية ومصر والإمارات وفي ليبيا وسوريا وباكستان ٠

ويلاحظ أن هذه الطريقة حققت نجاحاً كبيراً في تلك البلاد بفضل جهود أتباعها من أبناء آسيا وأوربا الذين أسسوا فروعاً للطريقة في بلادهم٠

وإذا عـــزونا هـــذا الانتشـــار في العالمين العربي والآسيوي إلى ما في أورادهـــا وأذكارهـــا مـــن عبارات تنفذ إلى الوجدان وتثير الحماسة، فإن الأمر يخـــتلف قلـــيلاً في أوربا التي تتعامل دائماً بالدليل والقياس العقلي، ولذلك يبقى الســـؤال عـــن سبب هذا الانتشار الكبير في الطرق الأخرى، فضلاً عن نشاطها المكـــثف وأســـلوب أتـــباعها فـــي الاستفادة من الفراغ الروحي وعدم التواؤم الاجتماعـــي وتقديـــم علاج لهذه الحالات يقوم إلى غرس اليقين والأمن النفسي والرجوع إلى الخالق والأحزاب والأوراد تحمل في طياتها كل هذه المعاني ٠

ويمكن استنباط بعض الحقائق من أفواه هؤلاء لعلها تصلح إجابة لأسئلة الســـائلين عن سبب انتشار تعاليم هذه الطريقة في أوروبا ففي استطلاع نشر في إحدى الصحف السيارة في بلادنا مع مسؤول الطريقة في الدينمارك وسؤال عن ســـبب هـــذا الانتشـــار نجد الإجابة في حياة الترف واللامبالاة والتفكك الأسري

والقلق النفسي الذي هو من مؤثرات الحضارة المادية ، وانتفاء ذلك والاستقرار النفسي وتغيير نمط الحياة بعد الانضمام إلى هذه الطريقة وقراءة أحزابها وأورادها وحضور دروسها وما يعقب ذلك من عودة الوعي الغائب وإحساس هؤلاء بالفارق الكبير الذي طرأ على أسلوبهم الحياتي ، واعترافهم بفضل هذه الطريقة وغرس مبادئها في أطفالهم والزيارات لمراكز الطريقة في مصر والسودان وانتظامهم في الحولية السنوية واشتراكهم في تلك المسيرة المشهورة التي تنطلق في منزل الشيخ إلى مقر الطريقة بجوار السوق الشعبي.

خاتمة القول أن هذه الطريقة تعد مثلاً صادقاً عن الأثر السوداني المعاكس، وما نتج عنه من تقارب بين الشعوب كان البون شاسعاً بينهم من قبل بسبب اختلاف نمط الحياة وصعوبة المواءمة بين الدين والعلم وما ألفوه من حياة حرة بلا حدود ولا قيود.

أدب الرحلات في التراث الصوفي السوداني

تتعدد أنواع الهجرات على مدى البلاد، منها رحلات جغرافية بحرية وبرية، وثمة رحلات علمية اشتهرت بها بلاد الإسلام والسودان جزء منها، فضلاً عن رحلات جماعية قامت بها قبائل وجماعات وعلماء ودعاة وتجار.

وكانت لبلادنا نصيب كبير في مدونات الجغرافيين والرحّالين والمؤرخين العرب الذين دوّنوا مشاهداتهم في بلاد النوبة والسودان عموماً وقالت ذلك رحلات الأوربيين كما اشتهر الرحالة محمّد بن عمر التونسي برحلته إلى دارفور وبلاد العرب ، وهي تعد للآن من المصادر المعتمدة في تاريخ البلاد وثقافته وتراثه المادي.

وما يهم هنا هو رحلات الصوفية داخل البلاد وخارجها وأثرها الثقافي والاجتماعي والتعليمي والتربوي. ويرد خبر هؤلاء في طبقات ود ضيف الله

الــذي أورد نصوصــاً طيِّــبة عنهم منه رحلة طلبة العلم إلى الأزهر والحجاز والمقصود هنا من اشتهر منهم بالاهتمام بالتصوف، أمثال عبد الرحمن بن جابر ومحمود العركي وغيرهما ·

وهــناك مــن المتصوفة من عرفوا برحلاتهم من دار الشايقية إلى دار الأبواب (كبوشية وأطرافها) · وقد نشر هؤلاء تعاليمهم وتكاثر من شدوا الرحال إلــيهم مــن أنحاء مختلفة من البلاد ونتج عن هذا نوع من الوعي الثقافي بالبلاد الأخرى وأبنائها وعلمائها وجانب من حياة سكانها من واقع ما كان يرويه هؤلاء عن مناطقهم والبلاد التي ذهبوا إليها للعلم والعبادة ·

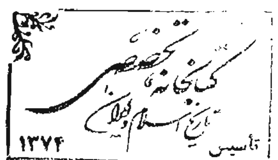
وهكذا توسقت العلاقة بين الطلاب والشيوخ وبين أهالي المنطقة المعنية، ومن الرحلات الشهيرة ذات الأثر الكبير رحلة السيد محمَّد عثمان الميرغني إلى السودان وأرتيريا والحبشة ، وإلى مناطق دنقلا والشايقية وكردفان وغيرها وما تبع ذلك من رواج تعاليم الطرق الخمس التي بشر بها في تلك المناطق موفداً من أســتاذه أحمد بن إدريس وفيما بعد تعاليم الختمية التي أسسها وباشر تعاليمها من بعده ابنه الحسن وبقية الأتباع ·

وفــي إطار المدرسة الإدريسية التي تعتمد على الرحلة والتبشير اشتهر الشــيخ إبراهــيم الرشيد الدويحي وهو أحد كبار تلاميذ السيد أحمد بن إدريس ، والرشيد من أسرة دينية صوفية وعلمية قام برحلات إلى شندي والمتمة ، وتعدى ذلــك إلى صعيد مصر ومكة ، ويأتي بعده تلميذه الشيخ الأمين التويم الذي تنقل بيــن بــلاد الشــايقية والمتمة وشندي وأطرافها والخرطوم وأطرافها والجزيرة والــتقى بأتــباعه وتلامــيذه ، وتعــددت زياراته لهم مع المراسلات والمتابعة الشخصية حتى انتشرت الطريقة الإدريسية في كل هذه المناطق وغيرها وساهم

فـــي ذلـــك تلاميذه الذين اقتفوا أثره وواصلوا ما بدأه ، وكانوا بدورهم ينشرون هذه المدرسة التبشيرية النشطة ·

ولعـــل اشـــهر كتاب في رحلات الصوفية إلى خارج السودان هو كتاب **الدرة الثمينة في اخبار مكة والمدينة** وهو للشيخ عبد المحمود نور الدائم قطب الطـــريقة الســـمانية ، وهـــذه الرحلة الخطية للآن سجل رائع في أدب الرحلات الصـــوفية وتعد إضافة جديدة ، وفيها يصف مؤلفها بداية الرحلة والمناطق التي مـــر بهـــا والشخصـــيات التي قابلها وبعض الأعلام الصوفية وسواكن والحجر الصـــحي (الكرنتينة) وجواز السفر والرسوم وما إليها فضلاً عن رحلة الطريق المجهـــدة ومـــا حـــدث من كرامات ثم وصف رائع لجدة ورابغ وبعض أعلام ومـــناطق مكة والمدينة ، ولقائه بالسمانية ومشاعر الحج وعودته وما شهده في أثـــناء الرحلة حتى عودته إلى طابت بعد زيارة قبر جده أحمد الطيب البشير في ام مرحى شمال أم درمان · وإذا كان ما سبق يركز على هجرات بعض الأعلام الذيـــن دونـــوا مشـــاهداتهم ، فإن ثمة هجرات أخرى جماعية لقبائل وجماعات وعلماء صوفية ، وأمثلتها كثيرة ، ننتقي منها أمثلة·

اشـــتهرت دنقلا وبلاد الشايقية بالسبق العلمي بدءاً من غلام الله وأولاد جابـــر وقـــد هاجر منها علماء كانت لهم خلاوى مشهورة ذات مستويات علمية عالـــية منها خلاوى ابناء جابر وعبد الرحمن بن حمدتو وسعد الكرسني وهؤلاء استقروا في دار الابواب وأسسوا الخلاوى التي وفد عليها أبناء المناطق الأخرى حتى صارت شندي والمتمة وأطرافها مراكز علمية مشهورة لم تتوقف الهجرات إلـــيها، وعرفـــت تلـــك المـــناطق رحلات بعض الجماعات الدينية التي آثرت الاستقرار فيها لاستمرار المدد الروحي من اشعاعات تلك المراكز الصوفية حتى توارث الأبناء والأحفاد من الأجداد واقتفوا الأثر دعوة وسلوكاً ·



ولا يعنـــي التركيز على الرحلات أنها كانت الوسيلة الوحيدة لنشر العلم والتصـــوف ولكن هناك مراكز دينية ثابتة ساهمت في ذلك بتهيئة الجو والكفالة لطـــلاب العلـــم فهـــؤلاء حيـــنما حلوا كانوا يجدون المأوى والمسكن، والرحالة بوركهارت يصف مدارس الشايقية ويذكر أن كبير العلماء كان يوزع الصبيان الوافديـــن مـــن البلاد المجاورة التماساً للعلم على معارفهم فيقيمون ويأكلون في بيوتهم ما شاءوا · ومثل ذلك عند مجاذيب الدامر التي كان يحل بها أبناء غرب أفريقيا في طريقهم للحج وغيرهم من أبناء البلاد من طلاب العلم ، وأيضاً خلوة أم ضوا بان والفادنية وغيرها ·

وقـــبل ذلك يرد في طبقات ود ضيف الله خبر الشيخ أرباب العقائد الذي كانـــت خلوتـــه تضم ألف طالب من أنحاء مختلفة وقِسْ على ذلك بقية الخلاوى والمدارس·

أدوات المتصوفة وأولياء الله الصالحين

- **الككـــر** : مقعد خشبي عرفته أفريقيا قديماً كمقعد للإنسان العادي ثم دخل ضـــمن آلات الملـــك موازيـــاً لكرســـي العرش،وتستعمله الصوفية في السودان في تنصيب الشياخة والخلافة ·
- **الســـبحة** : وهـــي المسبحة من أدوات العبادة عموماً وأدوات الصوفية خصوصاً وهي من لوازم الدراويش ، تتكون من٩٩ حبة بعدد أسماء الله الحسني والحبة المائة حبة كبرى على شكل قبة · وهناك السبحة الألفية (١٠٠٠ حبة) تصنع من خشب البِقِس والكافور والقمبيل و اللألوب·
- **المبخرة** : من أدوات الصوفية ومن لوازم الدراويش على الخصوص ، تستعمل عند الذكر لتنشيط النفوس وإشاعة البهجة ·

- **العصـــا** : وهـــي أيضـــاً العكـــاز والشـــعبة من أدوات الصوفية وهي (أم قرنين) و (العَنَزَة)
- **الســوط** : كثـيراً مـــا يُستعمل في الخلاوى لتأديب الصغار ، وبعض المتصـــوفة يـــلازم أدوات الخلافـــة عـــندهم وهو سوط (العنج) البقر المعروف ويسمى أيضاً (العبسيب) وآخرون يسمونه (العَينسيب) ·
- **الحــربة** : مـــن أدوات الصوفية المهمة، ومن لوزام الدراويش وعرفها اليعقوباب بأنها من أدوات شيوخهم ·
- **الســيف** : عـــند الصوفية يعني قوة روحية وسلطاناً روحياً ، وهو من شعارات المهدية خصوصاً ·
- **اللـــوح** : أهم أداة للكتابة في خلاوى السودان ومدارسه القديمة ، يصنع من الخشب الخفيف ليسهل على الصغار حمله وهو على شكل مستطيل فـــي أعـــلاه بروز للإمساك به· يكتب عليه بقلم البوص أو الفال بحبر العمار المصنوع محلياً·
- **الـــراية** : تشـــير بألوانها المتعددة للدلالة على جذور الطريقة الصوفية وهـــي أما على صارى ثابت أو صارى متحرك وتكتب الطريقة عليها شعارها·
- **اللـــون** : لون الراية أتخذته الفرق الإسلامية في الماضي لترمز به إلى المواقـــف ويرمـــز الصوفية باللون إلى المعاني· وقد تتعدد الألوان في الـــراية الواحـــدة· واللون المختلف الذي يوضع أيضاً في العمامة وفي الخرقة·

- **الطبل** : آلة جوفاء مستديرة على وجهيْها يُشدُّ جلد الحيوان للضرب عليه بعود أو عوديْن من سبيل الإيقاع في كافة المناسبات وفي بعض ذلك ما يخص المتصوفة.
- **الـــنوْبة** : تستعملها الطرق الصوفية محمولة على الكتف معلّقة بحبل . ذات فتحتيْن جانبتيْن عليها جلد ماعز.
- **الطـــار** : دف مستدير خشبي على أحد فتحتيْه يشد جلد ماعز ، والطار حجمان كبير وصغير.
- **العنقريـــب** : ســـرير خشبي صغير الحجم غالباً قصير الأرجل وينسج بالحبال أو جريد النخيل أو جلد الحيوان يستعمله المعلمون في الخلاوى والمتصوفة.
- **اللباس** : أو هو الزي الذي عرفه الداويش خاصة (الجبّة المُرَقّعَة) وتلك من علاماتهم والمميزة لهم خاصة.
- **الخـــرقة** : القطعـــة من الثوب الممزق من لباس الصوفية وهي المُرقّعَة متواضـــعة يقصد بها التقشف والابتعاد عن اللباس الفاخر ، وتدل على الـــزهد والتواضع ، وعندهم تعني انتقال بركة الشيخ إلى المريد والتزام المريد بشعائر الطريقة وربما تفرغه التام .
- **الطاقـــية** : نـــو ع مـــن غطاء الرأس يُقصد بها وقاية الرأس من عوامل الطبـــيعة وقـــد يصنع من قماش مطول. واشتهر كبار المتصوفة بلبس الطاقية أم قرنين وهي من مخلفات ملوك النوبة.
- **العمامـــة** : قطعـــة قمـــاش تلف فوق الطاقية أو بدونها ارتداها صوفية الســـودان علـــى ما كان عليه صوفية الإسلام من حيث دلالة الألوان ،

وهي في ألوانها حسب ألوان الطرق ٠ وتستعمل أحياناً في إجراء مراسم خليفة جديد ٠

- **الشال** : يرتَدى فوق العمامة لمزيد من الحرص على الوقاية ، من جنسه أيضاً الملفحة والكوفية والكشمير بألوان عدة ٠
- **الإبريق** : من الفخار أو الجلد أو الحديد أو النحاس وأخيراً من البلاستيك من أدوات الوضوء ومن لوازم الصوفية والدراويش خصوصاً، وهم مع ذلــك يشــربون مــنه، خفــيف ورفيقهم في الخلاء والخلوة٠من آداب المتصوفة، الا يستعمل المريد ابريق أستاذه بتاتاً كما لا يقعد على فروته أو يرتكز على عكازه ٠
- **الركوة** : إبريق من الجلد أحكمت دباغته ليقوي كإبريق الفخار٠
- **الفــروة** : تســتعمل للصلاة أو الجلوس مطلقاً أرضاَ أو مفروشة على عنقريــب وهــي من جلد الحيوان كالضأن والغزال والأبقار ، وبعضها تصنع من جلد الضأن والماعز مجتمعيْن للنوم عليها أو الغطاء بها ٠
- **الــبرش** : مصــنوع مــن سعف الدوم في هيئة دائرية أو بيضاوية أو مســتطيلة ومن أنواعه الــ(التبروقة) وجميعها للصلاة عليها أو الجلوس المطلق ، وتفرش المساجد بها أحياناً ٠
- **الســجادة** : ســجادة الصــوفية هي الفروة التي يرثها الشيخ عن شيخ الطــريقة، وهــي أصــلاً سجادة صلاته ومجلسه ، ويُحتفظ بها للتبرك وعلامة من علامات الخلافة ٠ تُسمَّى رئاسة الطريقة بالسجادة ٠
- **المقلوبــة** : أشــبه بالحصير يصلى عليها ، مرتفعة من الأرض لكثافة حصيرها وقصبها الذي صُنعت منه ٠

- **الدوايــة** : هـــي دواة صغيرة الحجم تصنع من الفخار ، تملأ بنوع من الحــبر يسمى العمار يعده الطلاب أنفسهم ما فيها من العمار المصنوع محلــياً مـــا يجعل الشيخ وحيرانه يستعملونه في الكتابة على الألواح أو الأوراق ٠
- **القلم** : غالباً من القصب ٠
- **العَمــار** : مـــادة الحـــبر الأسود المكوَّنة من السَكَن (السِنَاج) والصمغ و (سبيب) الحيوان خاصة البقر والماء ٠
- **الألفــية** : هـــي المسبحة في شكلها المألوف في يد الذاكر ، ولكن عدد حــبَّاتها قـــد تبلغ ألفاً لمن يطيلون التعبد٠ تصنع من حبات اللالوب، لها وعاء (جراب أو كيس) خاص بها ، وبعضهم يلفّ بها عنقه أحياناً ٠
- **أم الفقــراء** : هي زوجة شيخ الطريقة أو ما يقابل ذلك ، فتتولى شؤون المـــرأة في دائرة اهتمامها ، بل تمتد آثارها لعالم المريدين من الرجال بمالها وطعامها واهتمامها ٠
- **الدواويـــن** : هي المصطلحات الآتية : المختلطة ، الموزونة ، الواضحة والمستخرجة والدواوين الأربعة هذه تعرف عند العلماء (بالأمهات) ومن الدواوين (الطراز) ٠
- **الولـــي** : مـــن اجتمعـــت فـــيه صـــفات: الإيمان ،التقوى ، الصدق و الإخلاص، حينها يبلغ مقام الولاية ٠
- **الإرشاد** : هو الدلالة على الله بما شرع وله ركنان هما : العلم – العمل٠
- **الطريق** : هو السبيل المطروق وهو النهج والصراط المستقيم الذي يأخذ بـــه القاصــــدون ربهم ويعني به هنا طريق الحق الذي سار عليه السلف

باتباع الكتاب والسنة ويؤخذ بالتلقين وأخذ البيعة والعهد من شيخ مأذون مُجَاز فهي طريق القوم الذين لا يشقى جليسهم ·

- **البيعة والعهد** : ورد أن رسول الله(ﷺ) بايع أصحابه فرادى وجماعات علـــى كلمة لا إله إلا الله محمَّد رسول الله(رضي الله عنه) وهي تمثل الدخول في ديـــن الإســـلام ثم أتت مرحلة النصرة والدفاع عن النبي(ﷺ) في حال حـــياته وكذلـــك بعـــد انتقاله· والبيعة الصوفية هي تلقي الشهادتين من شخص مأذون صاحب سند متصل بالرسول(ﷺ) وبذلك يكون المبايع قـــد انتظم في الطريق وصار سالكاً ويشترط فيها المكافقة بوضع السالك يده في يد الشيخ عند التلقين ·
- **السند** : يمثل إرجاع الشيء لأصله المأخوذ عنه فكل شيخ أخذ العهد عن شـــيخ مـــأذون كـــافف من قبله بقبض يده وتلقي كلمة التوحيد منه فهو يـــرفعها لمـــن كان قبله وهو يمثل الإسناد في الحديث فلذلك الأمر في الطريقة والبيعة يكون أخذ اللاحق عن السابق حتى يمر السند بالرسول(ﷺ) عن سيدنا جبريل عن رب العزة جل جلاله ·
- **الـــبقعة** : تمثل المكان الذي يوجد فيه المسيد الأصلي للطريقة وخليفتها وغالباً تشتمل على قرية الشيخ بسكانها ومسيدها وملحقاته ·
- **الخلـــيفة** : يمثل رأس الرمح في الطريقة كقائد خلف من سبقه في قيادة بقية المشايخ والمريدين وهو بمثابة النائب الحامل لأمانة من كان قبله ، ويطلـــق لفظ خليفة في بعض الطرق على من قدمه الشيخ لخدمة أخوانه في الطريق كما هو موجود في الطريقة الختمية وفي معظم الطرق يمثل بالإضافة لما ذكرت آنفاً كل شيخ خلف أباه في مشيخته ·

- **التلمــيذ** : يقصد بها عادة المتعلم وأحياناً يعني ملازم الشيخ المباشر من الســالكين والذي يقوم بخدمته ويكون لصيقاً به وأحياناً يكون من أبنائه في النسب أو من السالكين عليه ، وتعني كلمة تلميذ بمعنى أشمل للشيخ المجــاز من شيخه الأكبر والذي تم إرشاده على يديه فيقال لمن أجازهم تلامــيذه إشارة إلى تلقيهم التربية والإرشاد منه والرجوع إليه والإسناد منهم إليه في تسليك غيرهم ٠
- **المــريد** : هو آخذ العهد عادة والسائر على نهج القوم بمراده واختياره فــيلزم نفســه بعهدهــم ويتبع آثارهم في مجاهداته حتى تشمله البركة والــرحمة فــيكون في مراد ربه يحيه الله تعالى كما أحبه بأتباعه لنهج شيخه والذي يكون مطابقاً وتبعاً لما جاء به رسول الله(ﷺ) ٠
- **المحب** : هو شقف القلب لمن يهوى ، محبة الله ورسوله فرض اجتمعت علــيه الأمة فالمحب للقوم غالباً يحبهم لرؤيته تأسيهم برسول الله(ﷺ) فيتعلق بهم لعلمه بأن المرء يحشر مع من أحب ٠فالمحبون للقوم سالكون لطــريقهم وربما يوجد محبون غير مقيدين ببيعة الطريقة يأخذها ولكن كمال المحبة يستوجب ذلك ٠
- **الحُــوار** : يطلــق علــى آخذ العهد عادة ٠ فهو بمثابة فصيل الناقة قبل الفطــام لاحتــياجه لرعاية أمه وعدم استغلاله عن القطيع فمُثل به آخذ العهد لحنو الشيخ عليه وشموله له بالرعاية والتربية ومنها لفظ حواريين ويشــمل التلمــيذ الــذي يسعى لحفظ القرآن الكريم في الخلوة وجمعها حيران٠

- **المسـيد** : هو الفناء الواسع المشتمل على المسجد وخلوة القرآن ومكان إعداد الطعام وسكن شيوخ القرآن والعلم والمضيفة ويتوسطه فراغ واسع تقام فيه حلق الذكر والمناسبات الدينية المختلفة ٠
- **الـتُقابة** : مكان إيقاد نار القرآن التي يلتف حولها طلاب القرآن وعادة كـان يـتم إشـعالها بالحطب والآن بعض المسائد أدخلت فيها الكهرباء وتكون بناء منخفضاً جداً يجلس حوله الطلبة وتتوسطه نار القرآن ٠
- **التكـية** : مكـان إعـداد الطعـام بالمسيد للفقراء وطلبة العلم وضيوف المسيد٠
- **الطاجن** : إناء كبير من الحديد مقعر الشكل يصب فيه الماء وتضاف إليه مكونـات الكسـرة المعروفة من دقيق الذرة والدخن ونحوه ٠ وتتفاوت أحجامـه مـن اصـغر حجم يمكن أن يعمل عليه شخص واحد وكل ما زادت سـعته تعدد صُنَّاع الطعام فيه حتى أحياناً يبلغ عددهم السبعة أو يزيد ٠
- **الدوكـة** : وعـاء مسطح مصنوع من الطين المحروق أو الفخار يصنع فـيها الطعام مثل الكسرة والعصيدة وغيرها والآن صارت تطلق مجازاً على أوعية مصنوعة من الألمنيوم لنفس الغرض ٠
- **الملود** : قطعة من الحديد لها طرف حاد وآخر اسطواني يُدخل فيه عود أو قضـيب معدنـي خفـيف مغلق بعازل يعد به الطعام في الطاجن أو الدوكـة بـتحريك وتقليـب الدقـيق مع الماء لصناعة العصيدة ويكون المقـبض الخشـبي عـادة طويلاً ليتمكن الصانع من عمله دون تأثُّره بحـرارة الـنار التـي يعد عليها الطعام ويستعمل نوع منه في حراثة الأرض أيضاً٠

- **الخلــوة** : من الاختلاء بناء مصنوع من الحجارة والطين والقشّ أو من الطــوب ونحوه يختلي فيها الشيخ للعبادة وهي تمثل المحراب الذي كان ســيدنا زكريا يعبد الله فيه . والخلوة كذلك تمثل البناء الذي يستقبل فيه الضــيوف فــي معظم بقاع السودان وهي حجرة الدراسة لحفظ القرآن حيث يتحلف التلاميذ أو الحيران حول الشيخ وهم يدرسون .
    - وتلــك التي يُعبد فيها لها نظام خاص إذ تكون محكمة الإغلاق حتى يسد منافذ الضوء الذي يمثل الشاغل للفكر وقاطع للخشوع فــي هذه الحالة فإظلامها يحقق الغرض من الخشوع التام للذكر مغمضاُ عينيه فيكون حضوره أقوى .
    - ولهــا أيام ذات عدد تبدأ بالعشرة والأربعين ونحوها حسب حالة المختلــي وقــوة مجاهدتــه ويكون عادة له تلميذ بالخارج يقوم بخدمــته بمــا يحتاجه من أشياء تعينه على التفرغ للذكر ومنها الخلوة الصمدية وتتدرج فيها قلة الطعام حسب الحال .
- **الغــار** : كهــف في الجبل يكون بمثابة الخلوة للعبادة يغلق من الخارج ويدخل فيه المتعبد وأشهر الغارات غار حراء وغار ثور ،وفي السودان منها الكثير كما هو موجود بالسوكي الصادقاب(غار الشيخ الهميم ببيلا) غــرب القضارف وغيرها الكثير . يُغسل داخل الخلوة أو الغار ويتوضأ المتعبد ويدخل صائماً ليلاً أو بعد الصبح مباشرة .
- **الدكَّــة** : هــي مكان معد للعبادة يكون مصنوعاً من حجارة مرصوصة علــى هيــئة المسطبة التي تتسع لشخص أو أكثر مرتفعة عن الأرض يكون في المسيد أو الخلوة أو على سفوح الجبال .

- **القيلولة** : هي سنة ففي حديث ما معناه قيّلوا فإن الشياطين لا تقيّل وهي إغفـــاءة تكون قبل صلاة الظهر يستعين بها المسلم على استعادة النشاط للعبادة بإراحة نفسه من عناء مشقة الكد اليومي فتستعيد بها نفس المؤمن نشاطها وراحتها وأعني بالنفس هنا الجسد مجازاً لأن النفس أعدى أعداء الإنسان بمعناه المعنوي .
- **حجــر المحاية** : هو موضع في المسيد يوضع فيه حجر به تجويف أو بــناء مقعــر يــتم فــيه محــو ألواح الفقراء بعد حفظهم للمكتوب فيها ويستعدون بعدها لكتابة الواحهم الجديدة .
- **المرو** : ثلاث سيخات من الحديد تركز على الأرض متشابكة مفترقة في أعلاهــا علــى الككارة التي ينصب عليها الشيوخ وعند التنصيب تنحى جانباً وهي تمثل سبجة المحاربين التي يعلقون عليها سلاحهم وفيها شارة على الاستعداد ونصب العتاد في أراضي المجاهدة .
- **المُقــدَّمْ** : هــو شــخص ســالك للطريق جد واجتهد ورأى عليه الشيخ الاستعداد لقيادة غيره فيقدَّم ويوظف على بقية أخوانه الفقراء فيكون لهم بمــثابة النائب عن الشيخ في الأمور التي تتعلق بالذكر والاجتهاد ويُتخذ كقدوة لغيره ويكون بمثابة الرابط بينهم وبين الشيخ يرعى شؤونهم ويقدم لهــم النصح ويصدقهم في ذلك إذ أن الرائد لا يكذب أهله ويكون مميزاً علــى غيره بطاقية ذات رأس عال تسمى أم قرين تكون ملونة عادة لها خــيط رفيع يكون تحت الذقن ، وتلبس في يوم الذكر وتحديداً في اليوم الثانــي في حلقة الذكر السرياني المشتمل على لفظ الجلالة المفرد(الله) وبقية الأسماء والصفات والضمائر .

- **الفزعة** : وتمثل النفرة ولها استعمال خاص عند القوم أولها الذهاب إلى الخلاء بنية الاحتطاب لخلوة القرآن ويقوم بذلك طلاب القرآن عامة بلا استثناء · ولها معنى آخر معنوي يتمثل في الإغاثة لملهوف من أرواح الصالحين والملائكة فإذا أحب الله عبداً خلق ملائكة على هيئته تفعل الخير وينسب له وقد قيل إذا أراد أن يظهر فضله عليه يصنع وينسب إليه وهي من الأشياء الذوقية التي يطول الكلام فيها ويصعب نقله بالكلمات ·
- **الفرّة** : الفرّة منها الفرار إلى الله وتكون في شعب الجبال وفي المغارات إذ يجتمع الفقراء بقيادة بعض المشايخ يذهبون للعبادة بعيداً عن أعين الخلق وتماثل الخلوة غير أنها يكون الفقراء فيها أحرار في حركتهم تبدأ بالصيام من أول يوم وعادة تكون عشرة أيام يصام نهارها ويقام ليلها ويتذاكر فيها المريدون وتكون في معيتهم مسابحْ اللألوب الألفية ومصاحفهم وكتب العلم · بعد تمام أيامها ينزلون إلى المسيد للعيد والاحتفال الذي يكون عادة في مناسبة سبعة وعشرين رجب أو غيره من الشهور · تعظم فيها المجاهدة ولا يتخللها إلا النوم القليل ليلاً أو نهاراً ·
- **القيلة** : ذرة مقلي مُمُلحْ يكون هو طعام الفُرَّار ملء اليد في اليوم والليلة هذا موجود عند الصادقاب ، ومن بركة الفرة وذكر الله فمعظم الفرّار يأتون بأغلب هذه القيلة نسبة لليقين الذي يتولد عندهم وإقاتة الله لهم ·
- **العدّادة** : هي سبحة من اللالوب تكون عادة خمسون حبة يذكر بها مرادفة مع السبحة المائة وهي تحل محل السبحة الألفية لخفة وزنها

خاصـــة في السفر وعند الإقامة فحتى لا يقطعون أورادهم يذكرون بها ويعدون عددهم بطريقة معينة لبلوغ عدد السبعين ألف ٠

- **تقليـــب الذكر** : يكون عادة في اليوم الثاني لأيام العيد يجتمع المريدون والشـــيوخ في ساحة الذكر وسط المسيد ويذكرون الله بمختلف الأسماء والصفات والضمائر ليستوفوا حق الأسماء الحسنى ومعانيها وصفاتها ٠
- **الفاتحة** : هي فاتحة الكتاب أو سورة الحمد ويستعملها الفقراء مجازاً في الدعـــاء وممن ترجي بركته بفتح اليدين وبسطها تجاه السماء إذ أن قبلة الدعـــاء الســـماء وفـــيها شارة للتواكل والخضوع والتواضع وإستجلاباً للرحمة والبركة إذ الأكف المبسوطة فيها إنكسار لله تعالى وتجد الله عند المنكسرة قلوبهم لذلك أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ٠
- **الخيرة** : هي الاستخارة الشرعية المعروفة بالتوجه لله بالدعاء بعد صلاة ركعتين واستخارته في أي أمر يهم الإنسان يريد الاستبصار فيه أن كان خيراً أو شراً حسب الإستخارة النبوية المعروفة ٠
- **فـــتح الكتاب** : متعارف عليه عند القوم وهو بمثابة الخيرة ولكن جرت العـــادة على وضع فتح الكتاب مكان طلب الخيرة في طلب ذلك شفاهة من الشيوخ ٠
- **الحواطة** : هي طلب الدعاء لحفظ ضائع بأن يستودع الشيخ الضائع عند الله تعـــالى الـــذي لا تضيع ودائعه فقد قيل خذ من القرآن ما شئت لما شئت٠
- **الشـــونة** : هي مستودع الغذاء في المسيد كمخزن للمحصول من الذرة والقمـــح وغـــيره مـــن المؤن وتعني كذلك حظيرة المحصول في المدن الكبيرة وتعني مستودع الإمدادات عامة ٠

- **أمْ قُلَّـــة** : إشارة إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام نسبة لوجود القبة الخضراء على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والقباب الصـــغيرة حولها على سطح المسجد والمقام فمثَّل السودانيون القبة بقلة الطيـــن لـــتكورها وتشـــابهما في الشكل وصارت مصدر إلهام لهم في مديحهم وإنشادهم للمصطفى صلى الله عليه وسلم ٠
- **الرُّقـــية** : مـــا يستشـــفى به من دعاء أو قراءة قرآن أو كتابته أو محوه وشرب ذلك الماء ٠
- **الـــبخرة** : هي كتابة آيات من القرآن أو حروف منه يَحْرِقها المستشفى ويـــتعرض لدخانهـــا طلباً لبركة الشفاء فيستنشق دخانها ويحصل بذلك الشفاء ببركة القرآن العظيم ٠
- **المحايـــة** :آيـــات مـــن القـــرآن تكتب على ورق طاهر أو إناء وتمحى فتشرب أو يغسل بها البدن طلباً للشفاء ٠
- **الحجَـــاب** : من حجب الشيء إذ حماه أو غطاه وستره وهو حرز يكتب علـــى ورق طاهـــر آيات من القرآن العظيم وتطوى بشكل أسطواني أو مـــربّع وتعلَّـــق على عنق المرأة ويلبسها الرجل حول عضده حماية من الأرواح الشـــريرة مـــن الجن والإنس ووقاية من العين وغيرها وتعني كلمـــة حجاب كذلك الزي الإسلامي الساتر للمرأة أو ما يصنع في الدار فاصلاً الرجال عن النساء من سياج ونحوه ٠
- **الورقـــة** : تشبه الحجاب غير أنها اصغر لحفظ الصبيان الصغار وهي آيات تكتب على ورق طاهر وتطوى وتعلق على الجسد ٠
- **المغـــارة** : (بالغيـــن) :هي الغبطة وتكون عادة غيرة في جناب الحق إذ يرى أهل البصائر تجلى الحق على خلقه باسم أو صفة من صفاته على

أحـــد عبـــيده ويرون مقابل ذلك تقصير العبد المتجلي عليه في حق الله تعـــالى وعدم استيفائه لاستحقاق ذلك الاسم أو الصفة من ذكر واستفراغ وســـع في طاعته فتكون غيرتهم لله وليس لأنفسهم ، فتسطع منهم أنوار عظيمة ربما تمحق الأنوار الأقل فيها ويخفي أثرها كظهور جسمي على شـــمعة مضـــاءة · وفـــي شـــرح ذلك عند القوم ذوقاً يصعب توضيحه بالكلمات والحروف ·

- **السائح** : هو العبد الذي يملك عليه الحق كل جوارحه فيهيم في الفلوات متفرغاً للعبادة ويفتح عليه فيصير متقلباً في نعماء الله وحفظه وتخرق له العـــادة فيكون سيره بالطَّي وتنسحب البركة على جوارحه فيرى ويسمع ويبطش بالقدرة فهو عبد مأخوذ في الحق بالكليَّة ·
- **السر** : إن أصحاب السر هم الأصفياء الذين ورد فيهم الخير · أصحاب همـــم عالية صفى مقصدهم بصحة مسلكهم فأودعهم الله سراً فيه فكشف لهـــم الغطـــاء فـــرأوا السر الساري من الحق في مخلوقاته فيرون سر الأحـــراق المودع في النار وسر الإرواء المودع في الماء والسر الذي تقـــوم به المخلوقات ويحفظ عليها كيانها وتنفعل منها به صفاته المودعة فـــيها وهـــو إشارة للبركة التي تتنزل على أهل الذكر والصفاء فتميزهم بتخصيصهم عن غيرهم · والسر لا يباح به ولا يعرف إلا بإشارة خفية تشـــبه المعـــنى · وهـــو بين العبد و ربه وهو أمر ذوقي مسكوت عن الخوض فيه ·
- **الحـــال** : وارد يـــرد علـــى القلب من غير تعُّملْ أو تعمُّدْ لاجتلاب أو إكتســـاب ، وهـــو متغـــير لا ثبوت له وصاحبه في ترقٍ فإذا هجم على صـــاحبه ربمـــا تحصـــل له غلبة حال فيبدر منه ما يسمى بالحالة من

اضطراب للجسد ونطق اللسان ومثال ذلك ما طرأ على سيدنا جعفر بن أبـــي طالب(رضي الله عنه) عند ما أثنى عليه رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فخجل أمامه ولم يـــتمالك نفســـه · وربما تكلم بلسان حال يقال له الترجمة عن تلك الحال أســـرع مـــن اللســـان المعهـــود لسطوع النور الروحاني وخفاء الثقل الجسماني ·

- **المرقعة** : هي خرقة القوم وتكون بها رقع غير لونها الأصلي إشارة لذل الـــنفس وإنكســـارها ولا يطمـــع فيها ولا يخاف عليها من السطو وفيها مظهر من مظاهر الزهد لقلة قيمتها وتأديب للنفس باحتقارها بأمر الشيخ المـــريد باتخاذهـــا أو يعطيها له وتلبس عند الصادقاب خاصة يوم العيد فقـــط وتحديداً اليوم الثاني ولا يلبسونها بعد ذلك خشية التشوُّق وحتى لا ينظر لصاحبها بأنه من الفقراء الذين يجب احترامهم واحتشامهم ويؤمر بهـــا من بلغ درجة معينة من الزهد والعبادة بمعرفة الشيخ ولا يصنفّها المريد من تلقاء نفسه البتة ·
- **الغرقان** : (بالغين) : هو المجذوب في الله بالكلية ·
- **حجـــر الوعد** : حجارة صغيرة قرب المسيد يبدأ منها القادم كلمة التهليل وينهـــي عندها المسافر كلمة تهليله وهي مثل المواقيت في الحج إشارة لتعظيم شعائر الله من أماكن العبادة وعادة يكون التهليل برفع الصوت ·

الطرق الصوفية بالسودان

الطريقة الأحمديّة البدويّة المرازقيّة

هــي من الطرق الصوفية الكبيرة، لاتساع انتشارها في العالم الإسلامي وغــيره، وهي مسماة باسم مؤسسها الشيخ أحمد البدويّ بن السيد علي بن السيد إبراهــيم بن السيد محمَّد بن السيد أبي بكر بن السيد إسماعيل بن السيد على بن السيد عثمان بن السيد محمَّد بن السيد موسى بن السيد يحيى بن السيد عيسى بن السيد الهادي بن السيد محمَّد العطا بن السيد حسين بن السيد جعفر بن السيد علي الدبري بن السيد الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمَّد الباقر بن السيد على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على كرم الله وجهه.

وُلِدَ (رضي الله عنه) بمدينة فاس بالمغرب عام ٥٩٦هـ/١١٩٨م، كما ذكر الإمام المقريــزي، مكث بفاس سبعة أعوام، ثم خرج منها في صحبة والده قاصداً مكة المكرمة للحج، فحج وأقام بمكة تحت رعاية والده.

تعلــم بمكة، فحَفِظَ القرآن الكريم ودَرَسَ الفقه وعلوم الشريعة الأخرى، علــى مذهــب الإمام الشافعي، كما دَرَسَ الرياضة الروحية والعبادة، وفي مكة توفّي والده، فكان فقده عليه جللاً ولكنه صبر على ما أراده الله وقضاه.

غــادر مكة المكرمة إلى مصر التي اختارها له الله، لتكون منطلقاً لنشر طريقــته، وقد مرّ بالعراق، حيث قابل السيد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية، كما قابل السيد عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية.

وصل إلى مصر عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م، وفي مصر أقام بطنطا، التي التف حوله فيها النّاس فبشر بطريقته الأحمديّة البدويّة، فانتشرت في الآفاق.

اخــتاره الله إلى جواره في يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الأول عام ٦٧١هـ / ١٢٧٢م في طنطا عن عمر مقداره ٧٩ عاماً.

الشيخ مرزوق اليماني

هو الخليفة الأول للسيد أحمد البدويّ، المؤسس الأول للطريقة، وقد حمل الراية من بعده وبذل الجهد، مما جعل الطريقة تعرف بالطريقة الأحمديّة البدويّة المرازقيّة تيمناً باسمه جنباً على جنب مع الشيخ أحمد البدويّ.

وقد وُلد باليمن عام ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، من أسرة تنتمي إلى سيدنا الحسين (رضي الله عنه)، وتوفّى والده وعمره حوالي الحادية عشر عاماً، فكفلته جدته، وأحسنت تربيته وتعليمه فحفِظَ القرآن ودَرَسَ علوم الشرع، وكان عابداً ورعاً زاهداً.

وفي عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م، هاجر إلى مصر وهناك التقى بالسيد أحمد البدويّ، حيث أعطاه العهد فلازمه وحمل معه الراية، فصار خليفته الأول.

توفّى (رضي الله عنه) عام ٦٧٧هـ/١٢٧٨م بالقرب من مسجد جده السيد الحسين رضي الله عنهما.

دخول الطريقة الأحمديّة البدويّة المرازقيّة إلى السودان

دخلت الطريقة الأحمديّة البدويّة المرازقيّة إلى السودان مع دخول العهد التركي المصري، على يد الشيخ موسى بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسان بن الشيخ عبد الرحمن، وهو من مواليد قرية "ميت برّة" التي تقع بالقرب من مدينة بنها بمصر.

كان الشيخ موسى قد أخذ العهد عن الشيخ حسن شمس الدين شيخ السجادة الأحمديّة المرازقيّة بالعالم الإسلامي. فأجيز شيخاً للطريقة على "ميت برة" ونسبةً لورعه وصلاحه وعلمه وشهرته بين المشايخ بجمهورية مصر العربية فقد أختير إماماً لإحدى فرق جيش محمَّد علي باشا المتجهة لغزو

السودان فحضر للسودان وقد ظل الشيخ موسى إماماً للفرق المرابطة بطابية أبو عنجة بقيادة " فرج بك".

وعندما حاصر الإمام المهدي الخرطوم، برهن الشيخ موسى على حكمته ورجاحة عقله، فقد كتب للإمام المهدي وسلمه الفرقة، فقبل منه الإمام مبايعته، وألبسه الجبة المُرقعة بدلاً من الجبة الأزهرية، وبعد سقوط الخرطوم رجع الكثيرون من ضباط وجنود الفرقة إلى مصر، بينما ظل الشيخ بالخرطوم، فأسّس زاويته بحي الكاشف بأم درمان في عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، وواصل نشر الطريقة الأحمديّة البدويّ المرازقيّة، فتتلمذ على يده الكثير من المريدين منهم: الشيخ محمود الكنزي الذي صار خليفته الأول فيما بعد، وحاج عثمان والشيخ بابكر حامد الكنزي والشيخ على سالم وغيرهم.

وقد قام (رضي الله عنه) بإرشادهم، ونقلهم من حال إلى حال، حتى توفاه الله في عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

خلفاء الطريقة بالسودان وسندها

اجتهد خلفاء الشيخ موسى من بعده في نشر الطريقة الأحمديّة البدويّة المرازقيّة في السودان بفضل جهودهم، وعلى رأسهم الخليفة الأول للشيخ محمود الكنزي، وقد تولّى الخلافة من بعده ابنه الشيخ السيد محمود، ثم آلت الخلافة إلي الخليفة الحالي ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م الشيخ عبد الحفيظ.

أما عن سند الطريقة بالسودان، فقد تلقّى الشيخ عبد الحفيظ العهد الأحمدي الوثيق عن جده لأمه الشيخ السيد محمود، عن والده الشيخ محمود الكنزي، عن شيخه الشيخ موسى عبد الرحمن عن الشيخ حسن شمس الدين عن الشيخ أحمد حسن شمس الدين عن الشيخ محمَّد محمَّد شمس الدين عن الشيخ محمَّد مصطفى شمس الدين عن الشيخ محمَّد شمس الدين عن الشيخ محمَّد شمس

الدين حافظ عن الشيخ محمَّد شمس الدين عن الشيخ شمس الدين عن عشيش عن الشـيخ الحسـن الأفندي شمس الدين عن الشيخ الحاج شمس الدين العشيش عن الشـيخ أحمد حسين دادة عن الشيخ أحمد عن الشيخ إدريس عن الشيخ أحمد أبو الغايـات عـن الشـيخ أحمد الجبرتي عن الشيخ محمَّد شمس الدين النجدي عن الشـيخ جمال الدين عبد الله عن الشيخ عمرو وهو المشهور بالعالم جمال الدين عـن الشيخ عبد الله الأسيوطي عن الشيخ عمر الأشعث عن الشيخ مرزوق عن اليماني عن الشريف أبي العباس أحمد البدوي (رضي الله عنه) وهو عن علي بن الحسن وهو عن الشيخ جاد عن الشيخ محمَّد الشبراوي عن الشيخ عبد الرازق الأندلسي عن الشيخ طاهر عن الشيخ عبد القدوس عن الشيخ أحمد عن الشيخ محمود عن الشـيخ حبيب العجمي عن السيد الحسن البصري عن الصحابي عمر بن حصين عـن سيدنا أنس بن مالك عن سيدنا محمَّد (صلى الله عليه وسلم) وهو عن الأمين سيدنا جبريل عليه السلام عن المولى (سبحانه وتعالى) جل جلاله وعلا شأنه ولا إله غيره.

وقـد أجـيز الشيخ عبد الحفيظ نائباً عاماً عن الطريقة الأحمديّة البدويّة المرازقيّة بالسودان على يد فضيلة الشيخ العارف بالله تعالى عصام الدين الشيخ أحمـد شـمس الديـن شـيخ عموم السجادة الأحمديّة البدويّة المرازقيّة بالعالم الإسلامي مد الله في أيامه.

مشروعية اللون الأحمر

إن اللّون الأحمر هو شعار الطريقة الأحمديّة البدويّة المرازقيّة.

وللطـريقة سـندها ومشروعيتها في اختيار اللّون الأحمر، ففي روايات بعـض الصـحابة رضـوان الله علـيهم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يرتدي حلة

حمراء، وعن البرّاء (رضي الله عنه) قال كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مربوعاً، ولقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئاً أحسن منه "متفقٌ عليه".

وعن أبي جحفة وهب بن عبد الله (رضي الله عنه) قال "رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمكة وهو بالأبطح في قبة له حمراء من أدمٍ. "متفقٌ عليه".

الزاوية والطريقة الأحمدية

للزاوية أهمية قصوى في الطريقة الأحمديّة البدويّة المرازقيّة: فهي تهتم بالعلاقات الاجتماعية بين الأحباب والمريدين ومشايخ الطرق الصوفية فالمريدون والمحبون من الشباب والمسنين يتميزون بروح الترابط والتعاون بينهم وينطلقون من الزاوية بنشر الطريقة بالأحياء السكنية والمدارس والجامعات.

كذلك تقوم الزاوية بنشاطات روحية وعلمية تتمثل في حلقات الذكر وتحفيظ القرآن وتدريس الفقه وعلوم الشرع.

ويقوم بإحياء الليالي والمناسبات بقراءة كتاب دلائل الخيرات وقراءة المولد النّبوي الشريف وغير ذلك من الأذكار.

كذلك تقوم الزاوية بالاحتفالات السنوية بحولية السيد البدويّ، والشيخ موسى والشيخ محمود الكنزي والشيخ السيد.

الأحمدية الشوادفية الخلوتية

بمحلية واو، عاصمة ولاية بحر الغزال تنشط هذه الطريقة في الوفاء والقيام بدورها اجتماعياً ودينياً تحت أشراف شيوخ الطريقة مثل الشيخ بخيت محمَّد صالح جميل، عن الشيخ فرج الله السوداني عن الشيخ السيد أحمد الشوادفي. عن الشيخ علي العقباوي. عن الشيخ احمد الصاوي عن الشيخ احمد الدرديري. عن الشيخ محمَّد بن سالم الحفني .عن الشيخ مصطفى البكري عن

الشـيخ معـروف الكرخي ،عن الشيخ داؤود الطائي ،عن الشيخ حسن البصري عـن الإمـام علي أبن أبي طالب كرم الله وجهه (رضي الله عنه) تأسست الطريقة على الكـتاب والسنة والالتزام بالتقوى والآداب الإسلامية ويتم تنصيب الشيخ بإجماع المريديـن في الحضرة النبوية ومن خلالها يعلن الشيخ المربي أسم الشيخ المراد تنصـيبه . ثم يُلقن العهد ويلبس "الخرقة" ويبايع . أما الخليفة فبعد رحيل الشيخ بأربعيـن يومـاً يُعين "الخليفة" الذي ينعقد عليه رأي الجماعة والمقدمين والذي تتوفر فيه الصفات الموروثة من الشيخ الراحل ليسير على طريقه .

يحـتفلون فـي المولد بقراءة البرزنجي والذكر ،وفي الإسراء والمعراج يقومـون بقـراءة لوح الإسراء من المولد ،وفي رمضان يحتفلون بليلة السابع والعشـرين مـنه، ويخـرجون في العيدين بعد الصلاة " بزفة" التهليل . بجانب احـتفالهم بحوليات الطريقة . ولهم راية تتكون من الأحمر والأبيض والأخضر وآلات الإيقـاع : الـنوبة / والطـبل والـرّق والكـأس / وتستخدم في المولد والحوليات والمناسبات الدينية.

لهـم مسـجد بأسـم السيد البدوي (رضي الله عنه) ،وزاوية لتحفيظ القرآن بأسم الخليفة المرحوم خميس مرسال طه .

الطريقة الأحمدية الإدريسية بالسودان

ارتـبط دخـول الإدريسية للسودان بدخول السيد عبد المتعال بن الإمام أحمـد بـن إدريس وابنه السيد محمّد الشريف وذلك في مطلع عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م عندما وصلا إلى شمال السودان عن طريق مصر وهو في طريقه إلى صبيا باليمن "آنئذ" لزيارة قبر والده السيد أحمد بن إدريس (رضي الله عنه). إلا أن معرفة أهـل السودان بالإمام أحمد بن إدريس وبطريقته ومدرسته قد سبقت هذا التاريخ بكثـير. ذلك عندما زار السيد محمّد عثمان الميرغني السودان موفداً من أستاذه

السيد أحمد بن إدريس لنشر الإسلام والطريقة الإدريسية وذلك سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م وكذلك عن طريق الشيخ إبراهيم الرشيد الدويحي والشيخ محمّد المجذوب " رضي الله عنهم".

يقول الدكتورعبد المجيد عابدين في كتابه تاريخ الثقافة العربية في السودان " برز الأثر الحجازي في السودان أيام الحكم التركي بفضل حركة السيد أحمد بن إدريس المتوفّى سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م فقد كان معلماً دينياً في مكة وكان الزعيم الروحيّ لجماعة الخضرية وقد أرسل قبل وفاته أحد أتباعه وهو السيد محمّد عثمان الميرغني في رحلة إلى إفريقيا لينشر تعاليم الإسلام". ويقول دكتور عبد المجيد عابدين: " لم يقتصر أثر السيد أحمد بن إدريس على حركة محمّد عثمان وحدها بل كان من أثاره أن علّم عدداً من علماء السودان الذين أخذوا على يديه الطريقة في مكة ورجعوا ينشرونها في بلادهم نذكر منهم الشيخ محمّد المجذوب الصغير (١٢٠٥هـ-١٢٤٨هـ /١٧٩٠-١٨٣٢م) حفيد المجذوب الكبير مؤسس طريقة المجاذيب بالدامر وقد تلقى على أحمد بن إدريس وهو في مكة فلما رجع للسودان نشر الطريقة ولا سيما بين قبائل البجة. وكذلك الشيخ إبراهيم الرشيد المتوفى عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م تلميذ سيدي أحمد بن إدريس أيضاً والذي نشر الطريقة في السودان في بلاد شتى باسم الإدريسية وهكذا كان لطريق أحمد بن إدريس أثر واضح في السودان.

الطريقة الإسماعيلية

تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ إسماعيل بن عبد الله الملقب بالولى ، وهي أول طريقة صوفية سودانية ، ومؤسسها كان صاحب خلوة للقرآن مشتغلاً به ومتفرغاً له، وتلقى الفقه وأصوله على بعض علماء عصره ، حتى ذاع أمره في الأبيض ، والتقى بأستاذه بعد ذلك السيد محمّد عثمان الميرغني عندما جاء

للسودان موفداً من قبل أستاذه أحمد ابن إدريس ، ومبشراً بتعاليم الطرق الخمسة (نقشــجم) وهو يعبِّر في كثير من مدوناته عن أثر أستاذه وفضله عليه ، ويصفه بأنه بهجة الليالي والأيام ، لا زال السر فيه وفي ذريته إلى يوم الزحام ٠

وهــو بعــد أن يصور لقاءه بأستاذه الميرغني يذكر أنه بإشارة منه أخذ طريقــته الختمــية بكــامل أصــولها وفروعها وأورادها وأذكارها وما فيها من مجــاهدات بالرياضـــة والخلــوة والصيام والقيام والذكر ، مستوفياً كل شروط المكابدات ، وكان ذلك عام ١٢٣١هـ/١٨١٥م ٠

ويــبدوا أن إســماعيل الولــي كان قد بلغ درجة من التمكن في العبادة والتجربة الصوفية ، لأننا نراه يستقل بطريقته التي اشتهرت باسمه ، وهو يعلل ذلــك بأنه تلقاها من حضرتين إلهية ونبوية بحضور بعض الأقطاب ، ولكنه مع ذلــك ظل على ولائه ووفائه لأستاذه الميرغني وأثره فيقول " وأما طريقتنا التي هــي الطريقة الإسماعيلية فإنها حلوية لما اشتملت عليه طريقة شيخنا المعروفة بالختمية والطرق الخمسة المتقدمة من الأسرار والأفياض والإمداد وغير ذلك "٠

وللطريقة الإسماعيلية أوراد خاصة بها شأن أكثر الطرق الصوفية ، وقد وضــعت لغرس الفضيلة والمحبة وتزكية النفس من الرعونات ، ثم السير عبر المقامات حتى الشهود والذوق والكشف ٠

ويذكــر إســماعيل الولــي في مؤلفه **الطوالع الجلية في صفة الطريقة الإسماعيلية** أنه تلقى أوراده التي وضعها لتسليك المريدين وتواصل السالكين من الحضرة النبوية " فقد جعلتها ونشرتها وسلّكت بها فجعلت فيها أوراداً كريمة قد أخذتهــا من الحضرة الفخيمة " ، ثم يبين كيفية الخلوة لأهل طريقته وعدد الأيام ومــا يقوله الداخل في أول دخوله إلى حين شروعه في الأوراد المرتبة عليه في

لـيله ونهاره وقدر الأسماء وأعدادها ، ثم يضع آدابا للمختلي ، ويعتبرها وسيلة للظفر بالمقصود ٠

ولئن تفاوتت أيام الخلوة عند الصوفية قلة وكثرة فإن إسماعيل الولي أخذ باليسـير منها وحددها بثلاثة أيام فقط يعتزل فيها الناس إلا لضرورة ، مما يؤكد إدراكـه لدور الصوفي في الحياة ، فهو لا يفرض عليه عزلة كاملة وإنما أياماً محدودة لتزكية النفس من الرعونات والكدورات ٠

وأذكـار الطـريقة الإسـماعيلية كلها مستمدة من الكتاب والسنة ومعها الإكـثار مـن قـراءة القرآن ذلك من أهل الطريقة ٠ وهذه الأذكار منها الذكر الخـاص بالطـريقة وتقرأ بعد الصلوات الخمس وقراءة آية الكرسي والخواتم، وهناك العدة الصغرى والعدة الكبرى ، فضلاً عن راتبه الذي يُقرأ صباحاً٠

أمّـا الذكـر الألفـى كما ورد في مجلة لفيض نقلاً عن مصدراً سابق فيشـمل عشرة أسماء ، كل اسم منها يذكر مائة مرة ، وهي " اللهم صلى على سـيدنا محمَّـد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، أستغفر الله العظيم الـذي لا إلـه إلا هـو الحيّ القيوم وأتوب إليه ، لا إله إلا الله محمَّد رسول الله (ﷺ)، لا إلـه إلا الله الملـك الحق المبين، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك العظيم، سبحان الله والحمد لله لا إله إلا الله ، الله أكبر، قل هو الله أحد "٠

ومن فقه الطريقة الإسماعيلية الصلاة على النبي ، لأنها موصلة لله كما تبيـن مـن كـتابه **مفتاح باب الدخول في حضرة الله والرسول** وهناك الأوراد المسبقة ، وقد وضع لها كتاب **روضة السالكين** وحزب الأسير وهو في التوسل بأنبياء الله بعد صلاة العصر ، والتوسل بالجواهر الفاخرة في قضاء حوائج الدنيا والآخرة ٠٠

ومـــن ســـمات هـــذه الطـــريقة أنها لم تقتصر على الأحزاب والأوراد والصـــلاة والتوسلات وإنما عمد مؤسسها وابنه السيد محمَّد المكي على اللجوء إلـــى التألـــيف في مسائل الطريقة والسالكين والفيض الإلهي والمدح والأحاديث وبداية نشأة الطريقة وأصولها وكيفية صفة الطريقة وغيرها ٠

ولهـــذه الطـــريقة أعـــلام علماء من أبناء مؤسسها وغيرهم ، ولبعضهم مؤلفـــات تنتشـــر هذه الطريقة في الأبيض وكوستي والجزيرة والولاية الشمالية وبعـــض مناطق النيل الأبيض وفي أم درمان وهي مقرّها الآن ، ولها أتباع في بـــارا والشويحات وأبو زبد وللطريقة انتشار في جبال النوبة التي كان للطريقة فضل نشر الإسلام الذي حل محل الوثنية فيها ٠

وتـــتعدد مناحي هذه الطريقة ، وتُعْتَبَرَ المساجد والخلاوي وسائل لنشر القـــرآن وتعاليم مؤسسها ٠ وهناك جوامع مشهورة تنسب إلى السيد محمَّد المكي في أم درمان وأخرى في أم روابة والقطينة٠

ولهـــذه الطـــريقة مـــدارس ومعاهد دينية تسهم في تخريج العلماء منها مـــدارس منسوبة إلى مؤسسها في الأبيض يرونها من أعرق المدارس ٠ وينتشر خريجوها في مؤسسات الدولة مدرسة السيد محمَّد المكي في الأبيض ومعهد في كردفان لتدريس الفقه ، ومعهد مهني يحمل اسم السيد إسماعيل الولي ٠

الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية في كَسَلا

لهذه الطريقة وجود ونشاط في مجتمع مدينة كَسَلا تؤسس مع بقية الدور الصوفية بوتقة دينية يرتبط حاضر الطريقة بماضيها وتبدأ أصولها :

بأبي الحسن الشاذلي، ثم الشيخ إبراهيم القرشي الدسوقي، ثم الشيخ محمَّد عـــثمان عـــبده ثـــم الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمّد عثمان ثم الشيخ يس إدريس محمَّـــد، ثم الشيخ سعيد محمّد صالح ٠ تقوم على أسس وقواعد عامة هي الكتاب

والسنة والإجماع أمّا كيفية تنصيب شيخ الطريقة بالمنطقة فتعتمد على التنصيب مـن شـيخ الطـريقة بالسودان بالتشاور مع مجلس شورى الطريقة ٠ أمّا خليفة الشـيخ فيعيـنه الشـيخ بالسودان بتوصية من مجلس شورى الطريقة بكَسَلا ٠ وللطـريقة شروط معينة عند الانتماء إليها وهي الالتزام بالطريقة والاقتناع بها ومحاربـة الصـفرية والضـيلية وعـدم الارتباط بطريقة أخرى ، كما نجد أن للطريقة أوراداً وأذكاراً يقوم بأدائها المريد وهي ورد الأساس والبسملة مائة مرة بعد الصبح والعصر ، ولاستغفار بلفظه(يا دائم) ثلاثمائة مرة والصلاة على النبي مائة مرة والحضرة في يومي الخميس والأحد ٠ وهنالك الوِرْد الخاص بكل يوم ولـيلة وهو الصلاة على النبي والإخلاص ٣١٣ مرة والاستغفار ١١٣ مرة مع جزء يومي من القرآن٠

و الطـريقة تحـتفل بـالعديد من المناسبات الدينية كالإسراء والمعراج وليالـي رمضان والعيدين والمولد النبوي الشريف والحولية السنوية وتقدم فيها العديد من المدائح والمحاضرات والأذكار إضافة للاهتمام بوجبة الطعام الخاصة بهذه المناسبات، ويتم في هذه المناسبات عقد الزيجات الجماعية وإعطاء الطريق لكـل مـن يـريد ان يسلك الطريقة ٠ وللطريقة رايات معينة تستخدمها في هذه المناسـبات كعلـم الطريقة المكوّن من اللون الأخضر والأبيض والأصفر والتي ترمـز إلـى النبي(ﷺ) والحضرة والسيد أبو الحسن على التوالي ٠ ويذكر أن لهـذه الطريقة مجلس شورى بكَسَلا يتكوّن من مائة شخص ٠ وللطريقة حوالي ألـف مريد تقريباً من الرجال والنساء وتقدر نسبة النساء بحوالي ١٠% ويضم مجتمع الطريقة الأميين والشرائح المتعلمة من الجامعيين ٠

وتقـدم الطـريقة العديـد من الخدمات للمريدين في النواحي التعليمية والصحية مثل العلاج بالرقية الشرعية والأعشاب والاجتماعية مثل إصلاح ذات

البيــن والحكــم بيــن المتخاصــمين · كما ساهمت الطريقة في بناء العديد من المنشــآت مــثل مسجد وزاوية التجانية والمركز الثقافي الاجتماعي بحيّ العرب بمديــنة كَسَــلا ويعــد من أضخم المراكز حيث بنى على أساس أنه معهد عالي لدراسة العلوم الشرعية واللغوية ·

البرهانية الدسوقية الشاذلية ببحر الغزال

شــيوخ الطــريقة هم الشيخ عبدالله مرجان ، الشيخ عوض الله سرور، الشــيخ ضو البيت عبد الله ، الشيخ عبد الرحمن إبراهيم بله وهو الشيخ الحالي ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م· تقوم الطريقة على أسس الكتاب والسنة· ويتم تنصيب الشيخ فيها بالتراضي وتنصيب الخليفة بتعيين الشيخ وموافقة الجميع· وللطريقة أوراد معــروفه و يحتفلون سنوياً بالمولد· والحوليات والمناسبات الإسلامية كالإسراء والمعــراج وليالي رمضان والمولد النبوي الشريف والاعياد حيث يقدمون فيها الطعــام وهي مناسبة لتسليك المريدين في الطريقة· لهم رايات : اللون الأصفر للدســوقية والأخضــر للشاذلية· ولهم زاوية ويقيمون فيها الذّكر لتحفيظ القرآن وتدريس التفسير والحديث والسيرة ·

أحمد البدوي

شيخ العرب السيد أحمد البدوي القطب الملثم الصامت وأبو الفراج وأبو العــباس، وأبــو الفتــيان الغضبان صاحب الطريقة الأحمدية ولد في فاس سنة ٥٩٦هـــ/١١٩٩م وتوفى في طنطا سنة ٦٧٥هــ /١٢٩٦م وكان قد بلغها سنة ٦٣٦هــ/١٢٣٨م على الأرجح وعاش فوق سطوح دار ابن شحيط ومن ثم كان لقبه السطوحي أيضاً وكان في حالة وله دائمٍ كثير الغياب كما يقول مريدوه من الســطوحيين وذلك ما جعل الناس في حيرة من أمره فالتبس عليهم هل هو من الصــوفية أم أنّــه مجنون ، إلاّ أنّه بفضل أصحابه ومجاهداتهم مع عامة الناس

صـــار للطـــريقة الأحمدية اتباع كثيرون وكان لها أفضل الأثر في تاريخ مصر دينـــياً واجتماعـــياً واقتصادياً وفكرياً، تحولت بها طنطا إلى مدينة كبرى بعد أن كانـــت قـــرية صغيرة وصارت لموالد السيد البدوي كتابات لها أهميتها الفكرية ويـــبدو من القليل الذي تركه أن مواهبه العقلية كانت محدودة على غير المتوقّع لصاحب طريقة مشهورة كطريقته ومن ذلك حزبه الذي نصه:

بســـم الله الرحمن الرحيم ، لووا عمّا نووا ، فعموا وصموا عما طووا . ربِّ لا تزرنِ فرداً وأنت خير الوارثين. ((بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر كيف فعل ربك بأصـــحاب الفـــيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول)) اللهم أكفهم بما شئت اللهم أعوذ بك من شرورهم وادرأ بك في نحورهم بك أحاول ، وبك أقاتل . الله واقية كواقية الولـــيد بكهيعص كفيت. بحمعسق حميت ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ولا حـــول ولا قـــوة إلا بالله العليّ العظيم وصلى الله على سيدنا محمَّد النبي الكريم وعلـــى آلـــه وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله ربِّ العالمين". تلاوة هذا الحزب تكون في الصباح والمساء بعد تلاوة الفاتحة مائة مرة والصمدية مائة مرة.

ومـــن آثاره أيضاً الأوراد ، وتخصص الطريقة الأحمدية لكل ليلة ورداً وترتبط الأوراد بالصـــلوات الخمـــس، ومن آثاره كذلك الوصايا وهي تتوجه إلى خليفته عـــبد العال فيقول له فيها: يا ولدي أوصيك بتقوى الله في السرّ والعلانية وعليك بملازمـــة الســـنة والجماعـــة في كلّ وقت وبعد السلام من كل فرض تقرأ آية الكرسي مرة وسبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة والصلاة على النبي مائة مرة وتذكر الله ثلاثمائـــة مـــرة وأن قدرت على تلاوة ذلك عقب كلّ فرض كان مفتاح كلّ خـــير وإن لم تقدر فعقب الصبح والعشائين وإلاّ فكلّ يوم مرة على الدوام وإذا تأخـــرت عن التلاوة يوماً تعيد ما فاتك كله وقت القضاء ، فإن الأوراد مطلوبة

مـــن المـــريد. وكـــذا ملازمة صوم الاثنين والخميس لما في ذلك من الأحاديث الشريفة وأعلم يا ولدي أن صلاة ركعتين في جوف الليل خير لك من صلاة ألف ركعـــة بالنهار وأمّا ورد يوم الأحد فتقول عقب المفاتيح السابقة اللهم صلّ على ســيدنا محمّـــد الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة وخمسين مرة ثم تقول الحمد لله والله أكبر من مائة إلى ما لا نهاية كلّ بثوابه ويوم الاثنين سبّوح قدّوس مـــن مائة إلى آخر جهدك ويوم الثلاثاء سبحان القادر المقتدر كذلك أيضاً ويوم الأربعاء سبحان ذي الملك الملكوت ويوم الخميس سبحان الله وبحمده ألف مرة ، وهـــي بعتق رقبة كما ورد وفي يوم الجمعة الصيغة الأمية العدد السابق ويوم السبت لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم مائة مرة فقط.

ومـــن وصـــاياه أيضـــاً يا عبد العال إيّاك وحبّ الدنيا فإنه يفسد العمل الصـــالح كمـــا يفسد الخل العسل وأعلم يا عبد العال بأنّ الله تعالى قال في كتابه المكـــنون: (إنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون) يا عبد العال أشفق على اليتيم واكس العريان وأطعِم الجوعان واكرم الغريب والضيفان عسى أن تكون عـــند الله مـــن المقبوليـــن : يا عبد الله عليك بكثرة الذكر وإيـــاك أن تكون من الغافلين من الله واعلم أنّ كلّ ركعة بالليل أفضل من ألف ركعة بالنهار ، ولاتكن منكراً على فقراء المسلمين جميعهم. يا عبد العال أحسنكم خلقاً أكثركم إيماناً بالله تعالى، والخلق السيئ يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل.

والصلوات التي أورثها البدوي أتباعه توفّر على شرحها عبد الرحمن بن مصـــطفى العيدروس في كتاب له اسمه (فتح الرحمن) وتقول الصلاة الرئيسة :" اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمّد شجرة الأصل النورانية ولمعة القبضـــة الرحمانية وأفضل الخليقة الإنسانية وأشرف الصورة الجسمانية ومعدن الأســـرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية والبهجة

السنّية والرتبة العلية · من اندرجت النبيون تحت لوائه فهم منه والله وصلّ وسلم وبـــارك عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلقت ورزقت وأمت وأحييت إلى يوم تبعـــث من أفنيت وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين·" وتقرأ هذه الصلاة ألف مرة بعد صلاة الصبح لذهاب الفجر·

ومن الصلوات كذلك صلاة موجزة نصها: " اللهم صلّ على نور الأنوار وســـرّ الأسرار وترياق الأغيار ومفتاح باب اليسار سيدنا محمّد المختار وآله الأطهـــار وأصـــحابه الأخـــيار عـــدد نعم الله وأفضاله"· وقضاء الحاجات عند الأحمديـــة مـــرهون بقراءة الصلة الرئيسة بعد تلاوة سورة الإخلاص مائة مرة والتوسل بالسيد البدوي بعد قراءة حزبه ثلاث مرات·

وواضـــح أنّ طريقة السيد البدوي أخلاقية أكثر منها عرفانية ولعله لهذا يوصـــي مريديه بما أوصى به الحسن البصري مريديه : (الحلم والعلم والسخاء والشفقة والصبر والتقوى ، والفقر " التصوف" علاماته هي التي نبه إليها الإمام علـــيّ رضـــي الله عنه وهي: معرفة الله ، مراعاة أوامره ،والتمسك بسُنّة نبيّه ودوام الطهـــارة والرضا عن الله في كل حال واليقين بما عند الله ، والاياس مما فـــي أيدي الناس وتحمل الأذى والمبادرة لأمر الله والشفقة بالناس والتواضع لهم والعلم بعداوة الشيطان)· ومن كلامه التوبة النصوح هي الندم على ما مضى من الذنـــب والإقـــلاع عـــن المعصية والاستغفار باللسان والعزم على ألاّ يعود إلى المعصـــية والصـــفاء بالقلـــب فهذه هي التوبة النصوح التي أمر الله تعالى بها وذكرها في كتابه العزيز فقال : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) وسئل عن الذكر فقال: أن يكون بالقلب ولا يكون باللسان فقط، فإن الذكر باللسان دون القلـــب شقشـــقة· اذكر الله تعالى بقلب حاضر وإيّاك والغفلة عن الله تعالى فإنها تورث القسوة في القلب ،وسأله تلميذه ما حقيقة الصبر؟ قال الصبر الرضا

بحكــم الله تعالى ، والتسليم لأمر الله تعالى وأن يفرح العبد بالمصيبة كما يفرح بالفــرج يقــول الله تعالى "وبشّر الصابرين" · قال له التلميذ : قد فهمت ذلك فما حقيقة الزهد في الدنيا؟ قال مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية وأن يترك العبد سبعين باباً من الحلال مخافة أن يقع في الحرام، قال له التلميذ فما حقيقة الوجد؟ فأجــاب الوجد على أوجه أن يكثر ذكر الحق لا إله إلا هو، ومنها أن يقذف نور فــي قلب الذاكر من قبل الله تعالى فيقشعر منه جلده فيشتاق إلى المحبوب لا إله إلا هــو ويلحقــه من قبل الله تعالى الوجد ،فقال التلميذ ما حقيقة التفكير؟ قال : تفكــر في خلق الله وفي مصنوعات الله ولا تتفكر في ذات الله، وأوصيك يا عبد الله ألا تشــمت فــي مصيبة أحد من خلق الله تعالى ولا تنطق بغيبة ولا نميمة، ولا تؤذ من يؤذيك واعف عمّن ظلمك وأحسن لمن أساء إليك واعط من حرمك، يــا عــبد العال أتدري من هو الفقير الصادق؟ هو الذي لا يسأل أحداً إن أُعطي شكر، وإن منع صبر ، صابر لأحكام الله تعالى عامل بالكتاب والسنة·

والطــريقة الأحمديــة تقــوم علــى التنظــيم الهرمــي من قبل الخلفاء والمريديــن وقوامهــا كمــا قســم العمل فيها أيام عبد العال أربعة بيوت : بيت الفقــراء لكنّاســيه الذيــن يكنسون المقام كل سنة في المولد الأحمديّ وشيخهم فــي ذلــك الوقــت الشــيخ محمَّــد الســطوحي الكناس وبيت الفقراء المنايفة وكــان شــيخهم رمضــان الأشــعث الســطوحي وبيــت الفقــراء الســلامية والمــرازقة وكــان شــيخهم عمــر الشــنّاوي الأشعث وبيت الفقراء الأنيابية وشــيخهم يوســف الأنيابــي الســطوحي ، ولكــل شــيخ مــن هؤلاء مجلسه ومرتبــته ولــه أولــياء يــنوبون عــنه ويساعدونه وانتشر الشيوخ من تلاميذ الــبدوي فــي مصــر وخارجهــا وكان عبد العال صاحب البشر الأحمر هو أول الخلفــاء وهــو تلمــيذه مــن طفولته ويروي عنه أنّه لمّا قدم البدوي إلى

مصـــر مـــرّ بقـــرية فيشـــا المـــنارة وقـــد لحق عينيه ورم نتيجة الحرّ الشديد وكانـــت العـــادة أن يـــداوى المـــرض بأن توضع بيضة مسلوقة عليه ، وبحث الشـــيخ عمـــن يعطـــيه واحـــدة وكان هنالك أطفال يلعبون، فطلب منه أن يأتوه بواحـــدة وافـــق الطفـــل عـــبد العال أن يعطيه واحدة بشرط أن يعطيه الجريدة الخضـــراء التـــي معـــه فوافـــق وعـــاد عبد العال مخفقاً لأن أمه لم تجد بيضاً فـــي عشـــة الفـــراخ فطلـــب مـــنه الشيخ الرجوع إلى العشة فوجد فيها بيضاً كثـــيراً ومـــن يومهـــا وعـــبد العـــال يصحبه رغم أمه وظل معه حتى وفاته، وأشـــار علـــيه ببـــناء زاويـــة تكون مقراً للمريدين والأتباع وهي التي صارت فـــيما بعـــد المســـجد الأحمـــدي وعهـــد إليه بتنظيم أحوال الجماعة وكان يقول لـــه :اعلـــم يـــا عـــبد العال أنّ الفقراء كالزيتون وأنا زيت من لم يكن له زيت وعلـــيك يـــا ولـــدي بملازمـــة الفقـــراء وجبر خواطرهم وخواطر أولادهم ، فارفق بالكبير وأرحم الصغير وكن أديباً.

وأفـــردت إن للســـيد الـــبدوي والطـــريقة الأحمديـــة كتب عديدة منها **الجواهـــر الســـنية فـــي الكـــرامات والنســـبة الأحمديـــة** لعـــبد الصمد زين العابديـــن و **نســـب الـــبدوي** لأزبـــك الصـــوفي و**النصيحة العلوية في بيان حســـن طـــريقة الســـادة الأحمديـــة** لعلـــيّ الحلبـــي و**الـــنفحات الأحمديـــة والجواهـــر الصـــمدانية** لحســـن رشـــيدي المشـــهدي الخافجي و**السيد البدوي** لمحمَّـــد فهمـــي عـــبد اللطـــيف و **السيد البدوي: شيخ وطريقة** للدكتور سعيد عـــبد الفـــتاح عاشـــور و **الســـيد الـــبدوي** للدكتور عبد الحليم محمود و **حياة الســـيد الـــبدوي** لإبراهـــيم أحمـــد نور الدين ، وللأحمدية طريقتهم في انتساب المريد الراغب في ذلك.

الطريقة التجانية

القسم الأول

خاص بتعريف المصطلح وأصول وفروع الطريقة، شروط الانتماء للطريقة والخلافة والبيعة ووثيقة العهد.

تعريف المصطلح

اشتقت التجانية هذا الاسم من اسم قبيلة بربرية جزائرية كانت تقطن بالقرب من تلمسان وتسمى تيجانTIJAN وأجداد مؤسس الطريقة من جهة أبيه لم يكونوا تيجانيين ، لكن عندما حاول أحد الأجداد ويدعى محمّد، الاستقرار في واحة (عين ماضي) في جنوب الجزائر والتي كان يسكنها التجانيون تزوج من إحدى بنات هذه القبيلة فحصل على لقب التيجاني.

ولكن فيما يختص بالطريقة يقال " تجانية " وليس تيجانية" وبتشديد الجيم دون ياء كما يقال تجينية اسم طريقة صوفية كبرى أنشأها ورعاها السيد أبو العباس أحمد بن محمّد بن المختار بن سالم التجاني ١١٥٠هـ -١٢٣٠هـ/ ١٧٣٧م -١٨١٥م.

والتجانية كما جاء ذكرها في (موسوعة القبائل والأنساب في السودان) للبروفيسور عون الشريف قاسم هي طريقة صوفية منسوبة للشيخ أحمد التجاني المغربي ودخلت السودان حوالي منتصف القرن التاسع عشر.

أصول وفروع الطريقة التجانية

وفيما يختص بسند الطريقة التجانية وكما جاء في جواهر المعاني يقول الشيخ أحمد التجاني أنه قد أخذها عن سيد الوجود (ﷺ) يقظة لا مناماً ثم قال له (ﷺ)لا لأحد عليك من الأشياخ ورتب له (ﷺ) أوراده فصار من سيد الوجود جميع استمداده.

والمعلومـــات عــن الطريقة التجانية لا تشير بوضوح أن هناك أصولاً محددة للطريقة التجانية التي كونت في النهاية ما عُرف بالتجانية ،ولكن نجد أن هــناك بعض الطرق والأشخاص أثروا في فكر واتجاهات الشيخ أحمد التجاني وهي:

- الطــريقة الخلوتــية: وعلى الرغم من أن الطريقة الخلوتية كانت تتسم بالانقسام المستمر إلا إنها كانت واحدة من الطرق الرئيسة التي اعتمدت علــيها المدارس الصوفية وكانت أول زاوية للخلوتية تأسست في مصر علــى يد إبراهيم جولشني ذي الأصل التركي. وفي القرن الثاني عشر ظهــر بيــن المصــريين حــركة إحياء للطريقة وامتدت إلى الحجاز والمغــرب، ويعتــبر الشــيخ محمّد البكري رأس الخلوتية بمصر ومن أشياخ الخلوتية الشيخ مصطفى بن كمال الدين البكري وهو أحد أصول الطريقة السمانية ومن مشاهيرها الشيخ الدرديري المصري.
- أيضـــاً نجد أن الشيخ أحمد التجاني قد أخذ عن الولي الكبير الطيب بن إبراهيم العلي وأخذ عنه الكثير من الأسرار.
- كذلــك أخذ الشيخ أحمد التجاني عن الولي الصالح وصاحب المكاشفات محمّد الحسن الوانجلي.
- أيضـــاً التقى الشيخ أحمد التجاني بشيخ الطريقة القادرية بالمغرب وأخذ عــنه طــريق الشــيخ عــبد القادر الجيلاني ، إذن يتضح أن الطريقة القادريـــة هي واحدة من المحطات المهمة والمؤثرة في حياة الشيخ أحمد التجاني مع أنه تركها بعد ذلك.
- أيضاً أخذ الشيخ أحمد التجاني طريقة القطب الشهير أبي العباس الملقب بالعماري السحماس.

كمـــا التقى الشيخ أحمد التجاني الشيخ القطب محمَّد السماني المدني عند زيارته للمدينة المنورة وأخذ بعض الأسرار.

فروع الطريقة التجانية

ما يميز الطريقة التجانية هو أنها ليس لها فروع كالتي توجد عند الكثير من الطرق الصوفية الأخرى في السودان كالطريقة السمانية والقادرية ولكن كما جـــاء مـــن قبل فإن الطريقة التجانية دخلت السودان في حوالي منتصف القرن التاســـع عشـــر وبنهاية ذلك القرن كانت لها ثلاثة مراكز مشهورة هي مركز " خرسي" في كردفان ويقوم عليه أبناء الشيخ الدرديري الدولابي الركابي والثاني فـــي جزيرة أم جراجير، قرب شندي يقوم عليه محمَّد بن المختار الشنقيطي من بلاد الشايقية والثالث في دنقلا يقوم عليه الشيخ احمد عبد الرحمن والشيخ أحمد المهـــدي الســـوارابي. وفـــي عام ١٣١٦هــ/ ١٨٩٨م أنشأ الشيخ مدثر إبراهيم الحجـــاز مركـــزاً رابعاً بأم درمان للشيخ محمود ود البدوي ومن التجانية أيضاً بعض شيوخ الهاشماب يرجع طريقهم إلى الشيخ المختار ، وقد أسهم الكثير من هؤلاء الشيوخ في إنشاء معهد أم درمان العلمي وكان أول رئيس لزاوية التجانية هو الشيخ محمَّد البدوي نقد "١٢٣٦هــ/ ١٨٢٠م- ١٣٣٠هــ/١٩١١م" أصله من كـــردفان وتعلم بالأزهر وخلفه الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم ثم مدثر الحجاز ثم ابـــنه محمَّـــد المجذوب ، وانتشر مؤخراً ما عرف بالنياسية التجانية في كردفان ودار فور نسبة للشيخ إبراهيم نياس الكلوفي السنغالي.

تنصيب المشايخ والخلافة وإعطاء العهد والبيعة

للطريقة التجانية سلسلة واحدة تعود إلى المؤسس وليس من حق الأتباع إعطـــاء العهد لأي واحد بعد ذلك، إلا أنه يتم تعيين نواب في كل المناطق التي تنتشـــر فيها الطريقة والخلافة كما يقول الشيخ عمر بن سعيد القوني في كتابه "

الرماح" هي: " عبارة عن نيابة الشيخ الذي كان الخليفة ، خليفة عنه لكي يوصل إليهم الأذكار والأوراد وغيرها وما كان الشيخ يفعله".

والخلافة عند التجانية قاعدتها: " أن يكون أكبر الأحفاد سناً هو الخليفة بغض النظر عن تفوق بعضهم بالمعارف والمقامات.

وقد انجب الشيخ أحمد التجاني ابنين هما محمَّد الكبير ، وقد انتقل إلى رحاب ربه شهيداً في معركة أم عسكر و محمَّد الحبيب الذي تولى الخلافة بعد أخيه الكبير وقد أصبح نسله يحملون الخلافة إلى يومنا هذا ، والسادة الذين تقلدوا الخلافة هم:

- السيد محمَّد الحبيب بن أحمد التجاني توفى عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م.
- السيد الثيرين محمَّد الحبيب المتوفى عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م.
- السيد علال بن عمار بن محمَّد الحبيب توفى عام ١٣٣٨هـ/١٩١٨م.
- السيد محمَّد الكبير بن البشير بن حمد الحبيب المتوفى عام ١٣٥٠هـ/١٩٣٠م.
- السيد محمود بن البشير بن محمَّد الحبيب توفى في عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.
- السيد الطيب بن علال بن عمار بن حمد الحبيب توفى في ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- السيد علي بن محمود بن الشيخ محمَّد الحبيب توفى في ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- السيد عبد الجبار بن محمّد بن علال بن عمار محمّد الحبيب وهو الخليفة الحالي ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

وقد يسأل سائل لماذا لا تكون الخلافة العظمى لغير أولاد الشيخ؟

يجيب التجانية على ذلك من خلال الرأي الذي أورده الشيخ الحافظ التجاني في كتابه " الرسالة السادسة إلى جماعة الوحدة الإسلامية التجانية" حيث قال: " من كلام سيدي عبد الملك بن العلمي رضي الله عنه إننا إذا أردنا أن نجعل من أي شيخ من مشايخ الطريقة هو المرجع الأعلى لأهلها في شؤونهم الخاصة بالطريقة لتعذر ذلك لاتساع نطاق الأحباب في مختلف البلاد فقد يشتهر رجل في منطقة إلا أنه قد لا يُعرف في منطقة أخرى وبالتالي لن يكون له من الولاء ما للشيخ الآخر المعروف في منطقته ولكن فضل أبناء الشيخ متفق عليه بين أهل الطريقة.

الفرق بين الخليفة والمقدم

إن المقدم كما يقول الشيخ عمر القوني في كتابه " **الرماح**" هو من أمره الشيخ ، أو من أعطاه الأذن بتلقين الأذكار اللازمة مع بعض الأذكار التي يختص بها الخواص ومن له حد ينتهي إليه وتجب طاعة المقدم واحترامه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أما الخليفة فهو ليس كذلك بل هو أعلى من ذلك بكثير ، هو النائب عن الشيخ فلذلك كان المقدمون وتلاميذهم من جملة رعية الخليفة يجب عليهم طاعة الخليفة لأن وجوب الامتثال للخليفة وحرمة مخالفته تجب على جميع أهل الطريق، يستوي في ذلك من لقنه الخليفة أو من لقنه غيره لمرتبة الخلافة".

لماذا سميت الطريقة بالتجانية والأحمدية والمحمَّدية والإبراهيمية الحنفية

إن الطـــريقة التجانـــية يطلـــق عليها ما ورد ذكره من أسماء وكل هذه الأسماء أطلقها عليها الشيخ أحمد التجاني.

فأما وجه تسميتها بالتجانية فيعود إلى نسبتها لمؤسسها وهو الشيخ أحمد التجاني.

وأمـــا وجـــه تسميتها بالأحمدية لأن صاحبها اسمه أحمد فنسبت إليه. أو يقـــال: إنها طريقة شكر لكون القطب الذي عليه مدارها هو حمد الله تعالى على نعمـــه الوافـــرة بالوجه الأبلغ سميت أحمدية ، أو يُقال أنها سميت أحمدية لكون أذكارها المشتملة عليها مشتملة على أبلغ المحامد إما تصريحاً أو ضمناً.

وأما وجه تسميتها بالمحمَّدية فلكون جُل أورادها صلاة وسلاماً على سيد المرســلين محمّــد (ﷺ)، أو يُقال: أنها سميت محمّدية لأنها تدخل على سائر الطرق فتبطلها، وطابعها ينزل على كل طابع، كما أن شرع سيدنا محمّد (ﷺ) يدخل الشرائع فينسخها ولا يدخل عليه غيره، فلما شابهت الشريعة المحمّدية من هـــذه الحيثية سميت بالمحمّدية أو يقال : إنما سميت بالمحمّدية لأن جميع الطرق فـــي آخـــر الـــزمان تدخـــل هذه الطريقة بوعد صادق منه (ﷺ) لا يتخلف ، فشابهتها الشريعة المحمّدية من هذه الحيثية فسميت بالمحمّدية أو يقال إنّها سميت بالمحمّديـــة لان الله (سبحانه وتعالى) تفضل على أهلها بان جعل تضعيف حسناتهم بالنسبة إلـــى تضعيف حسنات غيرهم من أهل الطرق كنسبة تضعيف ثواب حسنات هذه الأمة إلى تضعيف حسنات غيرهم من سائر الأمم.

وأما أوجه تسميتها الإبراهيمية الحنفية فلأنها ناشئة عن الدائرة الفضلية التـــي مـــنها اتخذ الله إبراهيم خليلاً من الأزل قبل إيجاده وإيجاد الكون وما فيه

فلكون الله (سبحانه وتعالى) أحل أهلها في دائرة الفضل أولاً سميت بذلك أو يقال: إنها كما كانـــت طريقة اجتباء سهلة ، لا ضيق ولا حرج فيها ولا مشقة كانت إبراهيمية حنيفية اعتباراً بما أشار إليه قوله " ما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم".

شروط الطريقة الأحمدية التجانية

إن شـــروط الطـــريقة التجانية كما يذكرها أصحابها ،أربعون شرطاً . ويذكـــرون أن كـــل هـــذه الشـــروط لها شواهد في الكتاب والسنة وكتب السادة الصوفية وهذه الشروط جاء تقسيمها على النحو التالي:

أولاً: عشرون شرطاً تتعلق بالشخص الذي يأخذ الطريق.

ثانياً: الشروط الكمالية المتعلقة بالأوراد وهي عشرون.

ثالثاً: الشروط اللازمة المتعلقة بالأوراد وهي سبعة.

رابعاً: الشروط اللازمة المتعلقة بالشخص وهي ثلاثة.

وفي هذا الجانب سوف نتناول شروط الطريق والشروط اللازمة المتعلقة بالشـــخص. أمّـــا ما يختص بالشروط اللازمة والكمالية المتعلقة بالأوراد سوف نتطرق لها في القسم الخاص بالأوراد.

أولاً شروط الطريق

- أن يعـــرف الشخص التجاني سند شيخه ومن لا سند له في الطريق فهو دعى فيها على التحقيق.
- أن يحـــافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها وفي الجماعة إن أمكن.
- ان يأتـــي بالبســـملة فـــي جمـــيع الصلوات ويجهر بها في الفريضة الجهرية.

- أن يطمئن في الركوع والسجود بقدر قوله سبحان ربي العظيم ثلاثاً.
- أن يتهجد ولو بركعتين يقرأ فيهما ما تيسر من القرآن.
- أن يلازم رواتب الفرائض.
- أن يكون صادقاً في أقواله غير كاذب في شيء منها.
- أن يبر والديه لأنهما السبب في إنشاء الإنسان ووجوده في الدنيا.
- أن يداوم على كمال محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات.
- أن يحترم كل من كان منتسباً إلى الشيخ ولا سيما الكبار من أهل الطريقة.
- ألاّ يؤذي أخاه في الطريقة.
- أن يعظم جميع أولياء الله لأنهم أحباب الله.
- أن يتودد إلى خلق الله ولا يقاطعهم لا سيما إخوانه في الطريقة.
- أن يبغض من يبغض الشيخ ولا يجالسه ويحب من يحبه ويتخذه صديقاً ولو لم يكن من أهل الطريقة.
- أن يعتقد ويسلم بكل ما ورد عن الشيخ.
- ألاّ ينتقد الشيخ في جميع أقواله وأفعاله لأن انتقاد المريد شيخه يجلب له الهلاك.
- ألاّ يأمن مكر الله في حال من الأحوال.
- ألاّ يخبر من لم يكن أخاه في الطريق بحقيقة ورده لأن أوراد الشيخ هي أسرارهم والسر لا يذاع لغير أهله.

- ألاّ يتهاون في الورد فلا يؤخره عن وقته إلا لعذر.
- ألاّ يعطي الورد من غير إذن صحيح.

الشروط اللازمة المتعلقة بالشخص

إن الشروط اللازمة المتعلقة بالشخص ثلاثة وهي:

١- ألاّ يزور أحداً من الأولياء الأحياء منهم والأموات إلا الأنبياء والصحابة والإخوان في الطريق.

٢- أن يكون خالياً عن ورد من أوراد المشايخ او منسلخاً عنه إن كان موجوداً غير راجع إليه أبداً.

٣- ألاّ يترك الورد بعد أن أخذه ، قال في الجواهر وكذلك : إنّ من الشروط اللازمة في الأحمدية مداومة الورد إلى الممات.

وحري بنا أن نذكر أن الطريقة التجانية تختلف عن بقية الطرق الصوفية الأخرى حيث إنّها ليست لها طقوس في تنصيب المشايخ وإنّها تركز على الذكر الهادئ كما أسلفنا من قبل.

ثالثاً: أوراد التجانية

إن أوراد الطريقة التجانية إذا ما نظرنا إليها من حيث اللغة نجدها تمتاز بحسن الصياغة في الأداء وعمق في المعاني وهي مجموعة تحت عنوان أحزاب وأوراد التجانية للشيخ أحمد التجاني وقد نشرت عام ١٣٤٠هـ بالقاهرة.

وتنقسم الأوراد إلى أقسام عديدة منها أوراد لازمة ، وأوراد اختيارية و أوراد مطلقة وأوراد للخواص وأوراد لخواص الخواص ، ولكن أشهر الأوراد وأكثرها عموماً هي الأوراد اللازمة والمتواتر عند التجانية وكما جاء على لسان مؤسسها الشيخ أحمد التجاني: أنه أخذ سند طريقته عن المصطفى (ﷺ) يقظة لا مناماً وأنه (ﷺ) رتب له كافة أوراده فصار استمراره وحياً من سيد

الوجود· وللأوراد شروط عند التجانية قسمت إلى شروط لازمة وشروط كمالية، ومن خلال هذا التقديم الخاص بالأوراد فقد اتضح الشكل العام لأوراد التجانية· وسوف نتطرق إلى شرح كل ما ذكرناه بالتفصيل·

- الأوراد اللازمة حدودها وصيغها

وهي الأوراد اللازمة صباح ومساء:

١- استغفر الله ١٠٠ مرة·

٢- الصلاة على النبي بأي صيغة ١٠٠ مرة، لكن الصلاة عندهم أفضل إذا كانت بالصيغة الفاتحية ونصها بصيغتها كالآتي: " اللهم صلِ على سيدنا محمَّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم حق قدره ومقداره العظيم"·

٣- الكلمة المشرفة : " لا إله إلا اله " ١٠٠ مرة·

- أيضاً من الاوراد اللازمة والتي تكتسب أهمية كبرى عند التجانية ما يُعرف بالوظيفة وهي في اليوم مرة واحدة وحدودها:

أ/ استغفر الله ٣٠ مرة " استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي الغيوم"·

ب/ الصلاة الفاتحية ٥٠ مرة (سبق ذكرها) ·

ج/ الكلمة المشرفة ١٠٠ مرة " لا إله إلا الله"

د/ جوهرة الكمالَ ١٢ مرة ونصها " اللهم صلِ وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ، نور الأكوان المتكونة ، الآدمي، صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرياح المالك لكل متعرض من البحور والأواني ، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني " الأماكن" · اللهم صلِ وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروس الحقائق ، عين المعارف الأعظم ، صراطك التام الأكرم ، اللهم صلِ

وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم ، إفاضتك منها إليك إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه".

- ومن الأوراد اللازمة أيضاً ذكر لا إله إلا الله ، أو الذكر المفرد الله..الله (١٥٠٠ مرة أو ١٦٠٠مرة) ووقته مساء يوم الجمعة فقط.

الأوراد الاختيارية

ويشترط فيها إذن خاص ، فمنها ياقوتة الحقائق بالتعريف بحقيقة سيد الخلائق.

ومن الأوراد الاختيارية المطلقة : تبدأ " الله الله الله .. " " اللهم أنت اللهم.. الذي لا إله إلا أنت العلي .. إلى آخر النص.

" اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندى من عملي " ثلاث وثلاثون مرة صباح ومساء".

أيضاً من الأوراد المطلقة استغفار الخضر رضي الله عنه

" الله إني استغفرك من كل ذنب تبت إليك مني ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم أوف لك به واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطني فيه غيرك واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته في ضياء النهار أو سواد الليل في ملأٍ أو خلاءٍ أو سراً أو علانية يا حليم " يقرأ في الصباح والمساء بقدر الطاقة.

- أيضاً من الأوراد الخاصة الحزب السيفي وأوله " اللهم أنت الله الملك الحق المبين القديم المتعزز بالعظمة والكبرياء ..إلخ، ولم يسعنا استكماله لكثرته وأيضاً حزب البحر وحزب التجاني وهذه الأوراد لا تعطى إلا للخواص " أعني الأوراد الثلاثة الأخيرة".

- أيضاً من الأوراد ما يسمى بالأسماء الإدريسية والتي أولها " سبحانك لا إله إلا أنــت يــا رب كــل شيء ووارثه ورازقه وراحمه واحد وأربعون اسماً وآخــرها يــا غياثي عند كل كربة ومجيبي عند كل دعوة ومعاوني عند كل شدة ويا رجائي حين تنقطع حيلتي ياغياث.

إن المــتأمل لأوراد التجانية يلاحظ بكل وضوح إحكام الصياغة وعمقها وأداءها القوي وأسلوبها المحتشد بالصور الكثيرة الجياشة وهو أسلوب قريب من أسلوب ابن عربي، وفي الواقع إن هذا العلو البياني تشترك فيه التجانية و السمانية وإن ذلك ما يؤكده النص التالي من الأوراد الاختيارية:

الله الله الله ..

اللهــم أنــت الله الذي لا إله إلا أنت العلي في عظمة انفراد مقره أحاديثك التي شئت فيها بوجود شؤونك.. إلى آخر النص.

وكمــا ذكــرنا فإن أوراد التجانية تعلو طبقة طبقة ولا يدخلها إلا المختصون بها ولعلهــا أرادت بذلك أن تضع أوراداً للعوام ثم الخواص ثم لخواص الخواص ، وممــا يلاحظ في أورادهم في أصول عقائدهم في التوحيد وحقائق الذات الإلهية وفــيها يقول الشيخ التجاني الكبير" لم تُعن في قوتك ولم تشارك في ألوهيتك ولم تعلــم لك ماهية ، فتكون للأشياء المختلفة مجانساً ، ولم تُعاين إذا حبست الأشياء علــى العــزائم المخــتلفات ولا فرقت الأوهام حجب الغيوب إليك فاعتقد منك محدوداً.

والمــتأمل فــي أوراد التجانــية يجــد كثيراً من النصوص القرآنية مثل الفاتحة والمعوذتين والصمدية وسورة الكافرون والقدر والإخلاص وآخر سورة الحشر " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خش[ية] الله".

والجديـــر بالذكر أن أوراد التجانية وما تتضمنه من معان عميقة تشابه إلـــى حـــد كبـــير ما ورد في أحزاب المفتي واليماني ، والبحر ، وما ورد في الأسماء الإدريسية ، مما يؤكِّد صلة التجاني والتجانية بالروائع القديمة.

شروط الأوراد

المتواتر عند الطريقة التجانية أن للأوراد شروطاً وقسمت هذه الشروط إلى شروط لازمة متعلقة بالشخص التجاني وشروط كمالية متعلقة بالأوراد.

أولاً: الشروط اللازمة المتعلقة بالشخص وهي ثلاثة شروط

١- ألاّ يزور أحداً من الأولياء الأحياء منهم والأموات إلا الأنبياء والأخوان في الطريقة.

٢- أن يكـــون خالـــياً عـــن ورد من أوراد المشايخ أو منسلخاً عنه إن كان موجوداً غير راجع إليه أبداً.

٣- ألاّ يترك الورد بعد أن أخذه ، قال في الجواهر وكذلك إلى أن الشروط اللازمة في الأحمدية مداومة الورد إلى الممات.

ثانياً: الشروط الكمالية المتعلقة بالأوراد وهي عشرة

- الجلـــوس لقراءة الورد بتأدب وخشوع بأن يضع راحتيه على فخذيه ويغم عينيه مطرقاً برأسه إلى وسط حجره.
- استقبال القبلة عند تلاوة الورد والوظيفة والهيللة إلا في السفر.
- استحضـــــار صورة الشيخ رضي الله عنه حالي قراءة الأوراد والاستمداد منه.
- استحضـــــار معنى ألفاظ الذكر إن كانت له القدرة على فهمها وإلا فليسمع نفسه ألفاظ الذكر وينصت لها بغاية جهده ليصل له النفع بذلك.

- افتـتاح الأذكار بالمقاصد المعهودة عند أهل الطريقة وكيفية العمل عليها أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقرأ الفاتحة " وصلاة الفاتح لما أغلق" مـرة ثـم "سـبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمـد لله رب العالميـن" ثم يتلو آية متضمنة الأمر بالاستغفار كقوله تعـالى " ومـا تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله أن الله غفور رحيم " الخ الورد" فإن أراد الاختصار في المقاصد فليقل في أول كل ذكر من الأذكار الثلاثة " الورد والوظيفة والهـيللة" اللهم أني نويت بتلاوة هذا الذكر كذا ثم يتعوذ ويتبسمل ويقرأ الفاتحـة وصـلاة الفاتح مرة ويشرع في الذكر إلى أن يختم وفي كل من الاختصار والتطويل يقول بعد الفراغ من صلاة الفاتح " سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، الآية وبعـد الفـراغ من الهيللة يقول اللهم صلى على سيدنا محمد (ﷺ) إلى آخر ما مر ثم يدعو بما شاء له ولإخوانه من خيري الدنيا والآخرة.
- الإسرار في قراءة الورد ، وكذا الوظيفة والهيللة أن لم تكن مع جماعة.
- ترتيل الأوراد بأن لا يسرع في قراءتها ولا يلحن فيها.
- السكوت والسكون عقب الأوراد
- عـدم الأكل والشرب عقب الفراغ من الأوراد مباشرة إلا لضرورة كشدة الجوع والعطش.
- الاجتماع للوظيفة ولذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة إن كان مع إخوانه إلا لعذر شرعي.

الطريقة التجانية بولاية غرب بحر الغزال

شـــيوخ الطـــريقة التجانية بهذه الولاية هم: الشيخ فؤاد رتشارد والشيخ حسن مبروك والشيخ عبد الله سلمان والشيخ ضحية والشيخ أحمد التجاني.

يتم تنصيب الشيخ بالنظر إلى نسبته وبيد المشايخ ويتم تنصيب الخليفة بإجمـــاع المشـــايخ والمقدّميـــن. لهم أوراد معروفة بعد الصلوات ويحتفلون في الأعـــياد والحولـــيات والمناســـبات الدينية كالإسراء والمعراج والمولد وليالي رمضـــان يقدمـــون فيها الطعام للمريدين ويعقدون الزيجات الجماعية ومناسبة لتسليك الراغبين في الانضمام للطريقة. علَم الطريقة يتكون من اللّونين الأصفر والأبيض ومستطيل الشكل.عدد المريدين في المنطقة حوالي "ألفين" منهم مائتان وخمسون من النساء وخمسمائة من الشباب. وزوّار الطريقة من داخل وخارج الســـودان عبارة عن شيوخ الطرق الصوفية ومريدو التصوّف ، لهم مسجد في حـــي "فلاّتة" بمدينة واو به خلوة لتحفيظ القرآن وحلقات للفقه والحديث والسيرة والتفسير.

بالولايـــة نشـــاط دينـــي معتبر حيث تلعب الطرق الصوفية فيها الدور الفعّـــال، منها الطريقة التجانية بشيوخها الذين تناقلوها خلفاً عن سلف مثل الشيخ مجذوب مدثر عن الشيخ أحمد سكورج، عن الشيخ أحمد العبداللاب، عن الشيخ علـــي التماسلي، عن الشيخ السيد أحمد التجاني عن جده رسول الله(ﷺ)، هذا وقد تأسست الطريقة على الكتاب والسنة .

أمّـــا تنصـــيب الشـــيخ فيتمّ بإجماع المريدين في المنطقة ، وأمّا الخليفة فيُنصّب بعد تزكية الشيخ .

تحتفل الطريقة سنوياً بالحولية و الإسراء والمعراج بقراءة السيرة النبوية وفــي رمضــان يقــام الليل · وفي المولد النبوي يحتفلون بقراءة مولد (إنسان الكمال) وفي الأعياد بقراءة (دلائل الخيرات) ·

للطــريقة التجانية خلوة ومسجد بحيّ (كلفايو) ومسجد عمر بن الخطاب تحــت التشيّيد · للطريقة أيضاً ستة فروع بالولاية وفرع واحد بالمحافظة · عدد المريدين فيها مائتان وألف مريد منهم مائتان من النساء وثلاثمائة من الشباب ·

يــزور الطريقة أفراد من شيوخ الطرق الصوفية والمريدين من خارج السودان وداخله·

وتُقَدَّم للمريدين وجبة طعام أثناء الذكر وهناك دراسات في السيرة والفقه والتفسير ·

الطريقة التجانية بولاية بحر الجبل

ولايــة بحر الجبل، إحدى ولايات جنوب السودان، وهي المعروفة قديماً بالاســتوائية وعاصمتها الآن مدينة جوبا وتنشط فيها الطريقة التجانية التي على رأسها الشيخ سعد أبو بكر·

ســلك عليه الطريقة عدد من الرجال والنساء والشباب والشيوخ في تلك المــنطقة يــتفاوت مستواهم التعليمي ما بين الأمية ودراسة الخلاوى، وتقدم لهم دروس في القرآن وعلوم السنة·

وللطــريقة مســاهماتها في إصلاح ذات البين والزيجات الجماعية· أما الشيخ سعد أبو بكر شيخ الطريقة فقد ولد في العام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م· وقد مرّ بفترات انتعاش خاصة في الثمانينيات وأوائل التسعينيات· ولقد دَرَسَ بهذا المسيد طــوال هــذه الفترة ما يقارب المائة والستين طالباً منهم من حفظ القرآن الكريم ومنهم من ختمه فقط·

الطريقة التجانية بقرية الشيخ عباس

أول من ادخل الطريقة في المنطقة بقرية الشيخ العباس بولاية نهر النيل هو الشيخ أحمد الهدي الشيخ محمَّد أبوزايد · حيث أخذها تلقيناً من الرسول (ﷺ) حسب الرواية الشفاهية المتداولة ثم جددها عن كثير من أبناء الشيخ التجاني · وخلف بعده الشيخ محمَّد مشو الذي أخذ الخلافة عن الشيخ الهدي العباس · ومن بعده الشيخ عبد الله بن الشيخ العباس وبعد وفاته أخذ الخلافة الشيخ علي عبد الله بن العباس وهو الخليفة الحالي ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م·

عدد المريدين حوالي الثلاثة الآلف ينتمون إلى منطقة الجزيرة والشرق ودنقلا ومنهم الشيخ علي البشير كمر الجعليين والشيخ علي التجاني بأم درمان ومستواهم التعليمي ما بين الخلوة والجامعة ·

للطريقة مسجد وخلوة قرآنية وديوان للضيوف يحتفلون بالأعياد والمناسبات الدينية ولهم احتفال خاص في شهر (صفر) أسوة بالشيخ التجاني ومن خدمات الطريقة للمريدين أيضاً الأوراد والأذكار وتحفيظ القرآن ودراسات في التفسير والفقه والحديث والسيرة يقوم بها مقدم الطريقة والعلماء كما يقومون بإصلاح ذات البين والزيجات الجماعية ويزورهم المريدون وبعض خلفاء الطرق الأخرى·

ومن الذين أخذوا الطريقة على الشيخ الهدي · على سبيل المثال :

- الشيخ محمَّد مشو – حجر الطير ·
- الشيخ حاج البشير – كمر الجعليين – الجزيرة ·
- الشيخ علي التجاني (التجاني) – أم درمان ·
- الشيخ الرضي – الدبيبة – مركز مروي ·
- الشيخ الفضل نابري – الشمالية ·

- الشيخ محمَّد الشمباتي – الشمالية ٠

الطريقة التجانية بالدندر

يذكر أن الطريقة التجانية في مدينة الدندر دخلت في حوالي عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م على يد الشيخ عبد الله محمَّد علي في قرية آدم تاجر بمنطقة أم فروع شرق الدندر بولاية سنّار حيث أقاموا لهم مسجداً وزاوية خاصة بالطريقة ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى داخل الدندر في الحيّ الشرقي حوالي عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م على يد الشيخ عبد الله عمر حين كان مقدماً للطريقة هنالك ٠ ثم الشيخ عبد الكريم عثمان آدم عام ١٩٥٤م ثم الشيخ الفكي مختار عبد السلام عام ١٩٦٣م ثم الشيخ يوسف عمر ١٩٧٣م ثم الشيخ إبراهيم موسى عام ١٩٨٤ م وأخيراً الشيخ الأمير عبد الوهاب أحمد عيسى(أبو دقن) منذ عام ١٩٨٢م وحتى الآن ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ٠

كما ذكر أنه قد سلك في هذه الطريقة عدد كبير من سكان منطقة الدندر من الرجال والنساء يقدر عددهم بحوالي خمسة آلالف نسمة تتراوح مستوياتهم التعليمية بين الأميّ ومُتَعَلِّم الخلاوي والمدارس والجامعات٠

وتقدم الطريقة الكثير من الخدمات للمريدين ففي الناحية التعليمية أسَّست الخلاوى لتعليم القرآن والعلوم الإسلامية مثل التفسير وعلوم الحديث والسيرة كما تقوم بإنشاء الزوايا المنتشرة في أجزاء كثيرة من منطقة الدندر والتي لها دور في أداء العبادات والذكر والتي منها :

- زاوية الشيخ أحمد التجاني بالحيّ الغربي ٠
- زاوية الشيخ محمَّد علي تكر بالحيّ الغربي ٠
- زاوية الشيخ محمَّد علي تكر بالحيّ الشرقي ٠

كمـــا نجـــد أن هنالك مسيداً للطريقة في الحيّ الشرقي يؤدي نفس هذه الوظائف وفي الناحية الاجتماعية يقوم الشيخ بحل المشكلات الاجتماعية الناتجة عن النزاعات الأسرية والزراعية والرعوية ٠

شيخ الطريقة التجانية بالدندر

هو الشيخ الأمير عبد الوهاب أحمد عيسى (أبو دقن) ويذكر أنه ولد في عـــام ١٣٦٣هـــ/١٩٤٣م بالدندر وبدأ حياته العلمية بحفظ القرآن بخلوة البلدة ثم أم ضـــوّابان بولايـــة الخرطوم ثم أكمل الثانوي العالي وقد دَرَسَ الفقه والسيرة والحديـــث على يد الشيخ عبد الكريم عثمان آدم وهو من خريجي الأزهر ٠ وقد كـــان الأمير عبد الوهاب مقدماً بالطريقة ويقوم بتدريس المريدين العلوم الفقهية والســـيرة النبوية وإمام المسجد للصلوات الخمس والجمعة ٠ وقد دَرَسَ على يده العديد من الشيوخ منهم الشيخ ثاني عبد المؤمن بكَسَلا ، والشيخ أبو بكر عثمان بالسوكي ٠

واجتماعياً فهو متزوج من اثنتين وله ثمانية أبناء ٠

فرع الطريقة التجانية بغرب كردفان

دخلت الطريقة التجانية مدينة الفولة عام ١٣٧٠هـــ/١٩٥٠م تقريباً وأوّل زاويـــة لها هي زاوية المقدم الشيخ الملقب بـــ(أبو المدينة) في حيّ النيل وبعدها بـــنى الشـــيخ بشير زاوية الحيّ حوالي عام ١٩٦٦م ، وبزيارة الشيخ ابن سالم انتشرت الزوايا ، وعدد مريدي الطريقة حوالي خمسة آلاف من الرجال والنساء متفاوتـــي الأعمـــار ومختلفـــي المستوى التعليمي ، عدد الزوايا التجانية بمنطقة الفولـــة أكثر من عشرين زاوية وبعضها به خلاوى لتحفيظ القرآن ودراسة الفقه والنحو والتجويد والحديث الشريف ٠

تقــام فــي الــزوايا حولية سنوية في شهر رجب من بالأذكار الخاصة بالطــريقة ٠ تُمــول الأنشــطة فــي هــذه الزوايا بالتكامل والتعاون بين المقدم والمريدين٠ وقاموا بتأسيس مسجد (بلال) بحيّ الأمان ومسجد حيّ النيل ومسجد وزاوية التجانية بالحيّ نفسه ٠

الطريقة التسعينّية

الطــريقة التسعيّنية طريقة سودانية إلاّ إنّها أُستمّدت من عدّة طرق كانت لهــا بمــثابة المرجعية والأصول فهي نسيج من السمانية والقادرية والشاذلية و الختمية و التجانية ٠

ولــد الشيخ محمَّد عثمان منير منشئ ومؤسّس الطريقة التسعينية بقرية الجيلــي عــام ١٣١٠هـــــ/١٨٩١م ، ودرس بخلوتهــا أربعة أيام فقط ثم تلقى العــبادات من الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ الطيب البشير الذي أخذ من الشيخ السّماني بالمدينة المنورة وإليه تنسب الطريقة السّمانية ٠

وتذكــر الــروايات انّ الشيخ محمّد عثمان منير قد حصلت له في بداية عمــره وقبل السياحة بعض المواقف الغريبة التي تشير إلي صلاحه والذي دفع أســتاذه الشــيخ عــبد القادر بأن يهتّم به ويتنبأ له بدور عظيم في المستقبل وقد حصل٠

له من الأبناء الشيخ حسن وهو الابن الأكبر ويليه الشيخ علي وهو أول خليفة للشيخ عثمان و أول خليفة في الطريقة ثم الشيخ أبو القاسم ثم الشيخ الزبير ثــم محمَّد الذي توفّى في شبابه حافظا للقرآن ويليه شيخ النذير ويليه شيخ محمَّد نور ٠

وبعد أن أكمل الشيخ محمَّد عثمان عامه السابع عشر ،غادر الجيلي طالبا السياحة حتى وصل جبل أم كردوس شرق نيالا بغرب السودان مبتعدا عن الناس

لا يجتمع بهم قطّ ، وظلّ يتعبّد بهذا الجبل الذي يشبه البيضة ولم يصعد فيه أحد غيره · وقد نسبت له كرامات أثناء وجوده في هذه المنطقة ·

وعـاد من هذا الجبل ليستقّر بالنيل الأبيض وبدأ يسلّك جميع الطرق ، القادّرية ، السّمانية ، الاحمدية ، الشاذلّية ، الختّمية ، التجانّية ·حتى سمح له بان يسلّك الطريقة التسعينية بأمر من الرسول(ﷺ) في قرية عراديب ود نور الدائم حوالـي عـام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م وكان عمره آنئذٍ أربعة وعشرين عاما بعد سـياحة دامـت سبع سنوات· وقد استقّر بها ثلاثين عاما وبعدها انتقل إلي قرية التسـعين مقـر أجـداده وعاش بها ثماني سنوات· انتقل إلى جوار ربّه سنة ١٣٧٦هـ /١٩٥٧م رحمه الله ·

نسب الشريف محمَّد عثمان منير محيي نار الطريقة التسعينية

هـو الشـيخ محمَّد عثمان بن منير بن الشيخ علي بن أحمد بن منير بن مكي بن النذير بن عبد النورين بضويو بن عز الدين بن جماعة بن منصور بن جمـوع بن الملك غانم بن الملك حميدان بن صبح بن مرخ بن مسمار بن سرار بن كردم بن أبو الديس بن بضاعه بن مسروق ابن حرقان بن محمَّد اليماني بن أحمـد الحجـازي بن إبراهيم جعل بن إدريس بن قيس بن يمن ابن الخزرج بن كرب بن عدنان بن هاطل بن ياطل بن ذو الكلاع الحميري نسبا لامه من حميد بـن سعد الأنصاري نسباً لامه من الأنصاري بن الفضل بن عبد الله بن العباس عـم الرسول(ﷺ) بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بـن مّره بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن خزيمة بن مدركه بن اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ·

حياة الشيخ علي عثمان منير

ولـــد الشيخ علي بن الشيخ محمَّد عثمان منير في قرية عراديب ود نور الدائـــم بالنيل الأبيض تلقى تعليمه الابتدائي بالكّوة وبعد أن أتمّ المرحلة الابتدائية خرج إلى السياحة منقطعاً لله تعالى .رجع من السياحة في عام ١٩٤٣م ويروي أنـــه قـــد حدثت له في تلك الفترة الكثير من الكرامات .التحق بالمعهد الديني بأم درمان وشهد له زملاؤه بالصلاح والتقوى بما رأوا رأى العين من كراماته.

وبعـــد انـــتقال الشيخ محمَّد عثمان منير للرفيق الأعلى في عام ١٣٧٧ هـــ/ ١٩٥٧م خلفـــه ابنه الشيخ علي،الذي رأس الطريقة وعمل على نشرها داخـــل وخارج السودان وصارت علماًعلى رأسه نار وكان له الفضل في إرشاد وتربية الكثير من التلاميذ.

تم تعيينه في أوائل الستينات عضوا بالمجلس المركزي إبان حكم الرئيس عبود حيث تم إنشاء طريق الخرطوم الجيلي وباقتراح منه في المجلس ثم سفلت طريق الخرطوم جبل أولياء . ثم أعيد انتخابه أمينا عاما لاتحاد الطرق الصوفيّة بالســـودان وذلـــك في الاجتماع الموحدّ بين الصوفية وهيئة علماء السودان عام ١٩٧٣م . من أوائل شيوخ الطرق الصوفية السبّعة عشر الذين لهم فضل تأسيس المجلس الصوفّي الحاليّ .

كان له نشاط خارجّي بارز حيث كان عضوا بالجمعية العمومية لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا حيث شهد الكثير من المؤتمرات.

و الشـــيخ علـــي أوّل من ألّف كتابا للطريقة بيّن فيه تاريخها وأذكارها وأورادهـــا وهـــو كتاب **فيض القدرة السنية في سلوك الطريقة التسعينية** وهو المـــرجع الأساســـي للطريقة . وله من المؤلفات **رسالة الطريقة التسعينية في الصـــلاة**. وقـــام بإنشـــاء مركز التسعين الإسلامي على نفقته الخاصة . كما قام

بإرســـال عــدد من الطلبة للدراسة بالأزهر الشريف ليكونوا نواة هيئة التدريس بالمركــز · قام أيضا ببناء قبة والده بجهده الخاص ومساعدة تلاميذه ·قدم الكثير من الخدمات لمنطقته و أهله ولمريديه ·

وــله مــن الأبناء الشيخ سيف الدين وهو الخليفة الحالي والشيخ عادل والشيخ عبد المنعم والشيخ منير والشيخ محمَّد عثمان والشيخ أحمد والشيخ محمَّد صــالح وعلــى عهد الشيخ علي نجد أنّ الطريقة بلغت أقصى درجات الانتشار والتأســيس حيــث فتح آفاقها ومنافذها خارجيا وداخليا في العراق وليبيا ومصر والســعودية وغيرها · كما أن العديد من العلاقات الواسعة والوطيدة مع الحكام والمســؤولين · فقــد كانت له صلة بالرئيس عبود مواصلة لصلة والده وكذلك الرئــيس نميري والرئيس صدام حسين · وانتقل للرفيق الأعلى في ٢٩رمضان ١٤١٠هــ/ ٢٤ أبريل ١٩٩٠م بجدة بالسعودية وتم نقل جثمانه ودفن بناء على رغبــته بالقرب من الجامع العتيق بقلعه التسعين · وخلفه ابنه الشيخ سيف الدين على راس الطريقة ·

حياة الشيخ سيف الدين الشيخ علي

لقــد ولــد الخليفة سيف الدين الشيخ علي عام ١٣٧٤هــ/ يوم ٢٤يوليو ١٩٥٤م،بحيّ المسالمة بأم درمان·

وتلقىّ علومه الدراسية في مدرسة المسالمة الأولية ومدرسة حيّ العرب الوســطى ثــم مدرســة محمَّد حسين الثانوية والتحق بجامعة الخرطوم – كلية الهندسة والمعمار قسم الهندسة المدنية وتخرج في عام ١٩٧٨م ·

وبعــد ذلــك انتقل إلى المملكة العربية السعودية حيث أقام بمدينة جدة من عام ١٩٧٩الى عام ١٩٨٦م·

ولقـــد صـــار الخليفة بعد وفاة والده في عام ١٩٩٠م ،على حسب وصية والده وتّم إعلانه في أخر أيام المأتم كخليفة وشيخاً للطريقة التسعينية ٠

وهو ألان عضو المؤتمر الإسلامّي الشعبّي العالمّي ببغداد حيث شارك في العديد من جلساته ٠

وأيضاً عضو الجمعية العمومية لجمعية الدعوة الإسلامية بطرابلس حيث شارك في اجتماعات العيد العشرين ١٩٩٠م ٠

العلاقة بين الطريقة التسعينية والطرق الصوفية الأخرى

يروى أهل الطريقة التسعينية أن طريقتهم تتميز بخصوصية العلاقة مع كثير من الطرق الصوفية الموجودة في السودان ٠

ولعـــلّ ذلك راجع إلى نوعية وكيفية تلك العلاقات والبعض الأخر إلى الظروف والعوامل التي صاحبت نشأة الطريقة ٠

قبل أنْ تتبلور الطريقة التسعينية وتصبح طريقة صوفية ، كان أن تفرق أجدادهـــا التســـعة والتســـعون والذين هاجروا ألى السودان قبل دخول الصوفية السودان وذلك في بواكير تدفق الهجرات العربية وانتشار الإسلام ٠

فـــبحكم الـــرواية نجد إنّ هناك روابط ربطت الشيخ محمَّد عثمان منير بالطرق الصوفية الأخرى فنجد ان الشيخ كان معه الإذن ليعطي الطرق السمانّية والقادّرية و الشاذليّة والأحمدّية والتجانيّة والختمّية و هو نفس الشيخ الذي أذن له بعـــد ذلـــك ان يؤسس الطريقة التسعينية ويسلّك مريديها وهذا شكل من أشكال العلاقـــة وقـــد وطد لتلك العلاقة مع الطرق الأخرى علاقة النّسب والمصاهرة والاخوة في الله تحت صرح التّصوف المتين ٠

فـــنجد مـــن علاقـــات الطريقة التسعينية علاقتها بالطريقة القادّرية التي اتخـــذت شكلها في علاقات المصاهرة حيث نجد ان الشيخ ود ماحي أحد الجدود

التســعة والتســعين قــد تزوّج بنت الشيخ يوسف أبو شرى وهو من العركيين القادرييــن ومسيده موجود بمنطقة أبو حراز ومن أحفاده الشيخ دفع الله الصائم ديمة الموجود مسيده حالياً بأم درمان الجديدة أمبدة ٠

وكذلــك نجــد مــن علاقــتها أن هدية بنت عاطف الجميعابي فهي من التســعين تزوجت من أحد العركيين القادريين وهو الشيخ دفع الله ود مقبل وهو شريف من العراق وتوفيت هدية بنت عاطف الجميعابية وقُبِرت بها مع زوجها ، بينما قُبِرَ الخمسة العدول بمنطقة ابوحراز بالجزيرة ٠

وكذلك نجد أنّ الشيخ حمد أبو شلة قد هاجر ومعه عشرة من أتباعه إلي الهلالــية وذلــك عــند دخول الطريقة الشاذلية حيث انتسب إليها وقد مكث في الهلالــية حتى وفاته ودفن بها وهو جد الشيخ الجعلي شيخ الطريقة القادرية فقد كان يرسل له العديد من الهدايا من البلح والمؤن بالمراكب عبر النيل فترسى في قلعة التسعين ٠

غــير انّ أهل الطريقة يروون أنّ أكبر تلك العلاقات هي علاقة الطريقة التســعينية بالطريقة السمانية التي هي أصلا علاقة رحمية فالشيخ محمَّد عثمان منير مؤسّس الطريقة التسعينية ٠والشيخ الطيب ود البشير شيخ الطريقة السّمانية بالســودان أبناء عمومة فهم جميعاب وجموعية فالتسعينية هم ضواب والضواب فــرع مــن الجمــيعاب وهم ينحدرون من جماعة ود منصور ود جموع ، إما الســمانية فهــم يــنحدرون من جماعة ود منصور ود جموع والاثنان فرع من الجعليين ومن هنا بدأ النسب والمصاهرة ٠

فمــن ذلــك نجــد إنّ الشيخ محمَّد عثمان منير والشيخ قريب الله خليفة الطريقة السّمانية وأحفاده من بعده أبناء خالات ٠

ونجــد إنّ هذه العلاقة الرحيمّة إنبنى عليها واجب التواصل والتراحم ·
(ولعلــه نتج من شكل العلاقة الكبيرة هذه أن تردّدت بعض الأقوال بانّ الطريقة التسعينية للطريقة السمانية تتاج من عدة فرضيات نابعة من طبيعة العلاقات بين الطريقتين)·

وذلك من الوجوه التالية

كــان للشــيخ محمَّــد عــثمان منير إذن من سمّاني المدينة بأن يعطي الطريقة السّــمانية· فقــد ولّــد الأذن انطباعاً وتصوراً بأنّ الشيخ محمَّد عثمان سّماني وبالتالــي الطريقة التسعينية التي أسّسها بعد ذلك تنسب إلى السمانية ولربما نتج من أن الشيخ محمَّد عثمان منير مؤسس الطريقة التسعينية قد درس القرآن وتلقى العــبادات مــن الشــيخ عــبد القادر بن الشيخ الطيب البشير والذي تنسب إليه الطريقة السمانية ·

أركانهــا التي تقوم عليها كغيرها من بقية الطرق الصوفية، فهو الخليفة أو الشــيخ والمريد والبيعه ·ولعل ذلك متحقق على ارض الواقع، لوجود مؤسس لهــذه الطريقة ثم من خلفوه كما نلاحظ انتشار مريدي الطريقة في داخل وخارج السودان ·

البيعة

البيعة ، هي اصطلاح الطريقة التسعينية ،هي أساس الدخول في الطريقة وبمجــرد أخذهــا يكــون الشــخص ســالكاً للطريقة ويكون في إطار الجماعة وشروطها هي

١/الــتوبة ٢/الاتــباع للكتاب والسنة ٣/الطاعة للخليفة أو الشيخ ورضي الله ورسوله·

ونجـــد أنّ هذه الشروط موجودة في صيغة البيعة ويشترط آهل الطريقة شـــرطاً رابعـــا ، وهو خارج الصيغة ، وهو أن تكون البيعة متصلة ويكون هذا الاتصـــال معـــنوياً وذلـــك بوضـــع يد الشيخ فوق يد المريد الذي يريد الاتباع والســـلوك· وقد دللوا على ذلك بما جاء في قوله تعالى (أن الذين يبايعونك انما يـــبايعون الله يـــد الله فوق أيديهم) لما ورد على عهد الرسول (ﷺ) في بيعة العقبة والرضوان وبيعة سيدنا عمر لآبى بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة ·

وللحقـــيقة عـــند حصول هذه البيعة بهذه الكيفية يعيش السالك كثيراً من الاحساســـات النفسية فالتحّول من عالم إلي عالم ومراجعة النفس عند استحضار مـــا اغـــترف من ذنوب· وكأن تلك اللحظة هي ميلاد جديد بالنسبة له· ومن هنا يولد الإحساس بصدق الاتباع وتصحيح النية وتجديد التوبة لبداية جديدة ·

وقد عدّد أهل الطريقة التسعينية الحالات التي يكون فيها الشخص خارجاً مـــنها وهـــي إذا سلك طريقاً أخر حيث لا يمكن الجمع بين طريقتين، لكن يمكن الـــتعامل والتعاون بين كل أهل الطرق تحت مظلّة التصّوف دون الشعور بجهة الانتماء للطريقة المعينة ونلمس ذلك في الليّليّات والحوليات والمناسبات الصوفية العامّة·

صيغة عهد الطريقة التسعينية البيعة

بسم الله الرحمن الرحيم

"صلى الله على سيدنا محمَّد صاحب القبة الخضراء وعلى اله وصحبه الندراء اســـتغفر الله العظيم و أتوب أليه من التكليف إلى يومنا هذا إلى يوم القيامة إنني أعـــاهدك علـــى أن اتبع كتاب الله وسنة رسول الله و أكون مؤمناً مخلصاً وافياً لكلمة لا اله إلا الله محمَّد رسول الله وان أطيع أوامرك فيما يرضي الله ورسوله"

طرق وعوامل انتشارها

بعـــد أن تكونّت الطريقة التسعينية بدا مؤسسوها من المشايخ والمريدين في نشرها داخل وخارج السودان وذلك منذ بزوغ فجرها الأول وحتى الآن· في أوســـاط ســـالكي ومـــريدي الطريقة من حيث الفهم والاستيعاب لحقيقة ومنهج التصـــوف وتطبـــيقاته وكذلـــك فـــي إطـــار برامج وتعاليم وسلوكيات الطريقة ونشاطاتها·

الطريقة الختمية

ســـميت بالطريقة الختمية نسبةً لمؤسسها السيد محمَّد عثمان بن أبي بكر بـــن عـــبد الله المحجـــوب الملقّـــب بالختم والذي وُلِدَ بقرية السلامة بالقرب من الطـــائف بالحجـــاز فـــي عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ، تزوج ببارا بكردفان بغرب الســـودان فولـــد له ولده الحسن؛ والذي تولى من بعده نشر الطريقة في كردفان وشـــمال الســـودان واستقر بكسلا فأسس قرية الميرغنية وصارت فيما بعد مقراً للأســـرة وســـميت فـــيما بعد بالسنية· ولد يتيماً فقد أمه أولاً ثم فقد أباه في سن العاشـــرة فكفلـــه عمه السيد/ يسن أبو بكر فحفظ القرآن منذ صغره وأخذ العلوم الشـــرعية مـــن علمـــاء البلد الحرام فأتقن علوم الظاهر من معقول ومنقول ولم يـــتجاوز مـــن العمر أربعة عشر عاماً وتعلق قلبه بطريق أهل الله ، فأخذ على مشـــايخ عديدين فأول ما أخذ من الطرق الطريقة النخشبندية عن الشريف أحمد بـــناه كما أخذ الشاذلية والقادرية بمكة عن الشيخ سعيد العامودي وأخذ عن السيد أحمـــد عـــبد الكريم الهندي والذي أجازه في طرق الشاذلية والقادرية وأخذ على شـــيوخ كثر منهم السيد أحمد عبد الكريم الأزبكي ثم انتهى به الأمر إلى الأخذ عـــن الســـيد أحمد بن إدريس الحسنى والذي أجازه بكل الإجازات وكان عليه فطامـــه ثـــم أســـس طريقـــته التي تسمى باسمه الختمية وهي جماع النخشبدنية

والقادريـــة والشـــاذلية والجنيدية وغيرها· ولقد صحب السيد محمَّد عثمان السيد أحمـــد بن إدريس أربع سنوات أجازه فيها بكل الإجازات وأمره بالدعوة إلى الله علـــى بصيرة وأن ينشر الطريقة ويوسع دائرة الإسلام· فكان فيما توجه إليه من البلاد بلاد الحبشة ثم توجه إلى مصر وأقام مدة بصعيد مصر بقرية الزينية وهي من قرى الأدارسة بصعيد مصر مركز دراو·

كان السيد محمَّد عثمان الختم ذا نشاط متواصل في أمر الدعوة لا تهمه الصـــعاب ولا مصـــاعب السفر ولا وعورة الطريق فتوجه في رحلاته أولاً إلى الحبشة ومكث ببلدة فيها ، اسمها بلغاء فأخذ عنه في هذه البلدة قوم من الجبرتة ـ وهـــم فـــئة من مسلمي الحبشة ـ وانصلح به خلق كثير وعلى يديه تابوا وأخذوا طريقه الرجعى إلى الله·

رحلته إلى مصر:

مصـــر كعبة العلماء وبها الأزهر الشريف ، وهو المركز الثقافي الذي انتهـــت إلـيه حركة العلم والعلماء على مدى عشرة قرون فكل عالم أو صوفيّ محـــتاج للأزهـــر فـــي توثـــيق علمه أو تصوفه فالكثير من العلماء والصوفية يهاجرون لمصر لزيارة الأزهر والجلوس إلى علمائه·

زار الســـيد الخـــتم الأزهر شأنه شأن غيره من العلماء والصوفية توجه أول مـــا توجه من مكة إلى أرض الصعيد بالريف المصري فأقام بقرية الزينية وهـــي مـــثوى السادة الأدارسة شيوخه ، ثم توجه إلى القاهرة حيث التف حوله العلمـــاء والأعـــيان والأشـــراف ثم صار فيما بعد خليفة خلفائه الشيخ أحمد أبو حربـــية وهـــو من كبار الأولياء المعروفين بمصر له أتباع كثيرون وله مسجد للجمعة والجماعة وله ضريح يزار·

ومن أجلّ ممن أخذ عن السيد / محمَّد عثمان الختم الإمام العالم العلامة صـــاحب التصـــانيف الـــنافعة الشـــيخ إبراهيم الباجوري صاحب كتاب: **جوهر التوحـــيد، تشـــطير وتخميس بردة البوصيري** كما شرح الباجوري مولد السيد الختم رضي الله عنه".

وفـــي مصر أخذ عليه خلق كثير منهم الخليفة والحاج العبادي والخليفة أحمد ود سعد ببلدة دراو بصعيد مصر.

رحلته إلى السودان

والـــذي يهمـــنا أكثر هو رحلته إلى بلاد السودان حيث إنّ السيد محمَّد عـــثمان الختم توجه من مكة البلد الحرام إلى بلاد السودان، وأول ما بدأ به هو بلاد المحس ثم اتجه إلى دنقلا والتي مكث بها بعض الوقت ثم توجه إلى كردفان عن طريق الدبة بطريق الصحراء وهو طريق مهلك لعدم توفر الماء ، فسار في قافلـــة عظـــيمة من الأتباع والمريدين ولكن العطش حاصرهم وكادوا أن يهلكوا لولا أن السيد الختم توضأ وصلى ركعتين سأل الله فيهما العون والإغاثة وكانوا نازليـــن في واد من الوديان فأمرهم برفع الأمتعة عن الوادي فلم تمض لحظات حـــتى جـــادت عليهم السماء بالغمام والأمطار ، ففاض الوادي كالبحر الزاخر. وفـــي كردفان وضع الله له القبول والمحبة في قلوب الخلق فأخذ عنه الكثير من أعـــيان كـــردفان كالشيخ حماد البيتي والقاضي عربي من خلفائه الهوارة وهو خليفة خلفائه بكردفان وكان أديباً عالماً وقاضي القضاة بكردفان.

ومـــن أجلّ الأعيان الآخذين عنه السيد / إسماعيل بن عبد الله الكردفاني الملقـــب بإســـماعيل الولي، وهو أشهر من أن يعرّف وهو جد الرئيس إسماعيل الأزهري قائد حركة الاستقلال بالسودان.

وممـــن أخـــذ عن السيد/ الختم ومن خلفائه الكبار الخليفة صالح سوار الذهب وهو جد المشير عبد الرحمن سوار الذهب وهو من أسرة عريقة ضاربة الجـــذور في العراقة، في العلم والقرآن والصلاح وأصولهم معروفة بدنقلا ودار البديرية والشايقية فهم من حملة العلم والقرآن.

ومن خلفائه بكردفان إبراهيم البرقاوي والحاج موسى البرقاوي والخليفة محمود بادي وخلق كثيرون لا يحصون عدداً.

وفـــي كـــردفان تـــزوج السيد الختم في مدينة بارا من رقية بنت جلاّب ورزق مـــنها بولده السيد الحسن بن الختم الملقب بأبي جلاّبية والذي قطن أخيراً في كسلا والتي أسس بها السيد الختم مدينة السنية وهي مدينة كسلا الحالية.

رحلاته الدعوية داخل السودان:

كان الإمام الختم ذا نشاط دعوي فائق، لم يأنس للإقامة في مكان واحد ، وكمـــا أسلفنا في وصف رحلته من بلاد المحس لكردفان وزواجه بها فقد وصل فـــي رحلاتـــه إلـــى سنار عاصمة دولة الفونج. وفيها ظهرت له كرامات كثيرة وتعلق به خلق كثير وأخذ عنه الطريق رجال أعلام من مشاهير العلماء وسادات الصـــالحين كالشيخ أحمد ود عيسى الأنصاري العالم الشهير وهو قد تخرج في العلـــم علـــى الشيخ الدرديري المصري وهو صاحب المسيد المشهور فيما بعد المسمى بمسيد ود عيسى.

وواصـــل الســـيد الخـــتم مشاويره الدعوية من سنار إلى الشمال فوصل المـــتمة عاصـــمة دار جعل والتي يقطنها الجعليون سلالة العباس عمّ رسول الله (ﷺ) فمكث بها عاماً كاملاً فجذب الله إليه الناس وهرعوا إليه فأخذ عليه خلق كثـــيرون مـــن خيار الجعليين كالشيخ الريح السنهوري وكان شيخاً متبوعاً ومن ســـلالة الصـــالحين وقـــد بـــنى السيد الختم بها مسجداً جامعاً أقيمت به الجمعة

والجماعـــة حـــدد قبلـــته بنفســـه ومن أخذ عليه من قبائل الجعليين الشيخ أحمد الطريفي العمرابي وأخوه الشيخ على الطريفي.

ومن أخذ على السيد الختم من أعيان قبائل الجعليين من قبيلة المجاذيب الشيخ المجذوب بن قمر الدين وهو في العلم من تلاميذ الشيخ الريح السنهوري.

وفي شندي شرق المتمة خلّف خلفاء كثيرين وأقام بشندي أكثر من إقامته بالمـــتمة وأقام بها مسجداً للجمعة والجماعة وكان من أهم خلفائه بشندي الخليفة على الجزولي والخليفة المبشر والخليفة المجذوب والخليفة الجزولي عبد الوهاب والـــذي كـــان معـــه فـــي الأسفار والرحلات كرحلاته للتاكا ومصوع وأرض الحرمين.

ومـــنهم أيضاً النائب مختار من الشيخاب و محمّدين مختار النائب وابنه الخليفة محمّد والخليفة أحمد الشمباتي من أهل الصعيد والحاج حسن العبادي.

وعموماً أخذ عل الإمام الختم خلق كثيرون من جميع الجبهات وهذا إنما يـــدل علـــى همة الإمام العالية في أمر الدعوة إلى الله ونشر طريقته في جميع أصقاع السودان المعروفة في زمن كانت فيه المواصلات محدودة ومتخلفة ومع ذلك فإن الخليفة محمّد النصيح سيظل أعظم وأكبر خلفاء السيد الختم إذ قال عنه شيخه أنه خليفة خلفائي من فازوغلي إلى الإسكندرية وهذا دليل على عظمة هذا الإمـــام الـــذي اســـتطاع أن ينشر طريقته من فازوغلي في أقصى جنوب النيل الأزرق إلى أقصى مصب النيل بالإسكندرية.

قبائل الشرق

للطـــريقة الختمـــية أثر فعّال ودور كبير في قبائل الشرق قاطبة إلا أن دورهـــا وأثـــرها فـــي قبائل البني عامر أكثر فاعلية وأكبر والبني عامر قبيلة حدوديـــة مشتركة بين إرتريا والسودان الشرقي، فقد كان أتباعه رضي الله عنه موزعين

بين كسلا والحباب ومصوع وعن طريق تلامذته في القبائل المذكورة دخل خلق كثـيرون فـي دين الإسلام يقال لهم البارية الحمراء والبارية الزرقاء واستقاموا على الطريق وحسن إسلامهم.

وقـيل إنّه أخبر عن مجيء الأتراك وسيطرتهم على بلاد الجعليين فقال بعـض الـناس كـيف يكون هذا؟ فقال يدخلون هذه البلاد ويملكونها ويدخلون جامعي هذا ويربطون خيلهم به وأنت يا أخانا محمود ود جامع يقولون لك أمسك هذا الحصان ودُر به وقد كان الذي أخبر به بالنص.

الإقامة بكسلا

فـي كسـلا حط السيد عصا التسيار وبنى بها قريته التي سماها السنية وهـي المعروفة الآن بالختمية فهاجر إليها كل من أحبّه من كل الجهات بشرق السـودان وقـد كانت قرية عادية وكان السيد يقول لأتباعه بعد هذا ستكون هذه البلدة بلدة عظيمة بها جنائن النخيل والرمان والعنب وأنواع الفواكه وقد كانوا لا يعرفون أنواع هذه الثمار في بلادهم والحمد لله صارت كسلا من أرض الخضرة الدائمـة والثمار اليانعة بل أنها صارت تصدر الفواكه إلى أنحاء القطر والدول المجـاورة ومـا ذلك إلا ودفن بمقبرة الختمية ثلاثة من أبنائه وهم السيد الحسن راجل كسلا (أبو جلابية) وأخويه الحسين و محمّد صالح. وبالختمية خلّف أجلّ خلفائـه بالشرق وهو الحبيب يعقوب وقدمه إماماً وصلى خلفه وقدمه على جميع أهالي الجبهات وانصلح على يديه خلق كثير، وممن خلفهم بكسلا الخليفة النائب إبراهـيم والخلـيفة التقي من قبيلة يقال لها الشيخاب من القبائل التي استوطنت كسلا.

سواكن أهم مركز للطريق إبان العهد التركي

كانت سواكن من أهم مرافئ السودان قبل قيام ميناء بورتسودان وكانت مديـــنة تجاريـــة عظـــيمة ،بهـــا أجناس من كل أصقاع الأرض من بلاد الهند والإغريق واليونان وبلاد الشام وبلاد اليمن ومصر معظمهم جاء بقصد التجارة.

وكـــان حكامهـــا مـــن الأتراك وسكانها من قبائل البجة وكان من أجل مـــريديه بهـــا الشيخ المجذوب بن قمر الدين العباس والذي توفى بالدامر وأجلّ خلفائـــه الخليفة محمَّد الصافي وكان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي ولا زالت آثارهم بسواكن وتعتبر سواكن من أهم مراكز الختمية بالشرق بعد كسلا إلى أن جـــاءت الدولة المهدية فدمرتها. كما أن الحكومة الإنجليزية جاءت وعملت على إحياء بورسودان وإماتة سواكن كآخر أثر تركي بالبلاد.

ويعتبر الأمير عثمان أبو بكر دقنة أحد أمراء المهدية بالشرق هو السبب الرئيسي في تدمير سواكن وذلك لصلة الأتراك بالختمية وحرب المهدية للأنصار ومراكـــز القوى الداعمة لهم. وبذلك ضاعت سواكن المدينة والتاريخ والحضارة في معركة السياسة.

مصر

لـــم يكـــتف السيد الختم برحلاته في بر السودان، وإنما انتقل إلى مصر الكنانة، بلد الأزهر الشريف وقبلة العلماء ، والإمام الختم كان من علماء عصره وأئمـــة زمانـــه في العلوم الشرعية كلها من معقول ومنقول ناهيك عن التصوّف والذي هو بحر من بحاره.

وفـــي مصر أعجب به كثير من العلماء وأحبوه وتعلقوا به وأخذوا عنه الطريقة الختمية.

وممـــن أخذ عنه بأرض مصر الشيخ أحمد أبو حريبة وهو من الأولياء المعروفيـــن بمصر يقام له مولد سنوي وله جامع تقام فيه الجمعة والجماعة وله أتباع كثيرون بصعيد مصر.

ومـــنهم أي الخلفـــاء الأجلاء العالم الإمام الفذ أحد شيوخ الأزهر البارزين في علـــوم المعقـــول والمنقول والمشهود لهم بالبركة والصلاح وهو ممن أخذ على الشيخ أبو حريبة الشيخ إبراهيم الباجوري صاحب كتاب جوهرة التوحيد وشارح بـــردة البوصيري وصاحب التآليف النافعة في الفقه والأصول وقد شرح الشيخ الـــباجوري مولـــد الإمام الختم شرحاً نفيساً أشبع فيه القول وأبرز فيه المحاسن ومـــن خلفائه بمصر الخليفة ود الحاج العبادي والخليفة أحمد ود سعد ببلدة دراو وهو وليّ معروف وله كرامات ظاهرة ومناقب فاخرة.

الحجاز

الحجـــاز تعني مكة والمدينة وجدة والطائف وأهلها يسمون الحجازيون وكـــان يسكن هذه المنطقة الكثير من الأشراف العلويين خاصة أسرة السيد الختم والتي كانت تقطن بين مكة والطائف مقام جده السيد الميرغني المحجوب الكبير وأمـــا أتـــباعه بمكة المشرفة والمدينة المنورة فهم كثيرون وكان خليفته ، بمكة الشـــيخ أحمد قطان والشيخ عمر فرغلي أما بالمدينة المنورة فالخليفة السيد أسعد وابنه السيد أحمد سعد وكان وزيراً من قبل السلطان عبد الحميد بالآستانة.

أبناء السيد محمّد عثمان الختم

للسيد الختم أبناء منهم من سلفوا في حياته ومنهم من عاش.

السـيد محمّد سر الختم رضي الله عنه لقبه أبوه بهذا الاسم لفضله وعلمه إذ كان ثاقب الفهم تضرب به الأمثال كثير التواضع تقياً ورعاً عالماً بحراً شرح (مولد) والده شرحاً بليغاً في مجلد ضخم أشبع فيه القول من جميع الوجوه.

وللسيد محمّد سر الختم ثلاثة أولاد

١- محمَّـد سـر الختم كان نائب ووكيل الطريقة بمصر وأرض الحرمين الشريفين.

٢- عبد الله المحجوب ولد بمكة المكرمة تلقى علومه بالحرم المكي ثم جاء إلـى السـودان لملازمة عمه السيد الحسن الميرغني في نشر الطريقة بالسـودان فـي مدينة أم درمان منطقة بيت المال وبيته معروف للعام والخاص توفى ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م دُفِنَ بحلة خوجلي ببحري وضريحه ظاهر يزار.

٣- السـيد محمّد عثمان تاج السر وهو الابن الثالث للسيد محمّد سر الختم استقر بسواكن. ذو خلق واستقامة داعٍ إلى الله بإذنه أعلى منار الطريقة ورفـع لواء الشريعة له من الشعر دواوين الكثير منها في مدح الرسول (ﷺ) وطريق القوم والمحبة في الله.

ومن أبناء السيد محمَّد عثمان الختم:

السيد عبد الله المحجوب الباب

قـال عـنه والده في شرحه لراتبه هو السيد عبد الله ابن الإمام الختم، صـاحب الراتب كان آية من آيات الله الباهرة وله أسرار عظيمة ومناقب فخيمة توفـى رضي الله عنه قـبل المراهقة بمكة وكان أحبّ أبنائه إليه وما رؤى أنه تألم لموت أحد من أبنائه مثل ما تألم عليه رضي الله عنه.

السيد جعفر ابن الإمام الختم

وثالـث أبناء الإمام الختم ؛هو السيد جعفر. كان حبراً عالماً عظيم القدر والمكانـة فـي أعين الخلق، قدم إلى برّ السودان من الأراضي المقدسة في عام ١٢٧٥هـ ومكث بالسودان سنتين، قابل فيهما أخاه السيد الحسن ورجع بعد ذلك

إلـــى مكة وبعد ذلك توجه إلى المدينة· له دواوين عظيمة في مدح النبي (ﷺ) مـــن رآه هابه، ومن خالطه أحبه؛ أسوة بجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لـــه من الذكور السيد بكري الذي تزوج بابنة عمه السيد الحسن فاطمة وولد له من غيرها ولدان هما السيد جعفر والسيد الحسن·

السيد إبراهيم بن السيد الختم

السيد إبراهيم ترتيبه في العدد الرابع من أبناء السيد الختم ولد قريباً من وفاة والده توفى بسنكات وله مقام يزار·

السيد هاشم بن السيد الختم

وعـــاش ببلدة مصوّع من أرض الحبشة له من الأبناء ولدان وبنتان هما السـيدة مـريم والسـيدة علويـة وولد له محمَّد عثمان الميرغني والسيد حسن الميرغني توفيا صغيرين· ومن نسله السيدة مريم المدفونة بسنكات·

السيد الحسن المشهور بأبي جلابية

الابن السادس للإمام الختم هو السيد محمَّد الحسن الميرغني الملقب بأبي " جلابية" وهو جد المراغنة الذين ولدوا بالسودان وأشهرهم السيد على الميرغني الذي يعتبر المجدد للطائفة الختمية بالسودان·

ولـــد السيد الحسن الميرغني بمدينة بارا إحدى مدن كردفان· بعد أن أتمّ نحـــو ســنتين أو ثلاث سافر مع خاله ووالدته إلى مكة عن طريق دنقلا ونزل ضـــيفاً على السيد أحمد بن إدريس بمكة المكرمة وكان والده السيد محمَّد عثمان الخـــتم بمصـــوّع في رحلاته الدعوية ثم توجه خاله من مكة إلى مصوّع لملاقاة أبيه وقد مكثوا معه أشهراً ، ثم توجه الجميع إلى كسلا وأقاموا بقرية الختمية ثم أستأذن خاله من أبيه الرجوع به وبأمه إلى كردفان فأذن لهم·

أقام السيد الحسن ببارا إلى أن بلغ أربع عشرة سنة فتوجه به أخواله إلى الحرمين الشريفين. وأخيراً رجع إلى السودان بأمر أبيه لإحياء الطريقة وإرشاد الخلق إلى الله ؛ لأنه تأهل لذلك، فرجع إلى السودان عن طريق سواكن فبربر ثم كردفان ثم إلى الخرطوم ثم توجه إلى سنار.

كـان (رضي الله عنه) زاهداً في الدنيا لا يمسي ولا يصبح ومعه درهم ولا دينار إنمـا كـان يفرق ما يهدى له للفقراء والمساكين وكان لبسه الجلابية والسراويل والكوفـية فـي أغلب الأوقات ولا يلبس تحت الجلابية العراقي ولا يلبس الرداء ولا العـباءة وكـان لباس أهل السودان التوب والعراقي والعمامة لذلك اختص السيد باسم (أبو جلابية) للبسه الجلابية والكوفية وبهذا الوصف الذي ذكرنا.

وكـان (رضي الله عنه) جليلاً مهاباً يزوره الباشوات والأمراء وأعيان الناس ولا يكـترث بذلك ولا تتغير هيأته رفيع الهمة في الله لا يتقيد بمقام من المقامات أو برتـبة مـن الرتب. كان عند تلاوة كلام الله الدموع الغزيرة من عينيه كالوابل الهتان وكان يكثر من البكاء في بعض الأوقات حتى يغشى عليه.

كـان (رضي الله عنه) يعطـي الطـريقة الختمية والقادرية والشاذلية والجنيدية النخشبندية كما كان يفعل والده.

كـان (رضي الله عنه) يـرى أن القـرب من الحاكم المسلم فيه النفع العام للبلاد والعـباد مـع النصح والرفق بالحاكم إلا إذا كان ظالماً فكان (رضي الله عنه) يسدد خلل الدولـة ويطفـئ نيرانها ويحذر الأهالي والأعيان من الخروج على الحكام لأن طاعـة أولـي الأمر من طاعة الله، "وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم" وكـان كثيراً ما يلجأ إليه الحكام يستعينون برأيه ويجدون عنده الرأي الصواب والنفع العميم للدولة وللرعية.

أبناؤه

تــزوج السيد الحسن بأربع نسوة دخل بثلاث ولم يدخل بالرابعة ولد له من الأولاد ثلاثة ذكور وثلاث إناث.

وبقى من أبنائه أحمد و محمَّد عثمان ولد لمحمَّد عثمان ولدان وبنتان هما السيد أحمد والسيد على والسيدة فاطمة والسيدة نفيسة.

توفــى السيد الحسن (رضي الله عنه) في عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م ودفن بالختمية بمديــنة كســلا في المسجد الذي بناه والده وأعمره هو بالذكر والصلوات السيد الحســن الميرغنــي بن السيد الإمام الختم هو الذي أحيا الطريقة الختمية وجدد شــبابها بعد والده السيد الختم إذ دخل في طريقته الكثير من الأعلام من العلماء وأعــيان الــناس بــل دخلــت قبائل بكاملها من الجعليين والشايقية والرباطاب والــبديرية والعــبدلَّاب والشــكرية وقبائل الشرق بجميع أجناسها كما دخل أهل الغــرب مــن خؤولته في بارا وغيرها من ديار كردفان، ولقد أخذ عنه قوم من مشــاهير سنار عاصمة المملكة منهم الخليفة بابكر الملقب بود المتعارض حفيد الولــي الصــالح الشــيخ حمد ود أم مريوم كما أخذ عنه الخليفة البشير العالم الشــهير خلــيفة الشــيخ العارف بالله الشيخ حمد ود الترابي البديري الدهمشي الشــهير بقــرية ود الترابــي وممّن أخذ عنه بالنيل الأبيض الفكي عبد المولى المغــواري الشــهير صــاحب قرية الهبيكة جوار مدينة القطينة وممّن أخذ عنه الشــيخ ود مكاوي بالقطينة وبسقدي موسى والشيخ ود الزاكي صاحب قرية ود الزاكــي بالنــيل الأبــيض وخلق كثير لا يحصون عدداً بديار الشايقية والمحس والدناقلــة ممــن كــان لهم أبلغ الأثر في نشر هذه الطريقة والتي وسعت رقعة الإسلام ونشرت دائرة العرفان.

ولقد خلف السيد الحسن الميرغني على الطريقة ابنه السيد محمَّد عثمان المسمى بالأقرب والذي سار على دربه وأحيا طريقته ولكنه لم يعمر طويلاً حيث عاش تسعاً وثلاثين سنة وتوفى بمصر وعلى قبره مشهد عظيم ومسجد ومقام يزار ومولد يقام في كل عام ومحفل عظيم خلف من بعده أبناء السيد علي والسيد أحمد الميرغني.

السيد على الميرغني

تقلد السيد علي الميرغني مقاليد الخلافة بعد والده السيد محمَّد عثمان الأقرب الذي توفى بمصر.

ولد السيد على الميرغني بجزيرة مساوي بديار الشايقية بشمال السودان عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م ثم انتقل به والده إلى مدينة كسلا مقر أجداده بشرق السودان ثم إلى سواكن عن طريق ميناء مصوّع وفي مدينة سواكن كانت نشأته.

وسواكن تعتبر من أهم مدن البوابات الشرقية للسودان الشرقي وهي نافذة على العالم العربي والإسلامي وطريق بحري قديم يربط برّ السودان بالعالم الخارجي. أما في سواكن فقد أسس السيد محمَّد عثمان الميرغني الختم (رضي الله عنه) مسجد الأنوار وأشرف عليه ولده محمَّد تاج السر. وعلى أيدي العلماء الأجلاء الفقهاء المتمكنين من حملة القرآن والشريعة واللغة. تعلم السيد على الميرغني القرآن وألم بفقه الشريعة ومبادئ اللغة وكان والده قد توفى بمصر في عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م وهو في ابن السادسة من عمره وتوفيت والدته وعمره تسع سنوات ثم سافر إلى مصر مع عمه محمَّد عثمان سر الختم فواصل تعليمه على أيدي علماء الأزهر، فتعلم دقائق العلم وفقه الشريعة فتخرج عالماً من علماء الأمة وفقهاء العصر فصار حجة في جميع علوم الدين وأنواع المعارف وسعة

الإطلاع فبهر العلماء. وبعد انقضاء سنوات التحصيل توجه مع عمه السيد محمَّد سر الختم لأداء مناسك الحج والزيارة النبوية الشريفة.

العودة إلى السودان

ثم عاد السيد على إلى السودان من مصر إلى سواكن عن طريق البحر الأحمر واتجه من سواكن إلى كسلا في رحلة تاريخية رافقه كبار الخلفاء والذين ذهبوا لاستقباله منذ دخوله البلاد فالتف حوله زعماء العشائر ومشاهير البلد وقادتها من أهل الرأي والمكانة والتأم به شمل أسرته وانتظم به عقد البيت الميرغني.

ثم توجه إلى أم درمان أولاً ثم الخرطوم فبحري أخيراً فجمع العناصر المختلفة ووحّد الشمل وجمع القلوب المختلفة ومحا من النفوس عصبيّة القبيلة ونصرة الجهويّة فأصبح المريدون له صفاً واحداً إخواناً متحابين على الطريقة وتحت راية الإسلام.

والمحطة الأخيرة للسيد على (رضي الله عنه) كانت في منزل جده السيد الحسن الميرغني بحلة خوجلي وهو المنزل الذي ولد فيه أبوه السيد محمَّد عثمان فأخذ (رضي الله عنه) في نشر الطريقة الختمية وحفلت مجالسه العامرة بالعلماء وأهل الرأي ورجال الدين الذين عقدوا على قيادته الآمال.

السيد على وصلته بالسياسة

كان القرن التاسع عشر، قرن الدين والسياسة بالسودان فقد شهد القرن دخول الطريقة الختمية إلى السودان وانتشارها فيه ووافق ذلك دخول الحكم التركي للسودان كما شهد القرن في آخره قيام الثورة المهدية وكان من نتاج دخول الأتراك والمصريين للسودان ظهور إدارة سياسية بسطت نفوذها على كل أجزاء القطر، الشمالية والشرقية والوسطى والغربية والجنوبية وتبلور السودان

بشكله الحالي وارتبط السودان بالعالم الخارجي تاريخياً وسياسياً كما تمت حركة اتصـــالات واســـعة بين أبناء القطر الواحد ونشطت حركة التجار جنوباً وغرباً وانتشرت ظاهرة ما يسمى بالجلاّبة.

كمـــا بســـطت السلطة نفوذها بقوة السلاح على حساب السلطة المحلية والتـــي وجـــدت مـــنها معارضة جادة وترسبت روح المعارضة والعداء للحكم التركـــي- المصري على الرغم من أنّ الحكومة التركية المصرية كانت مسلمة إلا أنّ صـــورة الأتـــراك المصريين كانت مغايرة لما تربى عليه المسلمون أهل السودان والتي ظهرت بصورة الاستبداد وعدم الرحمة.

كانت الطريقة الصوفية تمثل ضمير الأمة المحرك للجماعات التي تبلور الصـــراع فـــي الـــبلاد ففـــي حين نجد المجاذيب الذين تأثروا بالشاذلية أولاً ثم الإدريســـية اتخـــذوا موقفاً معادياً للأتراك من أول الفتح مرتبطين بذلك ارتباطاً عضـــوياً بموقف أهلهم الجعليين مع الملك نمر كما أنهم ارتبطوا أخيراً بالمهدية وذلـــك عندما ساند الشيخ الطاهر المجذوب ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م- ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م مـــريدهم القـــائد البطل عثمان أبو بكر دقنة، نجد أن الختمية قد اتخذوا موقفـــاً متعاطفاً مع الحكم التركي اولاً ومعادياً للمهدية ثانياً ثم اتخذ الختمية بعد الحكم الإنجليزي المصري موقفاً متعاطفاً مع مصر ومعادياً في النهاية للإنجليز.

فالختمية طريقة من الطرق الصوفية تعنى بنشر أفكارها الصوفية والتي لعبـــت دوراً فـــي نشـــر الإسلام في السودان وإنّ تاريخهم القريب والبعيد يؤكد اهتمامهم بمراكز السلطة والنفوذ وسعيهم المتواصل ليكون لهم منها موقع تسمع منه كلمتهم وترعى مصالحهم.

انتشرت الختمية في السودان وتزايد نفوذها بعد المهدية. إذ تركزت هذه الطريقة في الشرق وانتقلت إلى الشمال ثم الغرب ثم الوسط فكانت هي الطريقة

الموثـــوق بها من الحكام الجدد خصوصاً عندما كان الوفاق بين مصر وبريطانيا ولم يشتد ساعد الحركة الوطنية المصرية والعربية والذي اصبح فيما بعد المدار السياسي الذي سارت فيه الطريقة الختمية فأكسبها معاداة الإنجليز.

ومـــع ذلـــك كان رائد الختمية ومجددها السيد على الميرغني حصيفاً حذراً من الاشـــتغال بالسياســـة مباشرة بل اكتفى بتوجيه الأمور عبر محبيه ومريديه فلم يسع هو ولا أحد من أسرته للنيابة أو تسلم مقاليد الحكم وكانت الأمور العامة لا تقطع دون رضاه أو موافقته.

تجديد الطريق على يد السيد على الميرغني

أخـــذ السيد على الميرغني بالتركيز على المنهج الدعوي الإسلامي أولاً فـــأخذ (رضي الله عنه) في حث المريدين على بناء المساجد والزوايا وتكوين المجمعات والحضـــرات والـــروابط ومنظمات الشباب وعلى ذلك تعتبر الختمية من أكثر الطـــرق مساجد على مستوى السودان لا سيّما في مواقع الحضر والمدن الكبرى إذ نجد في كل مدينة كبيرة مسجداً وزاوية الختمية وخير دليل على ذلك العاصمة القومـــية إذ تفـــوق فيها مساجد الطريقة الختمية على غيرها وما ذلك إلا بتوجيه مرشدها ومجددها السيد على الميرغني.

كان السيد على الميرغني شخصية نادرة فذة فهو عند الفقهاء فقيه وعند الصوفية إمام وعند الحكام هو المثقف العالم بعلوم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ ودقائق السياسة.

ولـــم يكـــن السيد على في معاملته اليومية مثل سائر المشايخ إذ لم يكن الالـــتقاء أو الدخـــول علـــيه بالأمـــر السهل بل كان ينظم ذلك حسب المواعيد والظروف التي ترتب عبر برنامج ولم يكن مثل هذا السلوك معهوداً لدى مشايخ أهل السودان الذين كان من السهل الدخول عليهم في أي وقت ولعله اكتسب هذه

الصفة بمكثه في مصر حيث الحضارة واحترام الوقت وعدم المقابلة بدون مواعيد أو برنامج.

كان (رضي الله عنه) يستقبل الزوار والوافدين من جميع أقطار الدنيا وكانت له ثقافته الواسعة فيُحدِّث كلّ زائر عن قطره وبلده حسب ما عنده من طباع وعادات وحضارات كأنما هي ماثلة أمامه وما ذلك إلا من كثرة الثقافة وسعة الإطّلاع والاستفادة من الوقت فيما يفيد.

وبهذا الفهم كان السيد على الميرغني متربعاً على عرش القلوب عند أبناء أمته وكان (رضي الله عنه) زاهداً متواضعاً في مسكنه وملبسه ومأكله.

كانت وفاته (رضي الله عنه) في اليوم الرابع والعشرين من ذي القعدة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ودفن بمسجده ببحري.

الطريقة الختمية بنيالا

خليفة الخلفاء هو الشيخ خلف الله أحمد سالم. ولد عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م بالهلالية شرق النيل الأزرق شمال مدينة رفاعة.

أخذ الطريقة من السيد على الميرغني حوالي عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م. ولديهم زاوية في مسجد " الكوارتة" بحي النسيم بمدينة نيالا والتي تقام فيها ليالي الذكر والابتهال في ليلتي الاثنين والخميس من كل أسبوع بين صلاتي المغرب والعشاء.

تلقى الشيخ تعليمه في خلوة الهلالية وكذا المدرسة الأولية، ودرس الفقه والحديث والتفسير على عدد من العلماء ويوالي دراسته في التجويد.

ومن الخلفاء الذين زاملوه: الخليفة محمّد عمر كمبال، ومحمّد إسماعيل بادي، ويوسف سالم.

الطريقة الختمية بالحُقنة

أول مـــن أدخـــل الطريقة الختمية (بالحُقنة) ريفي ود حامد بولاية نهر النيل هو محمَّد الحسن الميرغني عام ١٢٧٣هـــ/١٨٥٦م عندما جاء في طريقة مـــن الشمالية بتأسيس الخلاوى والمسيد وخلَّف فيها الشيخ أحمد كريم الدين أبو فديـــة والملَّقـــب بـــ(ود أحمد) قام بشأن الخلافة وإقامة الليالي والأذكار الخاصة بالطـــريقِة إلى أن انتقل إلى رحمة مولاه ثم خلفه أبنه الخليفة موسى أحمد وهو حـــامل للإجازة من السيد علي الميرغني عام ١٣٣١هـــ/١٩١٢م وكلَّف بإعطاء الطـــريقة لمـــن يرغـــب فـــيها ٠ فسلك على يديه كثير من الأحباب والمريدين والشـــباب٠ وتوفـــي عام ١٣٥٩هـــ/١٩٤٠م ٠ وتقلد الخلافة بعده ابنه محجوب موســـى فقـــام بأمر الخلافة خير قيام فأنشأ الخلاوى وبناها بالمواد الثابتة ووسع المســـيد واشتهر في المنطقة وفي ريفي ود حامد وصار من الرموز البارزة عند أهل الطريقة ٠ توفي عام ١٩٩٧م ٠

وخلفـــه ابـــنه الخلـــيفة طـــه محجوب موسى وهو يقوم بشؤون الطريقة والإشراف على الخلاوى ٠

للطـــريقة مـــريدون يقـــدر عددهم بثلاثة الآلف رجل وامرأة من مختلف الأعمار ومستواهم التعليمي ما بين خرِّيجي الخلاوى والجامعات ٠

ويـــزور الطريقة زوار من (حجر الطير) كالخليفة محمود أبو شراء وابنه الخليفة أحمد خليفة الخلفاء في المنطقة ٠

كمـــا يزورهم مريدو الطريقة من ولايتي نهر النيل والخرطوم وكذلك من أبناء الطرق الأخرى المسانية والعركيين ٠

وتقــام بالــزاوية الحوليات في المولد ولهم حولية سنوية تقام في الخامس عشر من رمضان سنوياً بالإضافة لإحياء ليلتي الاثنين والخميس من كل أسبوع ومن بعد صلاة الجمعة ·

تســاهم الطريقة في الحياة الاجتماعية بإصلاح ذات البين وإقامة الزيجات الجماعــية كمــا تساهم في إنشاء خلاوى القرآن وبناء المدارس وتم بناء مركز صحي على نفقة أبناء الطريقة بالمنطقة ·

وكمــا أسلفنا فإن المسئول من الطريقة هو الشيخ طه محجوب موسى ولد عــام ١٩٦٧م بقــرية الحُقــنة وتلّقى تعليمه الأولي والثانوي العام بها والثانوي العالــي بالخرطوم بحري · ودرس قليلاً من الفقه والحديث والسيرة في خلاوى أجداده بالمنطقة ·

الطريقة الختمية بالدندر

يــروى أن دخــول الطــريقة الختمية لمنطقة الدندر بولاية سنّار في بواكــير القرن العشرين أيّ حوالي ١٣٢٠هـــ/١٩٠٠م حيث كان يحضر خلفاء مــن دائــرة السيد علي الميرغني وذلك لتوجيه وإرشاد الناس للإسلام وإدخالهم للطــريق الختمي مثل الخليفة عبد المنعم من الخرطوم بحري · ولكن يروى أن البداية الحقيقة للطريقة كانت عبر الخليفة محجوب عثمان الشايقي إذ هو أول من أقــام الليالــي وجمع المريدين وكون شباب الطريقة وكان ذلك في منزله جوار الســوق ، ويذكــر أن الشمبّاته الذين نزحوا للدندر في الثلاثينيات كان لهم دور كبير في إنتشار الطريقة وتوقيرها حيث تقام الليالي في أيام الجمعة والاثنين من كل أسبوع ومن الرعيل الأول للطريقة الخليفة علي غبوش والخليفة عباس سعد التوم· أمّا القائم على أمر الطريقة الآن ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٢م الشيخ عبد الله حسن ويحــيى محمَّــد يوســف وعبد العاطي محجوب وطه يوسف وإبراهيم الشايقي

ومدني محجوب وسعيد محمَّد أحمد وذلك بإحياء الليالي وتنظيم المناسبات الدينية كالمولد النبوي والحولية ·

وحضـــر مؤخـــراً وفد من المركز العام للطريقة الختمية وأقاموا نظاماً يعـــتمد على اللجان على مستوى منطقة الدندر لتقوم بتلك التوجيهات الإرشادية الدينـــية والإداريـــة· وذلك في عقد السبعينيات من القرن العشرين · وقد وُزعت اللجان على القرى حيث تعتبر اللجنة الفرعية تتبع رأساً للجنة المركزية بالمدينة· وقد استمر هذا النظام لعدة سنين ثمّ توقف لتستمر اللجنة والنشاط الخاص بمدينة الدندر ·

ويذكـــر أن مـــريدي الطريقة الختمية بالدندر يبلغ حوالي خمسة آلاف مريد من الـــرجال والنســـاء والشـــباب والشـــيوخ· وتقـــوم الطريقة بالعديد من الخدمات الاجتماعـــية والدينـــية والصحية · والخليفة الحالي للطريقة ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٢م هو الشيخ عبد الله حسن عبد الله المولود في عام ١٩٤٨م بالشمبّاته شرق سنّار ·

ويعـــود الفضـــل في التمسك الأسري والتأثير الإسلامي في الجماعة إلى وجود فرع الطريقة الختمية في هذه المنطقة، الأمر الذي يلحظه المرء في كثير من مدن وقرى السودان وأينما حلّ أهل التصوف ·

الختمية بولاية نهر النيل

لهـــذه الطـــريقة نشاط ديني واجتماعي ملحوظان ومؤثران مكان خلوة القـــوز، محافظـــة أبو حمد في محلية أبو حمد بولاية نهر النيل نظراً لوجودها المبكر ولاستمرارها، وتبدأ سلسلة الطريق متدرجة على النسق التالي :

الشـــيخ عـــبد الله عثمان إسماعيل الخليفة الحالي ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٢م منذ عام ١٩٧١م ·

- الشيخ حسن عثمان إسماعيل ·

- الشيخ حسن خلف الله أحمد ·

يتم اختيار شيخ الطريقة بطواف وفد من المنطقة بالقرى والمدن واختيار أحـــد قدامى الخلفاء ليكون هو الشيخ · وعند غيابه هناك لجنة تقوم باعبائه حتى حضوره أمّا أورادهم فهي أوراد الطريقة الختمية المعروفة ·

ويحـــتفلون في مهرجان الإسراء والمعراج بتلاوة القرآن والمولد بمنزل الخليفة حسن عثمان· وفي رمضان بالتراويح وفي مولد النبي(ﷺ) بإحياء لياليه بـــالمديح وفي ختامه بقراءة المولد (العثماني) ويحتفلون سنوياً بحولية السيد علي الميرغنـــي بقـــرأءة المناقب · والمولد العثماني · ويقدمون فيه الطعام والإرشاد والوعظ للمريدين ·

لهـــم دار للطريقة مؤسسة عام ١٩٥٩م تحولت إلى خلوة للقرآن ومركز صحي مساهمة منهم لخدمة المنطقة ·

ولهم راية تجمع الألوان : الأحمر – والأخضر – والأسود ·

مكـــتوب وسطها (لا إله إلا الله محمّد رسول الله)(ﷺ) مرشد الطريقة هو الشيخ عبد العظيم أحمد حسن ولد عام ١٩٤٧م ، وتمّ اختياره مرشداً للطريقة عام ١٩٨٥م وإماماً للمسجد في عام ١٩٩٣م · كان يعمل بالقوات المسلحة إماماً لمسجد القوات المسلحة بأتبرا ·

ســـاهم أبـــناء الطـــريقة فـــي بناء مدرسة الأساس وفي صيانة وتأهيل المستشفى بمدينة أبو حمد · وأقاموا خلوة بقرية (القوز) ·

الطريقة الختمية بكسلا

يـــروى أن سلســـلة الطـــريقة تـــبدأ من الشيخ المؤسس وحتى الحالي ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٢م بالشيخ الحسن الميرغني أبو جلابية ثم الشيخ محمّد عثمان

الميرغنـــي الملقــب بالأقرب فالشيخ أحمد محمَّد عثمان ثم الشيخ الحسن محمَّد عثمان الميرغني ثم الشيخ عبد الله الحسن الميرغني.

وقــد اســتمدت الطــريقة مبادئها وأسسها وقواعدها العامة والتي نشأت علــيها مــن الكــتاب والسنة. أما عن تتصيب شيخ الطريقة فقد ورد أنه يكون بتوصــية من والده ، وتتصيب خليفة الشيخ يكون بتعيين الشيخ له. ويتم الانتماء للطريقة فقط بالالتزام بعهد الطريقة ، ويذكر أن للطريقة أوراداً وأذكاراً خاصة تتمــثل في ورد الأساس ويكون عقب صلاة المغرب والراتب ويكون صباح كل يــوم. كمــا تحتفل الطريقة بالعديد من المناسبات الدينية مثل الإسراء والمعراج ورمضـــان والعيديــن والمولــد النــبوي الشريف حيث يتم إحياء الليالي بالذكر والــتلاوة والمدائــح النّبوية والقصائد والدروس والمحاضرات ويتم فيها إطعام الناس وتسليك المريدين في الطريقة.

الطريقة الخَلْوَتية

إحــدى الطرق الصوفية المعروفة في العالم العربي الإسلامي ، انبثقت مــن الطــريقة القادريـــة ومؤسسها الأول هو الشيخ عمر الخلوتي الذي جاءت نسبتها اليه من اسمه وعمر هذا ولد بجبلان في عام ٨٠٠هــ/١٣٩٧م .

انتشـــرت الخلوتية في إقليم الأناضول المعروف في تركيا باسم الأبهرية الــزاهدية، ومـــن تركــيا انتقلت إلى مصر بأسم البكرية وشيخها آنئذٍ هو الشيخ الحنفي.

من أهم ما تفرعت عنه الخلوتية ، الطريقة السمانية التي أنشأها الشيخ محمَّد عبد الكريم السمّان ، ونشرها ودعا إليها بالحجاز ومن هناك دخلت السودان كما هو معروف إلى جانب بقية البلاد الأخرى .

الطريقة الرفاعية

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الشيخ أحمد الرفاعي ٥٧٨هـ/١١٨٢م· وهو من قبيلة رفاعة العربية التي سكنت أرض البطائح بالعراق ، وهاجر رفاعة الجد إلى أرض المغرب ، وبها تزوج و استقر ، وصار له فيها خلف ، ثم هاجر أحدهم إلى مكة ، ومنها إلى البصرة ، وفيها أنجب السيد أبو الحسن والد الإمام الرفاعي الكبير ·

ولد الرفاعي في أم عبيدة ، من أعمال واسط بالعراق سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م ، ودرس في صغره علوم عصره· وعندما كبر، وصار متمكناً أسس طريقته في العراق، والتف حوله المريدون الذين عرفوا بالبطائحية ، وانتشرت تعاليم الطريقة في أقطار كثيرة، منها مصر التي تأسست فيها على يد ابو الفتوح الواسطي ·

ويقوم أساس هذه الطريقة على: الذكر الجهري، والأخذ برواية الخرقة، واقتران السياحة بالعهد والاستخلاف، وهي طريقة تعتمد على العمل بالكتاب والسنة، وكثرة الذكر والأوراد وفق أسلوب معيّن، وكان يقول لمريديه "كونوا مع الشرع في آدابكم ظاهراً وباطناً"·

وقواعد الرفاعية عشر، وأولها البيعة يؤديها المريد للمرشد على السجادة لاصقاً ركبتيه بركبتيه ويقرأ الفاتحة، كذا يقرأ عليه المرشد البيعة، ويطلب منه الاستغفار والتوبة ويردّد خلفه الرضا بمشيخته وإرشاده بطريقة أحمد الرفاعي، ويقيمه المرشد مريداً على هذا العهد، ثم يجلسه ويوصيه بتقوى الله ويلقنه كلمة التوحيد ويعلمه الذكر بلا إله إلا الله، يقولها مخلصاً متجرداً من الأعماق ، ثم يضع جبهته ويده على صدره ويدعو الله بالتوفيق والإخلاص والبركة ويختم دعاءه بالفاتحة ويقوم مع المريد إلى القبلة ويصليان على النبي أول الخلق وخاتم

الرسل والأنبياء أجمعين، ثم يثبتان بالفاتحة والقاعدة في سلوك الطريقة الرفاعية الأدب وصحة الصحبة، وأول ذلك مع المرشد فيخدمه بطوعه ، وعن رغبته ليتطبع بطباعه بالمعاشرة فتتحسن أخلاقه وينسلخ من الدعاوي والغرور والأقاويل والشطح والكسل، وسلك طريق السلف ولا يعمل ولا تأخذه في الحق لومة لائم ، فإذا ظهرت عليه هذه العلامات يعطيه المرشد أول أوراد الرفاعية وهي الصلاة على النبي بالعدد الذي يناسب استعداده أيضاً فإذا طاب له الذكر يزيد له العدد ويساعده على ذلك بالرياضة أحياناً، وبالسياحة حيناً وبالتجرد والخلوة والسهر والتهجّد والخدمة والصدقات لا تعوقه عقبات الطريق ، وهي عند الرفاعية حب الشيخ بالانقطاع إليه عن غيره واستغراق القلب واللسان بمحبة النبي (ﷺ) والتمسك بشريعته وأحكام سننه ، حتى ليشهده (ﷺ) معه دائماً في كل مكان ووقت ، ويستحسن أن يقرأ السالك مع روايته حزب التحفة السنية بالرفاعية وهو عبارة عن آيات قرآنية ومجموعة من الأدعية في نحو الثلاث صفحات. ومن قواعد الرفاعية الخلوة مرة كل سنة -سبعة أيام- ، تبدأ باليوم الثاني من عاشوراء ، إلى الثاني عشر من محرم الحرام ، إلى مساء اليوم السابع عشر ، فيكون للمختلي فراشه الذي لا تشاركه فيه زوجته ولا غيرها ويكون على وضوئه باستمرار يخلي طعامه من كل ذي روح ويصلي على النبي الأميّ الطاهر الذكيّ وآله وصحبه مائة مرة وأن يكون ذكره بعد الراتب بالعدد الذي يسمح به استعداده اليوم الأول لا إله إلا الله وفي الثاني يا الله وفي الثالث يا وهّاب وفي الرابع يا حيّ وفي الخامس يا مجيد وفي السادس يا معطي وفي السابع يا قدّوس .ويلزم استغراق الوقت في الذكر ، ولا يتقيد الرفاعية بزيّ مخصوص إلا العمامة السوداء عملاً بالسنة المحمّدية ، وأمّا الزي الأسود فذاك تخصيص إطلاق بلا قيد، إشارة إلى دوام السؤدد وشرف الطريقة ، وغالباً ما

ينصبّ الولاء العام ليلتي الجمعة والاثنين والورد الخاص كل يوم بعد العشاء وطريقته التحلق وكل فرد جاث على ركبتيه ، ويقرأون الفاتحة ويستأذنون على الرسول وآل البيت والصحابة والأولياء وسيد الأولياء الرفاعي بقولهم دستور ثم يختمون ذلك بطلب المدد ويباشرون قراءة الورد ويتضمن سورة الأعلى والقدر النصر والإخلاص والفلق والناس والفاتحة ثم يقرأون عدداً من الصلوات والأشعار ثم الفاتحة ويختمون · ومن مراسمهم عدة النوبة وهي عبارة عن الدفوف والطبول الأحمدية الكبيرة يضربونها في ليالي الجمع ويجتمعون عليها لتنشيط المريدين والترويح عن القلوب ويمدحون النبي ويذكرون الصالحين· والقاعدة في أدب المرشد والمريد أن يكون المرشد كاملاً متشرعاً متديناً عارفاً بأصول الطريقة وأركانها وآدابها وخلواتها وأذكارها وأورادها وسلوكها وأسرارها· ناصحاً لإخوانه محباً لهم لا يلتفت للشيطان وينبغي أن يكون المريد صاحب أدب وخشوع وخضوع عارفاً بمقدار شيخه منقاداً له لا يعترض عليه حافظاً لحرمته وحرمة أهله وأقاربه ومحبيه لا يصاحب له عدواً ولا يباعد له صديقاً ولا يزور أحداً من صالحي الوقت بغير أمره وإذنه ويكون بين يدي شيخه كالميّت بين يدي الغاسل·

من الأدب مع صاحب الطريقة معرفة قرابته بالرسول (ﷺ) ليعرف له المريد حق المودة في القربى وأنّ محبته من محبة النبي (ﷺ) ومن الأدب معه معرفة سيرته للتخلق بأخلاقه ولا يصح لمن انتسب إلى طريقته أن ينتسب إلى طريقة أخرى بعدها ولبس الخرقة من القواعد الرفاعية وقد لبسها الشيخ منصور البطائحي الذي لبسها ضمن سلسلة من خمسة عشر إماماً تنتهي بعليّ كرم الله وجهه التي لبسها من النبي (ﷺ)·

وتظهـــر لنا مراسم العهد والبيعة سنّيّة تعاليم الطريقة التي تلزم المريد بالذكر والصلاة وخلوة المحرم التي تعدها الرفاعية وسيلة للفيض الإلهي ٠

ومن قراءة ما دُوِّن عن هذه الطريقة نجد أنها لا تخرج في تعاليمها عن دائـــرة الشرع ٠ ومن تعاليمهم التسامح والمخالفة لمظاهر الغلو ٠ و الرفاعي لم يفـــرض علـــى مريديه زيّا معيناً ، ويراعى في عدد الأوراد حالات المريدين ، ويحثهم على الكتاب والسنة ، ويحذرهم من الانحراف عن الأعراف ٠

وقوله : "لم أترك طريقاً إلا سلكته ، وعُرِفَتُ بصدق النية والمجاهدة فلم أجـــد أقرب وأوضح و أحبّ من العمل بالسنة المحمَّدية ، والتخلّق بأخلاق أهل الذل والإنكسار والخيرة والاقتصاد" ٠

ومن أقواله المشهورة " الشريعة الحقيقة ، والحقيقة الشريعة "، وهو هنا يرى التلازم لا التمايز ٠ ولا يرى طريقاً إلى الله إلا بهما متفقاً في ذلك مع قول البعض " الشريعة هي اللبن ، والحقيقة هي الزبد ، فلا زبد بلا لبن ٠

والرفاعـــي يعّول كثيراً على تربية المريدين ، وثيق الصلة بهم حريصاً على تزكية النفوس من أكدار الدنيا ، ويقول " الفقير على الطريقة طالما لم يحد عـــن أحكـــام الشريعة" ٠ ويقول " بُني طريقنا هذا على الصدق ، وحسن الخلق والكـــرم " ، ومـــنه " طريقي دين بلا بدعة، وهمة بلا كسل ، وعمل بلا رياء ، وقلـــب بـــلا شغل ، ونفس بلا شهوة " ٠ومنه(متلفت لا يصل) ٠ويقصد بذلك أن الطـــريق إلى الله مستقيم لا عوج فيه ولا التفات إلى الدنيا ٠ ومن يلتفت إليها و إلى هؤلاء ينشغل بها فيعطلها عن الوصول إلى غايته ٠

والرفاعي كما عنى بربط المريدين بالشريعة فقد اهتم بتوطيد العلاقة بين الفقهاء والعلماء و الأولياء ، لأنهم المنهج المقصود، يقول " عظمّوا شأن الفقهاء والعلمـــاء كتعظيمهم شأن الأولياء والعرفاء ، فإن الطريق واحد وهؤلاء ورّاث

ظاهر الشريعة ، وحملة أحكامها الذين يعلّمونها للناس ، ومنها يصل الواصلون إلى الله ، أو لا فائدة في السعي والعمل على الطريق المغاير للشرع.

من أقواله " ركعتان من فقيه في دينه أفضل عند الله من ألفي ركعة من جاهل في دينه . و إياكم وإهمال حقوق العلماء وعليكم بحسن الظن فيهم جميعاً. أمـــا أهـــل الـــتقوى، العاملون بما علمهم الله فهم الأولياء على الحقيقة ، فلتكن حرمتهم عندكم محفوظة ".

ممـــا روّجها المريدون والأتباع و أصحاب الأغراض عادات و أقوال و أفعـــال مخالفـــة للشرع ، ومخالفة لتعاليم مؤسس هذه الطريقة ، فالكرامات التي تنسب إلى كثير منهم تتعارض مع أقواله و أفعاله و أقوال كبار رجال الطريقة ، ومـــن ذلـــك مـــا اشـــتهر به الرفاعية من ترويض الحيوانات ولعب الأفاعي ، والرفاعـــي نفسه يحذّر من أمثال هؤلاء وتبرأ منهم ، وحذّر من الدّجّالين الذين قرنهم بالشيطان بقوله "إياكم والدجالين ، إياكم والشيطان ".

ولعـــل الأصـــل في اشتهار الرفاعية بترويض الحيوانات ما اشتهر به مؤسســـها من عطف وحبّ للحيوانات وخاصة الضالة منها ومن هنا كان مدخل بعض الأتباع الذين أشاعوا كثيراً عن ترويضه للحيوانات حبّاً في شيخهم ورفعاً لمقداره ظانيّن أنّ فيما يدّعون ما يعود بالنّفع على الطريقة .

وإذا تأكد لنا من أقوال الرفاعي نفسه الذي يحذّر من مثل هذه الدعاوي ، فـــإن عالمـــاً معاصراً كتب عن المصريين وعاداتهم يقول: " إن الأفعال العجيبة التـــي تنسب إلى الرفاعية كجلوسهم في الأفران المتأججة وركوبهم الأسد وغير ذلك لم تكن معروفة لدى منتسبي هذه الطريقة وقد استحدثت بعد الغزو المغولي " بل هناك من أشار إلى أن الرفاعي نفسه يبرأ ممن يتكسب من لعب الأفاعي و احترافه .

الطريقة الركينية

تختلف الركينية عن بقية الطرق الصوفية الأخرى وذلك من حيث التسلسل إذ أن السلسلة "أو" السند هو السمة المميزة لكل الطرق الصوفية ذات الصلة باسانيد مباشرة عن طريق البيعة والتلقين لكن الطريقة الركينية طريقة " اجتبائية " فإن أصلها هو البيعة الروحية والاجتماع بالنبي (ﷺ) وأخذ أصول الطريقة عنه وأسمها بالكامل الطريقة القرآنية السنية المحمَّدية الركينية أسسّها الشيخ محمَّد أحمد الركين ١٣٥٦هـ/١٣٣٦هـ في قرية ود الركين " الواقعة " شمال شرق سنار حاضرة ولاية سنار شرق ود مدني عاصمة ولاية الجزيرة وغرب الخياري في طريق مدني القضارف ٠

ولد الشيخ محمَّد أحمد الركين في قرية " حوي النبي " التي سميت الآن بود الركين وكان ذلك عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م وكانت بداية تعليمه على والده الشيخ طه الذي لم يكن منسوباً لطريق صوفي معين وإنما كان له مشربه الخاص فأخذ عنه مبادئ القرآن والفقه ثم انتقل والده وعمره آنئذٍ سبعة عشر عاماً وكان مولّها بحب النبي (ﷺ) والعلم فاعتكف للعبادة فأكرم بجمعه بالحضرة المحمَّدية فأخذ عنه بإفاضته عليه بإذنه في هذا الطريق المبارك وألهمه أساسه وأوراده وعلومه وأفاض عليه من شتى علوم الدين وله في ذلك مؤلفات كثيرة بعضها في دار الوثائق العلمية القومية منها كتاب مولد يسمى **السراج المنير في قصة ميلاد البشير النذير** وكتابان في **الإسراء والمعراج** ، وكتب في التوحيد كـ**الدرر العظام والجواهر العظام** وكتب فقهية **لمجموع حكم التعوذ والبسملة** وكتاب **القبض والسدل** أخرها٠

إلـــى جانـــب ذلك أسس والده مسجداً وخلاوي قرآن وكان يقوم بتدريس القرآن والعلوم الشرعية بنفسه وتلقين أصول الطريقة الركينية وأخذ البيعة وكان دائماً يردد مطلع قصيدته ·

يامن يروم أصل طريقتي * تعرف حالي بميزان الشريعة

أوراد الطريقة :

بعد أخذ البيعة يؤمر السالك بأساس الطريقة وهي ست :

١/اســتغفر الله الغفــور الرحــيم ١٠أو ٢٠أو ١٠٠ مره سقطاً بالمسبحة حسب الاستطاعة

٢/اللهم صلي على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم ١٠ أو٢٠ أو١٠٠مرة

٣/لا أله الا الله ١٠ أو ٢٠ أو ١٠٠ مرة

٤/الله ١٠ أو ٢٠ أو ١٠٠مرة

٥/ ياهو ١٠ أو ٢٠ أو ١٠٠ مرة

٦/ياحي ياقيوم ١٠ أو ٢٠ أو ١٠٠ مرة

ويســبق كل ذكر بتلاوة ما يناسبه من القرآن الكريم ليجمع ما بين فضل التلاوة والذكــر وهــناك (الأســاس الأكبر) أيضا لمن يطلبها و(الأساس الأكبر) عقب الصـــلوات الخمس وأهم شيء عندهم الاهتمام بتعليم المريدين أمور دينهم أصلاً وفــرعاً وكــان محمَّــد أحمد الركيني يقول (الإشغال بالعلم أفضل من الاشتغال بالذكر والجمع بينهما أفضل)·

وهــنالك أوراد ليلــية لمن يطلبها أو رأي الشيخ أنه أهل لها وقد زار الشــيخ محمَّــد أحمد مصر لطباعة بعض مؤلفاته وجلس معه لفيف من علماء الأزهــر بعــد دراسة مؤلفاته واقروا سعة علمه حتى قالوا في أحد مجالسهم بل واقســم أحدهــم تفضيل علماءنا في العلوم الشرعية بسبع وعشرين درجة، وقد

اتصل به سياسيو السودان فوجدها فرصة سانحة لتذكيرهم بالاحتكام إلى شرع الله فــيما هم فيه وكانت بين الطرفين مراسلات لم تزل موجودة أخذاً ورداً بينه وبيــنهم كالســيد علــي الميرغني والسيد عبد الرحمن المهدي والسيد إسماعيل الأزهري وكانت الخلاصة رفضة التام لأتباع أي و أحد منهم وقال إنمّا أنا على الكتاب والسنة وبهذا سلم وسلمت طريقته من عيوب التحزب ٠

كــان مســجده فــي بداية الأمر مبنياً بالطوب الأحمر مع بقية المباني كــالخلاوى والمضيفات القرآنية وغيرها من الطين والقش وقد أعيد تشييدها في أواخر عهده ٠

ومن تلاميذه المشهورين

الشيخ المكاوي وهو الشاعر المعروف٠

الشيخ عبد الكريم السند٠

والشيخ محمَّد جبر العاطي٠

وغيرهم كثير وكان هذا ديدن الشيخ في علوم الشريعة والحقيقة حتى وفاته التي كانــت عــام ١٩٦٤م عن عمر ناهز ٧٧عاماً ودفن بقريته ود الركين وله بنيّة تزار إلى الآن ٠

خلفاؤه:

خليفــته الأول ابــنه الأكــبر الشيخ محمَّد صالح وهو الذي ولد عام١٣٣٢هــ/ ١٩١١م وكانــت مدة خلافته ٣٨ عاماً وتلقى تعليمه على والده ونشأ في مسيده وكان له دور في نشر الطريقة الركينية حتى توفاه الله عام ١٤٢٢هــ/ ٢٠٠١م٠

ثــم خلفه أخوه الشيخ إبراهيم الشيخ محمَّد أحمد الركين والذي ولد عام ١٣٥٠هــ /١٩٣٠م وهو الخليفة الحالي وعمره الآن١٤٢٢هــ/ ٢٠٠١م تجاوز الســبعين عامــاً وكان يعمل على نشر الطريقة بجهده الخاص منذ حياة الخليفة

الأول وهـو الـذي تم في عهده نشر الطريقة بإطار واسع في ولاية الخرطوم وأسـسّ بها أشهر زاوية في الطريق في أبو آدم مربع ٦ وبها مسجدٌ أسس عام ١٩٩٠م وافتتح لأداء الصلوات في عام ١٩٩٣م وانتدب إليها أحد تلاميذه الشيخ عبد الرحيم الركيني ليكون مسئولاً عن المسجد ونشر الطريقة.

كما قام بتأسيس عدة زوايا بالولاية الشمالية في أرقي ومقنّارتي وتنقاسي والقولـد كمـا له بداية تأسيس بكوستي ونيالا بل زاع صيت الطريق في جميع أنحـاء السـودان فـي عهده كما له فروع خارج السودان .وكان قد اخذ العلم والطـريق عن والده وقد أثنى عليه والده كثيراً وبشر باستفادة المسلمين منه كما التزم ايضاً بعدم مقابلة النساء مثل والده الذي يقول شاعره المكاوي

النساء ما شافنه	ما اتـبركن طافـنو
بهدية ما بلفنو	وكل يوم بزيد في فنو

وللشيخ إبراهيم عدة مؤلفات مثل كتاب **مختصر التصوف** وكتاب **ملخص التجويد** وكتاب **خلاصة النحو** وكتاب **أساس القصيدة الاشعرية** وكتاب **سؤال وجواب في الفقه** وغيرها.

من اشهر تلاميذة :

الشيخ عبد الرحيم الركيني

ولد بقرية سالمة بجوار قرية ود الركين عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م وأخذ علومـه الدينـية علـى يد الشيخ إبراهيم الشيخ محمَّد أحمد الركيني بعد أن أخذ الطريقة عنه وأكرم بملازمته حيناً من الدهر وهو الآن منتدب الطريقة الركينية بولايـة الخـرطوم والولايـة الشمالية كما ينتدبه الشيخ إلى مناطق كثيرة لنشر الطريقة بعد تدعيمه بما يؤهله لذلك ظاهراً وباطناً وهو أمام مسجد زاوية مربع سـتة أبـو آدم بالخرطوم في الجمعة الجماعة ويقيم محاضرات بالزاوية عقب

صلاة الجمعة ونهار الأربعاء عقب صلاة الظهر ومحاضرات متفرقة بالعاصمة وخارجها وهو يطلب لها رغبة فيها.

درس المرحلة المتوسطة بقرية ٤٤ ود تكتوك والأساس بحلة ود السائح فقط .أما في ارقي شرق مدينة الدبة بالولاية الشمالية ، فهناك تلميذه الشيخ عبد الهادي حاج أحمد وهو من مواطني مدينة أرقي وقد أقامه الشيخ مندوباً على زاوية الطريقة هناك وبمساعدة الشيخ محجوب موسى عيد .

خلافة الشيخ :

كانت الخلافة السابقة قد تمت بتسلسل الأبناء وذلك باختيار والدهم بحياته فكان الخليفة الأكبر ثم الأصغر مع كثرة ثنائه على الأصغر وصورة الخلافة السابقة كالآتي .

أساسها اختيار الشيخ المؤسس بحياته وتنفيذها قام الشيخ إبراهيم بإجلاس أخيه الأكبر الشيخ محمَّد صالح علي ككر الخلافة وقال هذا خليفة أبي ثم قام الشيخ محمَّد صالح وأخذ بيد الشيخ إبراهيم وأجلسه على الككر قال هذا خليفة أبي وخليفتي وأما في المستقبل فالخلافة للأعلم والأصلع من ذرية الشيخ المؤسس .و للشيخ محمَّد أحمد الركين ذرية طيبة منهم الشيخ محمَّد صالح والشيخ إبراهيم والشيخ الطيب والشيخ الطاهر والشيخ الفاروق والشيخ القاسم والشيخ السماني والشيخ عبد الله والشيخ يوسف والشيخ حسن وأبناء الشيخ محمَّد صالح .

الشيخ محي الدين والشيخ الأمين وآخرون ومن أبناء الشيخ إبراهيم . الشيخ محمَّد أحمد والشيخ البشير والشيخ طه والشيخ محمَّد صالح والشيخ الصديق والشيخ عبد العظيم والشيخ سيف والشيخ الطاهر و غيرهم.

الطريقة السمانية

الطــريقة الســمانية هــي إحــدى الطــرق الصوفية الشهيرة في العالم الإسلامي، وهي وإنْ كانت باسمها الاصطلاحي المعروفة به حديثة النشأة نسبياً، حيــث إنها لم تنشأ إلا في القرن الثاني عشر الهجري، إبان حياة مؤسسها الشيخ محمَّــد بن عبد الكريم السمان (المولود في عام ١١٣٢هــ/ ١٧٢٠م ، والمتوفى في عام ١١٨٩هــ/ ١٧٧٥م،إلا أنها بما تُشير إليه من طرق ذات نشأة قديمة ،لا فــي الســودان فحسب بل في كل أنحاء العالم الإسلامي ، ذلك أن تاريخ الطرق الصوفية التي منها تتكون الطريقة السمانية يتمثل فيما يلي:

- الطــريقة القادريــة ، وهي أولى الطرق (الجماعية) التي عرفت في العالم ، وكــان رائدهــا الشيخ عبد القادر الجيلاني – قد عاش في الفترة من عام ٤٧٠هــ / ١٠٧٧م ، إلى عام ٥٦٠هــ / ١١٦٤م.
- الطريقة النقشبندية ، وهي ثاني الطرق التي منها تتكون الطريقة السمانية، وكــان رائدها– سيدي الشيخ محمَّد بهاء الدين نقشبند– قد عاش في الفترة من عام ٧١٧هــ / ١٣١٧م إلى عام ٧٦١هــ / ١٣٨٨م.
- الطــريقة الخلوتــية ، وهي ثالث الطرق الصوفية التي منها تتكون الطريقة الســمانية ، وكان رائدها الشيخ مصطفى البكري – قد عاش في الفترة من عــام ١٠٩٩هــ / ١٦٨٧م إلى عام ١١٦٢هــ / ١٨٤٨م . علماً بأن أول مــن شــهر بوصف (الخلوتي) هو الشيخ محمَّد الباسل ، وكان أتباعه قد اشــتهروا بــ(القرة باشلية) نسبة للشيخ علي أفندي (قر باش) ، وهي كلمة تركية ومعناها باللغة العربية : أسود الرأس
- طــريقة الأنفــاس ، وهي رابع الطرق التي منها تتكون الطريقة السمانية ، وهي إنْ كانت لا تُنسب إلى رائد معيَّن إلا أنها مُبْتغى كل فرد (شيخاً كان

أم مــريداً) يبقى الكمال في دينه ، وفي علاقته بخالقه ،ذلك أنها تُشير إلى اســتثمار الفرد لكل نَفَس ، يدخل إليه أو يخرج منه ، بحيث لا يكون هناك نَفَس داخل إليه ، أو خارج منه إلا وهو مصحوب ما أمكن بالذكر واليقظة وعدم الغفلة٠

- طــريقة الموافقــة، المســماة أحياناً (الطريقة الأسمائية) ، وهي وإنْ كانت كســابقتها لا تُنسب إلى رائد معيَّن ، إلا أنها تُشير إلى التوافق العددي في (حــروف الجمَّــل) بيــن اسم أو اكثر من أسماء المولى(سُبحانه وتعالى) الحسنى ، مُقارنــاً من حيث الدلالات (الرقمية) للحروف الأبجدية باسم الذاكر وأبيه وجــده ، أو باســم والديه، ولتوضيح ذلك تطبيقاً في اسم واحد ، أذكر أن حــروف الاسم (محمَّد) مثلاً يوافق عددياً حسب (حروف الجمُل) المسماة أيضاً بــ(الحروف الأبجدية)ما يأتي(م= ٤٠ ، ح = ٨، م= ٤٠ ، د= ٤) فمجمــوع الاســم (محمَّــد) على هذا النحو هو (٩٢) ومن ثم فإن الاسم المناســب للذكر للمسمَّى به هو ما يتفق من حيث عدد اسمه واسم الديهل ، مع اسم أو أكثر من أسماء الله تعالي الحسنى ٠

هــذا ويرمــز اختصاراً للطريقة السمانية بكلمة (نَقْطَخَمْ) المشار بحرف (الــنون) فــيها إلى (النقشبندية) وبحرف (القاف)فيها إلى (القادرية) ، وبحرف (الطــاء) فــيها إلى طريقة الأنفاس ، وبحرف (الخاء) إلى (الخلوتية) ، وبحرف (الميم) فيها إلى (الموافقة) ٠

وَمْضة من سيرة الشيخ السمان

والــد الشــيخ محمَّد هو الشيخ عبد الكريم بن محمَّد بن عبد العزيز بن حســن القرشي القادري المدني ، ووالدته هي السيدة عائشة بنت السيد أحمد بن الســيد عــبد الله حجــازي والشهير بالسمان ، وعمه هو الشيخ عبد الرحمن بن

الشيخ أحمد الحجازي ، وعمه الآخر هو الشيخ أحمد بن حسن السمان ، وكلاهما قـد سلك الطريق على ابن أخيهما السمان ٠ علماً بأن الأسرة بصفة عامة تنسب إلـى السـادة (البكرية) نسل أبي بكر الصديق(رضي الله عنه) ،كما يشير إلى ذلك الشيخ قريب الله في ديوانه الشعري **رشفات المدام** حيث يقول:

يا (بني الصديق) أنتمو أصلي نسبتي بالروح شرَّفت نسلي

تـربَّى الشـيخ السمان في بيت والده ، وبإرشاده ، وعنايته حفظ القرآن الكـريم ، ودرس العلوم العقلية ، والنقلية ، على أنه ما إن شبَّ حتى سلك عدداً من الطريق الصوفية ، من مثل:

- **الطـريقة القادريـة** ، المنسـوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ٤٧١هـ/١٠٧٨م – ٥٦١هـ/١١٦٥م وهـي طريقة كان قد سلكها قبْله – كما هو معروف والده الشيخ عبد الكريم ومن أجلها رعى زاوية اسماها باسم(الزاوية القادرية)٠
- **الطـريقة النقشبندية** المنسوبة إلى الشيخ محمَّد بهاء الدين نقشبند ٧١٧هـ/١٣١٧م –٧٩١هـ/١٣٨٨م٠
- **الطريقة الخلوتية** ، وكان قد سلكها على يد الشيخ مصطفى البكري ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م– ١١٦٢هـ/١٧٤٩م، وفيها اختير خليفة لمرشدها٠
- **الطـريقة الشـاذلية**، المنسـوبة إلى أبي الحسن الشاذلي ٥٩٣هـ/١١٩٦م– ٦٥٦هـ/١٢٥٨م٠
- **الطريقة العادلية** ، المنسوبة للإمام العارف بالله الشيخ بدر العادلي دفين مكة المكرمة ، وهي – كما ورد– شعبة من شعب البزغشية المنسوبة إلى الشيخ نجيب الدين بن بزغش الشيرازي٠

- **الطـــريقة الأنفاســـية** ، المشار بها إلى استثمار العابد للأنفاس أو لنسيم الهواء المصحوب بالذكر في حالتي دخول النفس وخروجه.
- طريقة الموافقة المسماة أيضاً باسم (الطريقة الأسمائية) هذا وكلمة (السمَّان) التـــي شهر بها مُؤسس الطريق هي في حقيقتها اسم شهرة لكل العائلة ، وقد أطلقـــت قـــبلاً علـــى أسرٍ أخرى غير أسرته ، مما يؤكد أنها ليست وصفاً معـــنوياً أو حســـياً لشـــيخ الطريق ، بل ليست قاصرة على أسرته ، فالشيخ إســـماعيل بن علي بن الحسين بن محمَّد بن الحسن بن زنجويه الرازي شيخ المعتزلة بالري، المتوفى في عام ٤٤٥هـــ كان مشهوراً باسم السمان ، وهو كمـــا ترى قد عاش قبل عام ٦٨٥عاماً من ولادة سيدي الشيخ محمَّد بن عبد الكريم .

عُـــرف الشـــيخ السمان بين معاصريه بلقب(خاتم الولاية المحمَّدية)،وبلقب (بـــواب الحضـــرة النـــبوية) حيث ورد أنَّه كانت لا تقبل زيارة أحد لرسول الله (ﷺ) إلا عـــن طـــريقه. علماً بأنه الولي الوحيد من بين كل أولياء العالم الذي أكرمه المولى عز وجل وعلا بالظهور في مدينة رسوله عليه الصلاة والسلام.

مؤلفات الشيخ السمان

للشيخ السمان عدد من المؤلفات ، أذكر منها ما يأتي :

١. أحزاب ، وأدعية ، ومناجاة.
٢. إغاثة اللهفان ، ومؤانسة الولهان .
٣. الإنسان الكامل .
٤. تحفة السالك ، في كيفية السلوك للمالك .
٥. تحفة القوم ، في مهمات الرؤيا والنوم .
٦. جالية الكرب ، ومنيلة الأرب .

٠٧ ديوان شعر ٠

٠٨ وصية الأخوان ٠

٠٩ عنوان الجلوة ، في شأن الخلوة ٠

٠١٠ الفتوحات الإلهية ، في التوجيهات الروحية ، للحضرة المحمَّدية ٠

٠١١ الفتوحات المدنية ، في مدح خير البرية ٠

٠١٢ الفتوحات المكية ٠

٠١٣ القول السديد ، المرسل هدية إلى أهل زبيد ٠

٠١٤ كشف الأستار فيما يتعلق بالاسم (القهار)٠

٠١٥ معراج السلوك ، إلى ملك الملوك ٠

٠١٦ مفتاح القبول ، في الصلاة على الرسول٠

٠١٧ المناقب السنية ، من مواهب المنان ، على عبده ذي الأخلاق المرضية٠

٠١٨ المنحة المحمَّدية في الصلاة على خير البرية المسماة أيضاً (صلاة نقطة دائرة الوجود)٠

٠١٩ المنهل الهني ٠

٠٢٠ المواهب الأقدسية ، في شرح المنحة المحمَّدية٠

٠٢١ مولد النبي(ﷺ) ٠

٠٢٢ النصيحة العلوية ، للسادة الأهدلية ٠

٠٢٣ النفحات الإلهية ، في كيفية سلوك الطريقة المحمَّدية٠

٠٢٤ النفحة الأقدسية ، أو القصيدة العينية ٠

٠٢٥ الوسيلة ، في الدعوات والأذكار ٠

تاريخ الزاوية السمانية بالمدينة المنورة

جـاء عـن (زاويــة الســمان) في كل من كتاب السيد جعفر بن السيد إسماعيل المدني البرزنجي المسمى **نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين** ، وكتاب المرادي المسمى **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر** ما يفيد بأنه كانت هناك دار تقابل باب النساء بالمسجد النبوي ، عُرفت باسم (دار ريطة) – بفتح الراء – نسبة إلى ريطة بنت السفاح العباسي · علماً بأن (باركوج) التركي أحــد أمــراء الشــام كان قد بنى لاحقاً موضع دار ريطة مدرسة للسادة الحنفية أسماها (الباركوجية) ، أعقبه من سمى ذات المدرسة باسم (المدرسة السنجارية) وقــد أطلــق على ذات المدرسة لاحقاً اسم (زاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني) ، وذلك في عهد والد الشيخ السمان القادريّ الطريقة ، ثم سميت نفس الزاوية باسم (الــزاوية الســمانية) فــي عهد نجله الشيخ محمَّد بن عبد الكريم شيخ الطريقة الســمانية ، وقــد ظلت تحمل هذا الاسم حتى عام ١٣٢٤هـــ ، وكان بها – كما ورد– حجــر كثيرة ينزل بها الواردون إلى المدينة المنورة من الغرباء ، وأهل الآفــاق ، وقد كان بينها وبين المسجد النبوي ما دون تسعة أذرع على الأكثر ، غــير أنها الآن صارت بإكرام المولى جل وعلا لأهلها حرماً مقدساً ،وجزءاً لا يــتجزأ من الحرم النبوي ، ونقل ذووها نشاطهم الصوفي إلى المنازل والحدائق الخاصة ، في داخل المدينة وخارجها ·

شجرة نسب آلــ الشيخ السمان

يتسلسل نسب الشيخ السمان تصاعدياً إلى أبي بكر الصديق(رضي الله عنه)

أنجال الشيخ السمان :

١· الشــيخ عــبد الكريم ، وهو نجله الوحيد ، من زوجته الوحيدة السيدة ملكة بنت العلامة الشيخ مصطفى بن سيوف الشروني ·

٢. الشيخ أبو الحسن بن الشيخ عبد الكريم ، وهو الحفيد الوحيد للشيخ السمان ، وكـــان قد تتلمذ على يد الشيخ حسيب الكوباوي تلميذ الشيخ أحمد الطيب بن البشير ، وتوفي في يوم الأحد الثاني من ذي القعدة سنة ١٢٥٨هـ.

٣. الشيخ محمَّد بن أبي الحسن، المولود في شهر رمضان من سنة ١٢٤٦هـ والمـــتوفى في شهر شوال من عام ١٢٦٦هـ عن عمر لم يتجاوز عشرين من السنين وشهرين .

٤. الشيخ أبو الحسن بن الشيخ محمَّد ، المولود في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م ، وذلك قبل وفاة والده بعشر أشهر ويومين فقــط ، والمــتوفى ســنة ١٢٩١هــ/١٨٧٤م عن عمر لم يتجاوز خمسة وعشرين عاماً وثلاثة أشهر .

٥. الشـــيخ محمَّـــد بن الشيخ أبو الحسن المولود في حوالي سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م وذلـــك قبل وفاة والده بحوالي سبعة أعوام فقط ، والمتوفى في عام ١٣٦٦هـ .

٦. الشيخ أحمد بن الشيخ محمَّد المولود في حوالي سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م.

٧. الشيخ هاشم بن الشيخ أحمد ، المتوفى عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

٨. الشيخ الدكتور طارق بن الشيخ هاشم ، المتوفى في يوم الأربعاء الأول من شهر محرم سنة ١٤١٣هـ الموافق الأول من يوليو سنة ١٩٩٢م .

٩. الشـــيخ محمَّـــد بـــن الشيخ طارق ، وهو بحمد الله حيّ ، ويسكن المدينة المنورة بنور صاحبها عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

ميادين انتشار الطريقة في عهد الشيخ السمان

انتشـــرت الطريقة السمانية في عهد منشئها في عدد من الأقطار ، أذكر مـــنها على سبيل المثال لا الحصر : السودان ، مصر ، الهند ، الشام ، اليمن ،

الحجـــاز ،موريتانيا أو (بلاد شنقيط) ، ليبيا أو (طرابلس الغرب) ، بلاد نعمان ، بلاد جاوا ،المغرب ، العراق ، تونس ، نيجيريا ٠ أو (بلاد تكرور) ٠

هــذا وقــد وردت الإشارة إلى بعض ما ذكر أعلاه من بلاد في قصيدة (عينية) للشيخ السمان ، جاء فيها ما يأتي :

سلوا (نجد) عني و (العراق) و (شامها) فلي ثم أســــــرار هناك ودائع

وفي (يمن) و (الهند) لـــي ثـــــمّ فتية بهديي ليهدوا من عن الحق ضائع

الألقاب المتعارف عليها عند أهل الطريق السماني

يتردد عن ذوي الطريق السماني عدة ألقاب ، منها :

٠١ لقب (الشيخ)

لفظ (الشيخ) له معان لغوية ، وأخرى اصطلاحية منها فيما يلي:

٠١ الشيخ هو المنتهى في العلم أيا كانت سنُه ٠

٠٢ الشيخ هو من علّم الناس بـــ(حالة)، وأنهضهم إليه بـــ(مقالة)٠

٠٣ الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة الحقيقية الـــبالغ حـــد التكمـــيل فـــيها لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها، ومعرفته بدوائها ، وقدرته على شفائها والقيام بهداها إن استعدت وفقاً لاهتدائها٠

٠٤ الشيخ هو من سلك طريق الحق ، وعرف المخاوف والمهالك ٠

٠٥ الشـــيخ هـــو مـــن يقـــرر الدين والشريعة في قلوب المريدين والطالبين ٠

٠٦ الشيخ هو من يطيب نفوس المريدين والمتشردين بأن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم ٠

٠٧ الشيخ هو من كان خلقه واسعاً ،وعلمه أبداً نافعاً ٠

٠٨ الشيخ هو من قال عنه صاحب(قاموس الأناشيد للإخوان الشاذلية اليوسفية) ما يأتي :

وما الشيخ إلا من تنحى عن الهوى * وباع هذه الدنيا بأخرى المسرة

٠٢ لقب (المُقدَّم)

المقدم جمعه (مقاديم) ، وهو لفظ يفيد لغة عدة معان ، منها قادمة الرحل ، ويفيد في الاصطلاح الصوفي ما يلي :

٠١ **مقدم الخَدَم أو النّعال** ، وهو من يتولى حراسة أحذية الذاكرين والمحبين والزوار ، ويعمل على حفظها وتنظيفها ، وتقديمها لصاحبها عند الحاجة ، وهو أسمى أنواع المقدمين لانكسار نفسه ٠

٠٢ **مقدم الماء أو القهوة أو الشاي** ، وهو من يزاول القيام بها ، إذ له بكل قطرةً أجرا ٠

٠٣ **مقدم الطعام** ، أو (السماط) ، وهو من يعمل مع من يختارهم على طهيه وتقديمه للذاكرين والزوار وغيرهم ٠

٠٤ **مقدم الأوراد** أو (الحضرة) ، وهو من يوكل إليه افتتاحها واختتامها ، بعد استقطاب الإخوان لها ٠

٠٥ **مقدم مجلس الذكر** ، وهو من يفوض إليه افتتاحه وأداؤه ، وفق قواعده وأصوله وآدابه ، مع استقطاب الإخوان لها ٠

٠٦ **مقــدم السجادة** ، وهو من يوكل إليه بالتعاون مع غيره إعداد الفرش اللازم للذكار بعد تنظيفه ٠

٠٧ **مقــدم التسليك** ، وهو من يأذن له الشيخ بتسليك المريدين الجدد ، وقد وردت الإشــارة إلــى (المقدّم)في كتاب **ميزان العمل للغزالي** مما يدل على أن تاريخ استعماله يرجع إلى ما قبل عام ٥٠٥هـــ ، وهو تاريخ وفــاة الإمام الغزالي ٠ علماً بأن ذات اللفظ ظل يستعمل حتى العصر الحاضـــر ، كمـــا يدل على ذلك قول الشيخ قريب الله المتوفى في عام ١٣٥٥هـــ/١٩٣٦م حيث يقول :

لا تلتفت لا تنظرن لا تعجلن * لا تـــبْرَ مَنْ بأمـــر (المُتقدَّم)

ويقول :

الذكر قوتي في الحياة وسلمى * أرقى به أوج العـــــلا للمغنم

قم بي سحراً إلى وقت الضحى * بل كل أوقاتي فأنت (مقدمي)

٠٣ **لقب (النقيب)**

النقيــب جمعـــه نقــباء ، ومعناه (لغةّ) شاهد القوم وضمينهم وعريفهم وسيدهم ، وبمعناه ورد قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً)٠

وورد أن رسول الله(ﷺ) اتخذ نقباء من الأنصار ، خصص تسعة منهم مـــن الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، وقال لهم : انتم كفلائي على غيركم ككفالة الحواريـــن لعيســى بـــن مريم عليه السلام ، قالوا : وكان من جملتهم سعد بن زرارة الذي جعل نقيبا على أخواله(ﷺ) من بني النجار ، فلما مات سعد ، قال لمن سألوه من أخواله أن لا يجعل لهم (نقيباً) : أنا نقيبكم ٠

هــذا ولفظ (النقيب) في الاصطلاح الصوفي – على قلّة استعماله مُقارناً بسابقه يفيد تقريباً ذات المعنى الذي يفيده لفظ (المقدم) المذكور آنفاً ، وهو كما قد يكــون أدنـــى مرتــبة منه ، على أنه أياً كان الأمر فاللفظان لا يفيدان علوا في الــرفعة علـــى بعضـــهما ، بـــل ولا على لفظ (المريد) بقدر ما يفيدان تفانٍ في الخدمـــة، ومن ثم فكل من كان أكثر خدمة للمريد كان أشرف مكاناً عند أهل الله مـــن الســـادة السمانية ، بل أن لفظ (الشيخ) نفسه يفيد ذات المعنى (الخدمي) ، ومكانه في سلم الترتيب الهرمي أدنى منزلة من المريد أو السالك ٠ علماً بأنه قد وردت الإشارة على :

١٠ أخلاق (النقيب) في كتاب **تحفة الإخوان في آداب الطريق** للشيخ الدرديـــري حيـــث قال (وينبغي أن يكون النقيب على المنشدين حســـن الخلق ، مديماً على الذكر ، ينزل كل واحد في مرتبته ، كثير الوداد ، جميل الصفح ، ذا همة عالية ، ونزهة كلية ، يسأل عن إخوانه إذا غابوا ، ويتواضع لهم إذا حضروا) ٠

٢٠ وردت الإشارة إلى بعض مهامه في قول بعضهم :

٣٠ إذا قـــــــال (النقيب) لـــهم * إلى الذكر أتوه مسرعينا

٤٠ وإن قال (النقيب) الله ، الله * يخروا راكعينا وســـاجدينا

٥٠ وردت الإشـــارة إلـــى النقابة والنقباء في الباب التاسع من كتاب **تحفـــة الســـالكين** للشيخ محمّد المنير حيث تحدث باستفاضة عن أنواع النقباء ، وآداب كل نقيب ٠

٠٤ لقب نقيب النقباء

نقيـــب النقباء هو لقب نادر الاستعمال عند السادة السمانية ، على أنه إن اســـتعمل يفـــيد تقريـــباً ذات المعنى الذي سبقت الإشارة إليه ، ومرتبته في سلم

الترتيـــب الهرمـــي أدنى منزلة من (النقيب) بَلْهَ السالك أو المريد ٠ علماً بأنه قد وردت الإشـــارة إلـــيه وإلـــى مـــا يجب أن يتحلى به من آداب في كتاب **تحفة السالكين** للشيخ محمّد المنير السمنودي ، وكان قد أسماه **نقيب النقباء** ، و **نقيب الحضـــرة** ، و **عيـــن الجماعـــة** ، وقال: إنه هو محل سر الشيخ وبابه إذا غاب الشيخ، والوقوف على رأس الفقراء ٠

٠٥ **هـــ/ الدلـــيل** ، وهـــو لفـــظ دالّ على **الشيخ** ، ويرد عادة في صيغ **المبايعة**٠

٠٦ **و/ المرشـــد** ، وهـــو لفـــظ دالّ علـــى **الشيخ** ، ويرد عادة في صيغ **المبايعة**٠

٠٧ وهـــذا ومما يجب التنبيه له أن إثبات ما قدمناه عن خدمة **المقدمة** أو **النقيـــب** للفقراء لا يقلل من مكانته ، ذلك أنه لولا صفات خلقية خاصة فـــيه لمـــا اختـــير لخدمة إخوانه ، ومن ثم أوجب أهل الطريق على المريديـــن احترامه ، وتعظيمه ، وامتثال أمره ولو كانوا أكبر منه سناً أو أقـــدم منه انتساباً للطريق خاصة وهو ينوب مناب الشيخ في كل ما يوكل إليه في الطريق من مهام ٠

أهل الباطن ، وأهل الظاهر

إطْـــلاق صفةٍ مَّا على شخص معين لا يعني نفي الصفات الأخرى عنه فسيدنا محمَّد(ﷺ) بالرغم من أنه كان من أشجع الناس ، وكان الصحابة إذا ما اشـــتد الوطيس يتَّقون به ، وكان من أعلم الناس بالفقه ، والتوحيد ، و التفسير ، والتصـــوف ، وغيره ، بل كان هو المرجع الوحيد للجميع فيما ذكر من ميادين علمية وغيرها – فقد اشتهر بين الناس قبل النبوة بصفة (الأمين) ، واشتهر بعد الرسالة بصفة (الرسول) ، وكذلك كان سيدنا أبو بكر الصديق(رضي الله عنه)٠

انطلاقـــاً مما تقدم أذكر أن أئمة الصوفية كالإمام الجنيد ، والإمام القشيري، والشـــيخ عـــبد القادر الجيلاني وغيرهم وإنْ كانوا علماء في التوحيد ، والفقه ، والتفســير ، والحديـــث ، والفلسفة ، والنحو وغير ذلك من العلوم التي يعنى بها أهـــل الظاهر عادة ، فقد اشتهروا بـــ (علم الباطن) أو (علم القلوب) لتعمُّقهم فيه وتركـــيزهم علـــيه ، حيـــث كـــانوا يتحدثون عن كثير من الأمور (القلبية) أو (الباطنية) ما يأتي :

الـــتوبة ، والمجـــاهدة ، والخلوة أو العزلة ، والتقوى ، والورع ، و الخشوع ، والتواضع ، والخوف ، والرجاء ، والحزن ، والجوع ، وترك الشهوة ، ومخالفة الـــنفس ، والحســـد ، والغيـــبة ، و القـــناعة ، و التوكل ، و الشكر ، واليقين ، والصـــبر، و الحـــياء ، و الحرية ، والذكر ، و الفتوة ، والمراقبة ، والرضا ، والعبودية ، و الإرادة ، و الاستقامة ، والإخلاص ، و الصدق ، و الولاية ، و الدعـــاء ، والفقـــر ، و التصوف ، والأدب ، والفراسة ، والخلق ، و الجود ، و الســـخاء ، و التوحـــيد ، و الخـــروج من الدنيا ، والمعرفة بالله ، و المحبة ، والشوق ، و حفظ قلوب المشايخ والسماع .

أخلـــص مما تقدم بأن كل عبادة مهما كانت لا تخلو من عمل ظاهري ، وآخر قلبي أو باطني ، ومن ثم فإنَّ إطلاق لفظ (أهل الظاهر) ، و(أهل الباطن) إن دلَّ على شيء فإنما يدل على التركيز فقط ، وبناء على ذلك فإن كل من عُني بالأمـــر الظاهـــري مـــن العبادة وركز عليه دون إهمال منه للمسائل القلبية أو الباطنـــية – انتظم عرفاً في سلك من اشتهروا بين الناس بـــ (علماء الظاهر) ، وبالمثل فإنَّ كلَّ من عُني بالأمر (الباطني) أو (القلبي) من العبادة ، وركز عليه دون إهمال منه للمسائل الظاهرية – انتظم عرفاً في سلك من شهروا بين الناس بـــ (علماء الباطن) أو (علماء القلوب) .

المبايعة ، أو أخذ العهد ، أو سلوك الطريق

التعلق بالطريق أو الانتظام في سلكه ، مبايعة شيخ مّا على السيْر فيه :

١. قــد يكون أمراً صورياً ، وانتظاماً شكلياً ، يأخذ فيه المريد من الشيخ البيعة أو التلقين أو كليهما ، أملاً في التبرك والمصاحبة واصــطفاء بيــئة معيــنة طاهرة على بيئات أخرى حادت عن الطريق السوي ، أو جانب الصراط المستقيم ، ومثل هذا المريد عليه أن يلتزم بما به يأمره شيخه مسافراً كان أو مقيماً .

٢. قــد يكون أمراً معنوياً ، وانتظاماً حقيقياً ، مبايعة جادة ، يأخذ فــيها المريد التجرد أو المتسبب (البيعة) من الشيخ ، أو التلقين أو كلــيهما مع الصحبة والخدمة ، أملاً في الوصول إلى طلب الورثــة الحقيقية ، والمعرفة الجادة بالمولى جل وعلا ، ومثل هذا المريد ينتظر منه الوفاء بعهد الله ، وعدم نقض المبايعة ما دام المبايع فيها حقيقة هو الله تعالى بنص قوله تعالى (إن الذين يــبايعونك إنمــا يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) . علماً بأن من ينكــث مــن مــثل هؤلاء المريدين العهد ، وينقض العزيمة ، ويجنح إلى الرخصة من غير مُبرِّر شرعي يوجب ذلك يعد في عــرف المتصــوفة مــرتداً أو منحدراً من حالة شريفة سامية مرغوب فيها، إلى حالة دنية مرغوب عنها.

٣. لقــد أخــذ المولى عز وعلا البيعة على جميع خلقه في عالم ما قــبل الظهور البشري ، المشهور باسم (عالم ألست بربكم) أخذاً من الآية القرآنية التي إليه أشارت ، وهي قوله تعالى (وإذ أخذ ربــك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم

ألســت بربكم قاتلوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هــذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهــم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) ٠ وأكد المولى(سبحانه وتعالى)– لطفاً منه وإحساناً– ذات البيعة حين أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين ، لــئلا يكون للناس حجة على الله ، ووثق هذا التجديد في كتاب التزم هو تعالى بحفظه ، حتى يهلك من هلك بعد ذلك عن بينة، ويحــيا مــن حــي عن بينة ، منتدياً من العلماء العاملين ورثة للأنبياء، لأداء ذات المهمة التي إليها أشار في كثير من الآيات القرآنية ، من مثل قوله تعالى :

(ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونــي هذا صراط مستقيم ولقد ضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون)٠

(و أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون)٠

(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئول)٠

صيغة المبايعة وكيفيتها

للبــيعة صــيغ تختلف في الأسلوب ، وإن اتحدت المعنى ، أقتصر فيها علــى مــا اخــتاره منها الشيخ محمَّد بن عبد الكريم السمان في كتابه **النفحات الإلهــية في كيفية سلوك الطريقة المحمَّدية** تحت عنوان الفصل الثاني في أخذ العهد والبيعة وتلقين الذكر وكيفياته، يقول(رضي الله عنه) : كيفية البيعة أن يضع المريد يديــه جميعاً بين يدي الشيخ إن كان ذكراً، وإن كانت أنثى فلها حكم مستقل في الخطــاب والنصــيحة والأمــر شفاها ، أو بواسطة ثوب أو ماء يضع يده فيه

وتشـــاركه إن لاق بها دون مسك يد بماء مطلقاً أو بحائل ، ويحيط الشيخ بيديه تفــاؤلاً بقبوــله ، واســتيعاباً بكلــتى يديه الظاهرة والباطنة ، وحضرتيه الدنيا والأخرى ، أو يضع الشيخ يديه بين يدي المريد إشعاراً بأني محافظ لكل ما تأمر بـــه ، لا أترك منه شيئاً باختيار ، وإني وقاية لك بنفسي ، لا أسلمك لمكره حتى يبدأني وأزول ٠

*أن يضع المريد يديه مجموعتين ، واليمنى أعلاها ، ويضع الشيخ يديه عليهما مـــن أعلاها إشعاراً بالخلافة ، وإيماء إليها ، وبياناً للنيابة عمن سبق إلى منتهى الأمـــر ، ثم يأمره بالتوبة فيقول تب إلى الله توبة نصوحاً بحسب توجهه حالاً ، ونيـــته خالصاً لله تعالى من غير تردد حالاً ، ولا حكم له على غيب الله ، وإنما يســـأل عـــن صحة عقده وتوجهه حالاً ، ويترك ما يرد بما لا إرادة له فيه ولا اختيار ، ويجب عليه التوبة منه ٠

أ/ أن يجعـــل طالب البيعة يده مبسوطة تحت يدي الشيخ/ إن كان وحده ، وإن شـــاركه أحد جعل يده تحت يد طالبي البيعة وإن تعدوا – ويد الشيخ مبســـوطة فوق يده مع الجميع ، ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بســـم الله الرحمن الرحيم " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهـــم فمـــن نكـــث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً " يتلو الآية تيمناً وتفاؤلا بتحقيق المتابعة في الطريق كالشـــريعة إلى أن يبدي الله لهم أعلام الحقيقة ، ويقول عقب الآية للمبايع أو المبايعين إن كانوا جماعة (قل) ، أو (قولوا) بصيغة الجمع للجماعة ، والمفـــرد : رضـــيت بـــالله ربـــا ، وبالإسلام دينا ، وبسيدنا محمَّد نبيا ، وبالكعـــبة قـــبلة ، وبســـيدي الشـــيخ ٠٠ شيخاً ومربياً ودليلاً ، وبالفقراء التابعيـــن إخوانـــاً ، لـــي مـــا لهم ، وعليَّ ما عليهم ، الطاعة تجمعنا ،

والمعصــية تفرقنا، ثم يقول الشيخ(قولوا) أو (كل منا يقول) أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (ثلاثاً) جهراً ، ثم يقول الشــيخ – وهــم يقولون بعده/ لا إله إلا الله ماداً بها صوته بقصد التلقين للذكر مع البيعة ، وإعلاناً للتوحيد ، وإشهاداً عليه ، فإذا كملت الثلاثة منه قالوهــا ثلاثاً تبعا له، ثم زادوا بطريق الحدر والاسترسال (أي السرعة) نفساً جيداً مع تغميض العينين ، وإحضار القلب لجلال التوحيد ، ومراعاة المنة بهذه التفضلات الربانية الموصلة لصحة النسب بأولياء الله على سنن التخصــيص والكرامة ٠ ثم يقول : اللهم خذ منه وتقبل منه ، وافتح عليه أبــواب كــل خير فتحتها على أنبيائك وأوليائك وعبادك الصالحين ٠ وإن كــانوا جماعة جمع في الدعاء ، ثم يقول الفقير ويسلم على من حضر من إخوانــه ، وهــو يــباركون له في الدخول ، ويدعون له بتمام الوصول الحاصــل عند هذه الطائفة ، ثم يأمره الشيخ بعد ذلك بما فيه صلاح دينه ودنياه بقدر حاله ، متجرداً كان أو متسبباً أو بينهما من الخدمة والنصيحة، والمعاملة بما يليق ، وعليه قبول الأمر من غير تفتيش عليه ولا تحكم ولا تفهــم، بــل إطاعــة مخص الأمر ، وإن شق عليه الأمر – عرضه على الشيخ أن ينظر فيه بما يبقيه على أمره أو لا ، ويوسع له بحسب نظره ، ويجعــل له ورداً من التهليل على قدر حاله صباحاً ومساء ، لا يخل بما أوصاه به، ولا يقطع ما أمره به كيف كان مقدراً بمدة أو دائماً٠ هذا ودليل ما ورد من لفظ (الطاعة تجمعنا ، والمعصية تفرقنا) ، ودليل ما ورد من أمــر بالاستغفار عقبه/ هو ما نصت عليه الآية القرآنية المشيرة إلى عدم العصــيان في المعروف باعتباره أمراً جامعاً لكل سبل الخير ، والمشيرة أيضاً إلى الاستغفار ، وهي قوله تعالى (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات

يبايعـــنك علـــى أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم)٠

مبايعة النساء

النســاء شــقائق الرجال ، ومن ثم فلهن ما للرجال من أخذ العهود من المــأذون له أو لهــا أفراداً أو جماعات ، على أن يراعى الشيخ في تسليكها ما ســبق أن ذكرناه من عدم الملامسة لها ، وعلى أن تراعي المتزوجة من النساء موافقــة زوجها الذي ينتظر منه مساعدتها في أداء العبادة التي تحبب بها نفسها إلى الله تعالى ٠

تعدد المبايعة

بالــرغم مــن أن جميع الطرق تؤدي إلى غاية واحدة ، وبالرغم من أن جمــيع مشــايخ الطريق كانوا وما زالوا يتلمسون نهجهم من رسول الله(ﷺ) ، وبالرغم من أن المريد قبل السلوك كان له مطلق الحرية في اختيار ما يشاء من المرشــدين الداليــن له على الله ، وبالرغم من أن الخير كل الخير للمريد أن لا يــنقض بــيعة مع شيخ مَّا أشهد عليها مولاه لما يعكسه ذلك النقض من صورة ســيئة في نفس أستاذه ، قد تماثلها صورة أسوأ عند من سينقل إلى ميدان تربيته لــتوقعه إمكانية النقض المماثل ، بالرغم من كل ما ذكرناه فإن البيعة على غير الشــيخ الأول لا تقبل ، الأمر الذي يوجب على المريد استرضاء شيخه للرجوع مرة أخرى إلى ميدان تربيته فيما لو قبل منه الشيخ ذلك ، وجدد له العهد ٠

تأريخ دخول الطريقة السمانية للسودان

عرف السودانيون (الطريقة السمانية) ومؤسسها ومناهجها التربوية أول مــا عــرفوها فــي عصر الفونج ، حيث ورد في كتاب **قطف أزهار المواهب الربانــية** للشيخ صديق بن عمر خان صفحة ١٨٥ ما نصه : "لما كنت بأرض

سنّار جاءتنا سنة قليلة الأمطار ، فخرج السلطان يوماً إلى مزارعه ، فوجدها قد قاربـــت المحـــل ، فخـــاف عليها فبعث إلى ، وأمرني أن أقدم عليه ، فلما جئت أنزلني في موضع قريب منه ، ومن الغد جاءني إمامه الذي يصلي به ، وقال لي إن السلطان ما بعث إليك إلا لتتوجه إلى الله ببركات أستاذكم في نزول المطر ، فاســـأل الله له فعســـى ببركـــته أن يسقينا الغيث ، ويكون ذلك كرامة له ، فلما سمعت ذلك منه اهتممت من كلامه وخفت على سقوط رتبة الأستاذ إذا لم يسقون ، وصـــرت فـــي كـــرب عظيم ، فلما اشتد بي الكرب خطر في قلبي أن أجمع الجماعـــة، ونذكـــر الله تعـــالى ، ونتوسل إليه بمنظومة الشيخ التي تسمى جالية الكرب ، ونتوجه إلى ناظمها في كشف ما حل بنا من الهم والكرب ، فجمعتهم ، وذكـــرنا الله بقلـــب منكسر خاضع ، فلما فرغنا من الذكر مددنا أيدينا إلى ناحية الســـماء بحالة الاضطرار، وتوجهنا إلى الله بهيئة الذل والانكسار ، وقرأنا جالية الكرب المنسوبة للأستاذ ، وناديناه بأعلى أصواتنا : يا سمان أغثنا ، يا صاحب الإمداد . فلما ختمنا الذكر وقرأنا له الفاتحة قل لي الرجل الصالح الشيخ عبد الله بن بخيت – وكان جالساً معنا في الذكر – اليوم تمطروا ، والله تمطروا ، ثم إني بعد ما سمعت هذا الكلام استبشرت به ، ونمت من ساعتي ، فما أفقت إلا وجدت السماء قد سيبت ماء كأفواه القرب ، فحمدت الله تعالى الذي أظهر كرامة الشيخ، وفرحت فرحاً شديداً ، وخرج السلطان من وقته ، وطاف على مزارعه ، وشاع فـــي البلد بأن الشيخ محمّد سمان أظهر كرامة في هذا اليوم ، وزاد اعتقاد الناس فيه" .

أشهر ناشري الطريقة السمانية في العالم الإسلامي

ســـلك الطريقة السمانية على يد الشيخ محمّد بن عبد الكريم السمان عدد كبـــير من المسلمين في كثير من أنحاء العالم الإسلامي كما جاء في كتاب **باعث**

النهضة الروحية في العالم الإسلامي غير أن أشهرهم على الإطلاق في السودان وغـــيره هو الشيخ أحمد الطيب بن بشير (المولود في عام ١١٥٥هــ / ١٧٤٢م والمتوفى عام ١٢٣٩هــ / ١٨٢٣م) ، والمدفون في بلدة (أم مرحى) على مسافة ٤٠ كيلو متراً شمال مدينة أم درمان ٠

ينتمـــي الشـــيخ أحمد الطيب بن البشير إلى ذروة الشرف ، وسنام المجد الذي يصـــله بسيدنا العباس عم النبي من ناحية ، كما يصله من ناحية أخرى بسيدتنا فاطمـــة الزهراء رضي الله عنها بنت حبيب الله ومصطفاه سيدنا محمَّد بن عبد الله صـــلى الله عليه وعلى آله ومن والاه ٠ علماً بأن حفيده الأستاذ الشيخ محمَّد شريف الشيخ نور الدائم كان قد أشار إجمالاً إلى بعض أجداد الأسرة كانوا على العلم والتقى بينما كان من فوقهم على الملك والقهر ، يقول :

ولي عشر أجداد على العلم والتقى * ومن فوقهم كانوا على الملك والقهر

هـــذا وآلـــ النبي الموسمون بلفظ (الشرف) وإنْ شُهروا بين الناس إبان العهد الفاطمي وبعده بأنهم قاصرون على نسل السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عـــنها إلا أنَّ اللفـــظ كان يطلق قبْلاً على عدد من الأسر ممن أشار إليهم الإمام الســـيوطي فـــي كتابه المسمى **العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية** والمطبوع ضمن كتاب آخر له عنوانه **الحاوي للفتاوى** ، وهم :

٠١ سيدنا علي ، وآلـــه ٠

٠٢ سيدنا العباس ، وآلـــه ٠

٠٣ سيدنا عقيل ، وآلـــه ٠

٠٤ سيدنا جعفر ، وآلـــه ٠

٠٥ سيدنا حمزة ، وآلـــه٠

حفـظ سـيدي الشيخ أحمد الطيب القرآن الكريم في عدد من (خلاوى) القـرآن الكريم بالسودان ، ثم تلقى العلوم العقلية والنقلية على يد مشاهير العلماء بداخـل الـبلاد وخارجها ، وقد أظهر هنا وهناك نبوغاً وتفرداً ألمع إليه الشيخ عبد المحمود في كتابه **أزاهير الرياض**٠علماً بأنه وفي سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م قـام بأداء فريضة الحج ، وسلك أثناء فترة وجوده بالمدينة المنورة الطريق على يـد الشيخ محمَّد بن عبد الكريم السمان ، بل وللمزيد من التربية والإرشاد مكث معه سبع سنوات درس عليه وعلى مشاهير معاصريه خلالها عدداً من العلوم ، كمـا ألف بعض الكتب والصلوات ، وقد ظهرت له خلالها ذات الفترة كرامات رفعـت مـن قـدره بين زملائها وأساتذته ومعاصريه ممن سجلوا شعراً ونثراً إعجابهم به ٠

هذا ولكفاءة الشيخ أحمد الطيب ، وشهرته ، ومكانته البارزة في الطريق علمّاً وسلوكاً ، ولمحبة أستاذه له وثقته فيه ، ولتربيته الروحية المباشرة له خلال سـبع سنوات قضاهن معه بالمدينة المنورة ، ولمعرفته له عن كثب ولأهليته في قيادة ركب المسيرة الصوفية عامة ، و السمانية خاصة أجازه أستاذه كتابةً ليكون (شيخاً) في الطريق السمانية بكل فروعه ، بل وأوكل إليه حتى في حياته وعقب (الإجازة) مباشرة القيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى عبْر المنهج السماني ، بداخل المدينة المنورة أولاً ، وبمكة ومصر وغيرها من البلاد ثانياً٠

عمـل الشيخ أحمد الطيب قبل رجوعه من المدينة المنورة إلى السودان وبعـده على تنفيذ رغبة أستاذه ، فقام بمجاهدة نفسه من ناحية ، وبنشر الطريق السـماني وتربية من تتلمذ على يديه فيه من المريدين بداخل السودان وخارجه من ناحية أخرى ، مؤلفاً قبل (الإجازة) وبعدها في ذات الميدان الصوفي كتباً ما زالـت نبراسـاً لسـائر المريدين من بعده تتلمذ على يد الشيخ أحمد الطيب بعد

عودتـــه إلـــى الســـودان فـــي مطلع عام ١١٧٨هـــ كثيرون من طلاب العلم ، والتصـــوف ، ممـــن أشـــارت لهم ونوّهت بدوره في تربيتهم وتعليمهم عدد من المراجع التي منها على سبيل المثال للراغب في مزيد من المعرفة ، ما يأتي :

١. كتاب **أزاهير الرياض** للشيخ عبد المحمود .
٢. كتاب **الكئوس المترعة** للشيخ عبد المحمود .
٣. **الضياء اللائح** للشيخ عبد المحمود .
٤. رسالة الشيخ إسماعيل بن الشريف تقاديم النقشيدي .
٥. **الروض النضير** في مناقب الشيخ أحمد الطيب بن البشير .
٦. قصائد الشيخ حسيب بن إمام المغربي الكوباوي .
٧. **الـــنفحات الســـمانية فـــي طريقة القادرية** ، الشيخ صديق بن عمر خان الهندي.
٨. **الكوكب المنير** .
٩. **مناقب الشيخ أحمد الطيب** للفقيه خوجلي بن حتيك المحسي.
١٠. الشيخ أحمد الطيب بن البشير – حياته وآثاره ، تأليف الشيخ عبد المحمود (الحفيان) بن الشيخ الجيلي .
١١. **جبل الإكسير** (ابن البشير) لمؤلفه حسن الفاتح قريب الله .

هـــذا وقد كان من أبرز من سلكوا الطريق السماني على يد الشيخ أحمد الطيـــب وتلميذه الشيخ حسيب بن السيد إمام الكوباوي المغربي الأصل ، والذي علـــى يديه تتلمذ في ذات الطريق الشيخ أبو الحسن بن الشيخ عبد الكريم الحفيد الوحـــيد الشـــيخ السمان ، الأمر الذي كان من نتائجه أن صارت سلسلة الطريق الســـماني لكـــلّ مَـــنْ ســـلك الطريق على أحدٍ من أبناء السمان بداخل السودان وخارجه لا تصل إلى مؤسِّسه إلا عبْر الشيخ أحمد الطيب بن البشير ، علْمَّاً بأنه

ولإدراك أنجــال الحفــيد الوحــيد السمان للتلمذة المذكورة عملوا على سلوك الطــريق السماني على بعض أبناء الشيخ أحمد الطيب ، كما ورد ذلك في بعض المراجع المذكورة أعلاه ·

شــهر الشــيخ أحمد الطيب خلال فترة حياته بعدة ألقاب ذات مدلولات رمزية ، كان منها :

1. **جبل الإكسير**·
2. **السلطان** ، وهو ذات اللقب الذي كان قد أطلق قبلاً على الشيخ عبد القادر الجيلاني ·
3. **الغوث** ، وهو اصطلاح صوفي يطلق على القطب·
4. **راجل أم مرح** ، وهو لقب تكريمي يشير إلى بروزه في مقر إقامته·

خليفة الشيخ أحمد الطيب

تولّى الخلافة الروحية لــ(الطريق السماني الطيب) من بعد الشيخ أحمد الطيب بن البشير – أحد أبنائه ممن أشار له ولخليفة من بعده ، كل من :

- الشــيخ عبد المحمود بن نور الدائم في كتابه: **أزاهير الرياض في مناقــب قطــب الــزمان، وشــمس العرفان، وتاج العارفين، وعمدة المقربيــن**، الأســتاذ الشيخ أحمد الطيب بن البشير (رضي الله عنه)، نشر مكتبة القاهرة، الصفحات(٢٧٣،٢٧٤،٢٧٥، والصفحات ٣٣٥ ،٣٦٧،٣٦٨)·
- الشــيخ عــبد المحمــود بن الشيخ نور الدائم في كتابه : **الكئوس المترعة في مناقب السادة الأربعة** (الجزء الرابع صفحة ١٢٢)·
- الدكتور عبد العزيز عبد المجيد في كتابه : **التربية في السودان من أول القــرن الســادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر** ، والأسس النفسية والاجتماعية التي قامت عليها – طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٩٤٩م ، راجع : الجزء الثاني ص ٦٠ والجزء الثالث الصفحات ١٧٢ ، (دفتر رقم ٥٢٩ معية عرضحالات ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣ ص ٢٧٣ بتاريخ ٢٢ جمادي الأولى سنة ١٢٨٢هـ) وراجع أيضاً الجزء الثالث صفحة ١٧٦ (دفتر رقم ١٢٨٢ ترجمة الوثيقة رقم ٣ ص ٢٠ صادر داخلية عرضحالات تركي في ١٦ رجب سنة ١٢٨٦هـ) ، ونفس الجزء والصفحة (دفتر ٥٨٣ معية تركي ترجمة الإدارة التركية رقم ١٢ بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٨٦هـ).

مؤلفات الشيخ أحمد الطيب

للشيخ أحمد الطيب عدد مؤلفات ، أذكر منها ما يأتي :

١. كتاب الحكم ، المسمى **بالنفس الرحماني في الطور الإنساني** (طبع طبعتان بالقاهرة).
٢. **المناجاة** (طبع عدّة مرات) .
٣. **شرح الحكم المسمى بالجوهر الفريد في علم الوحدة والتوحيد** (طبع عدة مرات).
٤. رسالة في خلوة ذكر من الأذكار الخمسة التي هي أساس الطريق السماني القادري .
٥. كتاب عن البسملة ، وكان قد ذكر فيه بعض خواصها ومعانيها وأسرارها ودعواتها وخلوتها وآدابها ، ويقع في خمس وعشرين جزءا .
٦. منظومة على المنازل القمرية الثمانية والعشرين .
٧. رسالة في علم الكيمياء .
٨. كتاب **البروج الإثني عشر** .
٩. راتب السعادة الكبير .

١٠. **مختصر راتب السعادة** (طبع عدة مرات).

١١. **حزب الأمان** (طبع أكثر من عشرين مرة).

١٢. **حزب الجلال** (حقق وأعد للطبع).

١٣. **حزب الجمال** (مخطوط).

١٤. **حزب الكمال** (حقق وأعد للطبع).

١٥. **سر الأسرار في ذكر الصلاة على النبي المختار** (طبع أكثر من عشر مرات).

١٦. **سر الأسرار** .

١٧. **الصلوات الطيبية** ، وهي :

أ/ الصلاة اللاهوتية(طبعت عدة طبعات).

ب/صلاة الفتح (طبعت بذيل الطبعة الثانية من كتاب العرب الفائح والضياء اللائح).

ج/ الصلات الصديقة (طبعت بذيل الطبعة الثانية من كتاب **العرف الفائح والضياء اللائح**).

د/ الصلاة المطمطمة (طبعت بذيل الطبعة الثانية من كتاب **العرب الفائح والضياء اللائح**).

الصلاة على آل النبي (طبعت بذيل الطبعة الثانية من كتاب **العرب الفائح والضياء اللائح**).

هـ/ صلاة الأوصاف المسماة بجوهرة الأصداف (طبعت ثلاث طبعات).

و/ صلاة مفتاح القلوب .

ح/ صلاة مفتاح المعارف (طبعت عدة طبعات).

ط/ الصلاة الكمالية (طبعت عدة مرات).

ي/الصلاة الروحية ·

ك/ الصلاة الجمالية ·

ل/ صلاة الاسم الأعظم (طبعت عدة طبعات)·

م/ صلاة لذيذ الخطاب (طبعت مع غيرها بعنوان ملحق الصلوات)·

ن/ صـــلاة العظمـــة ، وقـــد طبعـــت عدة طبعات ضمن كتاب **مجموع الأوراد القريبية** للشيخ قريب الله ، وطبعت كذلك بذيل بعض طبعات كتاب **سر الأسرار**، وطبعت أيضاً ضمن (ملحق الصلوات) ·

س/ الصلاة العريشة (طبعت عدة طبعات)·

ع/ الصلاة النورية (طبعت عدة طبعات)·

ف/ الصلاة النورانية (طبعت عدة طبعات)·

١· خواص الأسماء (طبع طبعتان)·

٢· المختار أو الآيات المنجيات (طبعة عدة طبعات بذيل حزب الأمان) ·

٣· خواص القافات (طبعت عدة طبعات) ·

٤· الأوفاق أو المجربات ·

٥· أدعية (وقد طبعت)·

٦· أشـــعار طبعت متفرقة ،(والأمل كبير في أن يتم جمعها وتحقيقها وإعدادها للطبع فالنشر)·

٧· أسرار وخواص (مطبوعة ضمن كتاب **أزاهير الرياض**)·

١-شـــرح شمس المعارف الكبرى ، وهو كتاب كبير أشار إليه الشيخ نور الدائـــم بـــن الشيخ الصديق بن الشيخ نور الدائم بن الشيخ أحمد الطيب في كتابه المسمى **الجوهر الغالي على المثلث الخالي** ·

شجرة نسب الشيخ أحمد الطيب بن البشير

يتسلسل نسب الشيخ احمد الطيب تصاعدياً على النحو التالي حسبما سبق أن أوضحناه في كتابٍ سابقٍ لنا مطبوع عنوانه **الشيخ قريب الله ودوره في الفكر والدعوة إلى الله**.

١. الشيخ أحمد الطيب .

٢. الشيخ البشير ، الذي له عدة مؤلفات ، منها :

- سراة الليل .
- ديوان شعري .
- مطالع الأنوار .

٣. الشيخ مالك ، الذي له عدة مؤلفات منها :

- **خفيف الحاذ** ، وهو كتاب في سير أعلام الصوفية .
- الصراط المستقيم .
- المسك الأذفر (ديوان شعر).
- أركان الإسلام وثماره الخلقية .

٤. الشيخ محمَّد سرور ، صاحب المسجد الذي ما تزال بعض آثاره باقية حتى الآن في الجنوب الشرقي لضريح الشيخ أحمد الطيب ، ومن مؤلفاته :

- المناقب المحمَّدية ، وهو مولد منظوم عن سيرة النبي(ﷺ).
- التفسير الإشاري لسورتي الفاتحة والإخلاص .
- الكلم المختار من أحاديث المختار .
- الوجيز في الفتاوى الفقهية .
- عصمة الأنبياء.
- مراتب التوحيد .

- شموس العرفات ، وهو كتاب في سيرة بعض الأولياء ·
- ديوان شعر ·

٠٥ الحاج غناوة ·

٠٦ الشيخ سرور·

٠٧ الحاج حمد ·

٠٨ الحاج إدريس ·

٠٩ الحاج رباط ·

٠١٠ الملك ضياب ، وهو أحد أولاد الملك منصور الذي قلد الملك بعده·

٠١١ الملــك منصــور ، الــذي إلــيه تنسب عدد من القبائل ، من مثل :(قبيلة الجميعاب) ،(قبيلة الجموعية) ،(قبيلة السروراب)، السادة الطيبية)·

٠١٢ جموع الأكبر ، وهو الذي نقل قاعدة ملكه إلى (جبل أولياء)·

٠١٣ الأمير غانم ، وكان قد حكم ثمان سنوات توفي بعدها ودفن بـــ(الَعرشكْوُل) مع آبائه·

٠١٤ الأمــير حمــيدان ، وكان قد حكم ثلاثين سنة ، وتوفي بعدها ، ودفن بـــ الَعرشكْوُل·

٠١٥الأمــير صــبح ، ويكنى بابنة له اسمها (مرخة) وكان قد حكم ثمانية عشر عاماً توفي بعدها ودفن بالَعرشكْوُل·

٠١٦ الأمــير مســمار ، وكــان قد حكم عشرين عاماً نقل خلالها مقر ملكه إلى الَعرشكْوُل وبها توفي ·

٠١٧ الأمــير ســرار ، وكان قد حكم ثلاثين عاماً توفي بعدها ودفن بين (بارا) و(خرسى)·

٠١٨ السلطان حسن كردم ، وكان قد ملك ثلاثين عاماً ·

١٩٠ الأمير أبو الديس ، وكان قد حكم عشرين عاماً٠

٢٠٠ الأمير قضاعة ، وكان قد حكم عشرين عاماً٠

٢١٠ الأمـــير عبد الله الملقب بحرقان ، وكان قد تربع على الحكم إحدى وعشر عاماً٠

٢٢٠الأمير مسروق ، وكانت مدة ملكه اثنتي عشر عاماً ٠

٢٣٠ الأمير أحمد اليماني ، وكان قد ملك البلاد ١٥ عاماً٠

٢٤٠ الأمـــير إبراهيم المشهور بلقب (جعل) لأنه كان/ كما يقال/ يجعل الضعفاء في نفقته ، وإليه تنسب قبائل الجعليين ، وكان يتولى الملك بعد والده ومكث فيه ٢٢ عاماً٠

٢٥٠ الأمير إدريس ، وكان قد قدم إلى السودان ، وبها أقام تسع سنوات ٠

٢٦٠ غيث ٠

٢٧٠ يحيى (يمن) الخزرجي المنسوب إلى أمه من الخزرج ٠

٢٨٠ عدنان٠

٢٩٠ قصاص٠

٣٠٠ محمَّد الموصوف بهاطل المسمى بذلك لكثرة كرمه٠

٣١٠ ياطل٠

٣٢٠ الأمير ذو الكفل ٠

٣٣٠ الفضل ٠

٣٤٠ عبد الله٠

٣٥٠ ســيدنا العــباس ، عــم رسول الله(ﷺ) ، والمتوفى في خلافة سيدنا عــثمان بن عفان رضي الله عنهما سنة ثلاثة وثلاثين هجرية ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة ٠

أبناء اشهر ناشري الطريق السماني بالسودان

للشـــيخ أحمــد الطيب بن البشير من الأبناء (الذكور) من سنشير إليهم أدناه:

١. الشيخ كمال الدين المجذوب .
٢. الشيخ مطيع المتوفى بسنار سنة ١٢٣٥هـ.
٣. الشيخ إبراهيم الدسوقي المتوفى سنة ١٢٦٩هـ.
٤. الشيخ أحمد البدوي .
٥. الشيخ أحمد الرفاعي .
٦. الشيخ محمَّد .
٧. الشيخ ياسين المتوفى في صبيا.
٨. الشيخ نور الدائم المتوفى سنة ١٢٦٨هـ.
٩. الشـــيخ عبد الواحد المتوفي سنة ١٢٨٣هـ، والذي من نسله الشيخ الحسين أحد أعلام الطريق السماني بالحبشة.
١٠. الشيخ عبد الجبار المتوفي سنة ١٢٥٣هـ.
١١. الشيخ العباس المتوفي في صبيا.
١٢. الشيخ وهب الله المدفون في قبة والده.
١٣. الشيخ أبو صالح المتوفي في رجب من سنة ١٢٨٦هـ.
١٤. الشيخ نور الله المتوفي ببلدة (أم عرائش) سنة ١٢٣٤هـ.
١٥. الشيخ عبد الله المتوفي صغيراً.
١٦. الشيخ البشير المتوفي صغيراً.
١٧. الشيخ عبد الرحمن المتوفي سنة ١٢٨٩هـ.
١٨. الشيخ عبد القادر المتوفي صغيراً.

هذا وللشيخ أحمد الطيب بن البشير من (البنات) من سنشير اليهن أدناه الحجرة، الحـــرم ،سنباي ،رقية، النعمة ،بنت الصح، ست النفور،فاطمة،ميمونة،الروضة، دار السلام ،ستنا ،نور طيبة ،زينب ،نعمة الحي فاطمة ٠

سند الطريق السماني

حيـــث أن عدم معرفة المريد بسند الطريق الذي يسلكه أمر يَشينُه ، ويجعله أشـــبه مـــا يكـــون بـــ(اللقيط) كما يقول الشيخ محمَّد المنير السمنودي في كتابه المســـمى **تحفة السالكين ودلالة السائرين لمنهج المقربين في بيان الطريق** فقد رأيـــت/ مخافة التطويل – أن أحيل القارئ على المصادر الأصلية لسند الطريق السماني بجميع فروعه بدلاً من تسجيل الأسماء ٠

- **مصادر كتبها علماء غير سودانيين ، وهي :**

١. **رســـالة الـــنفحات الإلهية في كيفية سلوك الطريقة المحمدية** تأليف الشيخ محمَّد بن عبد الكريم السمان٠

٢. **تحفـــة السالكين ودلالة السائرين لمنهج المقربين في بيان الطريق** تأليف سيدي محمَّد المنير السمنودي ٠

٣. **الفـــتوحات القدســـية في شرح التوسلات السمانية** تأليف الشيخ عبد الحميد بن محمَّد علي ، طبع المطبعة الحميدية بمصر سنة ١٣٢٣هـــ٠

٤. **شـــرح مســـبعات وصـــلوات القطب الدرديري** تأليف أحمد بن أحمد الجنيدي الميموني الشافعي ٠

٣- **هدية الذاكرين وحجة السالكين** تأليف يوسف أفندي شوقي الطبرزوني المطبوع في بولاق بمصر سنة ١٣٠٣هـــ٠

٤- **رســـالة الشيخ تاج الدين الهندي في بيان سلسلة السادة النقشبندية** (مخطوط) رقم ١٧٨ (مجاميع)٠

٥- **السمط المجيد** تأليف صفي الدين القشاش ·

٦- **الطـريقة النقشبندية وأعلامها** تأليف الدكتور محمَّد أحمد درنيقة طبع مطبعة جروس (الصفحات ١٠ فما بعدها حتى صفحة ٢١)·

٧- **السلسـبيل المعيـن في الطرائق الأربعين** تأليف السيد محمَّد بن علي السنوسـي الخطابي الحسني الإدريسي المولود بمستغانم بالجزائر سنة ١٢٠٢هـ، والمتوفى بالجغبوب سنة ١٢٧٦هـ المطبوع بمعرفة وزارة الإعلام والثقافة سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م (الصفحات ٤٨/٤٩، الصفحات ٧٦/٧٧) ·

٨- **المـناهل السلسـة فـي الأحاديث المسلسلة** تأليف محمَّد عبد الباقي الأيوبـي طـبع دار الكتـب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (صفحة ٣١٢) ·

٩- **جوهـر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني** تأليف الشيخ علي بن حرزام بن العربي ·

١٠- **تحفـة الأخـوان فـي آداب الطـريق** لسيدي الشيخ أحمد بن محمَّد الدرديري ·

١١- **الأسـرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية** لسـيدي الشيخ أحمد الصاوي المالكي الصفحات ٦٧ فما بعدها (عند شرح الصاوي للصلوات الواقعة تحت حرف الدال المهملة)·

١٢- **الـبحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية** تأليف الشيخ محمَّد زاهد الكوثري (١٢٩٦هـ/١٣٧١هـ) ، نشر المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة ·

١٣- **علماء سودانيون ، وهي**

١- **أزاهير الرياض** للشيخ عبد المحمود .
٢- **جامع الأوراد القريبية الطيبية السمانية** للشيخ قريب الله .
٣- **الشيخ محمَّد بن عبد الكريم السمان** ، حياته وآثاره تأليف الشيخ عبد المحمود (الحفيان) بن الشيخ الجيلي .

أنواع العلوم

أنواع العلوم عند السادة السمانية تتلخص فيما يلي :

١. علم الناسوت ، وهو ما يتصل بسائر المعارف الدنيوية ، ووسيلة القراءة .
٢. علم الملكوت المسمى علم الطريقة ، وهو أول علوم البصيرة ، ووسيلته الفتح والكشف .
٣. علم الجبروت المسمى علم الحقيقة ، وهو علم ينفتح للروح، ووسيلته الفتح والكشف .
٤. علم اللاهوت المسمى علم المعرفة ، وهو علم ينفتح للسر ، ووسيلته الفتح والكشف .
٥. علم الهاهوت ، وهو علم سر السر والخفاء ، والأمن من الله بالله ، ووسيلته الفتح والكشف .

عماد الطريق

الطريق السماني مثله مثل بقية الطرق الصوفية عماده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وعنهما ورد عن بعض كبار مشائخ الطريق السماني ما يأتي:

أ/ يقول الشيخ أبو زيد البسطامي، وقد سئل عن الصوفي فقال: هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه، وسنة رسوله بشماله، وينظر بإحدى عينيه إلى

الجـــنة، وبالأخرى إلى النار، ويأتزر بالدنيا، ويرتدي بالآخرة، ويلبي من بينهما للمولى لبيك اللهم لبيك ·

ب/ يقـــول الشيخ عبد القادر الجيلاني ما نصه : إن خطر لك خاطر أو وجـــد إلهام فأعرض على الكتاب والسنة ، فإن وجدت فيهما تحرم ذلك فادفعه عنك وأهجره ولا تقبله ، ولا تعمل به ، وأقطع بأنه من الشيطان اللعيـــن ، وإن وجـــدت فيهما إباحة كالشهوات المباحة فأهجره أيضاً ولا تقـــبله ، وأعلـــم بأنـــه من إلهام النفس وشهواتها ، وقد أمرت بمخالفتها وعداوتها ، وإن لم تجد في الكتاب والسنة تحريمه وإباحته ، بل هو أمر لا تعقله فاصبر حتى يكون هو عز وجل هو الفاعل فيك ·

* ويقـــول أيضـــاً :كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة ، طر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة ، وادخل عليه ويديك في يد الرسول(ﷺ)·

ج/ يقول الشيخ محمَّد بهاء الدين نقشبند :

طريقتـــنا من النوادر ، وهي العروة الوثقى ، وما هي إلا تمسك بأذيال متابعة السنة السنية وأقتفاء آثار الصحابة الكرام ·

د/ يقول الإمام المجدد للألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي ·

إعلـــم أن الشريعة ثلاثة أجزاء : العلم ، والعمل ، والإخلاص ، وما لم يـــتحقق كـــل من هذه الأجزاء الثلاثة لا تحقق الشريعة ، ومتى تحققت الشـــريعة فقد تحقق رضا الحق(سبحانه وتعالى) الذي فوق جميع السعادات الدينية والأخـــروية ، ولم يبق مطلب يقع فيه الاحتياج إلى ما وراء الشريعة ، و(الطريقة)،و(الحقيقة) اللتان امتازت بهما الصوفية خادمتان للشريعة في تكمـــيل جـــزئها الثالث الذي هو الإخلاص، فالمقصود من تحصيل كل منهما تكميل الشريعة لا أمر آخر وراء الشريعة·

هـ/ يقول الشيخ مصطفى البكري :

والزم شريعة الحبيب المقتفى * من حاد عنها أحرما وأجرما

ومن يخالف فعله مأمورها * فذلك الزنديق حيث وهمـــا

* ويقول أيضاً :

إن الشريعة مركز الأسرار * فالزم حماها تحظ بالأنوار

* ويقـــول أيضـــاً : نحن نبرأ إلى الله تعالى من كل قول يبطل حكماً من أحكام ظاهر الشريعة ٠

و/ يقول سيدي الشيخ محمَّد بن عبد الكريم السمان :

* يا أولادي إذا أردتم أن تفهموا سر القرآن ، فاطرحوا دعواكم ، واقتلوا أنفسكم النفيسة وضعوها تحت أقدامكم ، وأعلموا أنكم من قبضة تراب ، واعترفوا بكثرة ذنوبكـــم ، وخافوا أن ترد عليكم طاعتكم ، فغن لم تفعلوا ذلك فباب الفهم عندكم مسدود وعزة ربي أن كل حرف من القرآن يعجز عن فهمه الثقلان ، ولو اجتمع الخلـــق كلهـــم على أن يعلموا (يا) ،أو (جيم) بعقولهم لعجزوا ، يا أولادي ، من أحـــب أن يكـــون ولـــدي ، من أحب أن يكون ولدي حقاً فليجلس نفسه في قمقم الشريعة وليختم عليها بخاتم الحقيقة وليقالها بسيف المجاهدة ، ويتجرع المرارات ومن رأى أن له عملاً يقبل فقد سقط من عين رعاية الحق تعالى٠

ز/ يقول الشيخ أحمد الطيب بن البشير :

* مـــن علامات شركك به اعتمادك على عملك بك ، فإن خرجت عنه خرجت عنه بكليتيه ، جال قلبك في جبروته٠

* اعلـــم يـــا أخي أن من أراد الوصول إلى حضرة منور العقول فعليه بالآداب الثلاثة التي هي عماد الدين ، وهي الآداب في الشريعة ، والآداب في الطريقة ، والآداب في الحقيقة ٠

أساس الطريق

للطريق السماني كما لغيره (أساس) يتمثل في صلوات وأذكار ، منها :

١· البسملة ·

٢· الاستغفار ·

٣· الصلاة على الرسول(ﷺ) ·

٤· التهليل ·

٥· الاسم المفرد (الله)·

٦· ترديد اسمه تعالى (هو)·

أركان الطريق

أ/ الجوع (بمعنى قلة الأكل تدريجياً ، لا عدم الأكل) · وبه يتفرغ القلب إلى الخيرات ويتنور·علماً بأنه قد ورد بشأن ذلك عن رسول الله(ﷺ) قوله (حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه)،وقوله(أكل المؤمنين × مخمس أو ست لقم) ·

ب/ الصمت باللسان والجنان (بمعنى قلة الكلام وقلة التفكير فيما لا يعني)· وبه يتحفظ المريد على الحرام والمكروه ، بل وعما في المباح من آفات·

ج/ السهر (بمعنى قلة النوم لا عدمه) · وبه يتيقظ القلب من نوم الغفلة، أملاً في الترقي في منازل المشاهد العلية ، مستعيناً على ذلك بسهر العين لتعمير الوقت بالمجاهدة·علماً بأنه قد ورد عن ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى (تتجافى جفونهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون)·

د/ الاعــتزال ، وهــو الانقطاع – ما أمكن – عن الخلق إلى الحق ٠ خاصـــة وبالاعتزال تجتمع همة المريد على مقصوده وينفرد بمحبوبه لتكمل مناجاته ويترقى في درجات قربه ٠ علماً بأنه عن الاعتزال ورد قوله تعالى (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي) ٠

هــذا وقــد أشار إلى الأركان الأربعة عدد من العلماء بمن فيهم سيدي الشــيخ عــبد الوهــاب الشعراني في كتابه **الأنوار القدسية**، و أحمد الطيب في شرحه لكتاب الحكم المسمى **الجوهر الفريد في علم الوحدة والتوحيد**، ونقل عن بعضهم في ذلك قوله :

بيت الــــولاية قسمت أركـــــانه * ســــــــــادتنا فيه من الأبــــدال

ما بين (صمت) ، و(اعتزال)دائم * و(الجوع) ، و(السهر) النزيه العالي

أصول الطريق

للطــريق الســماني كما لغيره من الطرق الصوفية أصول ، أختصرها ذووها في خمس ، هن :

٠١ علو الهمة ، وبها ترتفع مرتبة السالك ، وتسمو مكانته في الإقبال على الله تعالى ٠

٠٢ حفظ حرمات الله ،واجتناب حماه ، حيث أن من فعل ذلك كافأه المولى عز وجل وعلا بحفظ حرمته ٠

٠٣ حسن الخاتمة ، إذ أن من حسنت خاتمته وجبت كرامته ٠

٠٤ نفوذ العزيمة ،وبها تدوم الهداية ٠

٠٥ تعظــيم الــنعمة أمــلا في أن يرقى عبرها العبد إلى الشكر فيستحق بذلك المزيد من الله تنفيذاً لتفضله على عبده بقوله (لئن شكرتم لأزيدنكم)٠

مراتب الطريق

للطريق مراتب ، هي :

١· **الشـــريعة** الممثلة للعدالة والتي يُعطى كل ذي حقٍّ حقه ، عملا بقوله تعـــالى (وإذا حكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل) · علماً بأن الشريعة هي الأحكام التي تعبدنا بها المولى جلا وعلا ورسوله من كل ما شرع في القرآن الكـــريم والســـنة المطهـــرة مـــن واجبات ومندوبات ، وجائزات ومحرمات ومكروهات·

٢· **الطـــريقة** الممـــثلة للإحســـان ، والتـــي بها يجوِّد الفرد أداء عبادته ومعـــاملات بإتقـــان أداء مودّع للحياة ، مراقبٍ لمولاه مراقبة من يراه ، أو يتمـــثل عملياً لا قولياً رؤية المولى له · علماً بأنه بالطريقة تشيع الملكية بين الإخوان ، ويكثر عبرها التقرب إلى المولى جل وعلا عن طريق إكرام الفرد لعـــباد الله وعـــياله ، بل ولإخوانه من المؤمنين ، عملاً بقوله تعالى : (إنما المؤمـــنون اخـــوة) ، وقوله(إن الله يحب المحسنين) ، وعملاً بما ورد ، من مثل: (الخلق عيال الله فأقربهم إلى الله أنفعهم لعياله)·

٣· **الحقـــيقة** الممـــثلة للفناء شعوراً لا حقيقة ، لاستحالة فناء الحادث في الأزلـــي القديـــم ، الأمر الذي أسهبنا القول فيه في كتاب لنا مطبوع عنوانه **فلســـفة وحدة الوجود**· علماً بأنها على كل حال هي ثمرة الطريقة ، المؤدية علـــى فهـــم حقائق الأشياء ، كشهود الأسماء ، والصفات ، وشهود الذات ، وأسرار القرآن ، وأسرار المنع والجواز ، والعلوم الغيبية التي لا تكتسب من معلـــم وإنمـــا تفهم عن الله ، طبقاً لما جاء في كتابه تعالى من مثل قوله (إن تـــتقوا الله يجعـــل لكم فرقاناً) أي فهما في قلوبكم تأخذونه عن ربكم من غير معلم ·

هـذا وممـا تجدر الإشارة إليه أنه لا تباين بين الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة ، ولتقريب هذا المفهوم أجاب أحدهم حين سئل عن الفرق بينهما قائلاً : إذا أكل الصائم بطل صومه من حيث أحكام الشريعة ، وإذا أغتاب بطل صومه من حيث أحكام الطريقة ، وإذا خطر بباله سوى الله تعالى بطل صومه من حيث الحقيقة ٠

خصال الطريقة

٠١ السـخاء ، وهـي بين أشهر ما وصف به سيدنا إبراهيم عليه السلام ، مراعاة لما ورد بشأنه في مثل قوله تعالى في الآية ٦٩ من سورة هود : (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حينئذ)٠

٠٢الرضـاء ، وهـو بين أشهر ما وصف به سيدنا إسحاق عليه السلام ، مـراعاة لمـا ورد بشأنه في الآية ٧١ من سورة هود في مثل قوله تعالى (فبشـرناها بإسحاق) ، وقوله في الآية ١١٢ من سورة الصافات في مثل قوله تعالى " وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين "٠

٠٣ الصـبر ، وهو من بين أشهر ما وصف به سيدنا أيوب عليه السلام ، مـراعاة لمـا ورد بشـأنه فـي الآيـات ٨٣/٨٥ من مثل قوله تعالى : "وأيـوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين"٠

٠٤ الإشارة ، وهي من بين أشهر ما وصف به سيدنا زكريا عليه السلام ، مـراعاة لقولـه تعالى في الآية ٤١ من سورة آل عمران : " قال آتيك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً "٠

٠٥ الغربة ، وهي من بين أشهر ما وصف به سيدنا يحيى عليه السلام٠
٠٦ الصوف، وهي من بين اشهر ما وصف به سيدنا موسى عليه السلام ، مراعاة لما ورد من أن سيدنا عيسى عليه السلام كان يلبس (الصوف) والشعر ، ويأكل من الشجر ، ويبيت حيث أمسى ، وعنه ورد أنه كان يقول : إدامي الجوع ، وشعاري الخوف ، ولباسي الصوف ، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس ، وسراجي القمر ، ودابتي رجلاي ، وطعامي وفاكهتي ما أنبت الأرض ، أبيت وليس لي شئ وأصبح وليس لي شئ ، وليس على الأرض أحد أغنى مني ٠
٠٧ السياحة ، وهي من بين أشهر ما وصف به سيدنا عيسى عليه السلام ٠
٠٨ الفقر ، وهو من بين أشهر ما وصف به سيدنا محمّد صلى الله عليه السلام ٠

مبنى الطريقة السمانية

قوام مبنى الطريقة يتمثل فيما يلي :

- التوبة ٠
- العزلة ٠
- الزهد ٠
- التقوى٠
- القناعة ٠
- التسليم٠
- الذكر الجماعي الجهري في حال الاجتماع ٠
- الجهاد الأكبر ٠
- المعاونة في الدين والدنيا ٠

- السماع من ذوي الأصوات الندية ، قرآناً كان أم شعراً أم غيره ، مما سبق أن أشار إليه الشيخ عبد المحمود (الحفيان) في كتابه المطبوع المسمَّى **البيئة والسماع** ، وما تحدثت عنه أنا في كتابي المطبوع المسمى **دور الصوفية في ميدان الإعلام**·

شروط الطريق

للطريق السماني شروط ، منها :

- استحضار جلال الله وعظمته في كل لمحة ونفس ·
- تجريد التوحيد ، وتوحيد التفريد ، مع الحضور في موقف العبودية ابتغاء وجهه تعالى ·
- الذبول تحت مجاري الأقدار ·
- موافقة القلب والروح ، واتحاد الباطن والظاهر ·
- الانسلاخ من صفات النفس،مع الغيبة عن رؤية النفع والضر، والقرب والبعد ·
- اتحاد القول والفعل،والنفس والوقت ·
- معانقة الإخلاص والتسليم ·

وسيلة التربية

للتربية عدة وسائل ، أبرزها :

أ/ التربية عن طريق الجلوة أو الصحبة ، وكان قد أفاض في شرحها الشيخ الوالد في كتابه **المنهج الصوفي في التربية والدعوة إلى الله**·

ب/ التربية عن طريق الخلوة أو العزلة ، وهذه كسابقتها يمكن مراجعتها في نفس الكتاب المشار إليه أعلاه ·

ج/ التربية عن طريق الخلوة في الجلوة أو المزج بين النوعين السابقين ٠

منهج الطريق

يتمثل منهج الطريق فيما يأتي :

١. الإيمان بالله ، ملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره٠

٢. التأسي التام بالرسول(ﷺ) ، مع المجاهدة الدائمة للنفس للتخلق بالقرآن الكريم ٠

٣. الالتزام الجاد بالمنهج التربوي لمشايخ الطريق بما لا يخالف في صغيرة أو كبيرة منه ما جاء في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وما أجمع عليه المسلمون٠

٤. الإجلال للكبير ، والرحمة للصغير ٠

٥. الطاعة للشيخ العالم فيما لا يوقع في معصية ٠

٦. الأخذ بعزائم الأمور ٠

٧. الإكثار من النوافل العامة ، والذكر خاصة ٠

٨. المبايعة على الوفاء بعهد الله ، وتحكيم شرعه ٠

٩. الالتزام الجاد الورع بطاعة الله تعالى ، والحذر التام الكامل من الوقوع في المعصية أياً كانت حراماً ، أو مكروهاً ، أو حلالاً مستغنى عنه ٠

١٠. التحلي بأكرم الأخلاق وأسماها ، عملاً بما ورد من أن (التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف) ، وأملاً في أن يكون الفرد أقرب مجلساً من رسول الله(ﷺ) يوم القيامة ، مصدقاً لقوله : أقاربكم مني مجالس يوم القيامة أحسانكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ٠

أوراد الطريق السماني

حيث أن سالكي الطريق السماني وإن دانوا بالولاء التام للشيخ السمان ، ولتلميذه من بعده الشيخ أحمد الطيب ، وأكرموا أبناءه وخلفاءه ، فقد أصبحت لهم فيما بعد فروع كثيرة تعادل كثرة أبنائه من ناحيته ، وكثرة المجازين في طريقة من ناحية أخرى ، وحيث أنه لم تعد هناك (مركزية) تُمْلي على سالكي الطريق السماني أتباع نهج معيَّن في التربية والسلوك فقد أجتهد مشايخ كل فرع من فروع باستحداث أوراد أضافوها على ما ورثوه قبلاً من أوراد منقولة عن أعيان طريقهم ، فاختلفت تبعاً لهذا وذاك (أوراد الطريق) ، كما اختلفت (أذكاره) خاصة عند من آثروا (النهج الخلوتي) في رياضهم الروحية أكثر من إيثارهم لـــ(النهج القادري) ٠

ذكر الطريق السماني

يتنوع ذكر الطريق السماني بتنوع (الفرع) الذي ينتمي إليه الذاكر ، ذلك أن من آثروا الذكر على النهج (القادري) كانوا وما زالوا يفضلون (التربية الروحـــية للمريديـــن عـــبر الرياضـــة البدنية) بما يسمى اصطلاحاً محلياً بذكر (الصـــيحة) ، ومن آثروا الذكر على النهج (الخلوتي) يفضلون (التربية الروحية للمريدين عبر الرياضة البدنية) بما يعرف بذكر (الطبقات)٠

أ/ ذكر الصَّيْحة ، أو الذكر القادري

ذكر الصيحة ، هو ذكر يردد فيه المريدون وبكثرة أسم الله تعالى مُفْرداً تارة ، مضافاً إليه اسمه تعالى (حيْ) تارة أخرى ، حيث يقولون (الله ، واحد) ، بادئيـــن ذكـــرهم في حال القيام بكلمة (الله) ، مُنْهين الذكر بكلمة(واحد)في حال انحـــناء أشبه ما يكون بالركوع ٠ علماً بأن مثل هذا النوع من الذكر هو الأكثر انتشـــاراً بالســـودان ، وأحســـب أنـــه سمى بـــ(ذكر الصيحة) لأن(القوالين)أو

(المنشدين) أو (الشعّار) يصيحون في حلْقته بأشعارٍ رافعةٍ للهمم ،منشطة للذاكرين ينظمونها باللغة الدارجة بالبلاد لتكون أكثر فهماً لهم وتأثيراً في قلوبهم، على أنهم عادة ما يقفون متباعدين بعض الشيء من بعضهم بغية إسماع الحضور لما به يتصايحون من أشعار ٠

ب/ الذكر الخلوتي ، أو (ذكر الطبقات)

الذكر الخلوتي هو ذكر متنوع ، مصحوب بقصائد مستقلة ، وبأناشيد موقعة ، ومتناسقة مع حركات الذاكرين وأصواتهم ، خفضاً ورفعاً ، جهراً وسراً، نَفَساً وصَدْراً ، ويكون كما يلي:

(لا إلـه إلا الله)، (الله)(واحد)،(هو)،(حق)،(حي)،(قيوم)،(قهار)،(جليل)،(دائم) كل ذلك وفق حركات رياضية بدنية شاقة بعض الشيء ، بُغْية دفع الرتابة من ناحية ، ولطرد الغفلة عن الذاكر ، وإتاحة الفرصة لغير اللسان لأداء ذات الدور في الذكر من ناحية ثانية ٠ علماً بأنه يتخلل هذا النوع من الذكر ويفصله إنشادٌ من القولّين وباللغة العربية الفصحى ، بُغْيَة إنهاض الذُّكّار من ناحية ، والارتفاع من ناحية ثانية بمستوى بعض السامعين إلى اللغة التي آثرها المولى على غيرها من إنزال القرآن الكريم ،أملاً في تدعيم ما إليه هدف الدين من حيث الوحدة اللغوية بين المسلمين ، ومراعاة لحال من قد لا يستوعب اللهجة الدارجة لأهل البلاد من الحاضرين أو السامعين ٠

أضف إلى ما تقدم أن الأسماء التي يذكرون بها عقب (الأوراد) قاصرة على الأسماء السبعة التي تؤدَّي بصورة تختلف بعض الشيء عما سبق ، وهو ما يجده القارئ مشروحاً بصورة واضحة في كل كتاب (تحفة الإخوان) للشيخ أحمد الدردير ، وكتاب **جامع الأوراد القريبية الطيبية السمانية** المسمى **منحة الجواد وتحفة العباد** تأليف الشيخ قريب الله٠

هذا وقد أضاف إلى ما تقدم من أذكار أنواع أخرى قوامها في (الصباح) و(المسـاء)،ترديد (حسبنا الله ونعم الوكيل)٤٥٠ مرة ، وترديد (لا حوله ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم) مائة مرة ، وترديد (سبحان الله وبحمده) مائة مرة ، كمـا قد يردد الذاكرون كذلك قبل صلاة العشاء (يا لطيف) ١٦٦٤١ مرة · على أنـه إذا توفـي للفقراء أحد مشايخهم ، أو إخوانهم ، أو أحبابهم قرءوا له (ورد العـتق الأصـغر،أو الأكبر)،والأول هو ترديد(لا إله إلا الله)سبعين ألف مرة،أو (سبحان الله وبحمده) مائة مرة،أو هما معاً ، والأكبر هو قراءة (قل هو الله أحد) مائة ألف مرة ولو على فترات ·

حركات الذاكرين ،أو ما يُسمَّى بالرقص

أتـاح المولى جل وعلا لعباده أن يذكروه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، وورد أن رسول الله(ﷺ) كانت كل أحواله ذكراً ، وأنه قال : " أكثروا ذكر الله حـتى يقولـوا مجـنون " ، وقـال :" أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون أنكم مـراءون"، وقال :"ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها " ، وورد أن صحابته رضوان الله عليهم كانوا يميدون في الذكر كما تميد الشـجر في اليوم العاصف ، وأن سيدنا جعفر بن أبي طالب(رضي الله عنه) حَجَلَ – أي مشى بالقفز على رجل واحدة مع رفع الأخرى – حين قال له رسول الله(ﷺ) " أشـبهت خَلْقـي وخُلُقـي" ، وجاء في القرآن الكريم ما يفيد أن بعض مخلوقاته تسـبِّحه ولو لم يكن لديها لسان ، بدليل قوله تعالى " لو أنزلنا هذا القرآن على جـبل لرأيـته خاشعاً متصدعاً من خشية الله" ، وقوله "وإن من شيء إلا يسبح بحمده"، ومن ثم فكما أن اللسان باعتباره أحد أعضاء الجسم مأمور بالإكثار من الذكـر (الحركـي) باعتبار حركته داخل الفم فكذلك بقية أجزاء الجسم تعبر عن عـبادتها للمولى جل وعلا بالحركة تارة وبالسكون تارة أخرى على أنها إذا ما

التفتت يميناً أو شمالاً ، أو شرقاً أو غرباً ، أو تعمّدت الاعتدال السريع بعد حنْي الركبتين ، أو بعد خفض الرأس خفضاً يكاد يُلامس الأرض ،أو جلست باطمئنان أو بغـــيره ثم قامت، أو تحركت أثناء جلوسها تحركاً يماثل ما تفعله وهي قائمة، أو أومـــأت وهـــي جالســـة إلى السجود والرفع منه دون أن تضع جبهتها على الأرض أو تلـــتزم باستقبال القبلة ، أو نهضت قفزاً إلى أعلى ، أو هبطت عوداً إلى اسفل ،أو هرولت تجاه الوجه كهرولتها بين العمودين الأخضرين في ساحة الصفا والمروة حين العمرة أو الحج ، أو استشعرت قوله تعالى "والله من ورائهم محـــيط" أو الفـــر للكـــر كما في الجهاد الأصغر فرجعت القهقرى ،أو استدارت بســـرعة علـــى نفســـها،أو مدت يديها وجذبتها بسرعة مع حني الركبتين حني المتحفز للعدو أو الجري ، منفردة كانت أو متقويّة بيدي مجاوريها تحسيناً للظن بهما ، وتنافسا متكرراً مع المتنافسين في قبول العطاء ،فإنما لترمز بالأخير إلى الـــتذلل لمولاهـــا وفرحتها بالتناول السريع والتنافس عدوا للحصول على المدد الإلهـــي والعطـــاء الربانـــي غـــير المجزوز ، لتُشْهِد أيضاً الجهات الست على عبادتها، ولتؤكد بأنه وإن كانت جهة القبلة هي المكان الأفضل للعبادة ،فإنه ليس للمولـــى جهة معينة يلزم العبد بأن لا يذكر الله إلا إذا كان متجهاً إليها ، خاصة والمولـــى جل وعلا يقول" فأينما تولوا فثم وجه الله". علماً بأنه ما دامت الروح مـــن (أمـــر) الله ، مصدقاً لقوله تعالى "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " فإن حركها إنهاضها التكرر للجسم ولو بالقفز إلى أعلى هو تعبير رمزي يفـــيد تجســـيد الصـــراع بين الروح التي ترغب في الرجوع إلى أصلها بعد أن هبطت إلى الفرد من المحل الأرفع إثر تسوية الله للإنسان والنفخ فيه من روحه، وبيـــن الجسم الطيني الذي هو بمثابة سجن لها يجذبها إلى أصله ، مانعاً لها من الإفلات والإنعتاق والحرية .

أضــف إلـــى مـــا تقــدم أن النفس إذا كلّت ملّت ، وأبعدتها الرتابة عن مواصـــلة السير ، ومن ثم نُوّعت لها الحركات والأنفاس ، لتتفاعل مع الذكر كل أعضاء الجسم بما فيه من أعصاب وأوردة ،ونُوّع لها بالمثل ألفاظ الذكر بأسماء الله الحسنى عملاً بقوله تعالى "أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى" كل ذلك لتصبر علـــى العبادة أطول فترة ، استجابة لأمر الله لها بذلك في قوله "اذكروا الله ذكراً كثـيراً وســبحوه بكــرة وأصيلا" · علماً بأن الذكر عموماً لا يكون إلا في بيئة طاهــرة لا تُشبه بيئة الراقص بمفهومه الماجن والذي يخالط فيه الرجال النساء أحــياناً ، كمـــا أن حــركات الذاكريـــن لـــيس فيه تفكك وخلاعة وإن كان فيها اضــطراب وإســراع وارتفـــاع وانخفـــاض ودوران ، وهـــو مـــا يقصد لغة بكلمة(رقص)، إذ الرقص كما يفيد ذلك المعنى الماجن الذي لا يُطلقه عاقل على الصوفية · ويفيد كذلك المعاني الأخيرة التي ذكرناها ·

هذا وقد أفتى بعض العلماء بتكفير من يطلق لفظ الرقص بمعناه الماجن على (التواجد) فقال : الفرق بين التواجد في ذكر الله وبين الرقص إنما هو الشهوات النفسانية والأعراض الشيطانية في الفسق والفجور ، فمن قال عن التواجد في ذكر الله إنه رقص فقد كفر لأنه سمى الطاعة معصية·

النفس وطرق تربيتها وعلاجها

وبالرغم من النفس في حقيقتها واحدة إلا أنها قُسمّت – تقسيماً اعتباريا لا حقيقيا – عـــند الســـادة (القادريـــة)إلى ثلاث(مقامات) أو(منازل)، وقسمت عند السادة (الخلوتـــية) إلـــى سبع (مقامات) أو (منازل) ، وهي على كل تتمايز فيما بينها تمايـــز علاقـــة الفـــرد بمولاه قوة وضعفا ، وتقواه له ورعا وتفريطا ، خاصة والإنســـان – كمـــا هو معلوم – ومحجوب عن مولاه أو مُبعْد عنه (معنوياً، لا حسياً) ، ورمزاً عددياً لا حصراً رقمياً بـــ (سبعين حجاباً) ، أو قل كما جاء في

بعـــض الـــروايات –محجـــوب رمزا لا حصرا بـــ (سبعمائة)، بـــ(سبعين ألف حجـــاب) ، وهي حجب على كثرتها ترجع إلى (سبع) مكُون من نور فقط ، أو ظلمـــة فقـــط،أو نور وظلمة ،أكثفها حجاب النفس الأمارة وألطفها حجاب النفس الكاملـــة ، ويتوسط هذا وذاك بقية الحجب ..علما بأن ما كان منها أشد قربا من (الـــنفس الكاملـــة) كان أشد لطافة وما كان أشد بعداً كان أشد كثافة ، وبين كل حجـــاب وما يليه عشرة حجب لا يباح للشيخ المسلك ان ينقل المريد من حجاب منها إلى آخر إلا بعد أن يطهر من لوث دنس غبار الأغيار ،، ويتنور ظلمة ليل وجوده بأقمار معارف الأنوار ، ويغيب في وجوده عن مسماه في شهوده ، الأمر الذي يكون من نتائجه أن يظل السالك في معراج هذا الاسم صاعداً ، وبالاشتغال لنيران اشتعاله واقدا ، حتى تناديه روحانيته من غير حجاب ، وتخاطبه بأفصح خطـــاب ، فحينـــئذٍ يشرف على عالم شهادته ، ويلبس خلع سيادة سعادته ، بعد صفات طبائع عادته .

هذا وتمزيق هذه الحجب (المعنوية) أو تجاوزها للسالك غير (المجذوب) هـــو الهدف المقصود من سلوك الطريق ، على أن (المجذوب) قد يتفضل عليه مـــولاه فينقله دون معاناة أو مشقة أو جهاد أكبر إلى مقام (النفس الكاملة) ، وهو فضل كان ومازال يصبو إليه كل فرد ،وعنه عبر الشيخ الدردير بقوله :

ومُنّ علينا يا ودود بجذبة *بها نلْحقُ من سار قبْلنا.

المقامات المذكورة تترتب ترتُبا تصاعدياً عند ذوي الطرق كما يلي :

(أ) السادة القادرية ، ومن وافقهم

* مقامات النفوس عند السادة القادرية وغيرهم كما يلي :

١. النفس اللوامة وعلاجها بالإكثار من الذكر بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

٢. النفس الملهمة ، وعلاجها عندهم الإكثار من الذكر بالاسم المفرد (الله).

٣. النفس المطمئنة ،وعلاجها عندهم الإكثار من الذكر بكلمة (هو)٠

(ب)السادة الخلوتية

*مقامات النفوس عند السادة الخلوتية ، هي كما يلي :

١-النفس الأمارة

٢- أدنـــى أسماء النفس في مراتب السلم الجهادي هي المراحلة التي تكون فـــيها الـــنفس في (ظلمات الأغيار) ،أو في (دائرة الكفر والعناد)، مدنسة بالخبائـــث ، مـــتوغلة فـــي بحار الشهوات ، متشحة بمساوئ الأخلاق ، وأراذل الصفات ، لصاحبها بالسوء ، صارفة له عن الطاعة ٠

هـــذه الـــنفس تسمى اصطلاحاً عند السادة السمانية بـــ(النفس الأمارة) ، مـــراعاة لمـــا ورد بشأن أمثالها في مثل قوله تعالى "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمـــارة بالســـوء" ٠٠علمـــا بـــأن عـــلاج هذه النفس هو الإكثار من ترديد كلمة التوحـــيد(لا إلـــه ألاَّ الله) إذ هي عندهم تجلو القلب وتصفيه ، أملا في أن يكون أهلا للذكر ببقية الأسماء الحسنى للمولى ، خاصة وقد قال عنها رسول الله(ﷺ) "افضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله "٠

٢/النفس اللوامة

ثاني النفوس الاعتبارية في مرحلة التربية الجهادية هي (النفس اللوامة) التـــي اســـتؤنس في تسميتها بهذا الاسم من قوله تعالى"فلا أقسم بالنفس اللوامة" ٠٠علمـــاً بـــأن ســـير هذه النفس لله ،وعالمها هو عالم البرزخ ، ومحلها القلب ، وحالهـــا المحـــبة ، وأورادهـــا الطـــريقة ، وصـــفاتها اللوم ، والفكر والعجب والاعتراض عن الخلق ، والرياء الخفي ، وحب الشهرة والرئاسة ، ومقامها هو مقام الأنوار ، وجلاؤها يكون بالإكثار من ترداد ذكر اسمه تعالى (الله)٠

٣/النفس الملهمة

ثالث النفوس الاعتبارية في مرحلة التربية الجهادية هي (النفس الملهمة) التي ألهمت عيوبها ، فلا ترى لها تقوى ولا عملا ، وكان قد استؤنس في إطلاق هذا الاسم عليها بقوله تعالى "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها" ..علماً بأن سيرة هذه النفس (على الله) بمعنى أن لا يقع نظر السالك في هذا المقام إلا على الله لظهور الحقيقة الإيمانية على باطنه ، بخلاف سابقتها التي كان سيرها (الله) ، وعالمها هو عالم الأرواح ،ومحلها الأرواح ، وحالها العشق، وواردها المعرفة ، وصفاتها : السخاء ، والقناعة ، والعلم ، والتواضع،والصبر، والحلم وتحمل الأذى ، والعفو عن الناس مقامها هو مقام الأسرار ، وجلاؤها وتصفيتها تكون بالإكثار من ترداد الذكر باسمه تعالى (هو).

٤/النفس المطمئنة

رابع النفوس الاعتبارية في مرحلة التربية الجهادية هي(النفس المطمئنة)التي استؤنس في تسميتها بهذا الاسم من قوله تعالى(يا أيتها النفس المطمئنة) .. علما بأن عالمها هو عالم الحقيقة المحمَّدية ،ومحلها السرور ، وحالها الطمأنينة ،الصادقة ، وواردها بعض أسرار الشريعة وصفاتها الجود ، والتوكل ، والحلم، والعبادة، والشكر والرضا بالقضاء والقدر ، والصبر على البلاء ، وجلاؤها يكون بالإكثار من ترداد الذكر باسمه تعالى(حق) ؛ هذا والنفس المذكورة – كما يقول العلامة الدردير لا يمكن وصول غير السالك إلى درجتها ولو أتى بعبادة الثقلين .

٥/النفس الراضية

خامس النفوس الاعتبارية في مرحلة التربية الجهادية هي(النفس الراضية) ..علما بأن محلها سر السر ،ومقامها الوصال والفناء والجمع ،

وصـــفاتها الزهد فيما سوى الله تعالى ، والإخلاص ،والورع والنسيان ،والرضا بكـــل ما يقع في الوجود من غير اختلاج قلب ولا توجه لدفع المكروه منه ، ولا اعتراض أصلا ، وجلاء هذه النفس بالإكثار من الذكر باسمه تعالى(حي).

٦/النفس المرضية

ســادس الـــنفوس الاعتــبارية فـــي مرحلة التربية الجهادية هي (النفس المرضـــية) التـــي اكتسبت هذا الاسم من رضاء المولى عز وجل وعلا عنها، ومن وصفه لها في القرآن الكريم بقوله " ارجعي إلى ربك راضية مرضية " .. علمـــا بـــأن عالم هذه النفس هو عالم الشهادة ، ومحلها الخفاء ، وحالها الحيرة، وواردها الشريعة ، وصفاتها حسن الخلق ، وترك ما سوى الله تعالى، واللطيف بالخلق ، والجمع بين حب الخلق والخالق ، وجلاء هذه النفس بالإكثار من ترداد الذكر باسمه تعالى (قيوم).

٧/ النفس الكاملة

ســـابع النفوس الاعتبارية في مرحلة التربية الجهادية هي(النفس الكاملة) علماً بأن مقام هذه النفس هو مقام تجليات الأسماء والصفات ، وعالمها هو عالم الكثرة في الوحدة ، والوحدة في الكثرة ، وحالها البقاء ، وواردها جميع ما ذكر من صفات النفوس المذكورة بعضها آنفا ، وجلاء هذه النفس وهي آخر النفوس بالإكثار من ترداد الذكر باسمه تعالى(قهار).

إلى النفوس السبعة المذكورة إشارة الشيخ قريب الله (نظما) بقوله :

للنفس سبعة أسماء ســـــــــأسردها * (أمـــارة) وهي ذات الكبر والحسد

(لوامة) إن بدت منها مخـــــالفة * تقول يـــا رب سامـــحني وخذ بيد

كذلك ملهـــــــــمة بالخير منحفة * قد فوضت أمرها للواحـــــد الأحد

و(مطـــــــمئنة)إيمـــان و(راضية) * (مرضية) زانـــها التـــجريد للمدد

فتلك ست ،وخذ في الختم (كاملة) * يا رب صفي بــها بالمصطفى السند

المقامات والأحوال

المقامات عند السالكين هو الوصف الذي يثبت على العبد ويقيم ، فأن لم يثبت سمى حالاً ، غير أن عدد كليهما لا يكاد يحصر أو يتفق على نوعه ،ومن ثم قيل :إن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب

هذا وقد مثل صاحب **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي** للمقامات بما يلي: الانتــباه ،فالــتوبة، فالإنابة، فالورع، فمحاسبة النفس، فالإرادة، فالزهد، فالفقر، فالصدق، فالتصبر، فالصبر، فالرضى، فالتوكل؛ ومثل للحال بالحزن، والخوف، والبسط والقبض، والشوق، والذوق.

آداب الطريق

للطــريق السماني آداب كثيرة في مجموعها ، وفي تنوعها ما ذكر في آداب الطرق الأخرى ، ومن ثم فقد رأيت ان أحيل القارئ على مظانها بدلا من إطالة الكتاب بذكرها ، علما بأن المظان هي ، ما يأتي :

1. **بلغة المريد ، ومشتهى موفق سعيد** نظم الشيخ مصطفى البكري.
2. **آداب المريديــن** تألــيف الشــيخ أبــي النجيب ضياء الدين السهروردي (٥٦٣هـ)
3. **منظومة آداب الطريق** لأبي يزيد البسطامي ، وهي مطبوعة عدة مرات بعضها في نهاية **تحفة الإخوان في آداب الطريق** للشيخ الدردير .
4. **تحفة الإخوان في آداب الطريق** للشيخ احمد بن محمّد الدردير .
5. **الــنفحات الإلهية في كيفية سلوك الطريقة المحمّدية** للشيخ محمّد بن عبد الكريم السمان .

٦. **الأســرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية** تأليف الشــيخ احمد الصاوي المالكي الخلوتي الصفحات ٨٤ فما بعدها(عند شرح المؤلف لصلوات حرف الهاء).

٧. **الجهــاد الأكبر** تأليف الوالد الشيخ محمَّد الفاتح ؛ وهو مطبوع بدار الجيل ببيروت ضمن كتب أخرى لنفس المؤلف ، عنوانها العام الواردات الإلهية .

الأنوار التي تظهر للسالك

نعُم المولى جل وعلا واكراماته لعبيده لا تحصى ،وقد ذُكر فيما ذُكر منها إشــراقات نوريــة تظهر للعابد أثناء استغراقه في عبادة مولاه بإحدى الأسماء الســبعة المذكورة آنفاً ،حيث ورد عن الشيخ السمان في رسالته **كشــف الأستار عن اسمه تعالى قهار** من أنواع الأنوار التي تظهر للسالك تدريجياً ، ما يأتي :

١. نــور الأيمــان وهو أول الأنوار، منشؤه حضرة(لا إله إلا الله)، ونتيجته الهداية للمؤمنين قال تعالى "يهديهم ربهم بإيمانهم"

٢. نــور العقل،ونتيجــته القيام بالعدل من غير ميل ولا انحراف ،قال تعالى "وزنوا بالقسطاس المستقيم".

٣. نــور الصدق ، ونتيجة الانشراح في حضرة الرضوان ، وثبوت التمكين في حقائق الاستسلام ، قال تعالى " أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه".

٤. نــور الــنفس المطمئنة ، ونتيجة اللزوم الثابت على يد الرضا والطمأنينة فــيما حكــم وقضى على توارد الأنفاس ، وعلى التوفية بما أخذ من ميثاق الاشــتراء،وحقيقة القتال والمجاهدة في سبيل الله ، كما قال "إن الله اشترى مــن المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون" الآية .

٥. نـــور القلـــب ونور الحس ، ونتيجة ثبوت الأنوار والتأييد والاستمداد من الـــروح الكريم ، والقيام بما جعله أمارة بينة الثبوت والإيمان ، إلقاء محبته في قلبه كما قال تعالى "ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إلـــيكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون" ، وحينئذ يتطهر قلبه من دنس الأغيار بحقيقة الافتقار كما قال تعالى لنبيه(ﷺ) "وثيابك فطهر" أي قلـــبك فطهره – وأن كان قلبه(ﷺ) طاهراً والمراد من الخطاب الأمة للإرشاد والتشريع .

٦. نور الصدر والنفس والعلم الكسبي ، ونتيجة الثبوت على توفية العلم حقه بدوام العمل ،إذ العلم مفتقر إلى العمل، والعمل مفتقر إلى العلم ، قال تعالى "وقـــل أعملـــوا فســـيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"، وكلاهما طريق موصـــل إلى الله تعالى ، قال رسول الله(ﷺ) "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعمل".

٧. نـــور العمل ، ونتيجة الإقبال على لطيفة الإخلاص والتصديق والتحقيق ، قـــال تعالى "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء" فإذا صحت لهم العبادة بهذا الشرط كانت أعمالهم مرفوعة إلى الله تعالى كما قال تعالى "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه".

هـــذا وجـــاء في كتاب **قطف أزهار المواهب الربانية من أفنان رياض النفحة القدســـية** للشيخ صديق المدني بن عمر ما يفيد بأن الأنوار التي يراها السالك، هي :

١. نور الملك كاتب الحسنات وهو الذي يكون على اليمين .
٢. نور كاتب السيئات ويأتي من جهة الشمال .
٣. نور الحفظة .

٤. نور إبليس.

وجـــاء فـــي كتاب **إغاثة اللهفان مواساة الولهان** للشيخ محمّد بن عبد الكريم السـمان ما يفيد أن الأنوار أربعة أقسام (أبيض)،و(أحمر)،و(أخضر)،و(أصفر) وقـد يكون غير ذلك، وظهوره تارة يكون عن جهة اليمين متصلاً بالكتف فيعلم أنـه من الملك كاتب الحسنات ، وتارة من جهة اليمين غير متصل بالكتف فيعلم أنـه مـن الشيخ ، وتارة من جهة الأمام فيعلم أنه من نور سيدنا محمَّد(ﷺ) ، وتـارة من جهة اليسار متصلاً بالكتف فيعلم أنه من الملك كاتب السيئات ،و إن كان من جهة اليسار غير متصل به فهو من تلبيس إبليس ، وتارة يكون صورة متعدية من جهة اليسار فهو أيضاً من تلبيس إبليس ، وتارة يكون من فوق أو من وراء الظهـر فهـو من الملائكة الحافين بالذاكرين ، وتارة يكون من غير جهة فتقع الدهشة وعدم الحضور بعد ذهابه فهو من تلبيس إبليس ، وأن بقى الحضور والشـوق بعـده فهو من المقصود الأعظم لأنه من الله تعالى ، وتارة يكون من فـوق الصـدر والسرة فهو من تلبيس إبليس أيضاً ، وتارة يكون من فوق القلب فهـو من الروح ، وتارة يكون من طريق القمر – أي طرف المنحر الأيمن فهو من الروح الأعظم ، وتارة من طرف القمر – أي طرف الخيشوم الأيسر– فهو مـن نـور القلب إلى غير ذلك غير أنه ينبغي للسالك أن لا يقنع بذلك ولا يقف عـنده ولا يلتفت إليه لأن التجليات الإلهية والفتوحات الربانية لا نهاية لها ، بل يجب عليه أن يسعى في طلب الزيادة حتى يظفر بالمطلوب.

وجاء عن الشيخ أحمد الطيب في شرح لكتابه الحكم ما نصه : الأنوار أربعة:

١. نور وحدة الذات .
٢. نور وحدة الصفات .
٣. نور وحدة الأسماء.

٤. نور وحدة الأفعال.

وجـــاء عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ما يفيد أن لكل لون نفس لون ، ما عدا النفس الكاملة ، وقد حدد الأوان على النحو التالي :

١. لون نور النفس الأمارة أزرق .
٢. لون نور النفس اللوامة أصفر .
٣. لون نور النفس الملهمة أبيض .
٤. لون نور النفس المطمئنة أبيض .
٥. لون نور النفس الراضية أخضر .
٦. لون نور النفس المرضية أسود .

الخواطر

الخواطر عند السادة السمانية أربعة أرقام :

١. رباني ، وهو ما يبعث على الطاعة وكل فعل جميل ، وعلامته صولته على القلـــب كالسبع الضاري على الفريسة الضعيفة أي الحيوان الصغير ، بحيث لـــم يبق للنفس ولا للشيطان معه مجال ، ولا يرد بأمر ولا نهي ، ولا يندفع بشيء أبدا .
٢. مَلَكِـــي ، وهو كسابقه ما يبعث على الطاعة وكل فعل جميل ، وعلامته أن يعقبه برد ولذة دون أن يجد صاحبه ألماً أو تغير له صورة .
٣. نفســـاني، وهو ما فيه حظ النفس ، وعلامته أن يعقبه ألم في القلب ، وضيق في الصدر وتكرار في طلب الشهوة .
٤. شيطاني ، وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق بأي طريق كان ، وربما يأتي في صـــورة العـــبادات والطاعات ، وحب الكرامات ليقف عندها السالك فينقطع

عـــن الوصول ، ويقع في المهالك ، وعلامته أن يعقبه تهويش في الأعضاء وألم وفتور ٠

هذا وقد أوصى الشيخ السمان المريد بأنه إذا أراد رفع الخواطر عن القلب علـــيه أن يـــلازم علـــى الطهارة الحسية والمعنوية ، ويرفع صوته بالذكر مع توجهه لشيخه ، فإذا ذهبت ثم عادت فليضع يده على قلبه ، وليقل "سبحان الملك القدوس الفعال الخلاق"عدد سبع مرات ، ثم يقول بعد ذلك "إن يشأ يذهبكم ويأت بخلـــق جديـــد وما ذلك على الله بعزيز"٠علماً بأن هذه الآية الشريفة – كما يقول الشيخ السمان – نافعة لزوال الوسواس الملازم فتقرأ بعد كل صلاة سبعاً ،ومما يـــنفع لدفـــع استيلاء الخواطر أيضاً : الذكر الدائم بعد الوضوء باسمه تعالى(يا قدير) بحساب الجمّل الكبير عدد ٣١٤ ٠

المستوى العلمي لأبناء الطريق

بمـــا أن المتصـــوفة جـــزء من الكيان الاجتماعي لكل أمة إسلامية ، فمن الطبيعـــي أن يحدث لهم من مختلف العصور ما يحدث لغيرهم ، من تقدم علمي يـــنال فيه الفرد أقصى درجات التعليم الذي يبز فيه من سواه ، يقال ذلك أمية لا يعـــرف فـــيها الفرد القراءة والكتابة ، ويتوسط ذلك تباينٌ في المستويات العلمية بدافـــع الظروف الإنسانية ، أو العلمية ، أو الذكاء، أو غيرها ٠ علماً بأن القارئ لـــــ(موسوعة المصادر الصوفية) التي أصدرناها بحمد الله – يتبيَّن له المستوى العلمـــي الرفـــيع لمشايخ الطريق السماني ، وأبنائهم ، تلاميذهم ، وأحبائهم من خلال ما ألفوه من كتب ٠

حكم سلوك الطريق

التصـــوف علم وعمل ، وهو كغيره من المعارف يحتاج إلى هاد وخبير يرشـــد الغير بمسالكه ، ويعرفّهم بدروبه ، ويضع أمامهم الخبرة الإنسانية التي

تقصـــر عليهم الطريق إليه ، ومن ثم فإن عدم الاستعانة بالخبير فيه تماثل عدم الاســتعانة بالخبــير في غيره من المعارف الإنسانية طباً كان ، أم زراعة ، أم صناعة ، أم فناً ٠ علماً بأن غاية الطريق هي معرفة الله تعالى ، ومعرفة تحتاج إلـــى علـــم ، والعلم لا يكون إلا من عالم ، ومن ثم فكما كان العالم أكثر تأسياً بالرســـول(ﷺ)كان الاسترشاد به أكثر نفعاً ، والحاجة إليه أكثر إلحاحاً ، عملاً بما ورد عنه(ﷺ) ، ومن ثم قوله:

١٠ لا تجالسوا الأفاكين ٠

٢٠ لا تجالســـوا العلماء الذين يرغبونكم في الدنيا ، ويرخصون لكم في متابعة الهوى ،فإن مجالستهم من أعظم البلاء ٠

٣٠ جالســـوا من يذكرون الله رؤيته ، ويزيد في علمكم منطقه ، ويرغبكم في الآخرة عمله٠

أضـــف إلـــى ما تقدم أنه إذا كان الدين لا يبيح لمن لا يعرف مداواة علته البدنية أن يُعْرِض عن مداواة علته عند غيره من الخبراء المختصين ـ كذلك لا يبيح لمن لا يعرف مداواة علته الروحية أن يُعْرِض عن مداواة غيره من الخبراء المختصـــين في ذات الفن ٠ لقد أمر الدين ، قرآنا ، وسنة ، وفتاوى باللجوء عند الحاجة إلى خبراء الهداة ، حيث يقول :

أ/ القرآن الكريم

١٠ "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون "٠

٢٠ "الرحمن فاسأل به خبيراً"٠

٣٠ "ولكل قوم هاد"٠

٤٠ "ولا ينبئك مثل خبير"٠

٥٠ "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده"٠

٠٦ "واتبع سبيل من أناب إليّ" ٠

ب/ الحديث النبوي الشريف

٠١ "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم "٠

٠٢ "هلا سألوه فإن دواء العي السؤال "٠

ج/ فتاوي العلماء

٠١ يقــول الشيخ الولي محمَّد اليدالى الديماني السعيدي في كتابه خاتمة التصوف ما نصه :

التصــوف علــم يعرف به كيفية التخلص من عيوب النفس ، وهو فرض عيــن، وذلك أن الإنسان لا يسلم غالباً من دواعي الشر كالرياء والعجب والكبر والحسد وغيرها ، وتعلّم ما يتخلص به من هذه الدواعي واجب٠

الإكرامات أو المنح الإلهية

كمــا أن ليس للصوفي يد فيما يحدث له أو لغيره من أمور أسماها الناس (عادية) – كذلك ليس له يد فيما يحدث له أو لغيره –عبره/ من إكرامات أو منح أو أمور أسماها الناس (خارقة العادة) ،إذ الفاعل الحقيقي لكل ذلك هو الله تعالى، والمولــى كما يُظهر إكرامه أو كرامته للعبد الحي فضلاً منه وتمييزاً ، يُظهرها كذلك للعبد الميت لذات السبب وهو على ما يشاء قدير ٠

ثمار الطريق

الصــوفية هــم أوفــر الناس حظاً في الاقتداء برسول الله(ﷺ)، وأحقهم بإحــياء سُنته ، والتخلق بأخلاقه ، ومن ثم كان ممّا تأسوا به عنه : التواضع ، والمــداراة، واحــتمال الأذى مــن الخلــق ، والإيثار والمواساة ، والتجاوز ، والعفــو، مقابلــة السيئة بالحسنة ، والبشر ، وطلاقة الوجه ، والسهولة ، ولين الجانب ، والنزول مع الناس إلى أخلاقهم ، وترك التكليف ، والإنفاق من غير

إقتار ، وترك الادخار، والقناعة ، وترك المراء والمجادلة والغضب إلا بحق، والتودد والتآليف ، والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة ، وشكر المحسن على الإحسان والدعاء له ، وبذل الجاه للكافة ٠

بعض أشهر مصطلحات الطريق بالسودان

١٠ الطـــريق ، وهـــو لغة : المطرق ، والممر الواسع الممتد أوسع من الشارع واصطلاحاً هو : عبارة عن مراسم الله تعالى المشروعة التي لا رخصة فيها أو هـــو ما تسلكه القلوب فتقطعه بالأفكار على حسب العقائد والبصائر٠علماً بأن له ظاهراً وباطناً ، فظاهره ما يتعلق بإصلاح الجوارح الباطنية ٠

٢٠ أضف إلى ما تقدم أن أصل (الطريق) كما يقول الكموشخانلي : نور سماوي ونظـــر إلهـــي يقـــع فـــي قلب العبد فينظر به نظرة فيرى بها أمر الدارين بالحقـــيقة، ثم هذا النور ربما يطلبه الشخص مائة سنة ويصرخ فيها ويبكي فلا يجده ، ولا أثر منه ، ومنهم من وفق في ستين سنة ، ومنهم من وفق في عشـــرين ، ومنهم في سنة ، ومنهم من وفق في شهر ، ومنهم من وفق في جمعة ، ومنهم من وفق ساعة ، ومنهم من وفق في لحظة ٠

٣٠ **الحزب** هو الورد وزناً في معنى ، وهو ، وإن كان معناه لغة(النُّوْبَة) إلا أنه عـــند الصـــوفية هو ما يعتاده الشخص من صلاة وقراءة ونحو ذلك ،أو هو مجموعة أذكار وأدعية وتوجيهات وضعت للذكر والتذكير والتعوذ من الشر وطلـــب الخير واستنتاج المعارف وحصول العلم ، مع جمع القلب على الله (سبحانه وتعالى) بذلك٠

٤٠ **المـــريد** ، هو من صح له الابتداء ، وقد دخل في جملة المنقطعين إلى الله تعـــالى بالاسم ، وشهد له قلوب الصالحين بصحة إرادته ، ولم يترسم بعدُ بحال ، ولا مقام ، فهو في السير مع إرادته٠

٥٠ **السالك** ، السالك هو السائر إلى الله تعالى ، المتوسط بين المريد والمنتهى ما دام في السير ٠

٦٠ **المسـيد** ، هـي كلمة كانت وما زالت تستعمل عند أهل المغرب العربي (المملكـة المغربية) ، والجزائر ، ومنهما استقاها السودانيون ، مصدرها (مَسَـدَ) بمعنى أدأب السير ، وهي تفيد في معناها العام المؤسسة التربوية الجامعـة التي أعدت لصقل العابد المسافر سفراً معنوياً إلى مولاه مستغلاً ليله ونهاره في الإقبال عليه ، بغية مسد خلقه أملاً في أن يتمكن من الصبر علـى الشـدة التي قد لا يطيقها الرجل العادي من غير أولى العزم ٠ هذا ولتأصـيل ذات الكلمـة مـن حيث اللغة العربية راجع كتابا لنا مطبوعاً ، عنوانه **الطريقة السمانية في سطور**٠

٧٠ **الترجمة** ، تعني في الاصطلاح السوداني : تعبير الصوفي عمًا بالنفس من معـانٍ بألفـاظ غامضة ٠ علماً بأنه ، وفي خلال فترة الاحتلال البريطاني للسودان ، وقبل معرفة أهل البلاد بلغة المحتلِّين – كانوا كثيراً ما يعبرون عمَّـن تَواجَـدَ وصـدرت منه ألفاظ غير مفهومة بقولهم (تَرْجَمْ سَكسُونْ سـرِيانِي) ، والمعـنى تحـدث بلغة غامضة غموض اللغة الإنجليزية ،أو السريانية ٠

٨٠ **اللاَّلُوبة** ، سبحة (مَنْزليَّة)ليظة بعض الشيء ، تنظم في خيط غير دائري، وتـتكون مـن ألـف حبة من ثمار شجرة(الهجليج)،ومنها استقت الاسم (لالوبة) ٠

٩٠ **الجَـرد للألفية** ، الجردْ هو الإفراد ، ومنه : جرد الحج أفراده ولم يقرن، كمـا جاء ذلك في القاموس المحيط فصل الجيم باب الدال٠ علماً بأن معنى الجرد للألفية هو متابعة إفراد حباتها واحدة بعد الأخرى عند الاشتغال بها٠

١٠· **السـرْدُ للألفية** ، السرد يعني المتابعة كما جاء ذلك في كتاب **العين**، باب السين والدال والراء معهما ج٢ ص ٢٢٥ لمؤلفه الخليل بن أحمد ، ومنه سرد القراءة والحديث يسرده سرداً أي يتابع بعضه بعضاً · علماً بأن المصطلح عليه في الاستعمال الدارج بالسودان يفيد تعمد العابد حبات السبحة الألفية بالجملة لا بالأفراد ، وذلك بعد أن يمسكها بكلتا يديه ، لتساعد الحركة المتكررة لليدين على التنبه الدائم ، واليقظة وطرد النوم ، أو الكسل ·

١١· **السيارة** ، في اللغة هي القافلة ، وأصلها القوم يسيرون بأرجلهم من مكان إلى آخر·

١٢· **الحضرة** ، وهي تعني في معناها الدارج بين السودانيين : ذكر المولى جل وعلا ، على أنها في الاصطلاح الصوفي تشير إلى : عالم المعاني ، والأعيان الثابتة ، وعالم الأرواح ، وعالم الشهادة ، وعالم الإنسان الكامل الجامع لجميع العوالم كلها، وبهذا المفهوم كتب سيدي الشيخ عبد المحمود رسالة عنها ما تزال مخطوطة · علماً بأن هناك من تحدث عن حضرات ثمان تشير إلى تجلي المولى عز و علا فيما له من المظاهر الحقية ، والمعاني الخلقية ·

١٣· **العهْـد** ، إشارة إلى ما عاهد عليه المريد شيخه للعمل الجاد بما إليه أشار المولى جل وعلا في مثل قوله تعالى(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)·

١٤· **قـراءة المولد النبوي** ،إشارة إلى التزام المريد بقراءة ما حدَّده له شيخه من كتب موجزة في سيرة النبي(ﷺ) كمثل (المولد البرزنجي) ،(المولد السماني)،(المولد القريبي) وغيرها ·

١٥٠ **الـــزُّفَّة** (بضم الزاي وتشديد ألفها وفتحها) ، تعني (الزُّمْرة) –سميت بذلك لزفيفها أي إسراعها · علماً كلمة (زَفَّة)/بفتح الزاي وتشديد الفاء مع فتحها – اســتعملت استعمالاً دارجاً في السودان وغيره بمعنى الطواف بالعروس إظهـــاراً لســرور المشاركين فيها ، كما في (المولد النبوي)مثلاً الذي يقام عادة في شهر ربيع الأول ، وفي الحوليات السنوية لمشايخ الطريق·

١٦٠ **القَلَنْسُـــوَة** ، والقُلَنســـِية جمعها قَلانس ، وقَلانِيس ، وقَلاس ، وقَلاسِي ، وتصـــغيرها قُلَيْنسِة ، وقُلَيْسِيَة ، وهي نوع من ملابس الرأس ، وهو على هيئات متعددة ·

١٧٠ **الطَّاقية أم قِرينْ** ، هي قلنسوة تغطي الرأس مع الأذنين ·

١٨٠ **المُرَّقعة** ، قطعة ملفقة من صوف أو غيره من الخرق ، تلبس على البدن·

١٩٠ **الدَّرْدَار** ، وهو اصطلاح سوداني يشير إلى ورَمَ خفيف يظهر في منتصف كف العابد إثر انفعال منه نفسي بالعبادة ، على أنه ما يلبث أن يزول ·

٢٠٠ **شيخ السجادة** ، لقب يعطي للشيخ المأذون له في تسليك المريدين·

٢١٠ **نـــار القـــرآن الكريم** ، وهي كلمة سبق أن شرحناها باستفاضة في كتابين ســابقين لـــنا عـــنوان أحداهما : **دور الصوفية في ميدان التربية والتعليم،** وعـــنوان الآخر **الثمار اليانعة،** وهي عموماً تشير إلى نار الحطب الموقدة التـــي يستضيء بضوئها قارئو القرآن الكريم قبل اختراع الكهرباء · علماً بأنها الآن صارت رمزاً لدراسة القرآن الكريم ·

٢٢٠ **الخلـــوة** ، وهـــي كلمـــة سبق أن شرحناها باستفاضة في كتاب سابق لنا عـــنوانه : **دور الصوفية في ميدان التربية والتعليم،** وهي تعني فيما تعنيه المكان المخصص للطلاب لدراسة القرآن فيه ·

٠٢٣ **الدوران** ، هو اصطلاح خلوتي صفته أن يصافح الشيخ الذي على يساره، ويقف عن يمينه ، ويمشي الذي عن يمينه ويلحق بعضهم بعضاً ، ثم يصافح الشيخ ومن يليه إلى أن ينتهي إلى محل فارغ ، ويقف بحذائه إلى أن ينتهي الدور ، فيصير من كان على اليمين على الشمال وبالعكس.

٠٢٤ **قسم الجلالة** ، إشارة إلى قسم يؤديه السادة السمانية (الخلوتية) عند نهاية أذكارهم ونصه كما يلي : اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، وأن محمَّداً عبدك ورسولك ، وإنك إن تكلني إلى نفسي ، تقربني من الشر ، وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا برحمتك ، فأجعل لي عهداً توفينه يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد ،سبحان الله عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، عدد خلقه ، ورضاء نفسه وزنة عرشه وداد كلماته .

٠٢٥ **الجذبة** ، هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه وجهد وتكلف .

٠٢٦ **الدرويش** ، كلمة فارسية الأصل تعني الراهب والمتعبد والزاهد ، غير أنها في الاصطلاح السوداني الدارج تشير إلى الفرد المغرم بتتبع أماكن العبادة بغية مشاركة ذويها . علماً بأن السادة النقشبندية كانوا قد استخدموا لفظ (درويش) كلقب أو مرتبة في الطريق كما ورد ذلك في كتاب **(المكتوبات)** للسرهندي.

٠٢٧ شعار الطريق أو الخرقة

الخـــرقة أو الـــتاج السادة الخلوتية ، هو عبارة عما يلبسه الشيخ أو بإذن بلبسه للمريد من قميص ، أو ثوب ، أو قلنسوة أو غيرها ، أياً كان لون ووصف مـــا يُلْبس (أخضر)،أو (أسود)،أو(أحمر)،أو (أبيض)، وهي على كلها شعار،مثله في ذلك بقية الشعارات التي تتخذ عند أصحابها ٠ علماً بأنها إنْ دلَّت على شيء فإنمـــا تدل على ارتباط بين الشيخ والمريد،وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه ، وهي :

٠١ قد تكون نوعاً مرقعاً من القلنسوة ٠

٠٢ قد تكون قلنسوة ،مع (كرَّابة) أو (حزام) ، أو شد الوسط ٠

ج/ قد تكون (كرابة) ، أو (حزاماً) فقط ٠

د/ قد تكون قطعة قماش ملونة ٠

هـــذا وبما أن الطريقة السمانية عبارة عن مجموعة طرق شرحناها فيما سبق فلـــيس لهـــم (عَلَـــم) أو (راية) مُمّيزة كما هو الحال عند غيرهم كالأحمدية ، والرفاعية ، والبرهانية ، والقادرية ٠

سند الشعار ، أو شدُّ الوسط

ورد عن سند (الحزام) أو (الكرابة) أو شد الوسط ، ما يأتي :

٠١ روى الديلمـــي عن أبي مريم مالك بن ربيعة السكري(رضي الله عنه) قال النبي (صلى الله عليه وسلم) :" شد حقويك ولو بصرار"٠

٠٢ روى أبو سعيد قال : حج رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وأصحابه مشاة من المدينة إلـــى مكـــة ، وقال : أربطوا على أوساطكم بأزركم ، فربطنا ، ومشينا خلفه الهرولة٠

٠٣ ورد أن سيدنا موسى عليه السلام سأل المولى جل وعلا عن أمة سيدنا محمَّد(ﷺ) فأجابه : أمة الحمادون يحمدون الله صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال ، يشدون أوساطهم٠

هــذا وشد الوسط كما قد يكون بالعمامة ، قد يكون بالجلد ، تأسياً بما كان يفعله الصــحابي الجليل سيدنا مصعب بن عمير(رضي الله عنه)، وقد يكون بطرف الثوب الذي يرتديه المريد ، على أنه أيًا كان فالمريد كما قد يَرْبط ما بين مقدَّم (الحزام) وما يوازيــه مــن الخلف برباط مماثل يلتزم فيه جهة اليمين ، وكلاهما رمز للفرع السماني الذي ينتمي إليه المريد ، وأحسب أن العماد الرمزي في مثل هذا النوع مــن(الــربط) الشمالي)– أن (الشمال) هو جهة القلب المراد تربيتُه وتزيينُه ، والعمــاد الرمزي في هذا من الربط من جهة اليمين هو ما إليه أشير في التراث الإسلامي من تفصيل اليمين على الشمال٠

تنوع نشاطات الطريق

للطريق السماني – كما هو لغيره من الطرق الصوفية– عدة مناشط ، منها ما هو :

أ/ ديني ، ومن نماذجه الالتزام الدائم بما يأتي

٠١ قراءة حزبين على الأقل من القرآن الكريم ما بين الليل والنهار٠

٠٢ قــيام اللــيل وشغله بأنواع العبادات الخاصة منها والعامة ٠٠علما بأن اللــيل إن قســم أنصــافا فالأخير أفضل ، وإن قسم أثلاثاً فلأوسط ، أو اسداساً فالرابع والخامس وهو الأكمل ٠

٠٣ التهجد الليلي بصلاة ١٦ ركعة على الأقل كل مساء ٠

٠٤ قراءة أوراد السحر للشيخ مصطفى البكري ، وموعده قبل طلوع الفجر٠

٠٥ الورد الصباحي ، وموعده ما بين طلوع الفجر وشروق الشمس ٠

٠٦ ورد الضحى ، وموعده ما بين الإشراق والزوال ٠

٠٧ ورد الغروب ، وموعده عندما تقترب الشمس من الغروب ٠

٠٨ أوراد ما بين العشاءين٠

٠٩ أوراد ما بعد كل صلاة ، أو خواتم الصلوات ٠

٠١٠الورد الشخصي ٠

٠١١صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع ، والأيام المنصوص على سنيتها ٠

٠١٢قراءة دلائل الخيرات للجزولي ٠

٠١٣صلاة التسابيح ٠

٠١٤قراءة مولد السمان ليلة الاثنين ٠

٠١٥قراءة المولد البرزنجي ليلة الجمعة ٠

٠١٦ محاسبة النفس على الشهوات والزلات مرتين يومياً ٠

ب/ تربوي، ومن نماذجه ما يأتي

٠١ الإلـــتزام بمكارم الأخلاق ، تأسياً ما أمكن برسول الله(ﷺ) الذي كان خلقه القرآن الكريم ٠

٠٢ رعاية النشء بتحفيظهم للقرآن الكريم ٠

٠٣ تهيـــئة الفرصة للراغبين بانتداب من يقوم بتدريسهم القرآن الكريم مع التجويد ٠

٠٤ الالتزام اليومي بإقامة دروس دينية وغيرها للراغبين ٠

٠٥ دروس لمحو الأمية بين الرجال ٠

٠٦ دروس لمحو الأمية بين النساء ٠

٠٧ تأسيس مكتبات عامة ، وأخرى خاصة للرجال والنساء والأطفال ٠

ج/ إعلامي ، ومن نماذجه ، ما يأتي

١٠ المواكب التي يسيرها أهل الطريق لزيارة إخوانهم أو غيرهم ٠

٢٠ المحاضرات والندوات التي يقيمونها عبر الإذاعة والتلفزيون ٠

٣٠ المقـــالات واللقاءات الصحفية التي ينشئون بها فكرا ، أو يوضحون بها أمرا ٠

٤٠ المحاورات الدينية (شعرا) أو نثرا لتثبيت مناهج التربية الصوفية

د/سياسي ،ومن نماذجه ما يأتي

١٠ الشـــفاعة التي يقوم بها مشايخ واتباع الطريق لتحقيق أغراض البعض لدى الحكام أو غيرهم ٠

٢٠ العمـــل علـــى رأب الصدع بين المتنازعين ، تحقيقاً لما أمر به المولى جـــل وعلا من اعتصام الجميع بحبله ، حيث يقوم "اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"٠

٣٠ حســم الحروب بين المتخاصمين ، عملا بما أمر به المولى جلَّ وعلا في مثل قوله :"وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما" ٠

٤٠ اللقاءات الخاصة مع الحكام والسياسيين لإصلاح المسيرة التنموية ٠

هـــ/فني ، ومن نماذجه ،ما يأتي

١٠ تشـــجيع الرسومات الفنية (الملتزمة بالدين) التي ابتدعها ويبتدعها ســـلف الصـــوفية وخلفهـــم ، والمتمـــثلة في كثير من المخطوطات المحفوظة بمختلف مكتبات العالم ٠

٢٠ تزيين ألواح طلاب الخلوة بما يسمى بـــ(الشرافة)٠

٣٠تزيين المصاحف المخطوطة ٠

٤٠ التفنن في أنواع الخط الممارس في كتابة القرآن الكريم وغيره ٠

و/اجتماعي ،ومن نماذجه ، ما يأتي :

١٠ الكفالة الاجتماعية لليتامى والمعوزين والمتعففين ٠

٢٠ تولى عقد الزيجات ٠

٣٠ القيام بالصلح بين الأزواج٠

٤٠ القيام بالصلح بين أفراد الأسرة ٠

٥٠ العمل على زيارات المرضى بالدور الصحية وبالمنازل ٠

٦٠ المشاركة في أفراح الناس ، واتراحهم ٠

٧٠ الإسهام في رعاية السجناء والمعوقين ،واللقطاء ٠

ز/ثقافي ، ومن نماذجه ، ما يأتي:

١٠ المحاضرات التي يؤديها خاصة الصوفية وعامتهم في مختلف الدور والأندية الثقافية ٠

٢٠ الاشتراك في مختلف المعارض المحلية والإقليمية وغيرها ٠

ح/طبي ،ومن نماذجه ، ما يأتي :

١٠ إنشاء المراكز العلاجية للمحتاجين ٠

٢٠ علاج الراغبين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، اعتماد على ما ورد في مثل قوله(ﷺ) :"من لم يشفه القرآن فلا شفاه الله "،"أو علمته أحدا من خلقك" ٠

ط/ إنشائي ، ومن نماذجه ، ما يأتي :

١٠ إنشاء المساجد ، وتجديد البناء لمواكبة العصر ٠

٢٠ إنشاء المسيد وملحقاته ٠

٣٠ إنشاء المجمعات الإسلامية ٠

٤٠ إنشاء المعاهد العلمية ٠

٠٥ إنشاء المدارس ٠

٠٦ إنشاء رياض الأطفال ٠

ي/روحي ،ومن نماذجه ما يأتي:

٠١ إقامة الأوراد ٠

٠٢ إقامة الأذكار ٠

٠٣ تشجيع المريدين على الفرار الى الله تعالى أو السياحة ، عملا بقوله تعالى " ففروا إلى الله " ٠

٠٤ تشجيع المريدين على دخول الخلوات لتزكية أنفسهم وتطهيرها ٠

٠٥ قيام الليل بالتلاوة ٠

٠٦ قيام الليل بجرد الألفية أو سردها أو بغير ذلك

ك/ ترويحي، ومن نماذجه ما يأتي

٠١ تشجيع الرحلات الترويحية ٠

ل/تدريبي ، ومن نماذجه ما يأتي

٠١ التدريب العملي للسالكين على الخطابة والوعظ وغير ذلك بغية تعويدهم على مخاطبة الجماهير

٠٢ تدريب الأفراد على تطبيق أركان التصوف من :(جوع)،و(سهر)، و(عزلة)و(صمت)٠

م/اقتصادي ، ومن نماذجه ما يأتي

٠١ جمع وتوزيع الزكاة للمستحقين ٠

مواسم الطريق

للطريق السماني – كما لغيره – مواسم متعددة ، أهمها ما يلي :

١٠ إحـــياء بعض ليالي شهر رجب ، وعلى الأخص ليلة السابع والعشرين منه التي فيها أسرى وعرج برسول الله(ﷺ) ٠

٢٠ إحياء ليلتي عيدي الفطر والأضحى بالعبادة ٠

٣٠ إحياء الذكريات الحولية للصالحين بمختلف أنواع العبادة ٠

٤٠ إحياء ليلة النصف من شعبان بالعبادة

٥٠ إحياء العشر الأواخر من رمضان بالعبادة ، وعلى الأخص ليلة السابع والعشرين منه ، ترجيحا للرأي القائل بأنها هي ليلة القدر ٠

٦٠ إحياء ليلة عاشوراء في شهر محرم ٠

غاية الطريق وهدفه

غايـــة كـــل طـــريق هي السعادة الكبرى الناشئة عن محبة الله تعالى ، والـــناتجة عـــن الالـــتزام التام الدائم باتباع ما جاء في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، أملا في ان يتحقق للفرد ما إليه أشار المولى جل وعلا بقوله " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم "٠

أحمد الطيب بن البشير وتدرج الخلافة في مركز الرئاسة

- الشيخ أحمد الطيب بن البشير٠
- خلفه الشيخ نور الدائم " ابنه"٠
- خليفته الأستاذ محمَّد شريف " ابنه"٠
- خليفته الشيخ المنصور٠
- خليفته الشيخ محمَّد سعيد العباسي بن الأستاذ محمَّد شريف٠
- خليفته الشيخ محمَّد صالح بن الأستاذ محمَّد شريف٠
- الشيخ عبد الرحيم بن الأستاذ محمَّد شريف٠

نبذة عن فرعي :

١- الفريجاب / الشيخ على بن الأستاذ محمَّد شريف .

٢- (أم ورق الشيخ المعروف)الشيخ المعروف بن الشيخ على بن الأستاذ محمَّد شريف.

للمزيد من المعلومات حول التصوف وخاصة الكرامات يمكن الإطلاع على كتب الطريقة ومنها:

١- **التبر والإكسير** في مناقب الغوث سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير.

٢- **أزاهير الرياض** في مناقب الشيخ أحمد الطيب بن البشير .

الأول للأستاذ محمَّد شريف نور الدائم والثاني للشيخ عبد المحمود نور الدائم.

نبذة عن الطريقة السمانيّة وتسلسل الخلافة

في مركزها الرئيسي بأم مرّح الشيخ الطيب

أولا: موقع منطقة أمرّح تقع على بعد (٤٠) كيلو تقريباً شمال أم درمان على النيل على جبل كان يعرف باسم جبل السلطان وفيما بعد عرف بجبل الشيخ الطيب.

ثانياً: لقد قامت في هذه المنطقة عدة ممالك صغيرة في عهد دولة الفونج ربما كانت تتبع لها حيناً وتخرج عن طاعتها والولاء لها حيناً آخر ، وإن أشهر ملك مستقل حكم هذه المنطقة من منطقة الشهيناب إلى منطقة العرشكول " الدويم" هو الملك غانم ، وهو الجد الثاني عشر للشيخ أحمد الطيب بن البشير.

أحمد الطيب بن البشير

ولد بأم مرّح شمال أم درمان عام ١١٥٥هـ /١٧٤٢م ووالده البشير بن مالك ،الذي قتل شهيداً في معركة قوز رجب التي دارت بين ملك الفونج وبعض

الوثنيين من الأحباش وهو ابن الفقيه الشيخ محمَّد مؤسس مسجد أم مرّح؛ وهذا المسجد يعتبر خامس مسجد في السودان وأول مسجد يُدرِّس فيه الحديث وأن المساجد في السودان كانت تدرِّس القرآن وشيئاً من الفقه والشيخ محمَّد هذا هو بن سرور بن الحاج قناوي

بدأ قراءة القرآن الكريم بمسجد جده الشيخ محمَّد ولد سرور. وبعد أن أتم حفظ القرآن بمسجد جده انتقل لتلقى الروايات المختلفة فدخل إلى مسجد الفقيه

ولد أنس العوضابي بالجزيرة إسلانج فأقام فيه أياماً داوم فيها على التحصيل والقراءة ثم ارتحل منه إلى مسجد الفقيه الصالح أحمد الغزاري الفرضي بأم طلحة بالجزيرة فأكمل القراءات ثم رحل إلى الشيخ عبد الباقي بن على الكاهلي المشهور بالنيّل وكان عمر الشيخ أحمد الطيب يومها سبع عشرة سنة وعمر الشيخ النيّل أكثر من مائة عام ، وكان الشيخ أحمد الطيب يريد أن يأخذ عليه طريق أهل التصوف وقد قال له الشيخ عبد الباقي: مثلك في تلقينه يحتاج إلى الإذن ، ثم بعد مدّة قال له : إن الشيخ حسن ود حسونة نهاني أن ألقنك الطريق ، ثم قال له: لا شيخ لك هنا.

ثم بعد ذلك رجع إلى شيخه أحمد الغزاري بأم طلحة واستقر عنده مدة ثم رحل إلى بلده.

وعندما عاد إلى مسجد جده الشيخ محمَّد ولد سرور درس مختصر خليل بن اسحق المالكي فأتقنه.

وعندما بلغ عمره الثامنة عشرة تقريباً توجه لأداء فريضة الحجّ وزيارة النبي (ﷺ) وكان ذلك في أرجح الروايات عام ١١٧١هـ /١٧٥٧.

وعندما وصل إلى مكة وأدى ما عليه طاف ببعض أكابر العلماء فذهب

إلى الشيخ إبراهيم بن محمَّد بن عبد السلام الريس الزمزمي المكي الشافعي من كبار المحدثين روى الحديث سماعاً عن الشيخ محمَّد عقيل والشيخ عبد الله بن سلام المصري فسمع الشيخ أحمد الطيب عنه عدداً من مصنفات الحديث بسندها.

ثم ذهب إلى الشيخ أحمد الأشبولي وسمع عنه الجامع الصغير وغيره من كتب الحديث وشروحها. ثم ذهب إلى الشيخ عبد الله الشبراوي وحضر مجالسه وأخذ عنه. ثم ذهب إلى الشيخ عبد الرحمن العيدروس وجلس معه وأخذ عنه بعض العلوم وأخذ عنه الطريقة النقشبندية .ثم ذهب إلى الشيخ مصطفى بن كمال الدين البكري وأخذ عنه بعض العلوم وأخذ عنه الطريقة الخلوتية. وقد طاف على كثير من علماء مكة و أخذ عنهم وفي مكة وردت عليه صلاته المشهورة بسر الأسرار.

فلما فرغ من اداء الحجّ والعمرة وطاف على العلماء وأخذ عنهم توجه إلى المدينة المنورة لزيارة المصطفى (ﷺ).

ثم زار الشيخ محمَّد بن الكريم المدني المشهور بالسمان وكان أشهر شيخ على الإطلاق يومها وقبل أن يخرج من المسجد قابله الشيخ السمان بتلاميذه ثم أخذه إلى زاويته وزاويته هذه كانت موضع دار الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي في اتجاه باب النساء،وبينها وبين المسجد نحو تسعة أذرع فقط تنقص ولا تزيد.

فأخذ عنه الطريقة ومكث معه ملازماً له وقد قرّبه شيخه ووثق فيه ومكث معه نحو سبع سنين.

وقد قدمه شيخه على جميع من معه ثم أجازه في جميع طرائقه وأمره بنشر الطريقة شرقاً وغرباً فوجهه إلى إندونيسيا فسافر الشيخ إلى جاوه ومكث فيها عاماً وأربعة أشهر وقد طاف على ألف وثلاثمائة جزيرة هناك وقام الطريقة

ثـم عاد ومعه عدد من أهل تلك الجزر للحج وأداء العمرة وزيارة السيد السمان ثم أمره بعد ذلك بالتوجه إلى بلده ونشر الطريقة غرباً ، فعاد إلى بلده.

فأقـام الشـيخ بمسجد جده الشيخ محمّد ولد سرور وأخذ يدرس الحديث والتصـوف وغـيرهما مـن العلوم بعد القرآن الكريم ،فأقبل عليه طلاب العلم والمريدون من داخل السودان وخارجه فنفعهم الله به.

لقـد كانـت رحلة الشيخ الأولى إلى الحجّ عن طريق سواكن أما رحلته الثانـية فكانت عن طريق مصر وفي طريقه مرّ على الفقيه حمد ولد المجذوب بالدامر فأكرمه وتدارس معه.

ثم توجه إلى ريف مصر فما مرّ ببلدة إلا وأكرمه أهلها وسمعوا منه وقد مر على هذه المواطن بمصر:

- دراو : وقد اجتمع عليه العلماء وأكثرهم أخذ عنه الطريق ومن أشهرهم الشيخ إسماعيل بن تقاديم.
- أسوان : أقبل عليه أهلها وأخذ عنه الطريق عدد منهم.
- قـنا: وقـد رحّـب بـه أهلها وأخذ عنه الطريق أناس كثيرون أشـهرهم السيد عبد الله بن الشيخ عبد الرحيم القناوي المغربي الحسني.
- هوار: وعنه أخذ الطريق فيها الشيخ سليم العريان.
- سـوهاج : وفي سوهاج أخذ عنه الطريق أكثر من ثلاثة آلاف شخص أشهرهم الشيخ شيخون الوزي ، ثم أقام فيها أياماً عديدة.
- أسـيوط : وقـد أرشـد فيها عدداً من العلماء منهم الشيخ أحمد الأسيوطي.
- القاهـرة : وذهب إلى الأزهر الشريف لزيارة من فيه من أهل العلـم وطاف على العلماء ولم يجلس إلا في حلقة الشيخ محمّد

الأمير ، وأرشد وأخذ عنه الطريق أناس كثيرون لا يمكن عدّهم وحصـــرهم وقــد خلّف وأجاز بعض العلماء هناك. ثم بعد ذلك توجــه إلـــى المدينة المنورة لزيارة المصطفى(ﷺ) ثم توجه لــزيارة شــيخه فاستبشر بقدومه عليه. ثم توجه إلى مكة وأدى الحجّ والعمرة مع أصحابه.

سنده في الطريقة السمانيّة:

أن الطريقة السمانيّة أو ما أجازه فيه شيخه السمان عدة طرق وهي:

- الطـــريقة النقشبندية وتسند إلى سلمان الفارسي الصحابي الجليل رضي الله عنه عن النبي (ﷺ).
- الطريقة الخلوتية وقد أخذها عن شيخه السمان بسنده إلى الحسن البصري عن سيدنا على عن النبي صلى الله عليه وسلم .
- الطريقة الأنفاسية .
- الطريقة الأسمية " وهي طريقة الموافقة".
- طريقة المسبعات الخضرية
- الطريقة القادريّة : وهي الطريقة الأم والرئيسة وأن كان للطرق المتقدمة أسانيدها الموجودة والمعروفة ولكن نذكر سند الطريقة القادريّـــة: فقــد أخذهــا عن شيخه الشيخ محمَّد بن عبد الكريم المدني القرشي السمان وهو عن الشيخ محمَّد طاهر المدني وهو عن الشيخ محمَّد الصادق وهو عن الشيخ محمَّد عقيلة بن أحمد بـــن سعيد الحنفي المكي وهو عن قاسم بن محمَّد البغدادي عن الشـــيخ عـــايذ الفتاح عن الشيخ قريب الله السائح وهو عن على

الهـــدادي وهـــو عن سلطان الأولياء الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني " بسنده إلى سيدي رسول الله (ﷺ)".

تلاميذ الشيخ أحمد الطيب يعدون بالآلاف وأجاز وخلّف أكثر من ثلاثة آلاف.

من أشهر تلاميذه داخل السودان:

- الفقـــيه أحمد ولد الشيخ ولد عبد الدافع الحميداني توفى بالحلفاية ودفن مع آبائه.
- الحاج محمَّد ولد الحاج الضو السرورابي.
- الحـــاج أحمد ولد سنهوري القاطن بالجميعاب والد الشيخ الرّيّح توفى بالجميعاب.
- الفقـــيه محمَّـــد ولد أحمد أبي قرين الكاهلي الشتوي شيخ الزبير باشا رحمه ، دفن بالمسحورة مع أجداده.
- الشـــيخ محمَّد ولد الشيخ ولد الأمين ولد سنهوري دفن مع آبائه السناهير.
- الشـــيخ النعيم ولد مضوي الترابي من ذرية الشيخ أحمد النحلان توفى بود الترابي "جد الدكتور حسن عبد الله الترابي"
- الشـــيخ محمَّد الصليحابي الشريف توفى بجواره وهو جد الشيخ علـــي بـــن الأستاذ محمَّد شريف بن نور الدائم بن الشيخ أحمد الطيب جده لأمه.
- الفقـــيه الجيلي ولد فضل الله وهو الذي سميت قرية الجيلي التي تقع شمال الخرطوم باسمه.
- الفقيه خولي ولد حتبك والد قاضي الخرطوم في التركية.
- الشيخ عبد الرحمن الفادني.

- صغيرون ولد محمّد وأخوه الفقيه الزين دُفِنَ قرب الخرطوم.
- أبو عاقلة المسلمي توفى بأبي فروع قرب الحصاحيصا .
- الفقيه محمَّد ولد عبد العليم بن الفقيه محمَّد ولد عبود دفن بعبود مع أجداده.
- الشيخ أحمد البصير عبد الرازق الحلاوي دفن بالحلاوين .
- الشيخ محمّد توم بان النقا بن الشيخ هجو الأحمر.
- الشيخ القرشي ود الزين بن الفقيه على البزعي.
- الشـيخ ديـنق والذي أمره سيدي الشيخ أحمد الطيب أن يلحق بالشيخ التوم ويقيم معه .
- الشيخ أحمد الجبيلابي.
- الشيخ محمّد ولد فضل الله الصبحاوي توفى بأتبرة.
- الفقيه مدني ولد الغبشاوي توفى بقوز برة ميرف.
- الفقيه الأمين ولد موسى المسيكتابي توفى بالمسيكتاب .
- الشيخ محمّد ساتي على ولد عبد القادر ولد الحاج شريف توفى ببلده بدنقلا.
- الحاج محمّد ولد نعيم الزملي.
- الشيخ محمّد الأزرق بن أحمد بن الفقيه حمد ولد مجذوب توفى بالقضارف.
- الشيخ صالح الجراري وقد قتل شهيداً ببلاد الغرب.
- الفقيه فضل السيد ولد حسين الكباشي توفى بجبرة.
- الفقيه بدوي ولد أبي صفية توفى بالأبيض.

خارج السودان:

أ/ مصر:

- الشـــيخ المجـــاهد الشهير الشريف إسماعيل بن الشريف تقاديم الجعفري سكن دراو بمصر.
- الشيخ عبد السلام الصعيدي نزيل القورة من مصر.
- الشيخ العطا العقلي من بلاد الصعيد.
- الحاج المهدي ولد الزاكي ،دفن بدنتاو من بلاد الصعيد.
- الفقـــيه إبراهيم الدويحي عم الشيخ إبراهيم الرشيد يسكن البيرج من صعيد مصر.
- الشيخ عبد الله خليفة الشيخ عبد الرحيم القناوي الشريف المغربي بصعيد مصر.
- الشيخ سليم العريان المقيم بشاطئ البحر ببلده هوار.
- الشيخ شيخون الوزّي من مدينة سوهاج .
- الشيخ أحمد الأسيوطي من مدينة أسيوط.

ب/ شاد ونيجريا:

- الحاج تت الفلاتي.
- الشيخ حامد الحميماوي العيشي البرقاوي وهو من الذين أشاعوا ونشروا الطريقة بشاد ثم نيجريا.
- الشيخ ديدي.

اليمن:

- الشيخ محمَّد ولد المعاني اليمني.

الحبشة:

- الشـــيخ يعقـــوب بن أحمد الصليحابي الأنصاري تتلمذ على يد الشيخ ستة عشر عاماً ثم أمره بالتوجه إلى بلاد الحبشة والإقامة بها واستقر في منطقة أقدي.
- الشـــيخ بشـــرى بن بشير وهو من بلدة الرحمان وقد خلّف في الطريقة اثنا عشر ألف خليفة توفى بقتي من أرض الحبشة.
- الشيخ عبد الوهاب الجبرتي من جبرتا.
- الشيخ على موز الجبرتي.

إندونيسيا:

- الشيخ أحمد زهري جوهر من جاوة.

هـــذا يعتبر نموذجاً مختصراً جداً لتلاميذ سيدي الشيخ أحمد الطيب ويضاف إليه أبناء الشيخ وهم:

- الشـــيخ مطيع توفى في حياة والده عام ٦٣٣هـــ/١٢٣٥م ودفن بسنّار.
- الشـــيخ إبراهيم الدسوقي توفي عام ٦٦٨هـــ/١٢٦٩م بأم مرّح ودفن بالقرب من قبة والده.
- الشـــيخ نـــور الدائـــم توفى عام ٦٦٧هـــ/١٢٦٨م ودفن بمقبرة الشـــيخ عيسى ولد أبي سكيكين شرق النيل جهة الجيلي ثم نقله أبناؤه بعد سبعة أشهر فدفن في داخل قبة والده وأمامه مباشرة.
- الحاج عبد الواحد توفى بالحلاوين ١٢٨٣م ودفن في قبة الشيخ البصير.
- الشيخ عبد الجبار توفى ٦٨٢هـــ/ ١٢٥٣م ودفن في قبة والده.

- الشيخ وهب الله وقد دفن في قبة والده.
- الشيخ أحمد الرفاعي ودفن في قبة والده.
- الشيخ نور الله توفى بأم عريش بكردفان ٦٤٢هـ/١٢٤٤م.
- الشيخ أبو صالح توفى ٦٨٤هـ/١٢٨٥م ودفن خلف قبة والده.
- الشيخ عبد الرحمن توفى بسواكن عند رجوعه من الحجّ سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م.
- الشيخ محمَّد توفى بعد أن تزوج ودفن مع الشيخ البقاري.
- الشيخ أحمد البدوي توفى بالعطيش ودفن بها.
- الشيخ أحمد العباس توفى صغيراً ودفن بمقبرة العنواب.
- الشيخ يس غرق في البحر بحياة والده .
- الشيخ كمال الدين رحل ولم تعرف أخباره.

هذا ولديه بعض الأبناء توفوا صغاراً وهم : عبد الله والبشير وعبد القادر.

بعض مؤلفات الشيخ أحمد الطيب:

- كتاب الحِكَم ، مطبوع.
- الجوهر الفريد في علم الوحدة والتوحيد (وهو شرح لكتاب الحكم) مطبوع.
- سر الأسرار ، مطبوع .
- شرح شمس المعارف الكبرى.
- خواص البسملة.
- رسالة في الخلوة بكل اسم من الأسماء الخمسة والتي هي أساس الطريقة وهي الاستغفار والصلاة على النبي (ﷺ) ، لا إله إلا الله ، ويا الله ، ويا هو .

- خواص الأسماء.
- منظومة على المنازل القمرية.
- رسالة في البروج الاثني عشر.
- حزب الأمان.
- حزب الجمال.
- حزب الجلال.
- حزب الكمال.
- ألف عدة صيغ للصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم.

انتقل إلى رحمة مولاه في يوم الاثنين ٢٧ من رجب ٦٣٧هـ/١٢٣٩م وعمره أربعة وثمانون عاماً. وبنيت له قبة بناها تلاميذه على رأسهم الشيخ أحمد البصير ، الشيخ القرشي ودّ الزين ، الشيخ محمَّد الصليحابي ، الشيخ النعيم ود مضوي الترابي ، الشيخ محمَّد ولد مكي ، الشيخ الأمين ولد أم حقّين مع جمهور من التلاميذ والأحباب.

وقد جدد بناء هذه القبة حفيده الشيخ على بن الأستاذ محمَّد شريف بن نور الدائم عن سيدي الشيخ أحمد الطيب.

وللشيخ كثير من الكرامات من أرداها فليراجعها في المصنفات.

تسلسل الخلافة السمانيّة من بعده:

- الشيخ نور الدائم " الخليفة الأول" كما ذكرنا للشيخ أحمد الطيب عدة أبناء ولم يكن الخليفة الشيخ نور الدائم أكبرهم وقد حصل في الخلافة بعض الاضطراب ولكن عندما جاء تلاميذ الشيخ المذكورون لبناء القبة وعلى رأسهم الشيخ أحمد البصير حسم أمر الخلافة وأصبح الشيخ نور الدائم هو خليفة الطريقة السمانيّة.

بـــدأ تعليمه القرآن على الشيخ بخاري ود بشير تلميذ والده بمسجد والده بـــأم مـــرّح وقرأ شيئاً من الفقه بمسجد والده ثم رحل إلى الدبة وأكمل القراءات وبعـــض الفقـــه على الفقيه زين العابدين تلميذ الفقيه أحمد ولد مضوي الشنباتي بالدّبّة.

توفـــى بناحـــية الجيلي شرق أم مرّح ودفن هناك ونقله أبناؤه بعد سبعة أشهر ليدفن في قبة والده وأمامه مباشرة، وكانت وفاته في ضحوة الأربعاء ٢٩ من شوال ٦٦٧هـــ/١٢٦٨م.

له عدد من التلاميذ كان لهم دور في تربية المريدين.

وله عدد من الأبناء: نذكر منهم: الخليفة من بعده " الخليفة الثاني" :

١- الأســـتاذ محمَّـــد شريف ، ووالدته من خالات الشيخ نور الدائم وكانت مـــتزوجة قـــبله ثم أراد أن يتزوجها بعد وفاة زوجها فتحدثت في ذلك زوجته الأولى وهي من بنات أخواله أيضاً فقال في ذلك قصيدة منها:

تالله ما أردت منها لمساً ولكنني رأيت قمراً وشمساً

أي يقصـــد أنه رأى أنه سينجب منها ذرية صالحة أحدهما كالشمس والأخر كالقمر ، فولد منها الأستاذ محمَّد شريف الشيخ عبد المجيد.

وُلِدَ بود رملي شرق أم مرّح الشيخ الطيب ٦٢٥هـــ/١٢٢٧م ثم جيء به إلى مسجد جدّه سيدي الشيخ أحمد الطيب وهناك حفظ القرآن وكان المسجد يعجّ بالعلم والعلماء وحلقات الدرس وكذلك حفظ من كتب الحديث:

١-موطأ الإمام مالك. ٢-صحيح البخاري. ٣-صحيح مسلم. ٤-ســـنن أبي داؤد. ٥-سنن النسائي. ٦-سنن الترمزي. ٧-سنن ابن ماجة. ٨-مستدرك الحاكم. ٩-مسند الفردوس.

وكذلك ابنه الشيخ محمَّد يس وقال لو وجد والدي أكثر من ذلك لحفظه.

وحفــظ كذلــك مختصر خليل وقرأ شروحه وحفظ كل مؤلفات جده الشيخ أحمد الطيب ولقّنه والده الطريق ولم يكمل التاسعة من عمره وكان شديد الإعجاب به والحفاوة به.

بعــد أن حــاز ما هو موجود من العلوم بمسجد جده الذي كان المسجد الأوحد في تدريس علوم الدين المختلفة رحل إلى الشيخ القرشي ومكث معه أياماً لــيقف علـــى سير تلاميذ جده الشيخ أحمد الطيب فأكرمه الشيخ القرشي واشاد بنــبوغه وتفــرّده ثم رحل إلى الشمالية وأكمل القراءات. ثم توجه إلى الشريف محمَّد الأمين ومكث معه أياماً ، رحل إلى دنقلا فأقام بمسجد الفقيه ولد حاج نور بجــريف نــوري فــأكمل القــراءات هناك ومن دنقلا رحل إلى الشيخ ودكنان بالجزيرة وقرأ عليه التوحيد والفقه على مذهب الإمام مالك. ثم توجه إلى الشيخ مختار الشنقيطي وحاز عنه كثيراً من العلوم. ثم رحل إلى مكة المكرمة ١٢٨٤ هــ والمدينة المنورة وفي مكة اجتمع بالشيخ إبراهيم الرشيد فقرأ عليه التفاسير وشيئاً من الحديث. ثم رحل إلى المدينة المنورة واجتمع بكثير من علمائها ثم أقام مــع الشــيخ محمَّــد الحسن السمان رئيس الطريقة السمانيّة وابن منشئها فقربه وأكــرمه وأعجــب به وجعله خليفة على الطريقة السمانيّة في مصر والسودان وكتب له وبلغ الآفاق بذلك.

رحل إلى مصر وأقام بالرّواق السنّاري وطاف على العلماء فجمع علماً كثيراً. ثــم أنــه طلــب من مشيخة الأزهر منحه الأستاذية وكانت تعطى بعد المقابلة والامــتحان الشــفوي يعد إجازات مشايخ الحلقات العلمية وعندما علموا أنه منذ حضــوره إلـــى الأزهر لم يزد عن العام الواحد أنكروا ذلك وامتنعوا ولكن بعد إلحــاح منه وحركة وسط العلماء قبلوا جلوسه لذلك الامتحان ثم أجازوه بعد ذلك ومــنح الأســتاذية ثــم بعدهــا حاز على مرتبة رئيس عموم أهل الذكر ونقيب

الأشـــراف بمصـــر والسودان وهو من أميز العلماء بالسودان وهو يحمل الستة ألقاب.

وعند عودته إلى السودان اجتمع عليه الأحباب والتلاميذ من كل حدب وصوب.

ثم عاد حاجّاً مرة أخرى وبعد أداء الحجّ وزيارة المصطفى عليه الصلاة والســـلام توجـــه إلـــى زيارة المسجد الأقصى وقد الف في ذلك بعض المؤلفات نذكرها في موضعها.

بعد أن استنار بنور العلم وحوى العلوم كان يهتم بحال المسلمين ورأى بعينه تدهور دولة الإسلام وتقدم الدولة الصليبية عليها وكان شديد الولاء لدولة الخلافة الإسلامية وكانت يومها توجد ثلاثة دول إسلامية :

- دولة الخلافة الإسلامية العثمانية .
- دولة الشاهانية "الإيرانية" الشيعية.
- مملكة برنو الإسلامية .

فســـافر إلـــى الآستانة لمقابلة خليفة المسلمين للعمل على توحيد هذه الدول الثلاث لتكون جبهة واحدة ضد الدولة الصليبية النصرانية التي أصبحت تستهدف المسلمين.

فقـــابل في الآستانة عاصمة الخلافة الإسلامية العلماء هناك حيث إحتفوا به وأكرموه ثم قابل خليفة المسلمين واجتمع به مرات كثيرة وطرح عليه هذه الفكرة التي وجدت قبولاً واستحساناً من خليفة المسلمين يومها وهو السلطان عبد الحميد بـــن عـــبد المجـــيد وأعجب بالأستاذ محمَّد شريف وبلغ إعجابه به أن أخذ عنه الطـــريقة السمانيّة والتزم بأورادها وكان السلطان قد أخذ الطريقة الشاذلية أيضاً من الشيخ محمود أبو الشامات من سوريا.

للأســـتاذ/ محمَّد شريف تلاميذ لا يحصون عددا في داخل وخارج السودان نذكر أشهرهم:

- الشيخ العجب حقار.
- السلطان على دينار " وقد أقام معه عاماً كاملا".
- الخليفة عبد الله ود تور شين خليفة المهدي محمَّد أحمد عبد الله.
- السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد خليفة المسلمين وسلطان الآستانة.

كان من المكثرين في التأليف وهو من أكثر السودانيين مؤلفات حتى نهاية القرن الماضي وقد بلغت مؤلفاته خمسة ومائة مؤلف (١٠٥) وقد ذكرت له مؤلفات في كتب فهارس المؤلفات وفي كتاب إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون للبغدادي وبعض هذه المؤلفات طبعها هو بنفسه في مصر ونذكر منها:

- **الهداية.**
- **الأذكار.**
- **الكافية.**
- **العنوان.**
- **التوسل** طبعه حفيده الشيخ الطيب بن الشيخ على بن الأستاذ.

أما الكتب المخطوطة فكثيرة منها:

- **سر الوجود .**
- **حكم الله** " وكان المهدي يحفظه كحفظه للقرآن وراتب السمان.
- **الإبانة عن الرحلة إلى الآستانة.**
- **العس والتعريس في زيارة بيت المقدس.**
- **الفيوضات الوهبية في زيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة النبوية.**
- **الفتح الكبير في أوجه التفسير.**

- **شحذ العقول في قواعد علم الأصول.**
- **طرائق قراءة القرآن .**
- **النجدة البدرية.**
- **المجتبى في بيان أن الفائض هو عين الربا.**

يجدر بنا قبل الحديث عن أبنائه أن نتحدث عن دور الأستاذ محمَّد شريف في الانصهار الثقافي في داخل السودان فإننا نجد أنه يكاد يكون قد تزوج من كل الجهات وأكثر قبائل السودان في حدود الشرع فهو قد تزوج من الجنوب من الدينكا ومن الغرب من النوبة ومن الشرق ومن الأحباش ومن المصريين والأتراك والأشراف وغيرهم.

ولقد بلغ عدد أولاده الذكور أربعة وعشرين ولداً.

لقد كتب الأستاذ محمَّد شريف في وصيته أن يكون الخليفة من بعده ابنه الشيخ على ولما كان الشيخ علي لا يقيم طويلاً في أم مرّح وإنما أكثر إقامته كان في موطن جده لأمه الشيخ محمَّد الصليحابي " من كبار تلاميذ الشيخ أحمد الطيب" وله عدد كبير من التلاميذ والأحباب هناك في بلاد الخوالدة ووسط الجزيرة وغرب النيل الأبيض فقد آثر أن يجلس في رئاسة الطريقة أحد اخوانه وذهب هو ليؤسس عدداً من المساجد نذكرها عند الحديث عنه.

الخليفة الثالث للسجادة السمانيّة:

الشيخ المنصور بن الأستاذ محمَّد شريف ولم يكن الأكبر من أبناء الأستاذ ولكن تمّ اختياره غير أنه لم يستمر فيها كثيراً حيث أرهقه المرض.

الخليفة الرابع للسجادة السمانيّة:

الشيخ محمّد سعيد العباسي بن الأستاذ محمّد شريف الشاعر المشهور إذ هـو الخليفة الرابع في سلسلة خلافة السجادة السمانيّة والخليفة الثاني لوالده وقد مكث في الخلافة أكثر من خمسين عاماً إلى أن انتقل إلى رحمة الله في ١٩٦٣م.

الخليفة الشيخ محمّد صالح بن الأستاذ محمّد شريف:

ولـد سنة ١٩٠١م وهو الخليفة الخامس للسجادة السمانيّة وقد تولى الخلافة بعد العـباس وفـي عهده تم إكمال بناء المسجد الذي بدأه الأستاذ محمّد شريف وهو مسـجد سـيدي الشيخ أحمد الطيب وبالغرب من المسجد القديم الذي اسسه الجد الأكبر الفقيه محمّد ولد سرور واستمر في الخلافة إلى أن انتقل إلى رحمة مولاه في عام ١٩٨٥م.

الخليفة الشيخ عبد الرحيم بن الاستاذ محمّد شريف:

ولـد سـنة ١٩٠٥م وهـو الخليفة السادس للسجادة السمانيّة وقد تولى الخلافـة بعـد وفاة أخيه الشيخ محمّد صالح وهو لا يزال (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) يشرف إشرافاً عاماً على المركز الرئيسي للطريقة السمانيّة أمد الله في عمره إذ أن عمره الآن (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) يقارب المائة عام.

المنهج التربوي للطريقة السمانية

سـافر الشـيخ عبد المحمود إلى الجزيرة حيث يوجد الشيخ القرشي ولد الزيـن خلـيفة جده الشيخ أحمد الطيب ، وكان سفره إلى هناك عام ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م مـن "قرية أم طرفاية" حيث كانت تسكن أسرته، وقد علّل عبد المحمود ذلـك " بـأن خروجهم من هذه القرية المذكورة كان بنية قراءة القرآن بأرض الصعيد".

لازم الشـــيخ عــبد المحمود الشيخ القرشي حتى حفظ القرآن الكريم ثم واصل الدرس والتحصيل وانتقل إلى شيخ آخر هو الشيخ حمد ولد مرزوق طالباً للعلـــم ، ومكـــث ملازمـــاً لـــــه عامين درس خلالهما اللغة والنحو والصرف والعـــروض وكتـــب الفقه ، ثم أجازه بعد ذلك شيخه حمد في جميع ما قرأ عليه ومنحه رتبة المشيخة في العلم والتدريس وأجلسه في محله الذي كان يدرس فيه وأمـــره أن يلقـــي الدروس على الطلبة، وبعد ذلك أراد الشيخ عبد المحمود أن يســـتزيد من العلم فتعلقت نفسه بالسفر إلى مصر والالتحاق بالأزهر الشريف ، ولكـــنه كان يتعلق بسلوك الطريق الصوفي أيضاً ، فأصبح في صراع مع نفسه حـــتى استقر رأيه على البقاء وعدل عن السفر واجتهد في العبـــادة والريـــاضة الشـــاقة والاشتغال بالأوراد التي تخص الطريق السماني.

بعـــد ذلك أجازه الشيخ القرشي في الطريق السماني ، ومن ثم رجع إلى بلده أم طرفاية عام ١٢٨٣هـــ / ١٨٦٦م ، واستقر هناك وتزوج وبنى له مسجداً وأقـــام عـــدداً من الزوايا للتعبد والضيافة وانقطع للعلم والعبادة ، ثم أقام لنفسه زاويـــة خاصـــة بـــه ودخلها ومكث بها أربعين يوماً منقطعاً عن الناس متفرغاً للعـــبادة والذكر صائماً قائماً الأربعينية. بعد ذلك أخذ المريدون يقصدون مكانه ويطلـــبون منه التلقين وأخذ العهود ، فالتفّ حوله عدد كبير من الناس وضاقت بهـــم الحالـــة فاخـــتار الشيخ عبد المحمود طابت لتكون مركزاً رئيسياً له لكثرة المريديـــن ولسهولة المرعى والزراعة بها ، فأصبحت المكان المناسب لنشاطه وأقـــام بها وأنشأ مسجده الحالي هناك، وبعد أن استقر به المقام بطابت واشتهر أمـــره بيـــن الناس قام بجولة على المناطق التي حوله فبدأها بجولة حول منطقة النـــيل الأبـــيض لإرشـــاد الناس وإعطاء الطريقة لمن يريد فوجد الترحيب من الـــناس فـــي كل منطقة حل بها ، فأخذ عليه الطريق كثير من الناس وأصبح له العديد من التلاميذ والأتباع الذين أخذوا عنه العلم والتصوف بل هناك بعضٌ من

أبناء البيت الطيبي ممن أخذوا عنه الطريق السماني ومن أشهرهم ابن عمه الشيخ قريب الله أبو صالح مؤسس الفرع السماني القريبي بأم درمان.

لم ينحصر نشاط الشيخ عبد المحمود فقط في نشر الطريقة وإرشاد المريدين، ونظم نفسه فقد جعل جزءاً من وقته للعبادة وجزءاً منه لمقابلة المريدين ثم الجزء الآخر للقراءة والتأليف ، فقد كان تأثير الشيخ عبد المحمود واضحاً في الجانب الفكري، الأمر الذي ساعد على سهولة انتشار الطريقة ، وذلك بكثرة ما ألّف من أوراد للطريقة السمانية في السودان وما ألّف في علوم الدين، ويعتبر الشيخ عبد المحمود أول من أرّخ للطريقة السمانية في السودان، ونجد أثر نتاجه الفكري على المشايخ الذين أخذوا عنه الطريق واضحاً، فقد بدأوا يحذون حذوه في التأليف ويتابعون ما كتب من أمور في الطريق، ولقد استطاع الشيخ عبد المحمود؛ وبما اكتسبه من علم وشهرة أن يحتل مكانه اللائق به وسط أبناء الشيخ الطيب، ويستحوذ على إعجاب اخوته الكبار حتى إن الشيخ محمّد شريف نور الدائم كان عندما تعترضه مشكلة يقول: " يا ليت الشيخ عبد المحمود كان معنا"

كانت ثقافته الدينية أساساً لتربية مريديه تربية صحيحة وذلك بغرس المبادئ والخصال الحميدة وتعليم المريدين أصول دينهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة.

هذا وقد بدأ الشيخ عبد المحمود ينافس الشيخ محمّد وذلك بتأسيسه مركز للسمانية في طابت ، وتنصيب نفسه فيه خليفة لجده الشيخ أحمد الطيب بن البشير، ويجمع عدداً كبيراً من الأتباع والمريدين ، لكن مع منافسته لمحمّد شريف استطاع محمّد شريف أن يحتفظ لنفسه بزعامة الفرع الطيبي ويتربع على سجادة الإرشاد بأم مرّحي ويشتهر بزعامة الطريقة السمانية في السودان.

ظـــل الشيخ عبد المحمود يسلّك المريدين والأتباع في الطريقة السمانية حـــتى بعد زوال دولة المهديّة عام ١٨٩٨م ، حيث برز الشيخ عبد المحمود نور الدائـــم مجاهراً بدعوته للطريقة حيث اجتمع حوله الكثير من المريدين والأتباع وفي هذا الوقت ، لقب الشيخ عبد المحمود بمحيي الطريقة السمانية في السودان، وقـــد اســـتطاع أن يصل إلى مكان الصدارة في الفرع الطيبي وأن يحفظ دوره القـــيادي بيـــن الفـــروع الأخـــرى في نشر الطريقة السمانية في السودان ، كما اســـتطاع أن يجعل الطريقة السمانية محببة للناس وذلك بكثرة ما ألف من أشعار وأوراد وأحزاب وأدعية ساعدت المريدين على سلوك الطريقة.

ظـــل الشـــيخ عبد المحمود بطابت حتى لحق بربه في عام ١٣٣٣هـــ / ١٩١٤م. ودفـــن بطابـــت ولـــه قبر بارز وأقيمت له قبة على قبره بالقرب من مسجده، وقد أرّخ له ابنه الشيخ الجيلي.

وقـــد حرص الشيخ عبد المحمود على تربيتهم تربية دينية باتباع سلوك الطـــريقة الســـمانية ، فسار الأبناء على نهج والدهم ، وقد خلفه بعد وفاته على سجادة الإرشاد ابنه الشيخ الجيلي ، الذي تعلم القرآن على الفقهاء من تلاميذ جده الشـــيخ أحمد الطيب منهم الفقيه "الفكي" عبد الماجد فقرأ عليه القرآن وأجازه في تلاوتـــه وحفظه، وتتلمذ على الشيخ أحمد البدوي ، فأخذ عنه الشريعة وضروباً كثـــيرة من العلوم الأخرى كالنحو والمنطق والبلاغة ، فاجتهد في تحصيل العلم وبعـــد ذلـــك عكف على والده الشيخ عبد المحمود وأخذ عنه سر الحقيقة وآداب الطـــريقة ومعـــارف الشريعة ، وظل ملازماً له بالأدب والأخذ من تلك المنابع الشـــريفة حـــتى أجازه الإجازة التامة العامة مع كل ما أخذ من دروس وتهذيب وإرشاد له من تلقين العهود ووفاء الوعود لكافة الطالبين والقاصدين. سلك الشيخ الجيلـــي نهـــج والـــده في تدريس العلوم لمن أراد ، وأرشد الناس وحثهم على

الاستقامة وسلوك الطريقة ، فاستفاد منه خلق كثير وأخذوا عنه الطريق ، فاشتهر بين الناس لأنه عمّر طويلاً وكانت مدة خلافته خمسين عاماً.

وفي الواقع إن هذه الفروع التي ذكرناها هي ليست كل فروع الطريقة السمانية في السودان ، وإن هذه الأماكن ليست هي كل أماكن انتشار الطريقة السمانية ، وإنما هي الفروع التي كونت المراكز الرئيسة التي انطلقت منها الطريقة السمانية إلى جميع جهات السودان. حيث نجدها منتشرة في أماكن عديدة سنتناول بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر ، يقول الشيخ عبد الجبار المبارك وهو أحد أعلام الطريقة السمانيّة في السودان ، إنّ الطريقة السمانية في السودان انتشرت في محورين : أحدهما عن طريق مشايخ البيت الطيبي ، والثاني عن طريق كبار تلاميذ الشيخ أحمد الطيب وتلاميذه ومشايخ الطريقة ممن أجازهم مشايخ البيت الطيبي.

وقد حدد مشايخ البيت الطيبي بالأسماء والمناطق التالية :

- مركز الطريقة بام مرّحى :ويقوم به أبناء الشيخ محمَّد شريف نور الدائم.
- مركز الطريقة بطابت :ويقوم به أبناء الشيخ عبد المحمود نور الدائم.
- مركز الطريقة في طابت شرق :ويقوم به أبناء الشيخ البشير بن الشيخ نور الدائم.
- مركز الطريقة في جبل أولياء :ويقوم به أبناء الشيخ عبد المجيد نور الدائم.
- مركز الطريقة في أم درمان :ويقوم به أبناء الشيخ قريب الله أبو صالح.
- مركز الطريقة في شمبات: ويقوم به أبناء الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ أحمد الطيب.
- مركز الطريقة في الجبلين: ويقوم به أبناء الشيخ إدريس بن الشيخ عبد القادر الشيخ عبد الرحمن.

- مركز الطريقة في السروراب : القلعة الطيبية ويقوم به أبناء الشيخ إبراهيم الدسوقي بن الشيخ أحمد الطيب.
- مركــز الطريقة في أبو جبيهة: ويقوم به الشيخ هاشم بن الشيخ عبد الجبار بن الشيخ نور الدائم.
- كمـــا يوجد لها مراكز خارج السودان ، مثل مركزها في الحبشة ويقوم به أبناء وأحفاد الشيخ عبد المحمود نور الدائم.

أما مراكز المحور الثاني فمنها:

- مركز الشيخ القرشي ولد الزين في طيبة الشيخ القرشي وله أتباع ومشايخ تم إرشادهم وإجازتهم بواسطته أمثال الشيخ الشريف الخاتم " كركوج".
- مركــز الشـــيخ أحمـــد البصـــير " حِلّة ود البصير" في منطقة الحلاوين بالجزيرة.
- مركــز الشـــيخ التوم ولد بانّقا الذي نشر الطريقة في مناطق كثيرة وذلك بفضل تلاميذه وتلاميذهم أيضاً ، وأصبحت لها مراكز عديدة منها:
- مراكـــزها بالنيل الأبيض ، حيث يوجد مركز في شبشة والذي قام بتأسيسه الشـــيخ برير ولد الحسين تلميذ الشيخ التوم ولد بانّقا ، وقد قام الشيخ برير بدور فعال في تأسيس هذا المركز وتربية المريدين كما كانت ثمرة تربيته مفـــيدة ، وهـــذه الثمرة تتمثل في تلاميذه ، ومريدي طريقته الذين وصلوا درجـــة المشيخة وأسسوا العديد من المساجد والخلاوي لإحياء نار القرآن وتســـليك الطـــريق السماني في داخل وخارج مناطق النيل الأبيض ، ومن أمـــثال هـــؤلاء: الشـــيخ عمر الشريف الذي أسس مركزاً للطريقة بمنطقة الكـــريدة غرب الكوة ، وله مسيد عامر بالطلاب، والذي من تلاميذه الشيخ محمَّد وقيع الله والد الشيخ عبد الرحيم الموجود حالياً ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

بمسـيد والده بالزريبة بكردفان، كما كان للشيخ برير دور بارز في تعليم وإرشـاد الـناس وتسـليكهم الطريق السماني حتى توفى في رمضان عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م ، هذا بالإضافة إلى مراكز أخرى بالنيل الأبيض قام بتأسيسها أبناؤهم وأحفادهم منها: العرشكول وبها أبناء الشيخ السمان الشيخ برير كما يوجد لها انتشار في مناطق أم جر والصفيراية وود نمر وخلافها مـن مناطق النيل الأبيض ، وخلاويها عامرة بالطلاب والمريدين ، ومنها أيضـاً مركـز الشيخ الياقوت الذي أسّسه الشيخ الإمام ولد جار النبي جد الشيخ الياقوت بالقرب من جبل أولياء.

كما وجد لها مراكز عديدة في مناطق كثيرة أسست عن طريق التلاميذ ، في المـدن والقـرى ، مثل مدني وسنّار وكوستي والدويم ، حيث نجد مركز الشيخ مركز الدين الذي أخذ الطريق عن الشيخ الجيلي الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نـور الدائـم ،ولها أيضاً مركز في الفاشر يشرف عليه الشيخ خليل عبد الرافع وكـان فـي السابق يشرف عليه الشيخ سليمان ، ومن القرى التي انتشرت فيها الطـريقة ، قرية أم دقرسي على طريق مدني الخرطوم ، وقرية العزاز جنوب سـنار وقـرية أبـا قمـري ريفي الحوش ، وفداسي وفارس، التكينة ، وأيضاً السـروراب والجزيرة إسلانج هذا بالإضافة إلى مراكزها خارج السودان ، في كـل مـن ألمانيا ونيجيريا وتشاد وفي إفريقيا الوسطى حيث نجد عدداً من أبناء الشيخ عبد المجيد الشيخ نور الدائم ، وفي الحبشة نجد أحفاد الشيخ أحمد الطيب وأبناء الشيخ محمَّد شريف نور الدائم ، ولها إشعاع حديث في جنوب إفريقيا.

كمـا كـان للطـريقة السمانية دور حديث في نشر الإسلام حيث نجدها انتشرت في بعض المناطق النائية ، والتي معظم سكانها لا ينطقون العربية وهم غير مسلمين ، فنجد في جبال النوبة في منطقة التيمنج ، الشيخ عبد الرحمن كنده الذي كان وثنياً فأسلم وتعلم اللغة العربية على يد مشايخ الطريقة السمانية ، وقد

أنشأ العديد من الخلاوي لتحفيظ القرآن ودراسة علومه كما نجد لها وجوداً حديثاً فـــي جـــنوب السودان ، حيث نجد الشيخ مختار عبد الله واسمه الأصلي ملوال ديـــنق، كـــان مسيحياً فجاء للشيخ مبارك مركز الدين بالقرب من الأبيض وأسلم على يديه ، فجاء به الشيخ مركز الدين للشيخ عبد المحمود الحفيان بطابت الشيخ عـــبد المحمـــود نـــور الدائـــم ، فأخذ عنه الطريق السماني ثم اجتهد فيه بالذكر والرياضـــة وحضـــور الـــدرس اليومـــي إلى أن أجازه الشيخ عبد المحمود في الطريق وطلب منه الرجوع إلى أهله لنشر تعاليم الإسلام هناك ، فرجع إلى واو وجمـــع حوله العديد من المريدين وبنى لهم مسجداً كبيراً ثم قام ببناء العديد من الخلاوي ببحر الغزال.

ففـــي كل هذه المناطق توجد الطريقة السمانية وتوجد لتعاليمها الخلاوي التي تضم عدداً كبيراً من التلاميذ الذين يتم تعليمهم وتحفظيهم القرآن الكريم.

ظـــل مركـــز الخلافة السمانية بأم مرّحي عند الشيخ محمَّد شريف نور الدايـــم طـــيلة عهد الحكم التركي في السودان ، غير أنه وبمجيء الدولة المهدية ضـــعف مركـــز الشيخ محمَّد شريف في زعامة الفرع الطيبي وزعامة الطريقة السمانية في السودان ، ووجد نفسه قد دخل في نزاعات شخصية مع المهدي.

بعـــد وفـــاة الشيخ محمَّد شريف نور الدائم الذي استمر في الخلافة حتى عهـــد الحكم الثنائي وتولى الخلافة من بعده ابنه محمَّد سعيد العباسيّ ، ومن هنا نجـــد مركـــز الخلافـــة تحول من أم مرّحي إلى طابت ، حيث يوجد الشيخ عبد المحمـــود نور الدائم وذلك لعدة أسباب منها: تلك النزعة البدوية وحب التجوال الـــذي عرف به الأستاذ محمَّد سعيد مما جعله يتنقل كثيراً ، ولم يستقر في مكان واحد ، وهذا جعل أنظار التلاميذ والأتباع تبحث عمن تلتف حوله من أبناء البيت الطيبي ، فلم يكن هناك غير الشيخ عبد المحمود نور الدائم ، فاتجه التلاميذ نحوه

والـــتفوا حوله ، ومنذ ذلك الوقت انتقل مركز الثقل في الخلافة السمانية جنوباً إلى طابت ، بعد أن كان في الشمال بأم مرّحي·

ومـــع ذلك ، فإن أم مرحي لم تفقد نفوذها الروحي في الطريقة السمانية في السودان ، إذ بها ضريح الشيخ أحمد الطيب بن البشير رائد الطريقة السمانية في السودان ، لذا فهي تمثل في نظر الأتباع والمريدين مركز الرئاسة·

أمـــا بقية أبناء الشيخ أحمد الطيب البشير ، وأبناؤهم وحفدتهم فقد اكتفى كـــل مـــنهم بأن يجمع حوله عدداً كبيراً من الأتباع والمريدين مكوناً له مركزاً فرعـــياً للخلافة السمانية ، يجلس عليه ويعتبر نفسه خليفة للشيخ أحمد الطيب ، تاركين الخلافة الحقيقية تنحصر في أبناء الشيخ نور الدائم·

هكذا نلاحظ إن الخلافة حول زعامة الطريقة السمانية الكبرى انحصرت بين الفرعين الطيبي والقرشي ، أما الفرع اليعقوبي فقد آثر الابتعاد عن التنافس حول زعامة الطريقة الكبرى واكتفى بزعامته في مناطق شمال وجنوب الفونج ، وذلك لأن الشيخ التوم كان كل همه أن يثبت خلافته في منطقة اليعقوباب ويعمل على نشر الطريقة السمانية بينهم·

خلاصـــة ذلـــك ، إن النزاع الذي دار حول زعامة الطريقة السمانية في الســـودان، بعد وفاة الشيخ أحمد الطيب بن البشير وخاصة في عهد حفيده الشيخ محمَّـــد شـــريف نور الدائم ، فقد انحصر بين الفرعين الطيبي والقرشي ، ولقد اســـتطاع الفـــرع الطيبي أن يحتفظ بتلك الزعامة ولم يدعها تخرج من الأسرة الطيبية·

فرع الطريقة السمانيّة بأم ورق الشيخ المعروف

هـــو الشـــيخ المعروف بن الشيخ على بن الاستاذ محمَّد شريف بن نور الدائم بن الشيخ أحمد الطيب بن البشير·

تقــع أم ورق الشــيخ المعــروف في وسط الجزيرة وأقرب إلى الجزء الشمالي الغربــي وهــي ريفي الربع من محافظة الجزيرة وأقرب منطقة إلى منطقة أبو قوتة وتقع أمامها بنحو ستة كيلومترات.

ولد الشيخ المعروف سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م على ضفاف النيل الأبيض غــرب جــبل أولياء بالقرب من وادي أبي حليف وفي قرية تعرف باسمه "دمر المعروف" وهي بالقرب من المنتزهة التي أسسها والده وكان يقيم فيها.

بــدأ بحفظ القرآن في مسيد والده بالمنتزهة على عدد من الشيوخ وعلى رأســهم الفقــيه مقبول الغبشاوي ، وقرأ الفقه المالكي على والده وبعد أن حفظ القــرآن أحضره والده للدراسة بمعهد أمدرمان العلمي الذي كان في ذلك الحين بجامع أم درمان الكبير.

بعد أن أنهى دراسته بالمعهد العلمي توجه إلى موطنه وأقام هناك وكان كوالــده كثــير التجوال في الدعوة إلى الله تعالى فطاف شمال كردفان وجنوب كــردفان ومنطقة جبال النوبة ثم عاد وأسس مسجده بدمر الشيخ المعروف مكان مولــده وحفــر فــيه بئراً مشهورة وهي مورد الناس إلى هذا اليوم١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ثــم ارتحــل مــن غرب النيل الأبيض وسكن في منطقة الفريجاب ثم مــنطقة قــوز الناقة القرية ستة أمام (أبو قوتة) وأقام فيها وأسّس فيها خلاوي لتحفيظ القرآن كانت قبلة للكثير من الطلاب من أبناء غرب النيل وكردفان.

ثم رحل وأقام بمنطقة أم ورق الشيخ المعروف واسس فيها مسيداً وبنى فيه مسجداً وخلاوي لتحفيظ القرآن.

كما قام بتجديد تاسيس مسيد الرفاعيات الذي أسسه والده.

لــه عدد من التلاميذ من الجزيرة وغرب النيل الأبيض وشمال وجنوب كردفان ومنطقة الجبلين.

له سبعة أولاد ذكور هم بترتيب أعمارهم: الشيخ عبد الرحيم " وهو خليفة والده الآن ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، الشيخ على، الشيخ عمر،الشيخ الطيب ،الشيخ أحمد، الشيخ حسيب،الشيخ البشير.

انتقل إلى جوار مولاه في ضحوة الأربعاء إبريل ١٩٩٨م ودفن بالقرب من مسجده بأم ورق الشيخ المعروف.

تولـــى الخلافة من بعده ابنه الأكبر الشيخ عبد الرحيم وهو الذي يباشر العمل بالمسيد الآن.

الطريقة السمانيّة فرع الفريجاب " الجزيرة"

تقـــع الفــريجاب فـــي وسط الجزيرة محافظة الحصاحيصا ريفي طابت الشيخ عبد المحمود نور الدائم وعلى بعد أقل من نصف ساعة من طابت.

وقـــد أسس هذا الموقع الشيخ على بن الأستاذ محمَّد شريف نور الدائم بن الشيخ أحمد الطيب.

هـــو الشيخ على بن الأستاذ محمَّد شريف بن نور الدائم بن الشيخ أحمد الطيب بن البشير.

أمـــا والدتــــه فهي من الأشراف الحسنيين "يراجع النسب كاملاً في سيرة الشيخ محمَّد الصليحابي".

وكانـــت والدته آية تحفظ القرآن ومختصر خليل في الفقه المالكي وألفية بن مالك في اللغة العربية ولد في قرية جده المسماة جوادة بالجزيرة ١٨٧٤م.

بـــدأ حفـــظ القرآن في مسيد جده الشيخ الصليحابي على يد الفقيه محمَّد فــــرح الكتيابي وبعد أن حفظ القرآن انتقل إلى موطن والده أم مرّح ودرس على والــــده كتــــب الحديث وكتب الفقه المالكي والحنفي وكتب التفاسير وعكف على مؤلفـــات والـــده بالدراســـة والإطلاع. وكان والده إذا سافر إلى داخل أو خارج

السودان يقيمه مكانه مُستأمِناً له على القيام بمهام مركز الطريقة على أكمل وجه ثم أوصى والده أن يكون خليفته من بعده ولكنه اعتذر كما ذكرنا.

ثم عمل بعد ذلك على تاسيس عدة مراكز للدعوة وهي : بغرب جبل أولياء قرية المنــتزهة وأقــام فــيه خــلاوي لتحفيظ القرآن و كذلك أسس مسيداً له بمنطقة الخوالــدة قــرية الرفاعيات وأقام فيها خلاوي لتحفيظ القرآن وبنى بها مسجداً و كذلــك أســس مسيداً في جبال النوبة في منطقة تاندك وخلف فيه بعض الخلفاء هــناك وأخــيرا أسس مسيده بالفريجاب وأقام فيه إقامة دائمة إلى أن انتقل إلى جوار ربه.

اشــتهر الشــيخ علــى بن الأستاذ محمَّد شريف بالتجوال لدعوة الناس للإسلام طاف خلالها بجبال النوبة وأسّس وخلّف وأرشد الكثيرين هناك ثم اتجه إلى جنوب السودان وذهب إلى الرنك وكاكا وملكال.

ونســبة لكــثرة ترحاله ، وهو ابن الأستاذ محمَّد شريف ، شيخ ومربي محمَّد أحمد المهدي وبما أنّ الأستاذ محمَّد شريف له دور داعم لوحدة المسلمين ودعــم دولة الخلافة الإسلامية، تخوّف الإنجليز من كثرة حركته هذه وطلبوا مــنه الإقامة بأم مرّح فرفض ثم طلبوا منه الإقامة بالمتنزهة وعدم التحرك منها ورفــض أيضــاً ثم عرضوا عليه أن يعطى أموالاً بشرط أن يعمل في التجارة ويــترك عمل الطريقة والدعوة ثم رفض أيضاً وأخيراً طلب منه ألاّ يتحرك من منطقة إلى أخرى إلا بعد إخطار الحكمدارية بالمكان الذي يريد أن يتوجه إليه.

هــذا وقــد فــي دخل الإسلام على يديه الكثيرون من أبناء جبال النوبة والجــنوب لما كان لــه من شخصية مهابة مطاعة ، وفّقها الله للسير في طريق الدعوة إلى الله ،له تلاميذ كثيرون نذكر منهم:

- الشــيخ الوســيلة ود الحاج المحمَّدي المقيم بكردفان منطقة أم سيالة قرية الغبشان وله تلاميذ كثيرون .

- الشـــيخ أحمـــد أبو قلم الرويان في منطقة أم جريس بجبال النوبة الشرقية ومسيده يزار وفيه نار القرآن والكثير من طلاب العلم.
- الشيخ دفع الله ود المكي في جبال النوبة بمنطقة الترتر وله مسيد وخلاوي وخلفاء كثيرون .
- الشـــيخ عـــبد الرحيم بن إبراهيم في جبال النوبة بمنطقة تاندك وله مسيد وخلاوي لتحفيظ القرآن.
- الشـــيخ محمَّد حبيب الله عيد بمنطقة السهل جنوب كردفان وتقع جنوب أبو جبيهة.
- الشيخ عبد الرحيم الكرنكواني بجبال النوبة.
- الشيخ بشارة جودات السليمي من دار سليم في الجنوب حول منطقة الرنك والجبلين.
- الشيخ محمَّد النور السليمي من دار سليم.
- الشـــيخ الأمير الأستاذ محمَّد شريف(هو أخوه وتلميذه) وقد أمره بالإقامة بأبي جبيهة ومكانه يزار من قبل المريدين.
- الشيخ عبد الله أبو تريمة من غرب جبل أولياء.
- الشيخ يس بن الشيخ إدريس بن بلل الشيب بمنطقة ود نمر.

وغيرهم كثيرون وقد أشرنا إليها جميعاً ولديهم مساجد وخلاوي لتحفيظ القرآن.

لـــه أربعـــة أولاد ذكور ولكل منهم دوره في الدعوة وتربية المريدين وهم على حسب أعمارهم:

- الشيخ الطيب (الخليفة الأول بعد والده).
- الشيخ المعروف (مؤسس مسجد وخلاوي أم ورق).
- الشـــيخ محمَّـــد شـــريف (الخلـــيفة الثاني بعد أن توفى الشيخ الطيب).

- الشيخ المجذوب " مقيم بموطن أجداده بأم مرّح".

انتقل الشيخ على إلى رحمة مولاه في ضحى الأربعاء ١٩٧٢/٤/٢٩م بعد حياة حافلة بالدعوة والمجاهدة في سبيل الله .

وقد رثاه الداعية الإسلامي محمَّد الأمين القرشي كما رثاه ابن اخيه ضياء الدين بن محمَّد سعيد العباسي كل منهما بقصيدة معبرة عن دوره في الدعوة الإسلامية ومكانته في قلوب الناس كما رثاه الكثيرون غيرهما.

الخليفة الأول للشيخ على:

خليفته الأول هو ابنه الشيخ الطيب الذي استمر في الخلافة حتى وفاته سنة ١٩٨٦م.

الخليفة الثاني للشيخ على:

بعد وفاة الشيخ الطيب آلت الخلافة لأخيه الشيخ محمَّد شريف بن الشيخ على وهو الذي يدير حركة المسيد الآن (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ويقوم بها على أكمل وجه وإتقان.

أما ابنه الشيخ المعروف فقد أسس بدوره عدة مساجد نتطرق إليها عند الحديث عنه ومركزه بأم ورق أبو قوته ،أما ابنه الشيخ المجذوب فإنه من أعلام بلدة أم مرّح وبيته هناك قبلة للزوّار والمريدين.

فرع الطريقة السمّانية بغرب كردفان

دخلت الطريقة السمّانية منطقة الفولة بولاية غرب كردفان عن طريق الشيخ محمَّد حمودة عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م أخذها من الشيخ محمَّدين في (خماس) جنوب غرب أبوزبد وبعده الشيخ سعيد عبد الرحمن عثمان الذي أخذها عن الشيخ المصري الشيخ عبد الله (ودّ شيعفو) غرب النهود وذلك في عام ١٩٩٦م .

للطـــريقة زاوية وخلوة لحفظ القرآن والتلاوة في منطقة (ودّ عيساوي) جـــوار الفولـــة ومسجد خاص بالطريقة في نفس منطقة الزاوية· تقام فيها ليالي الاثنيـــن والخميس من كل أسبوع والحوليات والمولد النبوي · وبها لجان للصلح والتكافل يعالج فيها بالقرآن والرقية ·

الطريقة السمانية القادرية

تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ محمَّد عبد الكريم السمان الذي درس الفقه والحديـــث والتفسير واللغة العربية على بعض العلماء في المدينة المنورة وسلك الطريقة الخلوتية التي تنسب إلى الشيخ مصطفى البكري وأخذ النقشبندية على يد الشـــيخ عـــبد الرحمن العيدروس وكان لهؤلاء العلماء اهتمامات عديدة بالعلوم الدينـــية والتصـــوف وبعضهم عُنى بعلم الفلك ، ولعل هذا هو سر ما نلمسه من تعدد مؤلفات الكيمياء والفلك والرسم عن أقطاب السمانية ·

وصـــلت تعالـــيم هذه الطريقة إلى السودان على يد أحمد الطيب البشير الـــذي كـــان قـــد سافر إلى الحجاز ، والتقى بشيخه محمّد عبد الكريم السمان ، وصـــحبه زمناً أرتوى من خلاله من فيض علمه ، ثم عاد إلى السودان بتوجيه مـــنه لنشـــر آداب الطريقة فيها ، ويبدوا تاثره بشيخه السماني واضحاً في تعدد علومه ومن تاثره بحركة الإصلاح والتجديد في مصر والحجاز آنئذ·

ومـــن الطبيعي أن تنتقل هذه الطريقة وأدبياتها إلى السودان عن طريقه·
والطـــريقة الســـمانية نـــتاج خمس طرق هي : القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القـــادر الجيلانـــي (٤٧٠هـــ/ ٥٦١هـــ) والخلوتية نسبة إلى الشيخ مصطفى البكري الذي كان كثير الأختلاء للعبادة · والنقشبندية نسبة للشيخ محمّد بهاء الدين النقشبندي · وطريقة الأنفاس والموافقة وتبدوا خصائص كل طريقة من قراءة أدبياتها التي نرى أثر القادرية والخلوتية واضحة فيها ·

أمّا طريقة الأنفاس فالمقصود بها النفس المصحوب للذكر ، بينما طريقة الموافقة نسبة لموافقة حال المريد للذكر بأحد أسماء الله الحسنى ·

أمـــا السمانية فكما ورد سابقاً نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمَّد عبد الكريم السَّـمان وقــد ذهـــب الناس مذاهب شتى في أصل كلمة السمان ليس هنا مجال عرضها ·

وهـــذه الطريقة تعتمد في منهجها على أركان الإسلام والأقتداء بالرسول (ﷺ) وكـــثرة المجـــاهدة ، وتربية المريدين على التوقير والاحترام والتواضع والإكثار من الذكر والمبايعة والجمع على الطاعة ، والتفرق عند المعصية ·

وأمـــا أركانهـــا فـــتقوم على الجوع والصمت والسر والعزلة وكلها لها دلالاتهـــا فـــي تربـــية المريدين والسير بهم عبر المقامات والاحوال إلى نهاية الطريقة ·

وتتمـــيز الطـــريقة السمانية بكثرة مدونات أقطابها الذين أتخذوا التأليف وسيلة لنشر أدبياتها ويمكن القول بأنها من أكثر الطرق نشاطاً في ميدان التأليف، وفـــي تـــراث السمانية وثيقة خطية تتضمن مؤلفات أقطابها من الأصول الأولى أوردت ١٨٢ مؤلفاً مابين مطبوع ومخطوط ولمؤسسها السَّمان ١٦ مؤلفاً ولأحمد الطيـــب البشـــير ٢٢ مؤلفاً وللشيخ عبد المحمود نور الدائم ٤٥ مؤلفاً كثير منها بأرشيف دار الوثائق ، وهي تتناول فنون كثيرة في التصوف والتراجم والمناقب والمديـــح والســـير والأدب وشـــروح للقصائد وكتاب في الرحلة وشعر تعليمي وللشيخ محمَّد شريف نور الدائم عشر مؤلفات أشهرها القصيدة الرائية والأذكار الطيبية ·

وللشـــيخ قريـــب الله ٢٥ مؤلفاً في التصوف وتربية المريدين والحضرة الإلهية ومنظومات وأدعية واستغفارات وأوراد الطريقة · والذكر والمديح وأكثر

مخطوطـــة الشـــيخ محمَّـــد الفاتح فتتناول في مؤلفاته العشرين المنهج الصوفي والجهـــاد والذكـــر الجماعي والسيرة والمناقب والشعر والأدعية وأسرار القرآن والتراجم ٠

انتشار الطريقة في السودان

أتخـــذ الشـــيخ أحمـــد الطيب البشير مسجد الأسرة في أم مرحى شمال أم درمـــان مركـــزاً للدعوة والإرشاد والتسليك والتربية الصوفية حتى زاد عدد تلامـــيذه ورواد حلقـــات الأذكار ، وكثر عدد الأتباع والمحبين ،وطلاب العلم ، وانتشـــرت تعالـــيم الطـــريقة بفضـــل جهود كبار التلاميذ في الأقاليم والقرى ، وتأسست لها فروع قامت بدورها بترسيخ تعاليم هذه الطريقة٠

والحـــق أن هذه الطريقة وجدت الأرض مهيأة لها للانتشار برصيد من حماسة التلميذ وشهرته كعالم نهل العلم من الحجاز وتسلم كثير من معاصريه من العلمـــاء معلمه وسنده ٠ وأصول طريقته المستندة على خمس طرق مشهورة ، وســـاعد علـــى رواجها الضعف الذي أصاب الطرق الأخرى التي تفرعت إلى فـــروع في غياب المركزية الرابطة وصار لكل عالم فرع له تلاميذه وأتباعه ، وأذكـــاره وأوراده وأدبـــياته وبذلك ابتعدت عن أصولها ، ونجم عن ذلك تفرق التلامـــيذ وانضـــمام كبارهم إلى هذه الطريقة كما حدث لليعقوباب الذين تحولوا إليها من القادريّة ٠

ويلاحـــظ أن شخصـــية الشـــيخ أحمد الطيب البشير وما عُرف عنه في ســـلوك وصدق وقوة سند ، وما روَّجة تلاميذه وأتباعه عن كراماته ، فضلاً عن طوافه بنفسه مسلّكاً الناس في كل مكان حل فيه حتى بلوغه لسنّار بدعوة رسمية مـــن أبـــناء أبـــي لكيلك الذين أعتقدوا في بركاته وأغروه للبقاء معهم في سنّار فذاعـــت شهرته فقربه الحكام إليهم وكتبوا له وثيقة أقطاع أرض ، ولكن الشيخ

حسب رواية من الرويات رفض تلك الوثيقة وقيل أنه مزق وثيقة التمليك لأنها تمثل له الدنيا وهو يريد للآخرة ·

واسّس الشيخ أحمد الطيب في المقرّ الجديد خلوة ظل يدعو من خلالها للسمانية لمدة سبع سنوات حقق فيها نجاحاً كبيراً عاد بعدها إلى مسقط راسه في أم درمان بعد أن سمح له أبناء السلطان بالعودة بعد إلحاح منه وعلى غير رضىً منهم لتعلقهم الشديد به ·

وأضح أنه وجد المُناخ ملائماً لنشر أفكاره في تلك المناطق ونشط في هذا تلاميذه الذين لعبوا أدواراً نشطة في مناطقهم ، ومن أم مرحى القديمة في سنّار إنتشرت الطريقة إلى أماكن مختلفة داخل البلاد بل تعدى ذلك إلى خارجها حتى بلغت الحبشة على يد أحد تلاميذه ، وقيل أنها في توسعها وأنتشارها بلغت نيجيريا ، كما انتشرت في بعض مناطق جبال النوبة ·

بعد جهاد طويل في نشر الدعوة توفي الشيخ أحمد الطيب البشير عام ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م وتعرضت الطريقة بعده للإنقسام وفقدت مركزيتها بتأسيس كبار التلاميذ فروعاً لها وجهادهم لنشر تعاليمها ولكن تعدد الفروع وإن أثرت في بنية الطريقة إلا أنها ساعدت على انتشارها ورواج أفكارها السمانية ·

على أن الطريقة بعد ذلك انحصرت في ثلاثة من كبار التلاميذ ، وهم : الشيخ أحمد البصير والشيخ القرشي ود الزين والشيخ محمّد التوم ود بانقا ، وقد تمكن هؤلاء الثلاثة من كسب مزيد من الأتباع ، وساعدهم على ذلك وضعهم الأسري ونفوذهم في مناطقهم والشيخ البصير والشيخ القرشي ركزا على الحلاوين بينما تبع اليعقوباب شيخهم محمَّد التوم ، والشيخ البصير وإن لم يكن له وراثة أسرية إلا أنه كان من أوائل من تلقوا تعاليم الطريقة على يد مؤسسها ، والشيخ القرشي نشط في نشر الطريقة وساعده على ذلك مكانته وشهرته وبذلك تهيأ له الجو لكسب مزيد من الأتباع في أوساط الكواهلة والحلاوين ، وزاد من

شـــهرته اتصال المهدي به بعد إنفصاله من الشيخ محمَّد شريف نور الدائم قطب السمانية آنئذ ٠

ولــم يــتوقف انتشار الطريقة بموت الشيخ القرشي ، بل واصل أبناؤه الدعــوة وحققوا نجاحاً كبيراً حتى تضاءل اثرهم بقيام الثورة المهدية شأنهم في ذلك شأن بقية الطرق الصوفية في البلاد ٠

ومــن جهــة أخرى أختلف أبناء الشيخ أحمد الطيب البشير بعد وفاته ، وآلــت الخلافة في النهاية إلى الشيخ نور الدائم ويبدو أنه لم يتفرغ لغرس جذور الدعــوة وهــذا ما يلمسه المرء في ندرة تراثه وما كتب عنه ، وبعد وفاته تولى الابــناء الخلافة ، وبرز منهم الشيخ محمَّد شريف الذي أرتبط عهده بخلافه مع تلميذه المهدي وقصيدته الرائية ٠

ولكــن الطــريقة شــهدت تطــوراً وانتشاراً واسعاً في عهد الشيخ عبد المحمــود نور الدائم الذي درس على الشيخ القرشي وأجيز منه في طريقة جده واستقر زمناً في قرية أم طرفاية التي ولد فيها ، وفيها بنى مسجده وأسّس بعض الــزوايا واشــتهر أمــره ، وتعــددت مؤلفاته التي كانت من وسائل نشر تعاليم الطريقة وخاصة بعد أن استقر في طابت التي أسّس فيها مركزه الذي واصل من خلالــه نشر تعاليم الطريقة وجذب المريدين ثم تعددت رحلاته في مناطق النيل الأبــيض التــي تأثرت بهذه الطريقة وواصل أبناؤه الدعوة حتى ساد هذا الفرع علــى بقــية فــروع السمانية وسلم الأكثرية بريادة الشيخ عبد المحمود وأقتران انتشــار تعاليمها به وتوزع الناس على قراءة مؤلفاته الكثيرة في فنون التصوف والعلوم الدينية والشعر التعليمي وما إليه ٠

آلــت الطــريقة بعد وفاته إلى إبنه الجيلي الذي درس عليه وأجيز منه وسار على خطى والده وحقق نجاحاً كبيراً في نشر أدبيات الطريقة وفي النهاية تركزت الطريقة في الفرع الطيبي في طابت وفي أم درمان على يد الشيخ قريب

الله وأحفاده ، ولا زالت الطريقة تكتسب لها أرضية في طابت عبد المحمود على يد الشيخ الشاب الجيلي ·

الطريقة السمانية بولاية سنار

بولايـــة سنار محافظة الدندر عمارة الشيخ التهامي (مدينة السلام) شرق مدينة الدندر على بعد ٨ كلم ·

وخليفـــتها هـــناك هو الشيخ الخليفة الشيخ السر الشيخ عايس عن الشيخ احمـــد التهامي الشيخ عايس وهو أخوه عن والده الشيخ عايس الشيخ عبد القادر عن الشيخ البشير نور الدائم بإذن من والده الشيخ عبد القادر الشيخ عبد الوهاب عين الشيخ محمّد طه الأزرق عن الشيخ ود البشير ·

وهي طريقة سمانية ولكن من الشيخ عبد الوهاب ومن جاء قبله وحتى جده محمّد أبيض فهي قادرية ·

أخـــذ الشيخ عبد الوهاب عن والده الشيخ إدريس ثم تولى الشيوخ عبد الوهاب – عبد الله جلاد – محمّد أبيض عويضة وهذا الأخير دخل السودان مع الشـــيعة الذيـــن دخلوا مع الشيخ عبد الله العركي ويعرفون بالشيعة الغرباء وقد جاءوا من المدينة المنورة وأقاموا أولاً في منطقة أبي حراز شرق مدني·

وبعد ذلك انتشروا في أنحاء السودان الأخرى فالشيخ محمّد أبيض استقر في منطقة أبو راوه شرق الدندر ويوجد الشيخ في ود أبكّر بريفي الحواته الشيخ عـــايس الشيخ عبد القادر الأشقر ١٣٧٠هـــ/١٩٥٠م ومن منطقة ود ابكّر انتقلوا الـــى منطقة عمارة الشيخ التهامي والخليفة الآن ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٢م هو الشيخ السر الشيخ عايس وانتشر إخوانه في المنطقة ولهم مريدون واتباع ·

ويـــتم تحديـــد الخلـــيفة الجديد بإشارة من سابقه أو شورى بين الشيوخ والأتـــباع ويقـــوم أتـــباع الطريقة بأداء الأذكار وحضور المناسبات الدينية بعد

تسليكهم بواسطة الخليفة ويمكنهم القيام بالدعوة وزيهم يُميّز بالحزام الأخضر في الوســط والطاقــية أم قرنين وهي خاصة بالمقاديم والزي خاص بالمناسبات أو مصــاحبة الشــيخ لزيارة ويستخدمون الطارات والنوبة والطبول وسبح اللالوب الكبــيرة (الألفــية) والصغيرة ايضاً وراياتهم مكتوب عليها لا إله الا الله محمَّد رســول الله وراية السعادة مكتوب عليها لا إله إلا الله الملك الحق وتستخدم في المناسبات والمواسم والدعوات والرايات متفاوتة الأحجام والطريقة لها فروع في القضــارف والنــيل الأزرق والجزيرة وكلها تحت إدارة الشيخ الأبيض وذريته ولهــا الكثير من المريدين داخل السودان وخارجه وهم على درجات متفاوتة من التعليم حتى الجامعات ومن مختلف فئات المجتمع وتقدم لهم خدمات بالزوايا التي تتبع الطريقة بالقرى المجاورة ٠

الطريقة السمانية الطيّبيّة بنيالا

مؤسّــس الطــريقة فــي نــيالا خاصة ومنطقة دارفور عامة هو الشيخ الشاذلي الشيخ برير ابن الشيخ عمر " راجل الكريدة" عن والده الشيخ عمر عن الشــيخ الــتوم ودّ بانّقا عن الشيخ أحمد الطيب البشير– أمّ مَرّحْ– بالعزازة عن الشيخ محمَّد بن عبد الكريم السماني وهو الذي ينتهي عنده نسب السمّانية٠

وزاويــة الطــريقة الســمّانية الطيّبيّة بنيالا تأسّست في عام ١٤٠٨هــ/ ١٩٨٨م علــى يــد الشــيخ الشاذلي الشيخ برير المتقدم ذكره٠ ثم خلفه فيها ابنه الشيخ عبد الله عبد الله الضي والشيخ أمين أحمد حسب الله٠

وتــم بــناء مسجد الزاوية بالمواد المحلية، وتوجد بها دراسات للتوحيد والفقــه والتجويد والسيرة ويُخصص يومي الخميس والأحد لقراءة المولد النبوي الشريف والصلاة على الرسول (ﷺ)، وتقام فيها الحولة وبها حوالي ٢٧ طالباً

يدرسون القرآن الكريم أغلبهم من التجّار وبعضهم من المدارس العليا والجامعات. وعدد المريدين حوالي ٧٠٠ رجالاً ونساءاً .

وللشيخ عدة زوايا في كل من "عديلة" وبها الشيخ عبد الله عبد الله الضيّ. وزاوية بالضعين بها الشيخ أمين أحمد حسب الله ، وثالثة في "القورة" وبها الشيخ فيصل، كما له زوايا في "أم راكوبة" و"مهاجرية" و"لبدوا" و"أم قابوا".

والخليفة الحالي في الزاوية الشيخ موسى الطاهر عبد الله بمقام "مقدم".

دَرَس في مدرسة القورة الابتدائية والثانوي الذي لم يكمله ثم أتى إلى نيالا وقرأ القرآن الكريم أولاً في مسجد الكوارتة، وختم في الزاوية السمانية ثم التحق بالمعهد العلمي بها.

وللمنتسبين للطريقة زيّ خاص مرقوع يتكون الأخضر والأسود والأحمر والأبيض وبالزاوية رايات للأقطاب الأربعة: الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أحمد البدوي والرفاعي والدسوقي.

الطريقة البدوية (السطوحية)

أسّس السيد أحمد البدوي هذه الطريقة ، وهو أحد كبار أقطاب الصوفية، ومن أكبر أولياء مصر ، وهو ينتمي إلى أسرة عربية عريقة ينتهي نسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب وقد ولد بفاس سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م ، وتوفي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م . ووفد إلى مصر عن طريق مكة ، و استقر في مدينة طنطا، وبها أسس مسجده ، وعُرف بالبدوي بسبب تلثمه على طريقة البدو الأفارقة .

ومبني هذه الطريقة : ملازمة الذكر ، وعدم الغفلة ، وهي تقوم على الكتاب والسنة ، والصدق والصفاء وحسن الوفاء وتحمّل الأذى وحفظ العهد.

والبدوي لم يخرج في تصوفه عن الطريق الصوفي القائم على السير إلى الله ومعرفته عبر مقامات و أحوال ، فغاية الصوفي غاية خلقية ، وغاية الطريق الصوفي هو الله(سبحانه وتعالى) .

والانتساب إلى هذه الطريقة تقوم على لبس الخرقة تسلسلاً من شيخ عن شيخ ، والعهد بها عن طريق الاستخلاف والمبايعة ، ولذلك يعتبر البدوي من شيوخ الخرقة . وقد اتخذ اللون الأحمر شعاراً للطريقة ، وبرّز ذلك بأنه يقتدي بالرسول(صلى الله عليه وسلم) الذي زعم أنه كان يلبس حلة حمراء في أيام الأعياد والجمع ، كما وضع شروطاً لمن يحملها من أتباعه ، منها الطهر وغض البصر والصدق وملازمة الذكر .

أحزاب و أوراد الطريقة

الأحزاب والأوراد أساس كل طريقة كما سبق ، وبها تتمايز الطرق. وللبدوي حزب يتناقل اتباعه نصه . ويشتمل على البسملة وسورة الفيل ، يليه دعاء و استعاذة وتحصين من الشر يلتزم المريدون بقراءته صباحاً ومساءً بعد الفاتحة والصمدية ، وهم يرونه مع بقية الصلوات واقياً من الأعداء ، ومن المكايد والحسد والجنون .

أما أوراد الطريقة فهي تُتْلى عقب الصلوات الخمس وقد بيّنها البدوي في وصيته لخليفته السيد عبد العال ، بأنها لا تخرج في معانيها عن الكتاب والسنة ، ويقول: يا ولدي أوصيك بتقوى الله في السرّ والعلن ، وعليك بملازمة السنة والجماعة في كل وقت ، وبعد السلام من كل فرض تقرأ آية الكَرسي مرة ، وسبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة ، والحمد لله كذلك ، والله أكبر كذلك و لا إله إلا الله، محمّد رسول الله مرة واحدة ، والاستغفار مائة مره ، والصلاة على النبي مائة مرة ، ويذكر الله ثلاثمائة مرة .

وهـذا الـنص يكفـي للدلالـة على استمداد البدوي أوراده من الأدعية المأثورة عن النبي ، ولا أثر للغلو فيها ، ويمضي البدوي في وصيته · وما جاء بها عن تحديد لأوقاتها ، وبيان لفوائدها·

وحدّد البدوي ورداً يُتْلى يوم الأحد عقب المفاتيح السابقة وهو عبارة عن صـلوات وتحمـيد وتكبير بأعدادها،كما حدد ليوم الاثنين ورده المشهور(سبوح قـدّوس) و(سبحان القادر المقتدر) يوم الثلاثاء و (سبحان ذي الملك والملكوت) ليوم الأربعاء ، و(سبحان الله وبحمده) ليوم الخميس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ليوم السبت ·

وفـي أصـول هذه الطريقة صلاة يرددها المريدون مطلعها "اللهم صل وسـلم علـى سيدنا محمَّد شجرة الأصل النورانية ، ولمعة القيضة الرحمانية ، وأصل الخليقة الإنسانية ، وأشرف الصور الجسمانية ، ومعدن الأسرار الرّبّانية، وخزائن العلوم الاصطفائية ··· الخ"·

ولهـذه الصلاة فوائد كثيرة منها إذا ذكرها صاحب مضرّة في مجلس و أحـد ألف مرة أذهب الله ضرّه ، وأتته سريعاً المسرة ، ومنها ما يزيل الضرر ويفرج الكروب و الأسقام وتسهيل رؤية النبي عليه الصلاة والسلام ، كما يتضح مـن النص أن البدوي بث فيها رؤيته للحقيقة المحمَّدية التي تعتبر أصل النور ، ومحمَّد النور هو أفضل الخلق ومعدن الأسرار ، وهو الذي خلق الله الخلق من أجله ، واستمد الأنبياء من نوره ·

عُـنى الـبدوي بتربية المريدين ، ونستنبط من أقواله الكثير من مبادئ طريقـته التـي ترتكز على الجانب الخلقي ، وضرورة طلب العلم مقترناً بالحلم والسـخاء والشـفقة والصـبر والتقوى ، وكلها مقربة إلى الله ، ولو تمسك بها الإنسان بصدق لوصل إلى أسمى درجات الكمال الخلقي ·

وممـــا يدل على إيجابيته وتفاعله استدلاله بما جاء عن الحسن البصري من مسائل اعتبرها من جواهر الحكمة ،ونقلها لتلامذته ، منها تجريد الإنسان من قيمـــته مـــا لم يكن متعلماً ، ومنها قوله : "لا منفعة لعلم لم يقترن بالحكمة ، ولا شفاعة عند الله لمن لا شفقة له على العباد" .

لـــم يخلف السيد البدوي تراثاً علمياً كبيراً مثل الذي نجده عند من تَقَدَّمَهُ فـــي الصـــوفية ، ولا نعلم لـــه مؤلفاً مدوناً يُركن إليه . وقد أفرد الدكتور سعيد عاشـــور صفحات من كتابه **السيد البدوي ، شيخ وطريقة** اعتبر فيه ما قيل عن كثرة مؤلفاته من قبيل المبالغة من مريديه ، ويؤكد ذلك بأنه كان منصرفاً للعبادة الروحـــية والعزلة دون أن يجد وقتاً كافياً للجلوس والتأليف ، ثم أشار إلى آثار قليلة نسبت إليه ، ووصفها بأنها لا تسمو إلى مستوى الفكر الراقي.

ويذكـــر الأســـتاذ عامر النجار أن السيد البدوي لم يترك مؤلفات أو كتباً مدونـــة كمـــا أشار وهناك أشعار كثيرة ، نقل عن صاحب كتاب **الجواهر** نسبة بعضـــها إليه بلسان المقال. وأضاف " ولأن معظمها من الشعر الضعيف ، فإننا نشك في نسبتها للسيد البدوي " .

هنالك أقوال صادرة من كبار الصوفية يدور أكثرها حول الإلهام الإلهي، والأخـــذ المباشر والتزكية ، والإيثار بين الأولياء ، ورؤية الرسول مناماً ويقظة كمؤشر على صحة الطريق الصوفي، ورضاء الرسول عن صاحبها .

أمـــا ما جاء عن كراماتهم فيمكن القول بأن أكثرها مما ينسجها خيالات المريديـــن والأتباع ظناً منهم أنهم يزيدون بذلك من مقامات شيوخهم ، ويعبرون عـــن حـــبهم لهم ، ولعل ذلك كان صدى لحملات الإنكار عليهم من قبل الفقهاء أصحاب الظاهر .وربما لجأ بعضهم إلى ذلك طمعاً في البركة والثواب ، ودفعاً للعامة لبذل المزيد من الصدقات والنذور .

و أقـــوال البدوي ، وآراء معاصريه تعارض ما روّجه هؤلاء ، فقد كان غارقـــاً في سنيته ، وكان شديد التمسك بمذهب أهل السنة ، متفاعلاً مع أحداث عصره ، منشغلاً بكثير من القضايا الاجتماعية ٠

ونُقـــل عنه أنه كان متفوقاً في الفروسية ، والفتوة ، وقام بالتعبئة لجهاد الصليبيين ، وعُرف بجلاب الأسرى من بلاد الفرنج ٠

الطريقة الصفائية العزيزية الموافقية

تسلســـلت هـــذه الطريقة من الطريقة السمانية فالقادرية فالخلوتية فالنقشبندية فالشاذلية وقد نشأت هذه الطريقة على أسس وقواعد عامة منها :

١- الدعوة إلى الله ٠

٢- تحقـــيق غايـــات التصوف مثل تهذيب النفس وصقل الروح وربط قلب المـــريد بـــالله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)علـــى هدى الكتاب والسنة النبوية ومحبة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وحسن أتباعه ٠

وهناك أشياء يجب ان تتوفر في شيخ الطريقة منها :

١- إلمامه بما عُلم من الدين بالضرورة على الأقل ٠

٢- حفظ كل القرآن أو جزء مناسب منه

٣- زهده وورعه وتمسكه وإقتداؤه بالرسول (ص) ٠

٤- إيـــثاره لغيره على نفسه واستقامته على الجادة وحسن معاملته للأخرين فالدين المعاملة٠

ويحتاج من يخلف الشيخ إلى الأتي :

١/حصوله على إجازة مسبقة من شيخه ٠

٢/ تزكيته بواسطة المجلس الأعلى للطريقة واجماع الفقراء عليه ٠

كل الشروط السابقة المطلوبة من الشيخ ويشترط على من يريد الإنتماء لهذه الطريقة الاقتناع بمبادئ التصوف كمدرسة سلوكية وكذلك محبة الله ورسوله (ﷺ) .

مـــن اذكار وأوراد هذه الطريقة : الدعاء بعد الصلوات الخمسة خاتمة الـــبقرة وقصـــار الصورة وأدعية مأثورة والصلاة على النبي وهي من الكتاب المسمى بالورد الصفائي .

ولهـــم أوراد فـــي الإســـراء والمعـــراج وعقب صلاة التراويح (الذكر الخلوتي) والمولد النبوي والحوليات بالذكر والطعام والزيجات الجماعية وتسليك المريديـــن والمحاضـــرات وملابـــس أهل الطريق مرقوعة وكرابة ذات حزام أخضـــر وســـير اصـــفر وسبح متنوعة ولا يستخدمون ألات إيقاع ولهم رايات مخـــتلفة الألـــوان ومكـــتوبة عليها أسم الطريقة ومريدوها من الرجال والنساء بمـــراحل التعلـــيم المختلفة ولها زوار من الداخل والخارج ويزورها أنواع من المسؤولين ليس بينهم رؤساء دول وتوجد في مكان ولايات السودان .

ويقـــدم لهم الشيخ علاجات نفسية وعشبية وتعاويذ وأحجبة وتمائم ويقوم بمـــا يقـــوم به شيوخ الطرق في المجتمع وشرعت الطريقة في بناء مجمع بحلة عبد العزيز وفي النية بناء مجمعات في باقي الولايات .

شيخها الحالي ١٤٢١هـــ/٢٠٠١م هو محمَّد احمد حاج الشيخ محمَّد علي المولـــود فـــي عـــام ١٣٧٥هـــ/١٩٥٥م بمنطقة المابان بأعالي النيل ومن أهم مشايخة الشيوخ (حاج الشيخ محمَّد علي الحسين ، وطه الشيخ احمد عبد العزيز و محمَّـــد الفـــاتح الشيخ قريب الله ،وله العديد من التلاميذ وبالإضافة إلى تعليم الخلوة فقد درس حتى نال الشهادة السودانية ومن جدوده لأبيه اشتهر الشيخ عبد القادر الجيلاني ومن جدوده لأمه الشيخ محمَّد نور عبد العزيز وهما على سبيل

المـــثال لا الحصر وله مخطوطات لم تنشر مثل (الورد الصفائي اللازم و كنز السـعادة لمــن أراد الدنيا والآخرة وأكسير ما تروم من الدعاء المأثور تبصير المريد بآداب الطريق) تحت التأليف ٠

لــه مســاهمات قليلة في النواحي التعليمية والصحية بالمابان وأعالي النيل وكذلك المؤسسات الدينية ومشروع زراعة مطرية بمنطقة المابان ومشروع آلي بمنطقة الرنك ٠

يســاعده في تعليم القرآن الشيخ الزبير احمد محمّد البشير وقد أكمل تعليمه الـثانوي الى جانب الخلوة ويحفظ القرآن ويقوم بأعمال الشيوخ من إمامة وعقد الانكحــة وغـيرة وتموين الخلوة عندهم ذاتي متواضع ولكن صلته بالسلطات موصولة ومتواصلة ٠

الطريقة الشاذلية

ولــد أبــو الحسن الشاذلي مؤسس هذه الطريقة في بلدة غمارة بالمغرب سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م وهو ينحدر من أسرة تنتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالــب٠ وقــرأ القرآن ودرس الحديث في صغره، ثم انتقل إلى فاس، وأخذ عن شيخه عبد الله بن أبي الحسن من خوازم الذي يعده البعض أول أستاذ له، وأول من ألبسه الخرقة، و أول من تعلم منه مبادئ طريق القوم قبل انتقاله إلى تونس التي درس فيها الفقه على مذهب الإمام مالك ، كما درس الأدب والنحو والتفسير والحديث والتوحيد ٠

والحقّ أنّ حياة الشاذلي كانت عبارة عن حلّ وترحال طلباً للعلم ، وبحثاً عــن الشــيوخ ، فمن تونس ساح في بلاد المغرب والعراق ، وبعد فترة سياحته التــي تشرّب منها علوم القوم ارتاد ساحة كبار الصوفية ، وأخذ عن الشيخ أبي

الفتح الواسطي الرفاعي وتأثر به ، و اتصل عن طريقه بالمدرسة الرفاعية التي كان الواسطي أحد أقطابها ٠

ويعتــبر الشيخ عبد السلام بشيش أحد شيوخ الشاذلي ، وأكبر مؤثر في آراء الشــاذلي ، وهــو يــروى عنه كثيراً من المواقف والعبر ، وتأثر الشاذلي بالإمــام الغزالي ويبدو هذا واضحاً في كثير من آرائه وتعاليمه بل في أوراده و أحزابه ٠

أساس الطريقة الشاذلية

يقــوم أســاس الطريقة الشاذلية على طلب العلم ، وكثرة الذكر ومبناها علــى الكتاب والسنة وترك المعاصي ، وفعل الواجبات ، واتباع السنة المأثورة في الأقوال والأفعال ، والإعراض عن الخلق ، والرضا بما قسمه الله في القليل والكثــير ، والرجوع إلى الله في السراء والضرّاء ٠ ونقل عن الشاذلي أنّ أساس طريقــته : طريق القصد إلى الله بالذكر ، وبساطة العمل الصالح وثمرته المزيد منه ٠

ومبنى هذه الطريقة :

١٠الذكــر مــع الافتكار ٠٢ اليقظة مع الاصطبار ٠٣ ترك التبذير والاختيار ٠٤ الجمع على الله مع عدم التفرقة ٠

ومــن ســمات هذه الطريقة القول بإسقاط التدبير وقد أثار هذا اعتراض بعض من فسره بأنه نوع الإيمان بالجبر ٠

والواقع أن من ينعم النظر في آثار ابن عطاء الله السكندري أحد ركائز هــذه الطريقة وشارح تعاليمها يجد أن الشاذلي وتلامذته أمعنوا في الثقة بالله في وعــده بالــرزق ، والتوكل عليه ٠ وأقوال الشاذلي في الحث على طلب العلم ،

والسعي للأخذ بالأسباب ، ومحاربة الكسل والتواكل ، تنفي عنهم تهمة الجبرية ، وتساعد على الفهم الصحيح لفكرة إسقاط التدبير ٠

ولئن جاءت أراء الشاذلي في هذا موجزة ، فإن ابن عطاء الله السكندري أفاض في شرح المقصود ، وساق أدلة قوية في إسقاط التدبير ، منها أن الله وعد بالـــرزق وهـــو صادق في وعده ، ولايخلف ، وهمّ الرزق شك في هذا الوعد ، والصدّ عن ضيافة الله ، والضيف لا يحمل هماً مع وجود رب المنزل ، والله هو المدبّر لمملكته ، والتدبير هنا جهل بذلك، ولا شك في وعده ٠

و إســقاط التدبـــير هنا ليس استسلاماً أو قعوداً ، إنما هو إسقاط للتدبير أمـــام إرادة الله ، وليس على إطلاقه ٠ وغير ذلك من أدلة نابعة في الثقة بالله ، والرضـــا والـــتوكل لا الـــتواكل ٠ وإنسان متوفر فيه هذه الصفات ،يكون قويّ العزيمة كثير الثقة بالله ، ينطلق في حياته غير هيّاب ولا وجل ، ولا يخشى من حاكم ولا أمير لأن في ثقته بالله سلامة وزيادة ٠

أحزاب وأوراد الشاذلية

تعتـــبر الأحزاب والأوراد قاعدة الطرق الصوفية وهي عبارة عن أدعية واستغاثات ومناجاة لا تخرج في عمومها عن دائرة الكتاب والسنة ، وقد تنحرف بعضها عن هذه القاعدة ، وكلها في النهاية ترمي إلى تربية المريدين ، وتهذيب النفس وتزكيتها من الأغيار لتنطلق بعدها في الطريق إلى الله ٠

وأحزاب الشاذلي وأوراده وجدت رواجاً لا بين مريديه و أتباعه فحسب بـــل أمتدت إلى تراث الطرق الأخرى ٠ وكثير من الأدعية التي يردّدها الناس فيها مسحة من هذه الأوراد ٠

ويذهـــب الدكتور عبد الحليم محمود إلى أن أحزاب الشاذلية "جامعة بين الطـــريقة وتلويـــح الحقيقة ، وذكر جلال الله وعظمته وكبريائه ، وذكر حقارة

النفس وخستها والتنبيه على خداعها وغوايتها ، والتذكر بالذنوب والعيوب ، فيه تعليم في قالب التوجيه وتوجيه في قالب التعليم "·

ومن أشهر أحزاب الشاذلية حزب البر · وقد اعتبر الدكتور زكي مبارك هـذا الحزب من أفضل الأحزاب معنى ولفظاً ، فهو في لفظه تحفه فنية ، قليلة النظائر وهو في معناه قوة روحية وعقلية نادرة المثال ·

والشـــاذلي يبدأ حزبه بالاستعاذة والبسملة ، وبآيات و أدعية ، واعتراف بقـــدرة الله ، عـــالم الغيـــب والشهادة ، وإقرار بالوحدانية ، واعتراف بالعجز ، وخوف من مكتوب الغيب ، وطلب للسلامة في الظاهر و المستور ، وطمع في عز الدنيا بالإيمان والمعرفة وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة ·

ومـــن أحـــزاب الشـــاذلية حـــزب البر وحزب النور ، وحزب الفتح ، وأورادها استغفار وأدعية حدّد لها أعداد معينة و أوقات خاصة ·

وتعـــد الصلاة المستبشية التي مطلعها بعد البسملة " اللهم صل على من انشـــقت الأسرار ، من أساسيات هذه الطريقة ، وقد أدمجت في أدعية أخرى ، ومـــن أورادهـــا المسبعات العشر ، وأدعية أحزاب كل واحدة منها تردّد سبع مرات ، ولذلك عرفت بالمسبعات العشر ·

أراء الشاذلي

للشاذلي أراء بعضها وجدت قبولاً ، وأخرى تعرضت للنقد من الفقهاء ، منهم العلامة ابن تيمية الذي أنكر عليه قوله "اللهم انتشلني من أوحال التوحيد" ·

وعلـــى ما في ظاهر هذه العبارة من غلوّ فإن البعض نفى عنها رائحة الغلـــو، وفسرها بأنه يقصد التوحيد القائم على الدليل العقلي والبرهان المنطقي، وقـــد طلـــب النجاة من هذا النوع إيثاراً للتوحيد النابع من الفطرة ، المحرّر من الدليل العقلي ·

وثـــم أقوال و أراء للشاذلي تدلّ على التزامه في تصوفه بحدود الشرع، بل إنه من أكثر الصوفية قرباً من (الغزالي) ومبنى طريقه يدل على ذلك.

ومن أقواله " أعرف الله وكن كيف شئت " . وقوله " إذا عارض كشفك الكـــتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقل لنفسك: أن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام، ولا المشـــاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة، كما نُقل عنه نص يدل على تمســـكه بالكـــتاب والسنة ،ويقول "أعمل بأركان الشرع تكن شيئاً، واجمع بينهما تكـــن محفوظـــاً " . وقوله :"إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس والجماعات فلا تعبأنَّ به".

وللشـــاذلي أقوال أخرى كثيرة ، تدلّ على تفضيله الغني الشاكر على الفقـــير الصـــابر ، و ارتباط بقضايا عصره ، وحثه على العمل ، والجهاد ضد الصـــليبيين وحـــث الجنود والذهاب إلى ميادين الجهاد ، وكلها تظهرنا أننا أمام عالم صوفي زاهد عابد ، ربط حياته الروحية بمذهب أهل السنة والجماعة.

الشاذلي "أبو الحسن"

شيخ الطائفة الشاذلية ،على بن عبد الله بن عبد الجبار، واسم الشهرة هو الشاذلي، نسبة إلى شاذلة إحدى قرى تونس التي هاجر إليها بعد أن غادر قريته غمـــارة فـــي المغرب، والشاذلي ولد سنة ٥٩٣هـــ /١١٩٦م واتخذ الإسكندرية مقـــرّاً. ففـــيها تزوّج واقتنى الضياع وكان له الولد والأهل والأحباب ومات سنة ٦٥٦هـــ /١٢٥٨م في طريقه إلى الحج بالصحراء بين قنا والأقصر ودفن حيث مات في (حميثراء) بصحراء عيذاب وقد استخلف من بعده أبو العباس المرسي. وتلقىّ الشيخ الشاذلي علوم الطريقة على الشيخ عبد السلام بن مشيش ومقامه في المغـــرب كمقام الشافعيّ في مصر. وكان يقول له إلزم الطهارة من الشرك كلما

أحدثـــت تطهّـــر من دنس حب الدنيا ، وكلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت٠ وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة وإدمان الشرب بكأســـها مـــع السكر والصحو ، كلما أفقت أو تيقظت شربت حيث يكون سكرك وصـــحوك به وحيث تغيب بجماله عن المحبة والشراب ، والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس جلاله٠

كان الشاذلي يأخذ زينته عند كل مسجد ويتحلى دائماً بالثياب الحسنة ويعرض عن لبس زيّ ينادي على سرّ اللابس بالإفشاء ، ويفصح عن طريقه بالإبداء ، ومن لبس الزي متعمداً فقد ادعى وكان يقول: أعرف الله وكن كيف شئت ومن عرف الله فلا عليه أيضاً إن أكل هنيئاً مريئاً٠

وكـــان يأمر غلامه فيقول: برّد الماء فإنك إذا شربت الماء السخن فقلت الحمـــد له تقولها بكزازة ، وإذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله ، استجاب كل عضو منك بالحمد لله ، كان الشاذلي يركب الخيل الجياد ويقول: لا تسرف بترك الدنـــيا فتغشاك ظلمتها أو تنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها٠ وكـــان في المواسم يحتفل أيّما احتفال بالرهبانية ولا يأكل الشعير والنخالة ، ولا ببقـــية الصـــناعة وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية،وقيـــل إنّه جـــاهد فـــي موقعـــة المنصورة بزعامة الظاهر بيبرس والفرنجة بزعامة لويس التاسع ملك فرنسا ومع أنّه كان مسناً كفّ بصره، فإنه كان في مقدّمة المجاهدين وكان يقول: "من ثبتت ولايته من الله لا يكره الموت"٠ وكان يكره من المريد أن يكـــون مـــتعطلاً وأن يسأل الناس وكان يقول: "لكل وليّ حجاب ، وأنا حجابي الأســـباب" وكان يشارك في الزرع والحرث والحصاد ويربّي الثيران ويقول لك إن أردت أن تكـــون من أصحابي فلا تسأل أحداً شيئاً وإن أعطاك شيئاً من غير مســـألة فـــلا تقبله وإن كنت مقتدياً بالرسول في الأخذ فكن مقتدياً به كيف يأخذ

وكان (ﷺ) لا يأخذ شيئاً لا يثيب من يعطيه ويعوضه عليه فإذا تطهرت نفسك وتقدمت هكذا، فأقبل وإلا فلا وكان يقول لك إذا نوديت لا تختر مع الله شيئاً وإن اخترت فاختر العبودية لله، اقتداء برسول الله (ﷺ) حيث قال "عبداً رسولاً" وإن كان ولا بدّ أن تختار فاختر ألاّ تختار وفّر من ذلك المختار إلى اختيار الله تعالى ويستطرد فيقول فانتبهت فسمعت أن الله اختار لك أن تقول: ((اللهم وسّع عليّ رزقي من دنياي ،ولا تحجبني عن أخراي واجعل مقامي عندك دائماً بين يديك وناظراً منك إليك وارني وجهك ووارني عن الرؤية وعن كل شيء دونك وارفع البين فيما بيني وبينك يا من هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)).

وكان الشاذلي يسعى في مصالح الناس ويستشفعون به من أجل معايشهم وكان يقول إذا توجهت لشيء من عمل الدنيا والآخرة ، فقل: يا قوي، يا عزيز، يا عليم، يا قدير، وكان يقول إذا ورد عليك مزيد من الدنيا أو الآخرة فقل حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ، ويقول : إذا تداين أحدكم، فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى ويتداين على الله تعالى فإنّ كلّ ما تداينه العبد على الله تعالى فعلى الله أداؤه ، وكان يقول: رأيت في النوم صائحاً يصيح في جو السماء: " إنما تساق لرزقك ، أو لأجلك أو لما يقضي الله به عليك أو بك أو لك وهي خمسة لا سادس لها ويقول إياك أن تقف مع الخلق بل اتق المضار والمنافع فيهم ، لأنها ليست منها وأشهدها من الله فيهم وفرّ إلى الله منهم بشهود القدر الجاري عليك وعليهم أو لك ولهم ولا تخف خوفاً تغفل به عن الله تعالى وترد القدر إليهم ، تهلك".

وكان(رضي الله عنه) يقول:" مريدٌ واحدٌ يصلح أن يكون محلاً لأسرارك خير من ألف مريد لا يكونون محلاً لوضع أسرارك".

ويقول: "التصوف تدريب النفس على العبودية وردّها إلى أحكام الربوبية والصـــوفيّ يرى وجوده كالهباء في الهواء غير موجود ولا معدوم حسب ما هو علــيه فـــي علـــم الله والحقائق هي المعاني القائمة في القلوب ، وما اتضح لها وانكشـــف من الغيوب ، وهي منح من الله تعالى وكرامات بها وصلوا إلى البر والطاعـــات" ، ويقول: " العارف بالله تعالى لا تنقصه حظوظ النفس، لأنه بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يترك ، ولا إن كانت الحظوظ معاصي، وقد ترك العارف الذكر على وجه الغفلة نفساً أو نفسين قيّض الله تعالى له شيطاناً فهو له قرين أما غير العارف فيسامح بمثل ذلك ولا يؤاخذ إلا في مثل درجة أو درجتين أو زمن أو زمنين أو ساعة أو ساعتين على حسب المراتب ومن الأولياء من يسكر من شهود الكأس ولم يذق بعد شيئاً فما ظنك بعد ذاق الشراب وبعد الريّ ؟ وأعلم أنّ الريّ قلّ من يفهم المراد به فإنّه مزج الاوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار ، والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت والأفعال بالأفعال وأمّا الشـــرب فهو سقيا القلب والأوصال والعروق من هذا الشراب حتى يسكر وأما الكأس فهو معرفة الحق ، ويكون الشرب بالتدريب بعد التذويب والتهذيب فيسقى كـــلّ على قدره فمنهم من يسقى بغير واسطة الله (سبحانه وتعالى) يتولى ذلك منه لـــه ، ومـــنهم مـــن يسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين ومـــنهم مـــن يســـكر بشهود الكاس ولم يذق بعد شيئاً فما ظنك بعد الذوق وبعد الشرب وبعد الرّي وبعد السكر بالمشروب؟·

ولما سئل (رضي الله عنه): لماذا لم تضع الكتب في الدلالة على الله تعالى وعلوم القـــوم قال: "كتب أصحابي" · ومن وصاياه مع الله على حقيقة الصدق وإخلاص الوفـــاء ومراقبة الأنفاس مع الله قد سلموا قيادهم الله وألقوا أنفسهم سلماً بين يديه وتركوا الانتصار لنفوسهم حياء من ربوبيته · واكتفاء بقيوّميّته فقام لهم بأوفى ما

يقومـــون لأنفســـهم وكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم والمغالب لمن غالبهم· أصـــحاب الشـــاذلي وفدوا معه من تونس ومنهم أبو العباس المرسي ولما توفّى المرســـي خلفـــه علـــى الطـــريقة أبرز تلاميذه من المصريين – ابن عطاء الله الســـكندري – وتصـــوّف الشاذلي والمرسي وابن عطاء الله وهم أركان الطريقة الشـــاذلية وكان تصوفاً سنياً ابتعد عن الفلسفة وسلم من تيار مدرسة ابن عربي ومذهبها في وحدة الوجود وبقدر ابتعاد الأقطاب الثلاثة عن ابن عربي ومن نحا نحـــوه فقد اقتربوا كثيراً من الغزالي فطلبوا من مريديهم إن يتخذوه قدوة ويقول الشاذلي : إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام ابن حامد الغزالي ، وكـــتاب الإحياء للغزالي يورث العلم وكتاب " قوت القلوب" للمكيّ يورث النور وانتشـــرت الشـــاذلية فـــي العالم الإسلامي لما فيها من معايشة الواقع، وبلغت الأندلـــس وكـــان أبرز ممثليها هناك ابن عباد الرُنْدي المتوفّى سنة ٧٩٠هـــ / ١٣٨٨م والذي تولّى شرح الحكم العطائية ، وامتد تأثيرها إلى جنوب شرق آسيا وغرب إفريقيا وتركيا والبلاد العربية·

الشاذلية وانتشارها في السودان

تعتـــبر الطـــريقة الشاذلية أول الطرق الصوفية انتشاراً في السودان وقد دخلـــت علـــى يد الشريف حمد أبي دنانة صهر الشيخ الجزولي صاحب دلائل الخيرات – في القرن التاسع الهجري / للخامس عشر الميلادي والروايات على أن هـــذا العـــالم وفد إلى السودان واستقر في سقادي غرب المحمية الكائنة الآن بولايـــة نهر النيل، وهذه الرواية لها مؤيدون بعد أن ظهرت بعض الشواهد عن وجود أحفاده للآن ، ومواصلتهم رسالته من بعده·

وعلـــى خـــلاف الطريقة القادريّة بفروعها الكثيرة في كثير من مناطق الســـودان ومـــا كتب عنها من كتب ورسائل فإن الطريقة الشاذلية لم تحظ بنفس

الاهتمام ، حيث لا نكاد نجد مرجعاً موسعاً عنها ، وما كتب عنها يأتي من خلال التأريخ لفروعها في البلاد مع إشارات لبعض كبار أعلامها ممن ذكرهم ود ضيف الله ٠

كيفما كان الأمر فإن هذه الطريقة وجدت طريقها إلى بعض مناطق السودان عن طريق كبار الصوفية الذين اعتنقوا تعاليمها ، وعملوا على نقلها للآخرين ٠

وللشيخ خوجلي عبد الرحمن أثر أيضاً في نشر مبادئ الطريقة الشاذلية وكان قادريّاً في بداية أمره، ثم اعتنق تعالم الشاذلية وتابعهم في أقوالهم وأفعالهم، ويروى عبد المجيد عابدين في كتابه دراسات سودانية أن طريقته إلى حد ما شاذلية متأثرة بالقادريّة٠

ولكنا نجد في سيرته ما يؤكد أنه كان يقرن القول بالفعل فقد عُرف عنه تحوله من القادريّة لتشددهم وغلوهم في الخشونة وأظهار الفقر على خلاف الشاذلية الذين يميلون إلى التسامح فالشاذلي كان يقول " أتق الله وكن كيف شئت، والشيخ خوجلي كان لا يحكم بالظاهر ويرى الباطن معولاً ، ويلبس فاخر الثياب ويرى في ذلك شكراً واظهاراً لنعمة الله عليه ٠ ولعل كثيراً من تلاميذه أقتدوا به وتأثروا بأفعاله ونقلوها للآخرين مما يؤكد ما قلنا عن أثره في نشر مبادئ الطريقة الشاذلية ٠

وثمة عالم آخر هو الشيخ حمد بن المجذوب الذي ذهب إلى مكة ودرس على الشيخ علي الدراوي تلميذ الشيخ محمّد ناصر، وبذك يعتبر من أوائل أعلام الشاذلية، ثم جاء بعده حفيده محمَّد المجذوب بن قمر الدين الذي سافر إلى مكة واستقر في المدينة وأجيز من الشيخ السويدي ، وجاء إلى سواكن عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م ثم استقر أخيراً في الدامر ونشر اوراد الشاذلية بعد أن

دمجهـــا فـــي أوراد طريقته · وبذلك تعتبر الطريقة المجذوبية رافداً من الروافد الأساسية لنقل تعاليم الشاذلية للسودان ·

وانتقلت مؤثرات الشاذلية عن طريق الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطـــريقة السمانية في السودان ونقل بعض تعاليم الشاذلية وخاصةً كتاب الحاكم وهـــو مـــن مؤلفات ابن عطاء الله السكندري وبلغ تأثره به أن يؤلف مؤلفاً على غراره ·

وإذا عرفـــنا أن الســـيد محمَّد عثمان الميرغني كان يبشر بتعاليم الطرق الخمسة (نقشجم) ومنها الشاذلية ، لعرفنا مدى انتشار مؤثراتها في مناطق انتشار الإدريســـية والختمـــية · كمـــا نجد إسماعيل الولي – يأخذ عن شيخه الميرغني مبادئ الطرق الخمسة ويعمل على نشرها ·

ولئن كان ما سبق مؤشر لانتشار الطريقة الشاذلية ومعرفة كبار أعلامها فإن من الضروري الإشارة إلى الآثار الفكرية لكبار أعلام هذه الطريقة وتأثيرها في الفكر الصوفي السوداني للآن ·

فهـــناك أوراد شاذلية وحزب البحر وحزب البر وسفينة النجاة ، ومناجاة ابـــن عطـــاء الســـكندري ودلائـــل الخيرات للجزولي وجدت طريقها إلى البلاد وتجـــاوزت مؤثرات المريدين والتلاميذ إلى عامة الناس الذين يرددون كثيراً من أدعية الشاذلية عقب الصلوات ، مثل "اللهم نسألك أيماناً دائماً" من حزب البر و "اللهـــم صَل على مَنْ انشقت منه الأسرار" وهي المعروفة بالصلاة المشيشبة و "ربنا آتنا في الدنيا حسنة" وانظر إلى دلائل الخيرات للجزولي عن اسقاط التدبير والتجرد من كل حول أو قوة إمام قوة الله وحوله ، وهذا اصل مذهب ابن عطاء الســـكندري فـــي كـــتابه **التنوير في اسقاط التدبير** وقد تأثر به أحمد بن إدريس

المغربي صاحب الأثر الكبير في بعض الطرق الصوفية في السودان التي نقلت كثيراً من تعاليمه ٠

ومن الكتب التي راجت في السودان وتلقفها أهل السنة والصوفية التي سبقت الإشارة إليها وعرفت من شروحاتها **شرح الرندي وابن عجيبة والشرقاوي** وغيرها ، وفي **طبقات ود ضيف الله** إشارات تدل على ذيوعها واهتمام علماء السودان بها ٠

ويشير زكي مبارك في كتابه **التصوف الإسلامي** أن اهتمام علماء الأزهر بتدريس حكم ابن عطاء هو صورة جديدة للحفاوة بتلك اللآلي النفيسة٠

وصوفية السودان تلقفوا هذا الكتاب والكتب الشاذلية الأخرى لما فيها من إشارات عن أحوال النفس ولما جُبِلوُا عليه من زهد وتواضع وتوكل وثقة بالله وهؤلاء وجدوا في عبارات الحكم ما يخاطب وجدانهم ، ووجدوا في فكرة اسقاط التدبير ما يتوافق مع طبعهم ، فالخمول والتواري عن الخلق والخلوة للعبادة عرفها السودانيون ووجدها في الحكم "أدفن وجودك في أرض الخمول" ومع تأثر كثير من صوفية السودان بمذهب ابن عربي في وحدة الوجود فإن الشاذلية يسلكون طريقاً وسطاً ، ولا يقتفون أثره إلى النهاية ، بل يتوقفون عند الحلول والشهود دون التخطي إلى وحدة الوجود مما يؤكد أن هؤلاء لم يقبلوا بالغلو سواء كانوا صوفية عارفين أو محبين وعرفوا الفناء مع البقاء وظلوا في يقظة حتى في حالات الوجد والاستغراق ٠

الطريقة العجيمية

تُنسب هذه الطريقة إلى السيد محمَّد علي العجيمي المنتمي إلى البديرية الدهمشية الموجودين في منطقة مدينة الدبة وما جاورها شمالاً وجنوباً بالولاية

الشـــمالية وقد أتخذ العجيمية قرية البَرصة الواقعة إلى الشمال من مدينة مروي بالولاية نفسها وفي هذه القرية ولد عام ١٣٠٨هـــ/١٨٩٠م

وكعـــادة الصغار آنئذ بدأ حياته التعليمية بدخوله خلوة الشيخ عبد الرحيم كـــرار بقرية المَقَل القريبة من مدينة مروي وانتقل بعدها إلى خلوة الشيخ أحمد وديـــدي المعروفة بقريتي رومي والبكري وهما القريتان الواقعتان جنوب القولد على ضفة النيل الغربية وتعتبر من اقدم خلاوى المنطقة وقد خرَّجت أجيالاً من حفظة القرآن بينما كانت تستقبل طلاب العلم فيها من شتى بقاع السودان فضلاً عن طلاب دول الجوار٠

انـــتقل الشـــيخ محمَّد علي إلى أم درمان، حيث جلس إلى الشيخ محمَّد الـــبدوي شـــيخ الإســـلام أيامئذ ، ولتوسعه في العلوم واطّلاعه عليها، مال إلى التصـــوف ومن ثم تفرَّغ للعبادة ونال حظاً كبيراً فيها وعلماً غزيراً ، عاد إثرها إلـــى مســـقط رأسه في البرصة لنشر التصوف وأسس مسجداً وخلوة باشر فيها تحفـــيظ القـــرآن الكريم وبث التعليم ونشر التصوف فازداد عدد الطلاب الذين قصـــدوه فـــي تلقـــي العلوم، خاصة وإنه كان قد ألَّف أوراده الخاصة بالطريقة ومراســـيم أذكارهـــا وأدعيتها، فكان أول من باشر تلقيها لطالبي علم التصوف عنده[١]٠

وممـــا يؤثـــر عـــن الشـــيخ محمَّد علي عنايته الفائقة بأدبيات الصوفية وتصـــويب بعـــض المفاهـــيم الخاطئة التي كان يرددها الناس أيامئذ بلا سابق معـــرفة، مـــن ذلـــك انتقال المريدين من طريقة لأخرى وما قيل عن المخاطر المحدقة بذلك ،إلاَّ أنه كان يرى خلاف ذلك وأنْ لا مخاطر ولا تكفير كما أُشيع يومها ، وهو يعتمد في فتواه تلك على أمور منها :

[١] في رواية للأستاذ عز الدين عبد الحي أن ميله للتصوف حدث بعد رجوعه إلى البرصة قادماً من شيخ الإسلام الشيخ محمَّد البدوي بأم درمان٠

أولاً: الطــرق الصــوفية جمــيعها ذات اصل واحد وهو السير إلى الله سبحانه وتعالى ٠

ثانياً: كل الطرق الصوفية متمسكة بكلمة (لا إله إلا الله)٠

ثالــثاً: جمــيع الطــرق الصوفية ملتزمة تماماً في قواعدها وضوابطها بكتاب الله وبالسنة النبوية ٠

ولعــلّ فحوى فتواه تلك ترمز إلى عدم رضائه عن تجاوزات بعض المتصــوفة وما يميلون إليه من شطحات وهي قد تكون مخالفة للكتاب وسنة نبيه٠

ومما يذكر أن الشيخ محمَّد علي أنه تلَّقى طريقته(العجيمية) عن الرسول (ﷺ) مباشرة ودون وساطة كما هو الحال لدى الكثير من الطرق الصوفية بالسودان٠

لقد أسس الطريقة ووضع لها منهجاً يقوم على :

١٠ الذكر والعبادة٠

٢٠ الزهد عن مباهج الحياة٠

وهــي أسس في متناول اليد، متضامةً في ذلك إلى الطرق الصوفية عموماً دون استثناء ، فمن أذكارها الهامة التي وضع قواعدها :

(لا إله إلا الله الفرد الصمد ، عدد ما أحاطه علم الواحد الأحد)

إضــافة إلى ما سبق في فتواه عن توُّحد الطرق الصوفية ، أن هذه الطرق تقوم أيضاً على قواعد ثابتة هي:

١٠ المحبة٠

٢٠ التسامح٠

٣٠ الاخوَّة٠

٠٤ عدم الظن السيئ ٠

ومما هو جدير بالملاحظة ، أن الشيخ محمَّد علي لم يطلق اسم (العجيمية) على طريقته هذه ، ولكن الناس ومن حوله هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم المتميزّ وبالخصوصية التي قامت عليها طريقته ، ومن أسباب عدم تسميته للطريقة فيما هو راجح ، يعود ذلك السبب إلى مفهومه لمعنى الطريقة الذي يعتبره طريق محمَّدي تفضي إلى الله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)

ومما يُنسب إلى الشيخ محمَّد علي من رؤى أن تعدد الطرق الصوفية يؤثر على الدعوة الإسلامية سلباً ويضعف قواها ، لذا حصر رؤيته في أن تتوحد كافة الطرق الصوفية في كلمة (لا إله إلا الله) وهي العبارة المفيدة التي جعلها أساس الذكر الذي يلقنه لتلاميذه ولمريديه الذين واصلوا التزامهم للآن قولاً وفعلاً فيرددون هذا التهليل في دبر كل صلاة٠

ومن آثار الشيخ محمَّد علي مؤلفاته في علم السلوك ، منها :

٠١ كامل الأنوار وجواهر اللآل في ذكر أهل بيت رسول الله٠

٠٢ حزب أسماء الله الحسنى٠

٠٣ ديوان شعر٠

٠٤ منظومة في آداب السلوك٠

٠٥ التائية٠

٠٦ مؤلفات في الطريقة تشمل الأوراد والأحزاب تتناول جميعها السلوك المطلوب وإعداد الفرد المسلم الواثق بالله وهو في كل ذلك يركز على الالتزام الصارم بتعاليم الإسلام ومطابقة القول بالعمل ٠ وكل هذا في مجمله يعتبر منهاجاً يستند عليه أتباع الطريقة بلا انحراف عنه٠

هذا، وقد خلَّف الشيخ محمَّد علي أبناء منهم الشيخ نور الدائم الذي خلف والده في شياخة الطريقة، وبعده انتقلت الخلافة إلى ابنه الثاني الشيخ عبد الباقي المؤســس لمؤسسة العجيمي لنشر التعاليم الإسلامية في حي السجانة بالخرطوم وهــي مؤسسة اتخذت موقعها في أفئدة المسلمين عامة ولمريدي الطريقة بصفة خاصـة لمـا تقدمه من نفع يشمل العامة والخاصة بما يناسب مقامات الطريقة ونشـاطها فـي كـل المناسبات الدينية بلا استثناء إضافة إلى أن هذه المؤسسة مقصد هام لكافة المسلمين في المنطقة ٠

والطـريقة العجيمـية انتشرت في مناطق الشايقية وفي ربوع البديرية الدهمشية وجهات دنقلا، وكذلك في الخرطوم وأتبرا وبورتسودان والجزيرة، ولها أيضاً أتباع خارج السودان مثل القاهرة الإسكندرية والولايات المتحدة الأمريكية ٠

الطريق العزميه محمَّد ماضي أبو العزائم

الإمام أبو العزائم (رضي الله عنه) سليل أهل البيت الطاهرين ، وقد عاش أجداده فــي مدينة فاس ثم انتقلوا إلى قرية عين ماض بالمغرب العربي ثم اتجهوا إلى مصر بقرية محلة أبو علي مركز دسوق بمحافظة كفر الشيخ بمصر ٠

اسمه السيد محمَّد ماضي بن السيد عبد الله المحجوب بن السيد أحمد ٠٠ وينتهــي إلى الإمام الحسين عليه السلام وأمّا نسبه من جهة أمّه فهي السيدة آمنة المهديــة ابـنة السيد أحمد العربي الفرجاني وينتهي نسبها إلى السيد عبد القادر الجيلانــي إلــى الإمام الحسن فهو حسينيّ ، حسنيّ٠ وأمّا أبو العزائم فهي كنيته التي كناه بها مشايخه٠

إذ ولــد فــي لــيلة الســابع والعشرين من شهر رجب عام ١٢٨٦هـ ٢٤/١١/١٨٦٩م وكــان ذلـك أثـناء زيارة والديه لمسيد سيدي زغلول برشيد والقريب من محلة أبو علي التي تقطنها أسرته ٠٠ هذا وقد انتقل إلى جوار ربه

فـــي نفـــس الليلة والشهر عام ١٣٥٦هـــ / ١٩٣٧م فكان ميمون الطالع بورك زمان ولادته بمناسبة الإسراء والمعراج وبورك مكان ولادته إذ وضعته أمّه في بيت من بيوت الله ·

أســـتأثر الإمـــام في طفولته بعناية والده بما يلوح عليه من أخلاق أهل الصـــلاح ، فحفـــظ القـــرآن بقريته ثم صحب العلماء ينهل من معين العلم حتى الـــتحق بالأزهـــر الشريف في الرابعة عشر من عمره وأشتغل بتلقيّ العلوم مع المحافظة على ما تألفه نفسه من دوام زيارة الصالحين وصحبة أهل التقوى حتى تخّرج في كلية دار العلوم وعّين مدّرساً في العام ١٣١١هـــ/١٨٩٣م ·

تلقـــىّ (رضي الله عنه) الطريقة القادرية ،الرفاعّية ، وطريق أبي مدين الغوث ، والطـــريقة الأحمّديـــة الـــبدّوية ، والطـــريقة النقشبندية ، والأحمدّية الادريسّية، والطـــريقة التجانّية ، والطريقة الخلوتية وطريق الإمام الغزالي ، وأذن لـــه بها جمـــيعاً ، حـــتى صحب العالم العامل ناصر الكتاب والسنة الشيخ حسنين حسن الحصافي فأذن له بالطريقة الشاذّلية العلمّية ، والتي نسب إليها طريقته·

بعـــد تخّرج الأمام أبو العزائم في دار العلوم انتظم في سلك التدريس ، فعيّـــن أولاّ في المنيا عام ١٨٩٣م ثم بالإبراهيمية ثم إلى سواكن بالسودان عام ١٨٩٥م ومـــنها إلـــى حلفا ثم أم درمان ثم الخرطوم عام ١٩٠٥ حيث ظلّ بها أســـتاذاً للشـــريعة الإســـلامية حتى أقصاه الحاكم العام الإنجليزي للسودان من وظيفـــته وحـــددت إقامـــته بمصر في العام ١٩١٥م إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى لمواقف الإمام المناهضة للاستعمار·

انـــتقل الإمـــام أبو العزائم إلى سواكن مدّرساً بالمدرسة الأميرية ، وقد أكـــرم الله أهـــل سواكن خاصة وشرق السودان عامّة بالإمام فاغترفوا من بحر علمـــه وأنـــواره كل على قدر سعته وصارله بها مريدون وأبناء يحبون الاقتداء

والفهـم فـي علـوم الحكمة العالية والمعارف الصوفية نخص بالذكر منهم من تلاميذه بها الشيخ عبد الرحيم الحيدّري السواكنيّ ·

لـذا كـان أثره بالغاً حتى في تلاميذه بالمدرسة الأميرية لانّ الإمام كان يبث فيهم روح الجهاد وتحصيل العلوم لرفعة الأوطان والإسلام حتى إنه عندما وقع الأمير عثمان دقنة في الأسر بعد دخول الاستعمار الإنجليزي عام ١٨٩٨م واقتـيد مكـبلاً بالحديد لسواكن و منها ألي حلفا ، جعل بعض ضعاف النفوس يضحكونّ عليه في شماتة فأنبري لهم الأمام قائلاً ومنبها: أتضحكون على رجل شاب في الإسلام ليبقى ذكره ويذهب ذكرهم

وعلـى آثر ذلك قام الأمام بإلقاء محاضرة كلها في مآثر الأمير عثمان دقنة وأبطال الإسلام مما جعل التلاميذ يتأثرون وتنمو فيهم روح الوطنية والغيرة على الإسلام ·

أتمـرت تلـك النفحات المباركة بأن دوّن تاريخ السودان عامّة والشرق خاصـة بواسـطة المـؤرخ السـوداني محمَّد صالح ضرار أحد تلاميذ الإمام بالمدرسـة· فلقد كتب هذا المؤرّخ في مقدّمة كتابه تاريخ سواكن والبحر الأحمر كتـب قـائلاً: (وفـي أحد أيام الدراسة ألقى علينا أستاذنا السيد محمَّد ماض أبو العـزائم محاضرة كلها عن بطولة واعمال الأمير عثمان دقنة فتاقت نفسي منذ ذلك التاريخ للبحث عن حياته)·

انتقل الأمام أبو العزائم من سواكن إلى حلفا حيث مكث قليلاً ومنها إلي أم درمـان في العام ١٩٠٢م وكانت له حلقة علم في مسجدها الجامع حيث قرأ الموطأ وحكم أبن عطاء الله السكندري ·

وفـي أمدرمـان توطّـدت أواصر الصلة بين الأمام والكثير من مشايخ الطـرق الصـوفية والعلماء والزعماء والذين تأثروا به وقادوا الحركة الوطنية لمناهضة الاستعمار ·

انــتقل الإمـــام أبو العزائم إلى الخرطوم أستاذاً للشريعة الإسلامية بكلية غـــردون التذكاريّة (جامعة الخرطوم حالياً) في العام ١٩٠٥م عندما افتتح بها القسم الثانوي لتخريج المعلمين المؤهلين والقضاة الشرعيين وسكن بمنطقة برّي المحس ٠

تخرّج على يديه كوكبة فاضلة من أبناء الأمة السودانية ، كان لهم الإثر العمــيق فــي تــاريخ الســودان الحديث حيث قادوا حركة مناهضة الاستعمار والنهوض بالمجتمع· ولما كان يتميز به من صفات وأسلوب فريد في التعليم كان أثره على التلاميذ بالغاً ٠

كمــا كــان يحــذّر من الوقوع في حبائل الاستعمار ومكائده لاستنزاف ثروات المسلمين وهدم قيم الدين في أنفسهم لذا انتبهت له المخابرات البريطانية وأخذت تضع العراقيل في سبيل دعوته خوفاً من انتشار تلك الأفكار ٠

فقــد كتــب الحاكم العام الإنجليزي ونجت باشا عام ١٩١٥ يقول : " إنّ المعلميــن المصريين في الكلية ادخلوا بين الطلبة الروح الوطنية ، والإدارة بين خياريــن إمــا ترك الأمور كما هي وما تحمله من خطر انتشار الروح الوطنية التــي يعمــل البريطانــيون للقضـــاء عليها وإمّا نجلزة التعليم أي زيادة عدد المدّرسين الإنجليز وتخفيض عدد المصريين " ٠

وأخذت الإدارة الإنجليزية بالخيار الثاني ٠ ولإدراك الإمام لكلّ ما يحيط به ولأنه كان يحمل حقائق العلم ونور الإيمان لم تأخذه في الله لومه لائم ولم تلن لـــه قناة ولم يغض الطرف عن اصغر الأمور فعندما لاحظ أنّ الطلاب يكتبون اســم غردون على الكراسات لم يقبل ذلك واستنكره قائلاً : كيف تدرس الشريعة الإســلامية تحت أسم (غردون) وطلب من تلاميذه أن يكتبوا بدلاً عنها(كلية أهل الله)٠

كـان للإمـام أبـي العزائم حلقة درس وذكر بمسجد الخرطوم الكبير ، امـتدتّ لعقـد مـن الـزمان حيث قرأ فيها تفسير القرآن الشريف ، والموطأ، والـبخاري، وقسـم العبادات من مدونة مالك بن أنس. وذكر أن أهل الخرطوم (يحبون أن يعملوا بما علموا).

إقصاؤه من وظيفته بالكلية عام ١٩١٥م:

اندلعـت الحـرب العالمية في العام ١٩١٤م ودخلت تركيا والتي كانت تمثل دولة الخلافة الإسلامية الحرب ضد الإنجليز وأعلنت تركيا الجهاد المقّدس ودعـت المسـلمين لمناصـرتها،وفي الجانب الآخر دعا الحاكم الإنجليزي في السـودان الأهالـي للوقـوف مع بريطانيا بحسبان أن الإنجليز أصدقاء الإسلام وحماتـه وانهم أولى الأمر. بالفعل استمال البريطانيون بعض الزعماء والعلماء وقاموا بتأييدهم

كما حاولوا إقناع السودانيين بالوقوف ضد دعوة السلطان العثماني.

وإزاء أحـداث هـذه الحرب قام الإمام أبو العزائم بكشف الحقيقة وتبيان زيف دعـوة من يقولون بوجوب طاعة الإنجليز لانهم أولى الأمر لان من يقول ذلك كـالذي يقف عند قوله تعالى (ولاتقربوا الصلاة) ولا يكمل الآية الشريفة(وانتم سكارى) لانّ الله يقول (أولى الأمر منكم) فالذي يجب طاعته هم ولاة الأمر منّا أي المسـلمين وليس الإنجليز وعليه فطاعة السلطان العثماني أوجب لانّه يمثل الخلافة الإسلامية.

علـم الإنجلـيز بدعوة الإمام تلك ، فحاول في بدء الأمر استمالته فدعاه الحـاكم العـام إنجلـيزي ونجـت باشا ليكتب مبينا مساوئ الخلافة الإسلامية ومفاسدها ومحاسن الحكم الإنجليزي فما كان من الإمام أبي العزائم الأ أن قال له (أتكتب ضد وطنك) فقال ونجت باشا مستنكراً:(كيف هذا وأنا رجل متعّلم)فقال

له الإمام :(فكيف تطلب منيّ أن اكتبها ضد وطني وأنا معلم)·· وكان من جرّاء ذلك أن أقصاه الحاكم العام الإنجليزي عن وظيفته في أغسطس عام ١٩١٥م ٠

منهج الطريق الصوفي عند الأمام أبي العزائم:

تميّز عصر الإمام أبي العزائم بتفشي الجهل في أواسط العامّة كما تفشّت الكثير من المعتقدات والعادات التي تتنافى وروح الشريعة الإسلامية لاسيما تلك المعتقدات الخاصة بالطريق ألي الله تعالى ٠

فقام الأمام (رضي الله عنه)، نافياً عن تحريف الغلاة ومبيّناً منهج الصوفية الصافي القائم على كتاب الله وسنة رسوله(صلى الله عليه وسلم) ، وهدي السلف الصالح ٠

وعــرف التصــّوف بأنّــه (الأخــذ بالأصول والترك للفضول والتشمّر للوصــول) وانّــه(مفارقة الأشرار ومصادقة الأخيار ومتابعة الآثار والأخبار)، وعــرف الإمــام الصــوفية فقــال: (هم الذين صفت قلوبهم من شوائب الكون وتطهــرت نفوســهم من رجس الشهوات وتعلقت هممهم بالله تعالى)، ويوصي تلاميذه بالتقيّد بالشرع الشريف في كل أنفاسهم قائلاً:

جاهد نفوساً فيك بالشرع الأمين * وأحذر قوى الشيطان في القلب كمين

وادخل حصون الشرع قلباً و قالباً * تحيا سعيداً في شهود المتقــــين

والشــرع عنده يقوم على دعائم هي (العقيدة الحقّة)،(العبادة الخالصة)،(المعاملة الحســنة)· ووسائل بناء الدعائم هي (العلم) اولاً ثم (العمل) ثانياً ولتحصيل العلم لابد من صحبة العلماء أهل الخشية من الله والمحبة لرسول الله ٠

الحب مبدؤنا والوجه قبلتنا * والمصطفى قدوتنا فاعلم مراقينا

الأمام وجهوده لاعادة الخلافة الإسلامية:

كــان الإمام (رضي الله عنه) وفي كلّ مجالسه ودروسه ومؤلّفاته يدعو المسلمين لإعادة المجد الإسلاميّ الذي كان لسلفنا الصالح · وان الوسيلة لإعادة ذلك المجد

هـــي أن يكـــون (الإســـلام وطن) والمسلمون جميعاً أهله فلا حدود بين الدول الإســـلامية ،(الإســـلام نسب) يوصل برسول الله(ﷺ) فلا جنسية إلاّ الإسلام، (الإسلام دين) يحكم حياة المسلم بشرائعه واحكامه وتعاليمه ٠

لـــذا عندما قام الأتراك بإلغاء الخلافة الإسلامية في العام ١٩٢٤م، دعا الإمـــام المســـلمين كافة لتأسيس جماعات الخلافة الإسلامية بجميع أنحاء العالم الإسلامي ، وفي سبيل ذلك راسل وخاطب جميع زعماء المسلمين ٠

أنتخـــب الإمـــام (رضي الله عنه) رئيساً لجمعية الخلافة الإسلامية بوادي النيل ٠ وانمـــرت جهـــوده قيام مؤتمر الخلافة الإسلامية بمكة المكرمة عام ١٩٢٦م ثم القدس عام ١٩٣١م، ومع أنّ المؤتمرين لم ينتهيا لاعادة الخلافة الإسلامية ، ألا انهمـــا شكلا اللبنات الأولى نحو الأمة الإسلامية والعمل على اتحادها في صعيد واحد ٠

لقـــد ترك الإمام المجدّد تراثا علميا نثرياً ونظمياً ضخماً ، يحتوي على مصـــنفات كثـــيرة شـــملت شـــتى نواحي العلوم في العبادات والعقيدة والتوحيد والتصـــوف والتفســـير ومقارنة الأديان والسيرة النبوية والقصص والمسرحيات الدينية وقد بلغ ما طبع من مؤلفاته حتى ألان قرابة الخمسين مؤلّفاً ٠

ولقـــد انتهـــت الكثـــير مـــن الدراسات الأكاديمية من رسائل الماجستير والدكـــتوراه في تراث الإمام إلى أنّه أوّل من أدخل القصص والرواية في الأدب الصوفي ٠

هـــذا وقـــد تعدت قصائده النظمية **المواجيد** بأكثر من ثمانية عشر آلف قصيدة من أعذب قصائد المواجيد الصوفية في المدح النبوي ، والحب الإلهيّ ، والدعـــاء ومقامـــات علـــوم اليقيـــن ، وتزكية النفوس ، والتفكّر في الكائنات ، والجدير بالذكر انّه (رضي الله عنه) ما كان يكتبها و انما يمليها على تلاميذه٠

أنــتقل (رضي الله عنه) إلـــى رحمـــة الله فـــي فجـــر يوم الاثنين ٢٧ من رجب ١٣٥٦هـــ/ ١٩٣٧م بعــد أن قضـــى سبعين عاماً في محراب العلم والذكر ، والجدير بالذكر أنّه كما كان مولده في ليلة الإسراء والمعراج كذلك كان انتقاله ، رمزاً إلى أنّ حياته كانت إسراءاً ومعراجاً إلى الله تعالى ٠

دفن (رضي الله عنه) بمسجده بشارع مجلس الشعب بالقاهرة ٠ وأوصى بالخلافة لنجله الأكبر سماحة السيد أحمد ماضي أبي العزائم فبايعه الإخوان شيخاً للطريق وإماما لجماعة آل العزائم بعموم العالم الإسلاميّ فشّكل عمراً جديدا للدعوة وقام بنشـــر تـــراث الإمـــام ، حتى انتقل ألي الرفيق الأعلى في العام ١٩٧٠م ودفن بروضـــة الأمام بمسجده، هذا ومّما يجدر ذكره أنه (رضي الله عنه) شبّ وترعرع تحت حضـــانة ورعايـــة والده الإمام بمنطقة بري المحس بالخرطوم وتخّرج في كلية غردون (جامعة الخرطوم)٠

ثـــم تقلد الخلافة السيد عز الدين ماضي أبو العزائم – المحامي – والذي بـــذل جهودا جبارة في نشر الطريقة والتعريف بها والذود عن المنهج الصوفيّ حـــتى انـــتقاله في العام ١٩٩٤م ودفن بمسجده بنادي البارود بمحافظة البحيرة بمصـــر ، وقد زار سماحته السودان مّرات عديدة وبعد انتقاله تقلّد الخلافة السيد محمّـــد عـــلاء الديـــن ماضي أبو العزائم – المهندس الجيلوجي – والذي زار الســـودان كذلك وهو ألان شيخ عموم الطريقة العزمية وإمام جامعة آل العزائم بالعالم الإسلامي ٠

خلفاء الإمام بالسودان :

الأستاذ الشيخ محمَّد كامل الارزهلي :

هو الأستاذ الشيخ المحبّ الفاني والعاشق الروحانّي صاحب القلب العامر بــالأنوار ولســان الحكمة الناطق بالأسرار – محمَّد كامل بن يعقوب بن يوسف الارزهلي الذي قال فيه الإمام (كامل ولدي في البداية وحبيبي في النهاية)·

والأستاذ الشيخ محمَّد كامل الارزهلي نشأ وتلقّى تعليمه بمصر ، والتحق موظفــاً بحكومــة الســودان حتى صار رئيساً لقلم المراجعة بمصلحة البوستة والتلغراف (البريد والبرق) ·

ووالدته تنسب إلى قبيلة المحس بشمال السودان ، وكان اجتماعه بالإمام أبــي العــزائم بمــنطقة برّي المحس بالخرطوم ، لأنّه كان يسكن فيها وقد لزم مجــالس الإمام فما كان ينصرف من عمله إلاّ وتجده مع الإمام ، حتى قرب من الأمــام قــربا جعله من الأفراد في الطريق الذين يحضرون ويؤذن لهم بمجالس الخلوة

(وهي حضرة روحية في علوم الحكمة العالمية ومشاهد علوم اليقين)·

وعاينــته عين العناية فشرب من صافي رحيق الولاية حتى صار روحا صرفا فتراه يقول :

وأبو العزائم لي إمام في الورى * يا عاذلي وأنا الفتى الروحاني

شمس الحقيقة أشرقت بسريرتي * وأنا حبيب المصطفى العدناني

ولما أذن ركب الإمام أبي العزائم بالنزول النهائي لمصر ، بعد إقالته من وظيفــته بالســودان عام ١٩١٥م قام بتقديم الأستاذ الشيخ محمَّد كامل الارزهلي ليــنوب عنه، فكان نعم الخلف· حيث أثمر وجوده انتشاراً للطريق وجمعا للخلق علــى الحق في دائرة الإمام (رضي الله عنه)· فقد قام بجمع أفراد الرجال وارشدهم وبث

فـــيهم مـــا تلّقاه عن الإمام والزمهم بالاجتماع في حضرات أسبوعية وفقّههم في الدين وسقاهم من صافي رحيق علوم اليقين ٠

وقـــد بلغ بعضهم القدم الراسخة في الولاية و التمكين كصاحب الفضيلة الأســـتاذ الشـــيخ محمّد أحمد محمّد علي كما شهد لـــه بذلك سماحة السيد أحمد ماضي أبو العزائم حين ذكر تلاميذ الإمام الذين تلقى عنهم فقال :(ومنهم الأستاذ الشيخ الوقور الشيخ محمّد أحمد كان راضياً مرضياً وليّاً تقيّاً دفين الخرطوم)٠

وعـــندما دنـــا انـــتقاله مـــن الدار الدنيا قام الشيخ الأستاذ محمّد كامل الارزهلـــي بـــوداع الإخوان بالسودان ، وذهب إلي مصر حيث انتقل إلي جوار ربّه بعد أشهر من ذهابه في العام ١٩٣٥م٠

وقـــدم علـــى للإخوان فضيلة الأستاذ الشيخ محمّد أحمد والذي ارتضاه وأقامـــه الإمـــام (رضي الله عنه) خليفة للطريق بالسودان بعد انتقال الأستاذ الشيخ محمّد كامل الارزهلي ٠

للأســـتاذ الشـــيخ الارزهلي ديوان شعر صوفيّ مطبوع بعنوان **النفحات الإلهـــية و الفيوضات الربانّية** وهو من عيون مواجيد العارفين ،فيه من مشاهد الأنـــوار ولطـــائف الأســـرار عبارات سامية واشارات عالية في الحب الإلهي ومعرفة الإمام:

لما وفي المكتوب أشهدني العلي * لأبي العزائم ساقي الندمـــان

إذ قال كامل قم تناول خـــمرتي * فسمعت صوت المصطفى ناداني

لـــبيته والى الحبيب محـــمّد * وليت وجهي حيث مـــا ولاني

فسكرت من طيب الحبيب وخمره * سكراً به قد غبت بل ومحاني

فقلت نفسي والجميل مشاهدي * وهو الذي بجماله أحياني

الشيخ محمَّد أحمد محمَّد علي:

هو مرشد السالكين وقدوة الأولياء الصالحين العارف بالله الأستاذ الشيخ محمَّد أحمد بن محمَّد بن الحاج علي الشويحي الجعلي قبيلة ، ولد لأبوين كريمين في حلة المطمر وهي من قرى محطة المحمية تقع شمال شندي وكان مولده بالعام ١٨٨٥م ٠

اشتهرت أسرته بالتقوى والصلاح وحّب العلم والعلماء وجده لامّه الشيخ محمَّد المكي زين الدين من مشاهير تلاميذ الفكي ود عبد الله رجل القرآن بمنطقة الجعليين ٠

في هذا الجو الملئ بأريج التقوى والصلاح وحلقات القرآن والعلم ولد ونشأ الشيخ محمَّد أحمد ، فحفظ القرآن بخلوة الفكي العارف بالله الشيخ محمَّد الرباطابي على يد حفيده الفكي بشير بقرية المطمر ٠

ثم توجّه إلى مدينة الدامر لمساعدة والده في أعمال التجارة مع دوام محافظته على ما تألفه نفسه من حلقات العلم والذكر بمقام ومسيد الشيخ المجذوب (رضي الله عنه) بالدامر ولما رأى فيه أهل العلم والصلاح علامات النجابة والفلاح، طلبوا من والده أن يبعث به لامدرمان لتلقي العلوم فانتقل إليها في العام ١٩٠٠م٠

وحضر مجالس ودروس الشيخ محمَّد ود البدوي شيخ علماء السودان آنئذٍ وهناك اتصلت صلة المحبة في الله بينه وبين العارف بالله الأستاذ الشيخ قريب الله أبي صالح الطيبي السّمانيّ حيث تلقى على يديه مبادئ علوم التوحيد والفقه وفنون اللغة ٠

وفي العام ١٩٠٢م انتقل لمدينة الخرطوم ملحقا بمعهد الخرطوم العلمي في مسجدها الجامع ، حيث تلقي العلم أيدي المشايخ العارفين ونخصّ بالذكر

مـــنهم الأســـتاذ الباقر السيد المكي والعالم الشيخ محمَّد ود أحمد السرورابي كما صحب بعض العلماء الأزهريين بالسودان كالشيخ محمَّد العناني الأزهري ٠

تلقيه طريق السادة الصوفية :

أجـــتمع فـــي العـــام ١٩١٨م وتلقي عهد الطريقة العزمية على العارف النورانـــي الأستاذ الشيخ محمَّد كامل الارزهلي تلميذ وخليفة الإمام أبي العزائم بالسودان وصحبه حتى نزوله لمصر عام ١٩٣٥م ٠

ورد اســـم محمَّد الشيخ محمَّد احمد كمناصر وصديق لقيادة ثورة اللواء الأبـــيض ١٩٢٤م أثناء المحاكمة، نسبة لانّهم كانوا جميعا من تلاميذ الإمام أبي العـــزائم بالكلـــية فابعد الأستاذ لمنطقة الديوم القديمة والتي كانت تقع في مكان حديقة القرشي حالياً٠

وجـــد الشـــيخ نفسه في بيئة خيّم عليها الجهل والفقر فبدأ جهوداً جبارة بعـــون الله، مـــتودداً إليهم ومحببا لهم العلم ، وضرب لهم القدوة الحسنة لروح الإسلام، فكان لهم الأب الرحيم والشيخ المربي والملاذ الآمن لذا بدؤا يستجبون له بإرسال أولادهم لتلقي القرآن وكانت البداية في العام ١٩٢٥م بتلميذين ٠

ولـــم تمـــض غير شهور حتى ربا عدد التلاميذ على الثلاثمائة مما حدا بالشيخ الأستاذ أن يقفل متجره متفرّغاً للتجارة مع الله، وموقداً لنار القرآن فانار الله بـــه القلـــوب٠ وبحمد الله وحتى يومنا هذا مازالت أنوار القرآن تشّع وتسطع مـــنها وبحمد الله طبّقت سمعتها الآفاق ومشى بذكرها الركبان، حيث تخّرج على يـــد الأســـتاذ عدة أجيال من العلماء والقضاة والمهنيين والصنّاع وتبوّأوا مكان الصدارة في المجتمع٠

ونسبة لمنهجه التجديدي الحديث في الأسلوب والموادّ الدراسيّة بالخلوة ، فـــان الشـــؤون الدينية (مؤسسة أحياء نار القرآن سابقا) قامت برسمها(بالخلوة النموذجية) ٠

ولم يكن الأستاذ يكتفي بتلقين وتحفيظ القرآن في خلوته ، بل كان يربي التلامـــيذ تربية سلوكية وتعليما وإرشادا في كل شؤون حياتهم كما استحدث في منهج الخلوة العلوم الحديثة كالرياضيات بالاضافة إلىمبادئ الفقه واللغة العربية وكـــان يوصيهم بالالتحاق بالمعاهد والجامعات الحديثة لأنه يرى أن المجد الذي فقـــده المسلمون لن يعود إلاّ بقلوب ملؤها نور القرآن وبعقول تمكنت من العلوم والفنون الحديثة ٠

جوانب من شخصيته:

كان الأستاذ الشيخ محمّد أحمد (رضي الله عنه) بهيّ الطلعة ، سمح الأخلاق ، في تواضـــع عالـــي الهمة في خشوع زانه العلم بعلوم جلال القرآن ، وتنجذب له القلوب بالمحبة والعرفان دائم الفكر رطب اللسان ، بذكر الله وتلاوة القرآن ٠

كـــان يحـــنو علـــى تلاميذه ومريديه ويرعاهم في كل أدوارهم بالحكمة ويرشدهم بالحال قبل المقال لذا احبه كل من خالطه وكان سكان الديوم يرجعون أليه ليبين لهم الأحكام في شؤون حياتهم ٠ ولقد كان الأستاذ الشيخ متعدّد المزايا فبجانب تبحره في علوم الدين كان علما بارزا من أعلام الصحافة والفكر والبيان والعربـــية تشهد له بذلك مؤلفاته ومقالاته بمجلة (المدينة المنورة) كما تشهد له رسائله ومخطوطاته بأسلوبه السلس ومعانيه الجذلة العالية كما كان خطيباً مفوّهاً

من مواقفه الجهادية :

كـــان الأستاذ الشيخ محمّد أحمد يري أنّ من أهّم واجبات العلماء بجانب نشـــر علـــوم الدين أن يجاهدوا في الله حق جهاده من اجل النفع العام للمسلمين

وكـــل مـــا مـــن شـــأنه أن يجمـــع كلمتهم ، لذا كان (رضي الله عنه) حرباً على الفساد والاستعمار والرذائل ولم يخش لومة لائم وكما هو منهج إمامه ، لذا كانت أنفاسه كلهـــا مواجهات جهادية عظمى خدمة للعقيدة ، حاملاً مشعل القرآن أينما ما كان وكيف كان ·

فقـــد كـــان يربي أبناءه تربية جهادية ، ويحثّهم على العمل العام وعدم الانزواء قائلاً:(يابني لا تكن فكي إضينة) ·

عمل على تكوين الجمعيات الخيرية لاعمال البرّ ، مما أثمر عنه تسوير مقابـــر فاروق واقامة المراكز الصحية لسكان الديوم وإنشاء الجمعيات الزراعية والخيرية لرعاية الفقراء ·

عـــندما تضـــاعف عدد تلاميذه قام ببناء خلوته في وسط الطريق العام ورغم تحذير أحبابه له إلاّ انّه مضى معتمدا على الله متوكلا عليه ، وعند مرور الحـــاكم الإنجلـــيزي أمره أستوقفه البناء الذي قام وسط الطريق و رأى التلاميذ يحملون الواحهم وأصواتهم تدوي بالقرآن فما كان منه إلاّ اقرّ مباني الخلوة ·

بعـــد ترحـــيل أهالـــي الديوم القديمة إلي مكانها الجديد قامت السلطات البريطانـــية بهدم المباني القديمة وبيعها بما فيها المسجد الذي كان الشيخ الأستاذ يؤمه ، وعندما جاء عمال الكسر لهدم المسجد اعترضهم الأستاذ واعتصم بداخله فـــتوقف الهـــدم · فذهب الأستاذ الشيخ محمَّد أحمد لمكتب قاضي القضاة الشيخ حسن مدثّر الحّجاز وخاطبه: (يا مولانا انتهكت حرمات بيوت الله وأماكن عبادة المســـلمين ، وكـــيف تؤول ارض سجدت فيها جباه المسلمين لربهم إلى غيرهم يدنســـونها) فما كان من قاضي القضاة إلاّ إنّ وقف إجلالا لموقف الأستاذ وامر بدفـــع قيمة الأرض لمن اشتراها واعادة بناء المسجد على نفقة الأوقاف ليناسب

المبانـــي الجديدة ، وبالفعل تم ذلك ويقف البناء إلى يومنا هذا شامخا ينادي منه (حيّ على الصلاة··· حيّ على الفلاح)·

أبـــاح الاستعمار الخمور بل كان يصدر بذلك الترخيص ، فانتشرت تلك المحلات حاملة معها الأمراض فبادر الأستاذ من شدة غيرته ، لما رأى استفحال هــذا الـــداء ، وقام برفع دعوى لقفلها حتى وصل الأمر للحاكم البريطاني وكان نصر الله تعالى للأستاذ والذين آزروه فأقفلت تلك المحلات ·

إنّ مواقـــف الشيخ الجهادية لأجل من أن تحصى ولكن هذا غيض من فيض ·

انتقاله إلى الرفيق الأعلى :

انتقل الأستاذ الشيخ (رضي الله عنه) إلي الرفيق الأعلى راضيا مرضيا في الفاتح مـــن فبراير ١٩٦٥ عن ثمانين عاما قضاها في محراب القرآن والعلم والإرشاد وتـــرك وراءه ســـجلاً حافلاً بالمواقف الجهادية وذكرى الأستاذ العارف المربّي والمجاهد العصاميّ الذي آثر تجارة القرآن على تجارة الدنيا فربح البيع و أثمر الزرع ·

أوصى أبناءه قائلاً : إنني لم اترك لكم شيئاً من حطام الدنيا ولكن بحمد الله عـــبدّت لكـــم الطـــريق ، فإن سرتم على منهج القرآن فلن يضيع لكم شيئ وســـوف تجدون ثماره في دنياكم وأخرتكم · تلك كانت آخر كلماته وهو يجود بأنفاسه الطاهرة العابقة بأنوار القرآن الذي تحرك به وسكن به فكان بحّق مظهراً حيّاً لكمالات وجمالات القرآن والمنهج المحمّديّ والطريق العزميّ ·

رحل الأستاذ بهيكله الطاهر وترك أبناء يحملون مشعل الدعوة وينيرون الطـــريق الـــى الله ويهـــدون السالكين طريق ربّ العالمين وعلى رأسهم فضيلة

العـــارف بـــالله الأســـتاذ الشيخ سيف الدين الشيخ محمّد أحمد الذي تقلد خلافة الطريق وأمانة دار القرآن من بعد والده ٠

سيف الدين محمَّد أحمد أبو العزائم

هـــو الشيخ علي سيف الدين نجل الشيخ محمّد أحمد الشويحي الجعلي ، وهو شيخ الطريقة العزميّة القائم بالسودان٠

ولد الشيخ وترعرع بمنطقة الديوم القديمة بالخرطوم في العام ١٩٣٥م وفـــي جـــوّ ملـــئ بأريج التقوى وأنوار القرآن والعلم فحفظ القرآن بخلوة والده الشـــيخ محمَّـــد أحمـــد وتلقىّ على يديه العلوم الشرعية والعربية وعلوم تزكية النفوس والحكمة العالية وبرز فيها جميعا ٠

صـــحب (رضي الله عنه) خلفاء وافراد طريق الإمام أبي العزائم وتلقّي عنهم ما تلقـــوه عـــن الإمام ،فقد صحب السيد أحمد ماضي أبو العزائم وأجازه بالطريقة العزمـــية فأقامـــه شـــيخاً لها بالسودان ،كما صحب السيد عز الدين ماضي أبا العـــزائم والذي أيدّه وكذلك الخليفة القائم سماحة السيد محمّد علاء الدين ماضي أبو العزائم ٠

إرشاده للسالكين :

تقلّـــد الشـــيخ سيف الدين – متعه الله بصحته – خلافة الطريقة العزمية بالســـودان في العام ١٩٦٥م وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، فقام بعون الله وتوفـــيقه يدعـــو إلى الله على بصيرة ، فجمع الله على يديه أهل سابقة الحسنى يغترفون من بحر علومه وأنواره ، أثمر ذلك انتشاراً واسعاً لطريق الإمام أبي العـــزائم بشـــتّى بقـــاع السودان وكذلك بعض الدول العربية ، فأقيمت المساجد والـــزوايا والمجمّعات والمعاهد الإسلامية في كل من مدني والقضارف وعطبرة وبور تسودان والخرطوم بحري والخرطوم ٠

والشـــيخ سيف الدين منهج تربوي متميّز في السلوك والدلالة على الله ، ويقوم على العلم والإرشاد البيانّي ويقول " من دلّك على الله بالعمل فقد أتعبك ، ومـــن دلك على الله بالعلم فقد أراحك " كما يولى أبناءه ومريديه رعاية و عناية وملاحظـــة دقـــيقة في كل شؤونهم ، يسال عن غائبهم ويعود مريضهم ويواسي فقيرهم ويشاركهم أفراحهم واتراحهم ولا يرضى منهم إلاّ بالأكمل في كل عبادة وعمل وحال ٠

والتصّـــوف عـــنده تجويد العبادة وذروة سنام الإسلام ، ويأمر المريدين بالتحلّـــي بمكـــارم الأخـــلاق لأنها هي النسب الإلهي وسرّ البعثة النبوية لقوله (ﷺ) :"انمـــا بعثت لإتمّم مكارم الأخلاق "٠ ويرى أنّ الذكر الأكمل إنّ تتحلى وتـــتخلق بمعانـــي اسم المذكور (سبحانه وتعالى) فليس الشأن أن تذكر الغفور العفو آلاف المرات فقط ، وإنّما الشان أن تكون مظهرا لانوار الغفران والعفو عند المضايق التي تلجئك للانتقام لنفسك ويقول "ذاك ذكر عدد وهذا ذكر مدد"

يتميز الشيخ سيف الدين بسعة ودوام اطلاّعه على أحوال المسلمين عامة وتـــنّوع معارفه وعمق صلاته بكل شرائح المجتمع الإسلامي ، ونسبة لما حباه الله بـــه من جمال السمت وحسن القبول فصلاته موصولة بالعامة والخاصة من العلمـــاء والمفكرين والسياسيين ومشايخ الطرق الصوفية في شتىّ الدول العربيّة والإسلامية التي زارها وله فيها محبون ومريدون ٠

وهـــو ينادي دائماً باتحاد المسلمين تحت راية الخلافة الإسلامية وان الدعوة لذلـــك مـــن أهم واجبات العلماء وهي الوسيلة لعودة المجد الإسلامي ، مما حدا بكثـــير مـــن المؤسّسات التعليمية والخيرية والدينية لان تطلبه لعضوية أمنائها ، فهو عضو في كل من :

١٠ مجلس أمناء الزكاة ٠

٢٠ مجلس جامعة أم د رمان الإسلامية ٠

٣٠ مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية ٠

٤٠ المؤتمر الصوفّي العالمي ٠

بـــل وعّم نفعه الجميع وله مشاركات كبيرة في نشر الوعي الإسلاميّ ، والمعارف الصوفية، والتعريف بدوره الفعال في المجتمع ، والرّد على منكريه ، بإقامة المحاضرات العامّة والدروس الأسبوعية والبرامج التلفزيونية والمشاركة فـــي المؤتمـــرات الإسلامية في داخل وخارج السودان ورعاية الرسائل العلمية وتســيير القوافــل الدعويّة من شباب الطريقة لشتّى بقاع السودان حيث عمروا المساجد بالمحاضرات وإقامة المعارض والأسابيع الثقافية والتي تشمل الخدمات الطبية والعلاجية بجانب نشر تراث الإمام أبي العزائم خاصة والصوفّي عامة٠

وهـــو مـــن المناديـــن بالأخذ بأساليب التقنية الحديثة والفنون المستحدثة وتســخيرها فـــي سبيل الدعوة إلى الله تعالى كاستخدام الحاسوب وبناء المواقع الإسلامية العلمية في شبكة الإنترنت ٠

وقد نالت المرأة المسلمة اهتماما خاصّا من سماحته حيث أنشأ لها أمانة في الطريق لرعاية شؤونها وأفرد لها دروسا دينية وفقهية بمسجد المشيخة ، مما حدا بالكثيرات أن ينتظمن في عقد الطريق ٠

لمّـــا كانـــت سيرة العارفين تطرب لها النفوس الذكية ، وتتنزل على ذكرهم الفيوضات الرحمانية ، ودّل على ذلك القرآن الكريم ، فنسأل الله تعالى إن يفيض عليـــنا مـــن أسرارهم وانوارهم ويرزقنا محبتهم وصحبتهم حتى تطمئن قلوبنا وتنشرح صدورنا ونسعد في الدّارين ٠

وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

الطريقة القادريّة

وهـــي أقل أتباعاً بالمحافظة الكبرى ولكن نلاحظ أن معظم شيوخها في شـــرق المحافظة (جبرة) وهم أحفاد الشيخ الكبّاشي فأصبحوا أبناء المنطقة لأنهم امـــتزجوا بســـكانها وصـــاهروهم حيث إنهم تولوا مناصب إدارية وشعبية في المحلـــيات والمحـــاكم وغـــيرها. بالإضافة إلى مشيخة الطريقة، والملاحظ أنهم يخـــتلفون عن بقية الشيوخ فهم جمعوا الدين والدنيا وأتباعهم مثلهم أيضاً اقتداءً بهـــم ولكـــن لهم سلطان كبير في قطاعاتهم التي يوجد بها أتباعهم ومريدوهم لا يمكـــن أن يخـــالفوا لهم أمراً حاكماً أو محكوماً حتى إنهم دخلوا في خلافات مع أهل بيت الكبابيش ونعني به بيت الأمير على التوم نسبة لتعلُّم هذا الجيل الجديد الـــذي يـــرى أن التبعية لا بد أن تكون على بصيرة ولا بد أن تكون هنالك فائدة ملموسة، فَلِمَ يؤيدون التبعية الموروثة في الدين؟.

وهـــنالك القلة القليلة جداً من أنصار الطريقة الإسماعيلية وهم مريدون فقط رغم أن هذه الطريقة أساسها في شمال كردفان.

أيضاً هنالك الشيخ محمّد الضو أغبش وهو من زعماء الطريقة السمّانيّة وله عمل جليل في المحافظة من أولها إلى أخرها باعتباره داعية بالرغم من أنه جـــاء بفلســـفة جديـــدة للطريقة فهو يرى أن المريد لا يستحق أخذ الطريقة إلا إذاعـــرف الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات والجائزات فقد عول تمامـــاً علـــى الدعـــوة ونشر العلم والعلوم الشرعية بين سكان تلك المناطق وله مساجد وخلاوي ودور للمؤمنات منتشرة أسّسها وتركها لأصحابها بمناطقهم وهم يقومـــون بإدارتهـــا والنفقة عليها ولازال هذا الشيخ يعمل هنالك وقد انضم إلى العمل بجمعية القرآن الكريم مؤخراً وديوان الزكاة.

الجيلاني عبد القادر

هو أبو محمَّد محيي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني أو الجيلي ٤٧١هـ/٥٦١هـ –١٠٧٨م/١١٦٥م صاحب الطريقة القادرية ونسب إلى جيلان من طبرستان. تلقى الطريقة من حماد الدباس وأخذ الخرقة من ابن سعد المبارك واشتغل بالقرآن في مبتدئه وتفقّه على مذهب ابن حنبل – وله في التصوف مصنفات **الغنية لطالب طريق الحق** و**الفتح الرباني** و**فتوح الغيب** و **الفيوضات الربانية**.

وكـــان يأكل من عمل يده. برع في الوعظ وتكلم للناس في الزهد فكثر مريدوه وأقام في مدرسته يدرس فيها ويتخذها رباطاً إلى أن توفّى ويقال إنّه أول من نادى بالطرق الصوفية وأسسها ، وأنه فاق أهل زمانه في علوم الدين وكانت له القدم الراسخة في المجاهدة وقطع دواعي الهوى والنفس ووقع له القول التام حـــتى أن عبد الله بن قدامه ٥٤١هـ –٦٢٠هـ/١١٤٦م –١٢٢٣م الفقيه الحنبلي المشهور وصاحب رسالة **ذم ما عليه مدّعو التصوف** امتدحه فقال: لم اسمع عن أحد يحكي عنه من الكرامات أكثر مما يحكي عنه ولا رأيت أحداً يعظمه الناس للديـــن أكـــثر منه، وأشاد بسلوكه ابن كثير لقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزهده ومكاشفاته وورعه وصلاحه، وتأثر به الإمام ابن تيمية وقال عن طريقته إنها الطريقة الشرعية الصحيحة ، والتصوف عند الجيلاني ليس أقوالاً ولكـــنه طريقة فيها الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات والخصال التي ينبغي أن يـــأخذ الصـــوفي بها نفسه. هي نفسها خصال الأنبياء عليهم السلام كالصبر الذي تحلّى به أيّوب وكلّ نبيّ له خصلة ، والمتصوف يكون في الابتلاء ويتكلف هذه الخصال ، وأما الصوفي فهو الذي انطبع بها فزهد الدنيا بحيث تأتيه الاشياء فلا يريدها ولا يبغضها وإنما هو المتمثل لله فيها والمنتظر لفعل الله معه بشأنها.

وتعــريف التصـــوف الذي يؤثره الجيلاني هو أنه في الصفاء من أدران النفس والهـــوى ، وأنـــه الصـــدق مع الحق وحسن الخُلق٠ ويهدف من ذلك أن يخلص التصـــوف مـــن البدعـــية ويلزم مريديه بالآداب الشرعية سواء في سلوكهم مع شيوخهم بعضهم مع بعض، أو في ذكرهم ومجالسهم وخدمتهم لاخوانهم وعندهم أن كـــل حقـــيقة لا تشـــهد لها الشريعة فهي زندقة؛ وأن المتصوف لا ينبغي أن يخترع لنفسه عبادات وصلوات لم يكتبها الله عليه ، فذلك شأن من ضلوا السبيل وابـــتدعوا الرهبانية وما كتبها الله تعالى عليهم٠ والصواب في التصوف كطريق للعـــبادة أن يلتزم المتصوف الكتاب والسنة التزاماً حرفياً ، وخاصة من الجانب المعرفيّ للتصوف أو جانبه الكلاميّ ، فيذهب الجيلاني إلى تعريف الفناء يخالف به الصوفية ويربطه كأحد المقولات الرئيسة في التصوف بالسنة المحمَّدية: وهو عـــنده أن يســـتغني العبد عن أهوائه ويغلّب إرادة ربّه بالالتزام بأوامره ونواهيه وهو لذلك لا يشتطّ في التنظير لطريقته ويحصرها في عدد المقامات يربط بينها وبيـــن المعروف عند أهل السنة منها٠ وطريقة الجيلاني لذلك طريقة سهلة على المسلم ومفهومة وتتفق مع روح الإسلام ولا تباعد بين المتبع والسلف ، فإذا كان الفناء هو أعلى مقام السالكين فإنما هو كذلك لان الذي يبلغه هو المتحقق بالقرآن والســـنة ، عبد الأمر الإلهي وليس عبد هواه، وفي مقام الفناء يكون العبد مع الله كـــالطفل مع الظئر والميت مع الغاسل، والمريض المغلوب على أمره بين يدي الطبيـــب ، والصوفي المتحقق هو الذي في مقام الفناء يفني عن الخلق والهوى والإرادة والرغائب فيصل إلى الله تعالى ثم تكون الإرادة فتقتضي معرفة المراد وهـــو الله تعالى ثم تكون الإرادة هي إرادة الله باتباع أوامره ونواهيه وذلك هو معـــنى التوحـــيد ، وتلـــك حقيقـــته والفـــناء في هذا التوحيد هو فناء المرسلين والمؤمنيـــن وهـــو أن تفنى بعبادة الحق عن عبادة سواه فتطيعه وتسأله وتخافه وترجوه فتحبه عن كل ما سواه ٠

وطـــريقة الجيلانـــي فـــي التصـــوف أساســـها أنّ بلوغ مقام الفناء هو أن يعمـــل الســـالك علـــى ألاّ تكـــون لـــه إرادة مع الله تعالى من حيث هواه ، فهـــو يـــريد مـــا يـــريده الله بالتزام كتابه وسنة نبيه، والبقاء المقابل هو البقاء بالشـــريعة وتقديمهـــا علـــى أي ذوق صـــوفي يمكن أن تكون فيه مخالفة لها. وإذا كانـــت الشـــريعة مطلوبـــة فـــي أعلـــى المقامات فهي ألزم في المقامات الأدنـــى، ومـــن الـــلازم دائمـــاً أن يكون للمؤمن في سائر أحواله ثلاثة أشياء: أمـــر يمتـــثله ، ونهـــي يجتنـــبه ، وقـــدر يرضـــى به وأقل حالات المؤمن ألاّ يخلـــو مـــن أحـــد هـــذه الأشـــياء ، وينبغي له أن يلزم همّها قلبه ويحدّث بها نفســـه ويـــأخذ جوارحـــه بهـــا فـــي كل الأحوال، والأصل عنده في الأكل أنه بالســـنة وبالكســـب مـــن حـــلال الدنـــيا ونســـيان فضل الله تعالى لكن التعويل علـــى الخلـــق فـــيه ، دون الله ، إشـــراك بـــه ، وكذلك الاطمئنان على الكسب ونســـيان فضـــل الله تعـــالى هـــو شـــرك خفي والأولى بالمؤمن أن يؤمن بأن الله وحـــده هـــو الـــرازق والمعيـــن علـــى الكسب والمسير له ، فإذا كتب لك شـــيئاً مـــن الكســـب فإنـــه سبحانه يوجد عندك الشهوة لتحصيله فيكون سعيك إلـــيه إظهـــار براعـــتك واســـتحقاقك له فيسوقه إليك ويواصلك به عند الحاجة، ثـــم يوفقـــك إلـــى أنـــه مـــنه وأنـــه الذي يسوقه ويرزقك به ، ومن يدرك ذلك ويعيه فإن الطمأنينة تلحقه ولا يقلق.

ومـــا الـــبلايا والمصـــائب التـــي يمكـــن أن يأتيه بها القدر فمن اللازم أن يعـــي أن الحـــياة فـــيها المـــرض والأوجاع والمصائب ، وكذلك فيها أنواع الـــنقم ، ومـــن يجهـــل ذلـــك فقـــد جهل الدنيا والرشيد هو من يفوض أمره لله ويســـلم نفســـه لقـــدره ، والشـــأن مـــع الدنيا كالأجير الذي لا بد له من أن يكدّ ويتعـــب ويـــتألم ويطـــيع رغـــبة مخدومـــه فيحصل في النهاية على ما تستقيم بـــه حـــياته مـــن مـــال ، أفـــلا يكون ذلك ادعى مع المولى سبحانه بأن نصبر

على البلاء والمرض وأن نروّض أنفسنا على طاعة أوامره ونواهيه ، طمعاً في حسن ثوابه وطيب العيش في الآخرة ؟ والفضائل الجامعة التي ينصح بها الجيلاني المريدين سبع هي مجاهدة النفس عن هواها، والتوكل على الله ، وحسن الخلق مع الناس والصبر على قضائه، والرضا بقدره ، والصدق في كل أمره وهي التي يحتاج إليها كل أحد في كافة أموره في الحياة.

ولإبراهيم بن على القادريّ ٨١٦/١٤١٣م –٨٨٢هـ/١٤٧٧م الشافعيّ الحلبيّ كتاب **الروض الزاهر** في مناقب الشيخ عبد القادر وكان شديد الولع بجمع أخبار الصوفيّة فكتب منها مجلّدين.

القادرية في منطقة أبو حمد

تشكلّ هذه الطريقة في محلية أبو حمد بولاية نهر النيل حضوراً لما عرفت به من أنشطة جمعت المسلمين على هدىً سلفها تبدأ بالشيخ عباس الحسين البشارة خلفاً للشيخ الحسين حاج بشارة الذي أخذ الطريقة من الشيخ الحسن حاج سعد (بأبي حمد) ولاختيار شيخ الطريقة في المنطقة يحضر مندوب من (كدباس) يجمع المريدين ليختاروا المقدم من بينهم ثم يرسل أسمه إلى (كدباس) لتتم مباركته أمّا الخليفة فيقوم بعمله أولاد الشيخ وإخوانه .

أمّا أورادهم وأذكارهم فتأتيهم من الشيخ المربي بكدباس ويحتفلون بالإسراء والمعراج وليالي رمضان والأعياد والمولد النبوي الشريف كما يحتفلون بحولية الطريقة سنوياً يقدمون فيها الطعام للمريدين . للطريقة مريدون من المنطقة ومن خارجها ويزورهم من داخل السودان أفراد من شيوخ الطرق الصوفية والمريدين . ساهم أبناء الطريقة في بناء مدرسة سعد بن أبي وقّاص

بقرية (أمنْ وسط) وشفخانة ونادي بنفس المنطقة وساهموا أيضاً في بناء مسجد (أمنْ) العتيق بأم عقارب ·

القادرية العركية في كسلا

لهـــذه الطريقة نشاط ملحوظ بمدينة كسلا حيث تبدأ السلسلة فيها بالشيخ حمـــد النـــيل الأم درماني ثم الشيخ حمد النيل الشيخ السيد فالشيخ عبد الرحمن أبّكـــر· وهي ترتكز على أسس وقواعد عامة نشأت عليها واستمدت منها مبادئها التـــي تتمـــثل في الكتاب والسنة والإجماع· وتتبع هذه الطريقة كيفية معينة في تنصـــيب شيخ الطريقة وهي توافر شروط الأهلية بالنسبة لهم وهي حفظ القرآن بروايتين على الأقل ومدى الإلمام والاطلاع على الفقه والعلوم الإسلامية خاصة الشـــرعية التي تؤهله للإفتاء· أما الطريقة المتبعة في تنصيب خليفة الشيخ هي توصـــية الشيخ له بذلك إضافة إلى شروط الأهلية، وللطريقة شروط معينة تكفل لكل إنسان الانتماء إليها وهي عمل العهد مع الشيخ عند بداية الانتماء أو مع من يـــنوب عـــنه إضافة للتوبة النصوح ولزوم الطاعة· وقد ورد أن للطريقة أذكاراً معيـــنة وهي أساس الطريقة ويكون، الاستغفار والتهليل خمساً وثلاثين ألف مرة ليلاً كل يوم والتهليل سبعين ألف مرة ليلتي الاثنين والجمعة، ويذكر أن الطريقة تحـــتفل بكثير من الأعياد والمناسبات الدينية الإسلامية وهي الإسراء ورمضان والعيدين والمولد النبوي والحوليات وتكون الطريقة الاحتفالية بأنواع متعددة من الأوراد والمدائـــح والنّبوية والتلاوة وحلقات الذكر والندوات والمحاضرات· كما تســـتثمر هـــذه المناســـبات فـــي عقد الزيجات الجماعية وتسليك المريدين (أخذ الطـــريق)· يذكر أن المريدين يستخدمون أزياء معينة لهذه الاحتفالات مثل الجبة المـــرقعة بألوان مختلفة والجبة المطرّزة الخضراء والشالات الخضراء والطاقية أم قريـــن، ونجـــد أن المريديـــن يستخدمون مسابح متعددة للذكر منها اللالوب،

ويقومـــون باســـتخدام آلات معيـــنة هي النوبة والطبل والطار وكأس النحاس، وللطـــريقة رايـــات معيّـــنة هـــي الساري ويستخدم في المولد والحولية والراية الصـــغيرة وهـــي للّيالي والحلقات. ويذكر أن هذه الطريقة توجد فقط في كسلا وحلفا الجديدة وقراها وهي أقل انتشاراً من غيرها.

ويقـــدر عدد المريدين الآن ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م بحوالي ألف مريد تقدر نســـبة النســـاء فيها بـــ ٥ % والشباب بـــ ٨% وجميعهم من الخريجين. وتقدم الطريقة العديد من الخدمات فبالإضافة إلى الحثّ على الذكر وأداء الأوراد تقوم بدور الخدمات التعليمية وكفالة المعيشة والمساندة الاجتماعية والخدمات الصحية القائمة على الرقية الشرعية والخدمات الاجتماعية كإصلاح ذات البين والزيجات الجماعـــية والنفـــير من أجل بناء المرافق العامة. وقد ساهمت الطريقة في بناء بعض المؤسسات بالمنطقة مثل مسجد وزاوية الطريقة بكسلا.

الطريقة القادرية بولاية بحر الغزال

الطـــريقة القادرية الكباشية العركية بمحلية راجا بولاية بحر الغزال من شيوخها بالمنطقة الشيخ عثمان أحمد مكي خلفاً للشيخ إبراهيم سرور خلفاً للشيخ سرور خير الله.

وشـــيوخ الطـــريقة العركية بالولاية هم: الشيخ حسين على سرور خلفاً للشيخ عيسى سرور خلفاً للشيخ سعد رجب.

من قواعد الطريقة أن ينصب لوظيفة الشيخ أقرب تلاميذ الشيخ المربّي مـــن المقدمين بأخذ العهد والميثاق بالطاعة والعمل بكتاب الله والالتزام بالأوراد وتربـــية المريدين. وينصب خليفة الشيخ بنفس الطريقة السابقة لينوب عن الشيخ فـــي كـــل شـــؤون الطريقة. من أنشطتهم أنهم يحتفلون بالمولد النّبوي الشريف

والحولـيات. والمناسـبات الإسـلامية: كالإسـراء والمعراج وليالي رمضان والأعياد.

أمـا الـزي الرسـمي لهم فهو الزي السوداني كاملاً وعلى الكتف شال أخضـر مع العباءة، وأدوات الإيقاع في الذكر هي والطارات والكأس والجرس والـرق، يستخدم المقدمون والمشايخ مسبحة اللالوب " الألفية" في الذكر الخاص بهام.

لهـم مسجد وزاوية تم بناؤها بالعون الذاتي على يد المرحوم جمعة عبد الله سـليم "بـوي" ولهم أيضاً مسجد القادرية بحيّ "فلاّتة" بمدينة واو شرع في تشييده المرحوم الشيخ إبراهيم سرور ولم يكتمل بعد يقدر المريدون بألفي مريد ربعهـم مـن النسـاء و البقية من الشباب، يزور موقع الطريقة بالمحلية شيوخ الطرق الصوفية والمريدون من داخل السودان في المولد والأعياد الإسلامية.

الطريقة القادرية بمنطقة المناصير

دخلت الطريقة في منطقة المناصير إلى جانب طوائف صوفية أخرى عـن طـريق العارف بالله الشيخ احمد علي حسين الملقب بالدرويش حيث أخذ الطـريقة وأجازاتهـا من الشيخ احمد الجعلي الشايب "بكدباس" عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م . ومـن ثم أقام بها وأسس زاوية الطريقة الخاصة الموجودة إلى اليوم تؤدي واجبها على الوجه المطلوب ، وبنشاطها كتب لها أن تبقى .

درس الشـيخ احمـد بكدباس مدة خمس سنوات وحفظ القرآن الكريم وأخـذ الإجـازة لتسليك الطريقة ودخل على يديه الكثير من الخلق في الطريقة وتوفى عام ١٩٥١م عن عمر يناهز السبعين عاماً . خلفه في الطريقة ابنه الشيخ حمـزة عـام ١٩٥١ أي سنة وفاته ولكنه توفى بعد بضعة شهور وخلفه شقيقه الشـيخ علـي احمـد علي حسين واستمر في الخلافة إلى أن تقاعد وخلفه في

المقدّميـــن الشيخ احمد عبد الرحمن الملقب "بالغرقان" ·وتولّى أمر المقدمين بعده ابـــنه الشيخ مصطفى في إدارة الزاوية وكل شئون الطريقة يساعده أخوه محمَّد فـــي الحولـــيات وشئون الراتب حتى الآن ١٤٢٣هـــ/ ٢٠٠٢م وتقام في زاوية الطـــريقة حلقـــات الـــتلاوة بجانب العلاج بالرقية والإعشاب والاحتفال بالحولية ويقصـــد الـــزاوية الزوار من مقدمي الطريقة بكدباس والمريدون من الولايات الأخرى ·

نشاط الطريقة القادريّة بمحلية الشريك

يـــروى أن سلسلة هذه الطريقة تبدأ بالشيخ عبد الرحمن الخرساني بمكة ثم الشيخ أحمد الجعلي الكبير ثم الشيخ حاج حمد الجعلي ثم الشيخ أحمد الجعلي المثنى فالشيخ عبد الحميد محمَّد أحمد حاج عيسى ·

وتقـــوم هذه الطريقة في أساسها وقواعدها العامة على الكتاب والسنة ، ويـــتم تنصـــيب الشـــيخ في هذه الطريقة بعد اختياره من وسط جماعة من نفس المنطقة بعد موافقة الشيخ عليه · أمّا خليفة الشيخ فيكون دائماً من أولاده أو من المريديـــن المقربين الذين في مقام الأبناء ،وهذا في حالة الإنابة عنه في غيابه ، وعـــند الانتماء لهذه الطريقة هنالك شروط لابد من توافرها في الشخص السالك لها وهي الصلاة وعدم الكذب والبعد عن الزنا والسرقة والخصومة·

ولهـــذه الطريقة أذكار وأوراد خاصة بها تتمثل في أساس الطريقة وهي الفاتحـــة اثنتـــي عشـــر مرة والصلاة على النبي والاستغفار كما تحتفل الطريقة بالمناسبات الإسلامية كالإسراء والمعراج وتقدم فيها قصائد خاصة بالمناسبة مثل قصـــيدة (نعم القدم بسرعة) وفيها ذكر قصة المعراج · وليالي رمضان والمولد النـــبوي والحولية ويتم في هذه المناسبات تقديم الطعام وعقد الزيجات الجماعية وإعطـــاء الطـــريق لمـــن يريد الدخول في هذه الطريقة ، ويستخدمون في هذه

المناسـبات الطبول والطارات والنوبة ،وللطريقة رايات مكتوب عليه (ق) ترمز للقادريّـة وهي بيضاء ٠ وتقدم الطريقة للمريدين العديد من الخدمات مثل التعليم والعلاج والأذكار ،كما تقوم بتقديم خدمات اجتماعية تتمثل في إصلاح ذات البين والحكـم بيـن المتخاصمين ، كما نجد أن للطريقة إسهامات في بناء العديد من المؤسسـات التعليمـية ممـثلة فـي مدرسة غرب كرقس الأساسية بنين وبنات والصـحية مـثل مستشفى غرب كرقس والاجتماعية كدار اتحاد الشباب غرب كرقس والدينية كبناء خلوة غرب كرقس ومسجدها ٠

الطريقة القادرية الحسيباب

الطـريقة القادريـة بالحسيباب نشاط ديني مشهود له ساعد على تماسك المجـتمع بالمنطقة وتفاعل مع الواقع الذي عرفة السودان ، فكانت ملجأ ومقصداً وذلـك حسب عدد المريددين الذين يبلغ عددهم حالياً ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م حوالي الخمسـين مـن الشـباب والشيوخ والنساء وهي نسبة لابأس بها من واقع عدد السـكان وتقـدر نسـبه النساء بنصف هذا العدد ويزور دار الطريقة من خارج المنطقة المريدين أغلبهم من مركز الطريقة الأم بكدباس ٠ ومن اهتمامات النشاط القادريـة ايضـاً الاهتمام بخلاوي القرآن ودرس الفقه والتفسير والعلاج بالرقية والقـرآن وتستمر الأنشطة لتشمل احتفالهم بالمولد النبوي والأعياد الدينية ولهم حولية تقام سنوياً في آخر يوم "الخميس" من جمادي الثانية ٠

مقـدم الطـريقة هـو الشيخ أحمد عثمان سليمان ولد عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٠م تلقى تعليمه بالخلوة ٠ وأخذ الطريقة القادرية من الشيخ الجعلي "بكدباس" ويعتـبر كـل مشايخ كدباس شيوخاً له ومن تلاميذه الشيخ حاج قيلي محمَّد حاج قيلي وهو الذي ينوب عنه في خدمة الطريقة ٠

القادرية الخنجراب "الدّبَلابْ"

خليفـــتها الحالي ١٤٢١هـ/٢٠٠١م هو الشيخ العباس أخذ الطريقة عن الشـــيخ أبو شيبة عن الشيخ محمَّد الراجل عن الشيخ الحاج حمد عن الشيخ علي أبو سبيب ٠

ولـــد الشـــيخ العـــباس عام ١٣٢٠هـ/١٩٢٠م بقرية أبو قمري بمحلية التضـــامن محافظـــة الدويم ولاية النيل الأبيض وتقوم الطريقة بتعاضد أفرادها الديني والاجتماعي في مجالات الحياة المختلفة ٠

الطريقة القادريّة بالدندر

يـــروى أن الطـــريقة القادريّة دخلت إلى منطقة الدندر بولاية سنّار عن طـــريق الشيخ الضو الشيخ البكري وذلك عند ذهابه إلى السوكي الصادقاب في ســـياحه دينـــية حيث أخذ الطريق وأتى به إلى الدندر ٠ ويبدو أن الانتشار لهذه الطـــريقة في منطقة الدندر قد بدأ في عهد الشيخ محمَّد بن الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله بن الشيخ الضو بن الشيخ البكري وذلك في حوالي ١٣٤٦هـ/١٩٢٦م ٠

وبعده أخذ الخلافة الشيخ دفع الله حتى عام ١٩٨٩م ثم تلاه في الخلافة الشـــيخ الحالـــي وهـــو الـــبكري الشيخ دفع الله الصادقابي ٠ وقد نذكر أن أهم المناســـبات الدينـــية هي المولد النبوي الشريف والحولية السنوية والتي يشرف علـــيها الشـــيخ بنفســـه وعـــادة ما تكون في ٢٧ ذو العقدة من كلّ عام ويلتزم المريدون بحضورها٠

وتقـــدم الطريقة للمريدين العديد من الخدمات ففي الناحية التعليمية توفر الخـــلاوى لتعليم القرآن والعلوم الدينية الأخرى كالفقه والسيرة والحديث٠ إضافة لـــلأوراد المعروفة في الطريقة ساهمت في بناء مدرسة أساس ٠ كما يقوم الشيخ بدور كبير في حل المشاكل والنزعات التي تحدث في المنطقة خاصة النزاعات

الزراعية والرعوية ونزاعات الأسر · وفي الناحية الصحية هنالك (شفخانة) أيّ منطقة للعلاج الطبي · وأخيراً تمّ بناء مسجد بالطوب وزاوية ومضيفة لاستقبال الضيوف والزوار ويصرف على المسيد من نفقات الشيخ البكري وبعض الميسورين من المريدين ·

نبذه عن شيخ الطريقة الحالي حتى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

هو الشيخ البكري بن الشيخ دفع الله بن الشيخ محمَّد بن الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله ابن الشيخ دفع الله بن الشيخ الضو الأكبر بن الشيخ البكري بن الشيخ علي بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ طه بن الشيخ علي بن الشيخ النيل بن الشيخ محمَّد عبد الصادق ويقال أنه يتصل نسبهم بالسيد الحسين بن علي (الأشراف) · ويذكر أنه ولد في عام ١٩٤٧م في قرية دمبس وقد بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ الفكي أحمد عبد الله الزبير رحمه الله·

والعلوم الإسلامية نالها على يد الشريف هارون الشريف بابكر وقد امتهن الزراعة ·

متزوج وله ٣ أولاد و٣ بنات ·

الطريقة القادريّة المكاشفية بغرب كردفان

دخلت الطريقة القادريّة المكاشفية في ولاية غرب كردفان عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م عن طريق الشيخ عبد السلام البشرى ،ومن بعده الشيخ يوسف محمَّد زيادة (غرب بابنوسة) وكذلك الشيخ عبد الباقي محمَّد زيادة وهو نقيب الطرق الصوفية عامة ، وإبراهيم محمَّد زيادة الذي كان في منطقة(أبو قلب) ريفي أبو زيد وهو الآن ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م في حاضرة الولاية(الفولة)·

وبهـــا حلقـــات لتعلـــيم الفقه والحديث · يجتمع فيها المريدون وضيوف الطريقة وتقام فيها أيام المولد النبوي والأعياد ، وليالي الاثنين والخميس من كلّ أسبوع ومن الخدمات العلاج بالقرآن والرقية الشرعية والعلاج بالأعشاب·

عدد المريدين حوالي (١٥٠) مريداً من الرجال والنساء من كلّ الأعمار

موجز تاريخ أبو حراز

مدخل

الحـــراز نـــوع من أنواع أشجار السافنا الفقيرة تتخلص من أوراقها في فصـــل الأمطار حتى تحتفظ بمخزونها من المياه لمواجهة فصل الجفاف · وهذا يفســـر المقولة الشعبية السائدة التي تذهب إلى وجود عداء أو قطيعة بين الحراز والأمطـــار ·· وقـــد عـــرف العـــرب هذا النوع من الأشجار وأطلقوا عليه اسم الهـــراس فـــتحول في لسان أهل السودان إلى (الحراز) · وأبو حراز في عرفهم المكان الذي يكثر فيه هذا النوع من الأشجار ··

بلدة أبو حراز

تقـــع بلـــدة أبـــو حراز على خطي ٢٩و ١٤ درجة شمال و ٣١ و ٣٣ شـــرق، على الضفة الشرقية للنيل الأزرق ، عند التقائه بنهر الرهد ، وهو أهم روافده·

النشأة

لـــيس بين أيدينا تاريخ موثق لنشأة البلدة على وجه القطع ، ولكن هناك مؤشرات ودلائل تؤكد أن إنشاءها كمكان للسكن المستقر كان بعد تخطيط وإنشاء مدينة سنّار· وذلك في عام ١٠٢٤هـــ/١٥١٣م تقريباً· ويعزى إنشاء القرية إلى الشيخ دفع الله بن الشيخ محمَّد أبو إدريس المشهور بالمصوبن · وذلك أن أسلافه كانوا يقطنون بالهلالية ، ولكنهم رحلوا عنها ، واستقروا بقريتي أم شانق وكيران

– جنوبـــي مديـــنة رفاعة – وكان المكان المعروف اليوم باسم أبي حراز مكان ورودهـــم للنهر · وقد أوصى أبناء الشيخ دفع الله بن مقبل (الخمسة المشهورين بـــالعدول ، وهم الشيخ عبد الله المشهور بالعركي ، والشيخ حمد الملقب بالنيل ، والشـــيخ محمَّـد المكنـــي بأبي إدريس ، والشيخ أبو بكر المكنى بأبي عائشة ، والشيخ عمر المشهور بالزير)أوصوا بأن يدفنوا بأبي حراز بالقرب من النهر في إشارة لخلفهم بأن يقطنوا في هذه البقعة · فلما آلت الخلافة للشيخ دفع الله – بعد عمـــه الشـــيخ عبد الله العركي – عزم على أن يتخذ من أبي حراز سكناً له ·· وكـــان ذلـــك في بدء جلوسه للتدريس – ومن الثابت أن الشيخ دفع الله قد زاول الـــتدريس مـــدة ســـبعين ســـنة، وكان سنه عند خلافته وجلوسه للتدريس إحدى وعشرين سنة، وتوفي – كما ذكر صاحب الطبقات – سنة ١٠٩٤هـــ/ ١٦٨٣م، بمقتضى ذلك، فإن من الراجح إنشاء المسجد سنة ١٠٢٤ هـــ ، وهي بداية إنشاء القـــرية كمجتمع سكاني ·· ويرجع للشيخ محمَّد الطريفي إنشاء الامتداد الشمالي لأبي حراز المعروف اليوم بأبي حراز غرب ··

الحياة الدينية والعلمية لأبناء دفع الله بن مقبل

يعتبر الشيخ عبد الله العركي من أعلم أبناء الشيخ دفع الله بن مقبل – إن لـــم يكن أعلم أهل زمانه– حيث حفظ القرآن ومبادئ العلوم على أبيه الشيخ دفع الله بـــن مقـــبل ، كما تلقى العلم في الشمالية عند الشيخ عبد الرحمن بن جابر ، ومكـــث فـــي معيّته سبع سنوات ، أجازه بعدها في الإرشاد والتدريس والقضاء وذلـــك علـــى مذهب الإمام مالك ، وقد أورد ود ضيف الله أنه لزم الشيخ علي الشافعي ببربر ·· ودرس عليه الفقه على مذهب الإمام الشافعي ، وبهذا كان من القلائـــل في مملكة الفونج الذين جمعوا بين الفقه على مذهبي مالك والشافعي ، فلا غرو إذا اختاره ولاة الأمر من العبدلاب قاضياً بأربجي ·· وأشار ود ضيف الله ، والروايات المتواترة ،إلى أنه درّس الفقه المالكي في مقام الإمام مالك أبان

إقامـــته بالحجـــاز التـــي اســـتمرت اثنتي عشرة سنة ·· كما أشار إلى مصنفاته ومؤلفاته العددين ، والتي لم يصل إلينا منها شيء ·

أمّـــا بقـــية أبناء مقبل فقد تلقوا حظاً مقدراً من التعليم ، على يدي أبيهم الشـــيخ دفـــع الله بن مقبل ، ثم على يدي أخيهم الشيخ عبد الله ·· وعليه سلكوا طـــريق القوم ، ولزموا الذكر والعبادة حتى جاءهم الفتح المبين ·· فأشتهر منهم الشـــيخ محمَّـــد أبـــو إدريس بالزهد ، واشتهر حمد الملقّب بالنيل بالكشف ، كما اشـــتهر عمر بالسياحة ، وأبوبكر بالفتوة – في مفهوم المتصوفين لها الدال على الإيثار والنجدة ·

الشيخ عبد الله العركي والطريقة القادريّة

للشـــيخ عبد الله العركي قصة أفرد لها صاحب الطبقات مساحة مقدرة ، حـــول رفضـــه ســـلوك الطريقة القادريّة على يد الشيخ تاج الدين البهاري لأن الـــبهاري قال لطالبي السلوك : سلوك الطريق أو البيعة بالذبح ·· ورأى الشيخ عبد الله أن الله لم يأمر بالتهلكة لذلك أحجم عن البيعة ، ولكنه طلب الطريق لدى خلـــيفة الشـــيخ عبد القادر الجيلاني بالحجاز الشيخ حبيب الله العجمي ، والذي استمد منه المدد ، وقد كتب لطريقته النمو والازدهار ، أكثر من أتباع الشيخ تاج الدين ، بل جدد كثير من أولئك بيعتهم على القادريّة العركية ·

ويـــرجع للشـــيخ دفع الله بن الشيخ محمَّد أبو إدريس الفضل في ازدهار الطـــريقة القادريّـــة ، وســـيادتها علـــى الفروع القادريّة الأخرى · وهذا مبحث سنفصل الحديث حوله في حينه·

المكانة الدينية والعلمية لبلدة أبي حراز

تبوأت بلدة أبو حراز مكانة مرموقة بين قرى ومدن السودان تبعاً لمكانة ومقـــام شـــيوخها وأعلامهـــا في العلم والتصوف ·· وذلك بدءاً بالشيخ دفع الله

(المصـــوبن) بن الشيخ محمَّد أبو إدريس ·· فقد أورد ود ضيف الله ما يؤكد أنه بلـــغ مكانـــة مـــا بلغها بلد من بلاد السودان ، كما أن مدرسته للعلم استوعبت الطـــلاب من كل أرجاء السودان ، وأصبحت القرية قبلة لكل المريدين ، والذين آثر بعضهم الاستقرار فيها بالقرب من مشايخهم ، الأمر الذي جعل القرية مدينة بمفهـــوم المدينة ، لا تضم العركيين وحدهم ، بل تستوعب الرفاعيين والجعليين والشـــايقة والدناقلة والعبدلاب ·(وثمة وثيقة ترجع إلى تلك الحقبة تشير إلى بلدة أبـــي حراز بـــ(مدينة أبي حراز المحروسة)· وفي ذلك الزمان قدر عدد سكانها بأكثر من عشرة آلاف(راجع مدائح القوم حول عدد طلاب العلم بأبي حراز) ·

ويؤكد المكانة السامية التي بلغتها المدينة – تبعاً لسمو مكانة مشايخها – أن كـــبار متصوفة ذلك الزمان تتلمذوا على الشيخ دفع الله ومن بعده على الشيخ محمَّد الطريفي ، وعاشوا زهرة شبابهم في طلب العلم بأبي حراز ·· نذكر منهم علـــى ســـبيل المثال الشيخ فرح ود تكتوك ، والشيخ محمَّد بن مدني السني بن دشين قاضي العدالة ··

مكانة الشيخ دفع الله بن الشيخ محمَّد أبو إدريس

ألمحـــنا فيما سبق إلى أن الشيخ دفع الله بن الشيخ محمَّد ، أبو إدريس قد بلغ مكانة ما بلغها أحد من معاصريه في العلم والعمل والصلاح ، ويؤكد ذلك ما ذكـــره الشيخ محمَّد النور ضيف الله في ترجمته له ، وفي تراجم العديدين الذين تـــتلمذوا علـــيه · وقد عرفه بدءاً بأنه (شيخ الإسلام الورع الزاهد الناسك ، ذو الخـــبر الـــتام بعلوم الشريعة والحقيقة) وأنه جمع بين العلم والدين وسلك سبيل السادة الأقدمين ·وأنه أكمل المتأخرين ·وأن الأمة قد أجمعت على فضله وديانته· وانه أحد الركنين الفقه والتصوف **الطبقات** ص ٢٠٥·

حفــظ القــرآن علـــى أبيه الشيخ محمَّد أبى إدريس ، وعليه وعلى عمه الشـــيخ عبد الله سلك طريق القوم ، ثم دَرَسَ الفقه على الشيخ الفرضي وحضر ختمه عند الشيخ محمَّد بن سرحان المشهور بصغيرون ، كما دَرَسَ التوحيد على الشـــيخ علـــي بـــن بـــرّي ، وقد أجازه مشايخه في التدريس والإرشاد وتربية المريديـــن .ثـــم جلس(رضي الله عنه) للتدريس مدة سبعين سنة ، وتخرّج على يديه كبار علماء وأولياء السودان خلال تلك الفترة .وكان شديد الزهد ، بالغ الكرم ، مجتهداً فـــي العــبادة و الانقطـــاع لله تعـــالى ، متجنباً كوالده الشيخ أبي إدريس الملوك والســـلاطين ، يقول ود ضيف الله : (أنه ما قام قط في شفاعة ولا وقاعة ، ولا دخل سنّار الى أن مات . ويضيف قائلاً: " ولما احتاج إليه الملك بادي ولد رباط ركب أليه في أبي حراز وزاره وتبرك به ورجع " أمّا مكانته بين معاصريه فقد بلورتها أقوالهم التي تؤكد انه بلغ مكانة ما بلغها أحد في جزيرة الفونج . وينسب ود ضـــيف الله الـــى أحد العلماء المغاربة زار مصر والسودان وهو في طريقة للحـــج قوـــله:"من أقصى المغرب الى مصر ما رأيت مثله ويضيف أنّه سيزور الحرميـــن فأن وجد أفضل منه سلك عليه الطريق وإلا عاد إليه. ويضيف: فلما قفـــل راجعاً من الحج، قاصداً الشيخ دفع الله، سأل عنه في ميناء سواكن فقيل له قد مات. فقال: تجارة وكسدت"

وقد كسى الشيخ دفع الله بهالة من الجلال والإشراف جعلته يضرب بينه وبيـــن الطـــلاب حجاباً ، ولهذا قال الحاج خوجلي: رأيته وعليه نور عظيم مثل الشـــمس. وتواتـــر الطلاب أنه لما أزاح الستار أثناء الدرس صعق كل من في المجلـــس، فلمـــا أفـــاقوا بلغوا مقامات الرجال في العلم والتصوف. وينسب إلى الشـــيخ إدريس بن محمَّد الأرباب قوله: دفع الله ولدي ورثنا نحن آباءه الثلاثة. ورث كرمي وعلم الشيخ عبد الله وزهد أبيه أبي إدريس . وقد أكدت أقوال الثقاة

أن جمــيع الأولياء المنسوبين للقادريّة ، قد نالهم فيضه ومدده · وذكر ود ضيف الله أن الشــيخ دفــع الله قال لابنته ستنا – وهي أول معلمة قرآن في السودان : (آخر الزمان جميع الأساسات تقيف على أساس أبوك)·

خاتمة

ظلت أبو حراز تؤدي دورها كمنارة إشعاع علمي وديني وتربوي على مدى القرون الماضية رغم تعاقب نظم الحكم في البلاد · وذلك عدا فترة المهدية التي أجلت العلماء والمشايخ إلى أم درمان على نحو ما أثبته المؤرخون · ولكنها عادت بعد المهدية تؤدي دورها التاريخي الموروث · ولكنها بدأت في النصف الثاني من القرن الماضي تستجيب لسياسة الحكم الاستعماري وتفتتح مدارس التعليم المدني· ولكن الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ محمَّد يونس أنشأ معهد أبي حراز الديني على نفقته الخاصة ، حتى لا ينقطع الدور الديني الإرشادي للقرية ولذويه العركيين· وعلى الرغم من أن التعليم المدني أخذ في الاتساع والتخصص، وأصبح مرغوباً من الكثرة الغالبة من الطلاب إلا أن بأبي حراز شرق اليوم ثلاث خلاوى لتحفيظ القرآن الكريم ، بينما توجد بأبي حراز غرب خلوة شبه نظامية أنشأها الخليفة الحالي بطيبة الشيخ عبد الله الشيخ أحمد الريّح الشيخ عبد الباقي · وما زال مشايخ الطريقة القادريّة العركية بأبي حراز وطيبة وأم درمان وجميع مدن وقرى السودان يؤدون دورهم التربوي في الإرشاد والتوجيه وتسليك المريدين ·

البادراب

لــم يكن نزوح أسرة الشيخ العبيد من مسقط رأسها فرز الحوارة مباشرة إلــى وســط الســودان وإنما سبقها استقرار شبه مؤقت على أطراف مدينة قوز رجــب وفيها توفيت ودفنت ريا والدة الشيخ العبيد وللشيخ آنئذٍ ثلاثة عشر عاماً

مـــن العمـــر· أيّ أنّ هذا الحدث قد تمّ في حوالي عام ١٨٢١هـــ/ ١٨٢٣م مما يجعلـــنا أكـــثر يقيناً في إسناد وجود أسرة الشيخ في قوز رجب كنتاج لحملات الدفـــتردار الانتقامية والتي استمرت زهاء العامين ١٨٢٢/١٨٢٤م وقوز رجب آنـــئذٍ كانت مدينة من مدن السودان الهامة واستمدت ثقلها الروحي والمادي من كونهـــا كانـــت ميناء نهرياً هاماً لقوافل الحجيج السودانية وغيرها وكانت محطّ إقامة للدعاة من أمثال محمّد عثمان الميرغني ، الذي دفن بها اثنين من ذريته·

ومـــن قـــوز رجب إنحدرت أسرة الشيخ العبيد عبر البطانة إلى الضفة الشـــرقية للنيل الأزرق و أقامت قرب قرية كترانج حيث أنتظم الشيخ في الحلقة الدراسية بمسجدها المعمور ، وللشيخ خمسة عشر عاماً من العمر · وكانت إقامة الشـــيخ العبيد و أهله لفترة سنوات أربع ، كان الشيخ أثناءها يعبر النيل الأزرق إلـــى إقلـــيم الجزيـــرة حيث يلم بخلوة الشيخ عوض الجيد بقرية عفينة · وكانت إلمامات الشيخ بخلوة عوض الجيد مطولة بعض الشي وطابعها خلوات عديدة مع الشـــيخ المربيّ عوض الجيد ، وقد أسندت لها الرواية الشفوية أنها كانت عبارة عـــن تربية روحية من الشيخ عوض الجيد لتلميذه الشيخ العبيد وتأهيلاً لتسليمه أمانـــة أهل الله · وفي خواتم هذه السنوات الأربع اصطحب الشيخ عوض الجيد الشيخ العبيد في رحلة روحية إلى بلاد المغرب العربي ، وقد أعقب هذه الرحلة اســـتلام الشـــيخ العبيد لأمانة أهل الله من شيخه عوض الجيد تكليفاً بالدعوة في الضفة الشرقية للنيل الأزرق ·

مـــن ناحية أخرى أثبتت الروايات الشفوية ، الاهتمام المبكر من الشيخ عـــوض الجيد بالشيخ العبيد إذ رأى الأول ببصيرته الثاقبة وما وهبه الله له من قـــدرات الكشـــف الغيبي – في الشيخ العبيد نوراً وعرفاناً وبادرة صلاح مبكر تشكل داعية مستقبلياً ناجحاً · واعتاد الشيخ عوض الجيد على تقديم موقع الشيخ العبـــيد – رغـــم يفاع سّنه ، مقارناً بعمر حوارييه – وقد أثار هذا غيرة بعض

أقــران الشيخ العبيد عليه فثبت الشيخ عوض الجيد مقام الشيخ العبيد مطلقاً عليه صفة شيخ إخوانه ٠

وبعــد الإعــداد الأكاديمي الممتاز في كترانج والتربية الروحية الرفيعة على يد عوض الجيد جاء التكليف من الأخير للشيخ العبيد للقيام بالدعوة للطريقة القادريّــة – ومحاولــة إســراج نيران قرآنها الخامدة مع تحديد منطقة التكليف بالضــفة الشــرقية للنــيل الأزرق ٠ وكان برنامج الشيخ العبيد الدعوي صدى لوصــية ودعه بها الشيخ عوض الجيد وأثبتتها الرواية الشفوية نصاً هو (أدخل الخلوات وكثر الجولات و أحي السيدو فات تلقى من الجيلي الفيوضات)٠ وشرح الوصــية بإيجــاز هو إكثار الشيخ العبيد من العبادة والاختلاء بربه ثم ممارسة الســياحة (الجــولات) مع الدعوة لأحياء طرق الشيخ عبد القادر الجيلاني (أحي السيدو فات) و أن سيأتيه الإمداد والسند الإلهي بما يفيضه عليه الشيخ عبد القادر الجيلاني من البركات والقبول ٠

وأنطلــق الشيخ العبيد إلى مهمته الدعوية بالضفة الشرقية للنيل الأزرق وكــان التكليف واضح المعالم وهو إحياء الطريقة القادرية هناك وقد ذكرنا فيما ســبق مــا أصــاب المد الصوفي بعمومياته والطريقة القادرية على وجه أخص بالضــفة الشرقية ٠ وكان منهاج الشيخ العبيد في الإحياء القادري مبسطاً ومتسقاً مع طبيعة تكوين السكان البدوية الرعوية٠ مرتحلاً معهم إذا رحلوا ومقيماً معهم إن أقــاموا متخذاً من التراث القادري المبسط وسيلة للتذكير بالله فكان يبسط أمام المدعوين سير وكرامات شيوخ ودّ الأرباب وغيرهم ٠ ولم يعهد الشيخ المدعوين بأوراد معينة ولم يثقل كاهلهم بدروس متعمقة في الدين وكان يحرص على تعليم صــبيان الــبدو قصار السور من القرآن ٠ كما أنه استغل معارفه المكتسبة في الشــؤون الدنــيوية من معارف تتراوح بين الزراعة الموسمية والرعي والعلوم البــيطرية وجسد الشيخ الوشيجة الحية بين الدين والدنيا مما أسبغ على منهاجه

الدعـوي الصـورة العلمية ، فهو بقدر حرصه على تعليم المدعوين دينهم كان بالحـرص نفسـه يحث على العمل والاكتساب نازلاً إلى معترك الحياة مزارعاً وراعـياً ومرشداً جاعلاً نفسه قدوة حية مجسمة على العلم المصحوب بالعمل و اتخـاذ الأسـباب ٠ ولم ينس الشيخ العبيد وصية شيخه عوض الجيد فأكثر من السـياحات ودخـل الخلوات ما أمكن وكان كثير الزيارة إلى مقامات ومزارات الشـيوخ من سابقيه وعلى وجه أخص الشيخ إدريس ودّ الأرباب في العيلفون و أحمد الطيب البشير في أم مرّحى وحسن ودّ حسونة في قرية ودّ حسونة) وحتى أثناء زيارته المزارات والمقامات ، كان الشيخ يمارس الدعوة والإرشاد برضىً وتقديـر مـن خلفـاء الشيوخ الثلاثة ، كثيراً ما كان الشيخ يهبط بالأتباع الذين اجتذبهم إليه إلى مقامات هؤلاء الشيوخ متى ما واتت الظروف ويدير لهم حلقات الذكـر والإنشـاد ويجلسـهم بين يدي معلمي تلك المراكز لاكتساب مزيد علم ومعـرفة ٠ وقد اكسب هذا السلوك الشيخ تبجيلاً وتوقيراً من شيوخ هذه المراكز إذ رأوا بـادرة طيـبة تشـكل اعـترافاً بهـم من داعية مستقبلي كانت تحيطه إرهاصات ذيوع للصيت والذكر واستفاد الشيخ نفسه من هذه الإلمامات بالوقوف على أساليب جديدة من الدعوة ثم أيضاً طريقة إدارة المراكز الصوفية والمناهج الـتربوية المتـبعة فيها٠ وكانت أكبر فائدة جناها الشيخ العبيد من هذه الزيارات مـزيد ثقة في نفسه، علاوة على رسوخ قناعة في إقليم الشيخ العبيد الدعوي أن الأخـير يجـد مباركة من الشيوخ السابقين ، مما أعدّ الأذهان لمشروعية أيلولة مقاماتهم إليه٠

واستمرت هذه الفترة لعشرة أعوام كاملة بين تكليف الشيخ عوض الجيد للشيخ العبيد بالدعوة إلى حين بلوغ الشيخ تسعة وعشرين عاماً٠

مرحلة التجديد القادري

لـــم يعـــن معظم كتاب السيرة البدريّة بإثبات العام الذي سعى فيه الشيخ العبـــيد إلى الحجاز على أهمية هذا التاريخ · وأنفرد الرازقي بذكر عمر الشيخ عـــند قـــيامه للحجـــاز، ذكر أن للشيخ آنئذٍ تسع وعشرون سنة من العمر موافقاً ١٢٥٤هـــ/١٨٣٨م وباســـتخدام القـــاعدة الحســـابية البســـيطة بإضافة التسعة وعشرون عاماً لتاريخ ميلاد الشيخ ١٢٢٦هـ/١٨١١م·

وعـــاد الشـــيخ العبيد من الحجاز بعد أن أكتسب مزيد علم وتمرّس في مجال الدعوة وأضاف إلى تكليف عوض الجيد السابق تكليف الميرغني اللاحق· ونقدر أن هذه العودة كانت في حوالي عام ١٢٥٧هـ/١٨٤١م ·

وجـــاء الشـــيخ العبيد برؤية واضحة لما ينو القيام به من واجب الدعوة الشـــاق ومســـؤولياتها الجســـيمة فطفق بعد الحج يعد نفسه لهذه المهمة الكبيرة ووصف الرازقي إعداد الشيخ العبيد لنفسه لمهمته المقبلة ما سرده على مسامعه فدوّنـــه في الكلمات التالية " ثم بعد رجوعه من الحج انقطع إلى الله تعالى وترك الأســـباب الدنيوية وصرف همه في عبادة الله ليس إلاّ حتى من الاجتهاد أنه قال كنت أحسب مفاصل ظهري ببطني من شدة الجوع "

وبعـــد ذلـــك الانقطـــاع خرج الشيخ العبيد مجدداً إلى سياحاته وجولاته الدعوية ولم يكن منفرداً هذه المرة و إنما مصطحبا معه الشيخ محمّد المقابلي من ذرية الشيخ إدريس ودّ الأرباب · وبدأ الشيخ مرحلة التجديد القادري مستهديا بما أكتســـبه من أساليب دعوية في الحجاز مستعيناً بما أكتسبه من علوم إسلامية في مدارسه ·

واللافـــت للاهـــتمام في هذه المسألة ، أن الشيخ العبيد قد استعاد أسرة الشـــيخ إدريس ودّ الأرباب بنفس أسلوب الطريقة الختمية الذي أتبعه في تسليك

الأتـــباع والمريديـــن ، وقد أشار جون فول لهذا الأسلوب سابقاً أن السيد/ محمَّد عـــثمان الميرغنـــي قد أتبع منحى جيداً في تسليكه للأتباع والمريدين ، فهو قد توصـــل إلـــى ذلك عبر تجنيد شيوخ القرآن ومعلميه والفقهاء في طريقته وكان الأخـــيرون نافذى الكلمة في مجتمعهم ويتمتعون بالاحترام والسمع والطاعة لدى الســـكان ، ومن ثمّ فإنّ استقطابهم يعني أيلولة أعداد كبيرة من تلاميذهم وجملة الســـكان إلى الطريقة المستقطبة. وعندما عاد الشيخ العبيد من الحج أجتذب إليه الشـــيخ محمَّد المقابلي من ذرية الشيخ إدريس ودّ الأرباب و أخذا أقطاب أسرة الشـــيخ إدريـــس المؤثّريـــن وأصطحب الشيخ العبيد المقابلي رفيقاً في سياحاته وجولاتـــه الدعوية مما كان له أكبر الأثر في استعادة جزء كبير من السكان مرة أخرى إلى رحاب القادريّة بعد أن اجتذبتهم الطريقة الختمية إلى ساحتها .والأمر اللافـــت للاهـــتمام هو أن الشيخ العبيد في حالة استعادة أسرة الشيخ إدريس ودّ الأربـــاب قـــد اســـتخدم أســـلوباً دعوياً حديثاً مما يدل دلالة واضحة أن الرحلة الحجازيـــة كـــان لها أثر مباشر في تطوير إمكانات الشيخ الدعوية وسانحة له للإطّـــلاع على مناهج وطرائق للدعوة الحديثة والتي كانت سلاحاً فعّالاً في يدي طـــرق الموجـــة التجديدية من سمانية وختمية . وجدير ذكره بالطبع أن الشيخ المقابلي نفسه كان أول شيوخ الطريقة البدرية تسليكاً.

كـــان من أساليب التجديد القادري على يدي الشيخ العبيد ، إعادة الروح الاحتفالـــية للطـــريقة القادريّـــة وتطويرها ، لتكون جماعية بدلاً عن انفراد كل مركـــز قـــادري فيها بنفسه . والروح الاحتفالية ببساطة هي الاحتفال بالمواسم والأعـــياد وفق تقويم سنوي أو للمناسبات الطارئة على هذا التقويم كاستخلاف خلـــيفة جديـــد. فقد درج شيوخ الطريقة القادرية أن يحتفل كل منهم معية أتباعه وفـــي مســـجده بالمناســـبات والأعـــياد كالمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج والعيديـــن الأضحى والفطر. وجاء الشيخ العبيد ليضع تقويماً موحداً قبلته معظم

مراكز القادريّة· واستحدث الشيخ العبيد نظاماً جديداً إذ وزع المناسبات والأعياد الدينية بين المراكز القادرية العديدة · فمثلاً يتم الاحتفال بعيد الأضحى أو غيره مـــن المناسبات في مركز قادري واحد ، بينما يجتمع شيوخ القادرية على هامش هـــذه الاحتفالات للتشاور وحل المشاكل المستجدة إن كانت بين عامة السكان أو شـــيوخ المراكز القادرية أنفسهم أو التصدي لتوغل الطرق الصّوفية الأخرى في مـــناطق النفوذ المكتسبة والتقليدية للطريقة القادريّة · وقد أسهمت عبقرية الشيخ العبيد التنظيمية في جعل هذه الاحتفالات مناطق جاذبة يفد إليها الأتباع من كافة نواحي السودان · وكانت من ناحية معنوية ذات مردود طيب فقد شكلت دعاية رائعـــة للطريقة القادرية تبين كثرة أتباعها وانتشارهم في كافة أنحاء السودان · فقـــد درجت مواكب الشيوخ و أتباعهم المتجّهمة إلى مراكز هذه الاحتفالات إلى جذب الانتباه بأزيائهم المميزة و أدواتهم الموسيقية المصاحبة للإنشاد من طبول و أبواق · كما أن ترامي المسافات بين المراكز القادريّة في الضفة الشرقية أتاح لهـــذه المواكـــب اتخاذ مسارات متعددة وصولاً لمركز الاحتفال أشبه بالتظاهرة المســـتمرة مشـــكلة حضوراً طاغياً للطريقة القادرية على مدار العام مروراً في بعض الأحايين عبر مناطق كان المد القادري فيها ضعيفاً أو في حكم العدم ، فتمّ اجـــتذاب ســـكانها بدعوة غير مباشرة إلى الطريقة القادرية فولجوا إليها إعجاباً بســـلوك الأتباع ومشايخهم عبر هذه المناطق ونحص بالذكر سكان مدينة كترانج العريقة رغم وجود مركزٍ أكاديمي رفيع دعمته الإدارة التركية بكل ما تملك من إمكانات ليشكل جسداً موازياً للمؤسسة الصوفية·

وكانت أهمّ مراكز هذه الاحتفالات هي قرية أبو دليق ، حيث مقام الشيخ بدوي أبودليق الخليفة الثاني للسلك القادري بالسودان ، وقرية ودّ بانّقا حيث مقام الشيخ صالح ود بانّقا الخليفة الثالث في السلك القادري·

وابـــتدع الشيخ العبيد فكرة مدارس القرآن والمساجد المتنقلة تلبية لحاجة الأتـــباع وكسر الشيخ العبيد بذلك المفهوم السائد بأنه لابدّ من سعي الأتباع إلى المعلمين والمشايخ فأرسل المعلمين والمشايخ إلى الأتباع وجعلهم بتصرفهم في حلهـــم وترحالهم وجعل هؤلاء المعلمين والمشايخ في كل مضرب من مضارب الـــبدو يحلـــون في مسجدٍ بسيطٍ لأداء الصلوات وخلوة لتدريس الصبيان ٠ وكان تكويـــن كـــل مـــن المسجد والخلوة مرناً يتيح نقلها من مكان لآخر ، وكان هذا عنصـــراً جديداً وتطويراً وابتداعاً بخلق المراكز الصوفية المتحركة والذي ظل قـــروناً حبـــيس الرؤية التي أرساها الشيخ تاج الدين البهاري حول شروط إقامة المركـــز الدعوي القادري و أوردها الأصمّ عبد الحافظ ٠ وهي أنّ أولّ عناصر هـــذا المركـــز الاستقرارّ ويكون ذا خلفية داعمة ، متوافر فيها ضرورات الحياة اللازمـــة، مـــن مصـــادر دائمة للمياه كضفاف الأنهار ، ومصادر غذاء وافرة كالأراضـــي الزراعـــية وفوق هذا وذاك الابتعاد عن محاور التحارب السياسي والإداري مـــن ســـلطات حاكمة وخصومها ٠ و هذه المراكز الدعوية المتحركة بجانـــب تلبيـــتها لحاجة السكان من تعليم وخدمات أخرى قد أدّت دوراً هامّاً في حماية أتباع الطريقة من أن يكونوا عرضة للاجتذاب من طرق صوفية أخرى ٠

مرحلة النخيرة ومراد الطريقة البدرية

روى الرازقي أن الشيخ العبيد حينما بلغ الأربعين عاماً من عمره جاءه الإذن بإيقـــاد نـــار القـــرآن فأسرجها بقرية النخيرة عام ١٢٦٤هـــ ونلمح الأثر الواضـــح للسيرة النبوية المعطرة وذلك بالربط بين سن الأربعين والتكليف ٠ فقد جـــاءت الرسالة للرسول(ﷺ) وعمره أربعون عاماً ٠ ولم ينل أحد كتاب السيرة البدرية المعاصرين ممن تلوا الرازقي هذه المشابهة ، فتوقف متأملاً ومقارناً بين أربعينية الرسول (ﷺ) والشيخ العبيد(رضي الله عنه)على بعد الشقة الزمانية بين الاثنين

ولـــم يـــورد كتاب السيرة البدرية أسباباً بعينها جعلت قرية النخيرة محل اختيار للشـــيخ العبـــيد لـــبدء مهمته في نشر العلم والفرقان · ولكن الشيخ إبراهيم عبد الـــرازق وبحسّ بشائري واضح أورد السبب الذي أفضى بالشيخ العبيد إلى ترك السـياحة ولـــزوم النخـــيرة · فساق الرواية التالية (إن الشيخ العبيد ورفيقه في ســياحاته الشيخ المقابلي قد هدهما النصب والجوع في ليلة باردة فأويا إلى خباء أحــد الـــرعاة فقدم لهما الطعام وباتا ليلتهما تلك في ضيافة الراعي وفي الهزيع الأخير من الليل وقرب طلوع الفجر أدركت الشيخ العبيد سنة من النوم طافت به رؤية منامية رأى فيها أن كسرة الراعي على بساطتها قد رجحت بعبادته وعبادة رفيقه الشيخ المقابلي وهب الشيخ العبيد من منامه و قد عزم على الجلوس لتقديم الطعام وتعليم القرآن و أعلن نيته تلك لرفيقه الشيخ المقابلي ومن ثم أختط الشيخ قـــرية النخـــيرة و أقام فيها خلوة ومدرسة ومضيفة) وقد كان صدى هذه الرؤية واضـــحاً في مقولة مأثورة للشيخ العبيد هي "عبدت الله داب الداب أربعين سنة ومـــا بان الحديث إلاّ لما أديت أم دقينيس" وأم دقينيس هي الأسماء الشائعة آنئذٍ للعصيدة أو كل طعام غلظ قوامه ·

وصـــارت النخيرة مقصداً لجموع المريدين والأتباع و كانت مكاناً أيضاً يفئ إليه شيوخ الطريقة القادرية المجددة على يدي الشيخ العبيد وإحدى المراكز المهمة للتجمعات والاحتفالات الدينية وبالاستقرار في النخيرة أيضاً وافت الشيخ الشهرة العريضة وذيوع الصيت ، وسجل هذا كله الرازقي في كلمات موجزات مـــورداً (فعـــندها صـــاح به الكون وصرخ و أشتهر أسمه في السماء والأرض وشمخ فجاءه الناس من كل جانب وعكف على الأحباب والأقارب) ومن الباحثين المعاصـــرين ربط إدريس سالم بين استقرار الشيخ العبيد في النخيرة وبين ذيوع صـــيته وعلـــو ذكره واشتهاره كصاحب كرامات وولاية · وكانت السنين الست الأوائل بالنخيرة متقاسمة بين حركة التجديد القادري – التي ابتدرها الشيخ العبيد

ـ وبيـن أعـداد نفسه وأتباعه للتفرع بطريقته الخاصة (البدرية) وهذه السنوات الست نضعها كعلامة فاصلة بين إيقاد نار القرآن في عام ١٢٦٤هـ وعام ١٢٧٠هـ تاريخ تسليك أول شيخ من شيوخ الطريقة البدرية الأربعين الذين دار عليهم مدارها ٠ وحريّ بنا ملاحظة الفارق الواسع والنقلة الكبيرة للشيخ العبيد من معلّم قرآن ومضيف كريم إلى مرتبة الشيخ المربي صاحب الولاية الكاملة والمجاز من رسول الله (ﷺ) والشيوخ السابقين وسجل الرازقي عن الشيخ العبيد " فلم يزل هذا دأبه يرقى درج الكمال ويتجاوز مقامات الرجال حتى بلغ سن الأربعين موافقاً ١٢٦٤هـ أذن له في وقود نار التدريس ولم يزل أمره ينمو وحاله يسمو فجلس (رضي الله عنه) لسلوك السالكين وتربية المريدين بدلالة أهل الله وإشارة رسول الله (ﷺ) فأول من سلكه في ذاك العام وأيده ووصل به إلى الله تعالى الشيخ محمّد المقابلي"٠

من هنا كان استقرار الشيخ بالنخيرة بداية تسليك أول شيخ من شيوخ الطريقة البدرية ٠ فقد كانت النخيرة هي المركز الدعوي الأول الذي أنشأه الشيخ العبيد مستغلاً مظلة الشيوخ السابقين بما فيهم شيخه عوض الجيد ،وكان المقابلي أول شيخ يسلكه الشيخ العبيد ويكرسه داعية باسمه ، وفي هذا أيضاً إشارة ضمنية إلى أنّ الشيخ العبيد قد وصل مرحلة الشيخ المربيّ وهي إحدى مشروعيات الولاية ومدخل أحقية إنشاء طريقة صوفية خاصة ٠ ونلحظ في أدبيات الطريقة البدرية المخطوطة أن هذه الفترة أول مرحلة من حياة الشيخ العبيد قد عجّت بالروايات الدالة على صلاحه وورعه والموشّاة بكراماته المتواترة ونفرد إحدى هذه الروايات لما فيها من دلالة٠ إذ ساق ابن الحاج نور أنه بعد قبول الشيخ العبيد للتكليف قام الشيخ عبد القادر الجيلاني بحفر حفرة في مسجد الشيخ العبيد وأودعها أمانة أهل الله (فعند ذلك قام القطب الجيلاني(رضي الله عنه)

وحفـــر حفرة عميقة بداخل المسجد ووضع الأمانة فيها وقال إن شاء الله لم تتقل من هذا المحل إلى يوم القيامة) ٠

ومن جانب أخر امتدت علاقة الشيخ العبيد عبر بعض تلاميذه مع بلاط سلطنة الفور وكان الأمير – لاحقاً في المهدية وتلميذه الشيخ العبيد على ود سعد – مــن بيت السعداب صاحب الزعامة على الجعليين سفارة متحركة بين الشيخ العبــيد و أسرة الفور الحاكمة ٠ كما قامت علاقة متينة بين الشيخ العبيد والزبير باشا والذي كان آنئذ يدير دولة شبه مستقلة في بحر الغزال ٠ وكان واسطة العقد في هذه العلاقة أيضاً تلميذي الشيخ العبيد بابكر ودّ الأمين وشقيقه عمر من بيت الجــباراب أحد بطون الجعليين ٠ وكان كلا بلاطي الفور والزبير باشا يستفتيان الشــيخ العبــيد في أمور الدين ويستشيرانه في أمور الدنيا ، وقد كان عمر ودّ الأمين إحدى عشر عاماً استقسمهم الزبير على المصحف أن يردوه عن المظالم ومخالفـــة أمـــر الشـــرع ٠ وقد كانت علاقة الشيخ بهذين الكيانين المستقلين في تقديـــرنا سبباً في مدعاة التوتر في العلاقة بين الشيخ العبيد والإدارة التركية كما سيرد لاحقاً٠

وكـــان مركز الشيخ في النخيرة يقف شاهداً على عصارة تجارب الشيخ الدعوية السابقة و أضحى مركز جذب دعوي وحضري في الآن نفسه ، فقد كان المركـــز أشبه بالمؤسّسة المتكاملة الأركان ذات القدرة الاستيعابية الكبيرة سواء أكـــان غرضـــه الأساســـي تعلـــيم القرآن أو الأغراض الأخرى من استضافة وخلافهمـــا٠ وكان هنالك المسجد وبجانبه خلاوي المنتظمين في الدراسة، ودار ضـــيافة للعابريـــن والزوار٠ ومكان مخصص لتدريس و إرشاد النساء ثم خلوة الشـــيخ العبـــيد نفســـه ٠ وعلى فاصل مساحي ممتد منازل أسرة الشيخ ومعلّمي القـــرآن وعلى الأطراف يوجد الحفير والبئر والمقبرة ٠ ثم كان هنالك جزء من المركـــز منفصل عن بنيته الأساسية ، وهو مجموعة مبان من لبن كان يحتجز

فـــيها المرضــــى من طلاب الاستشفاء ومرافقيهم · وبقرب البئر والحفير كانت هـــنالك حظائر الأنعام · وقد اشتهر الشيخ آنئذٍ بالطب البيطري والمعرفة الطبية بنواحـــي الـــتكاثر والتهجيـــن ممـــا جعله مستشاراً لاغنىً عنه للقبائل الرعوية المحيطة بمركز النخيرة ·

مـــن جانب أخر كانت النخيرة محطة هامة للدعاة والمرشدين حتى وإن كانوا على غير الطريقة القادرية · وكان أشهر من يغشاها منهم الحسن بن محمّد عـــثمان الميرغنـــي مرشد الطريقة الختمية وكذلك القرشي ودّ الزين شيخ طائفة ســـمانية الجزيـــرة · وقد أثبتت المصادر البدرية شهادتي تقريظ صادرتين من الميرغني والقرشي بحق الشيخ العبيد واعترافاً بولاية الأخير·

وبعد إحدى وعشرين سنة ونيف من التنقل بين النخيرة وبقعة(أم ضبان) اســـتقرّ الشيخ العبيد نهائياً (بأم ضبان) و أنشأ بها مسجده حيث شهد هذا المسجد على عهده وعهد الخليفة أحمد من بعده اكتمال إنشاء الطريقة البدرية ·

مرحلة (أم ضبان) : اكتمال بناء الطريقة

فـــي عـــام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م استقر الشيخ العبيد نهائياً ببقعة أم ضبان وأنشـــأ بهـــا مســـجده المعمـــور والمشهور حالياً · وتصمت المصادر المكتوبة والشـــفوية عـــن تزويدنا بأسباب انتقال الشيخ من النخيرة إلى أم ضبان بقدر ما ركـــزت هـــذه المصـــادر واستفاضـــت في أسباب تسميتها بذلك الاسم استقراء لظـــروف الشـــيخ آنـــئذٍ وطريقته الوليدة و أيضاً متطلبات وشروط إقامة مركز صوفي فيمكن النفاذ إلى أسباب هذا الانتقال ·

و أول الأســـباب وروداً إلـــى الأذهان أن الزيادة الكبيرة المضطردة في عدديـــة و الأتباع واشتهار الشيخ العبيد كمعلم وداعية قد دعتاه إلى الانتقال من النخـــيرة إلـــى أم ضـــبان · وذلـــك لضيق موارد الأولى من ماء و أرض عن

استيعاب العدد المتنامي من الأتباع · سيما وأن عدداً كبيراً من الزراع على ضفة النيل قد انضوى في سلك الطريقة مما تطلب معه الاقتراب أكثر من المحور النيلي تيسيراً على هؤلاء الأتباع الذين يتطلب اكتسابهم من الزراعة البقاء في أماكنهم علاوة على أن هذا الاقتراب كان يتيح للرعاة من أتباع الطريقة مورداً للمياه أكبر وذا صفة دائمة ألا وهي النيل الأزرق · وتبدو هذه الفرضية ذات وجاهة إذا نظرنا إليها في ظل حصار الماء الذي فرضته الإدارة التركية على الشيخ العبيد وأتباعه · وثاني الأسباب أيضاً الاقتراب أكثر من المراكز الدعوية البدرية التي أنشأها الشيوخ من تلامذة الشيخ العبيد إثر تخرّجهم وعقب تسليكهم في النخيرة من أمثال الشيخ الأمين ود بَلة والشيخ محمَّد أبو صالح والشيخ محمّد ودّ الأمين وثالث الأسباب سبب (متعلق) بالشيخ العبيد وظروفه الأسرية إذ أضحى الشيخ العبيد ذا أسرة كبيرة نسبياً و أضحى التنقل بها غير ميسور ويشكل إرهاقاً ومشقة · إذ كان الشيخ العبيد لدى استقراره بأم ضبان متزوجاً من نساء ثلاث وله من الأبناء والبنات بضعة عشر وبعضهم قد تزوج منشئاً أسرة فرعية تزيد من عددية الأسرة الأصلية · ورابع الأسباب أن موقع أم ضبان على مزاياه المذكورة موقع جغرافيّ هامّ فهو قوامه محطة هامة على الضفة الشرقية للنيل الأزرق تلج منها القوافل والمسافرون إلى إقليم البطانة وعبره إلى سواحل البحر الأحمر ، ومن جانب آخر شكلت أم ضوّابان اقتراباً أكثر من بعض القبائل الهامة كالمحس والعسيلات ، ثم في أعماق البطانة كالبطاحين و الشكرية · وخامس الأسباب سبب معنوي هو اتفاق موقع أم ضوّا بان مع بشارات ذات طابع كشف غيبي وردت على لسان بعض الشيوخ السابقين للشيخ العبيد الذين تنبأوا بظهور الأخير وسطوع نجمه مع تحديد موقع ظهوره · فقد ثبت عن الشيخ العبيد محمّد توم بانّقا شيخ اليعقوباب مقولة مشهورة هي (سيظهر محمَّد ولد بدر بعد أيام ، صباح العيلفون وسافل العسيلات يا ليتني

أحضر زمانه و أخدم عصره أنا أب رفع وهو أب جزم يختم الله به الولاية كما ختم الرسالة بمحمد(ﷺ)أما الميرغني الكبير وقد التقىّ به الشيخ العبيد في الحجاز قد تنبأ للشيخ العبيد أنه عند عودته إلى السودان سيجد شجراً مليئاً بالطير يقيم وسطه مسجداً · من ناحية أخرى فإن موقع أم ضوّاً بان يتوسط المسافة بين مقامي شيخين من الشيوخ القدوة للشيخ العبيد وهما الشيخ إدريس ودّ الأرباب والشيخ حسن ودّ حسونة· ولعل ما يدعم هذا السياق مقولة مأثورة للشيخ عبد الله ودّ العجوز تنبأ للشيخ العبيد بتوسط المسافة بين الشيخ حسن ودّ حسونة والشيخ إدريس إذ قال الشيخ عبد الله (الأمانة تنقل منا إلى الشيخ عبد الباقي النيل ومنه إلى المكاشفي ومنه إلى عوض الجيد ومنه إلى رجل يظهر بين الشيخ إدريس وحسن ودّ حسونة)·

ويكفي هذا الاستقراء عن انتقال الشيخ العبيد من النخيرة إلى أم ضوّاً بان· أمّا عن أسباب تسمية أم ضوّابان بهذا الاسم فأول التفسيرات لهذه التسمية ناشئة من أسباب مادية بحتة مفادها ، أن الشيخ العبيد عند نزوله إلى بقعة أم ضواً بان لأول مرة كانت البقعة ذات أشجار كثيفة انتظمتها خلايا ذباب النحل بأعداد كبيرة فأطلق عليها أم ضوابان لهذا السبب وقد درج الرازقي في مؤلفاته الإشارة إليها باسم استبدل فيه حرف الضاد بحرف الدّال وجعلها أم دبان وثاني التفسير مزيج من سبب مادي ومعنوي وهو أن الشيخ العبيد حينما أشعل نار القرآن جعلها بمكان مرتفع حتى تفئ على الدارسين نوراً يستعينون به على القراءة وتكون في الوقت نفسه هدى للمارين بالليل ومثابة · و أيضاً يقتبس منها السكان في الجوار جذوات تعين على إيقاد نار البيوت وصار على لسان المارين كلمة أم ضوّابان إشارة لبقعة الشيخ العبيد وثقل حرف الواو في كلمة ضو على الألسن فحذفت وصارت (أم ضبّان)· ويجد هذا التفسير سنده في اسم المدينة

الحالـــي أم ضـــوّأبان وهـــنالك تفسير ثالث ذو دلالة رمزية أورده الطيب محمّد الطيـــب مشيراً إلى أن التسمية قصد منها التواضع المعروف لدى شيوخ القرآن ملمحاً إلى أن الشيخ العبيد قد أرسى الاسم تواضعاً وإنكاراً لذاته و أورد الطيب أســـماء أماكن أنشأها شيوخ من صُلاّح السودان وعمروها وسموها بأسماء تدل علـــى هـــوان الشأن وذكر منهم : الشيخ العبيد سمى أم ضوابان الشيخ إبراهيم الكباشي سمى أم زقان الشيخ عوض الجيد سمى عفينة ٠

وشـــهدت أم ضـــبان فترة الإرساء الحقيقي للطريقة البدرية فقد اتسعت مدرســـة القرآن بها و أمها الطلاب من كل حدب وصوب ٠ كما أن أبناء الشيخ المبتعثيـــن إلى مسجد كترانج بعد حفظهم القرآن بالنخيرة قد عادوا بعد التحصيل هـــناك ليعيـــنوا والدهم في إدارة الطريقة البدرية من مركز أم ضبان٠ وقد تولىّ حـــاج الطيب بن الشيخ العبيد مهمة تدريس القرآن كأول شيخ بمسجد أم ضبان بـــدءاً بعام ١٢٦٥هـــ واستمر في التدريس حتى توفي عام ١٢٩٦هـــ ٠ وأعقبه شـــقيقه الشيخ العباس في تدريس القرآن وقد أثبت عز الدين الأمين كلاً من حاج الطيـــب والعباس بدر ضمن خريجي مدرسة كترانج ٠ ومن جانب أخر استعان الشـــيخ العبـــيد بكبار تلامذته من خريجي مسجد النخيرة في تدريس القرآن في القـــرى المجـــاورة لأم ضـــبان وقد ذكر ابن الحاج نور تكليف الشيخ العبيد له بتدريس القرآن بقرية الشريق المجاورة ٠

كمـــا أن الانتقال من النخيرة إلى أم ضبان قد شكل نقلة حضرية أوسع وانـــتقل عـــدد كبـــير مـــن أتباع الطريقة البدرية من حياة البداوة إلى الحضر و استقروا حول المسجد و أتسعت الرقعة المعمورة حول المسجد لتكون نواة لقرية كبيرة أو مدينة بمقياس تلك الحقبة وقدر عدد السكان بقرابة العشرة الآلف ونيف مضـــافاً إليهم طلاب المسجد الذين بلغوا على حياة الشيخ العبيد ألفاً ونيفاً وكان الطلاب يمثلون جميع قبائل المنطقة المحيطة ، زائداً الشرائح السكّانية من خارج

المـــنطقة كالكبابيش من غرب السودان والأكد والبني عامر من شرق السودان ·
وقد أحدثت الطريقة البدرية مؤثرات اجتماعية واضحة في محيطها أهمها حركة العنصـــر العرقـــي بالتزاوج والاختلاط بين قبائل المنطقة وقد جعل الشيخ العبيد نفسه وأبناءه وبناته قدوة في هذا الصدد فتزوج الشيخ العبيد من القبائل المحيطة كالمحس والعسيلات و الجعليين و الحسّانية و المسلّمية ·

واشـــتهر مجـــتمع الشيخ العبيد بأم ضبان بالتعاضد وروح المساواة مما جعلـــه جاذباً لفئات سكانية كانت تعاني من الفرقة في مجتمعات أخرى مجاورة وأهم هذه الفئات الأرقاء المحررين أو الهاربين من سطوة أسيادهم ·

وكان أهم نتائج حقبة أم ضبان هو تسليك الشيخ العبيد لأحد عشر شيخاً مـــن شيوخ الطريقة البدرية رافعاً العدد الكلي للذين سلكهم من الشيوخ إلى اثنين وعشـــرين شـــيخاً وكـــان أخرهم سلوكاً هو الشيخ محمَّد عبد الرحمن أبو شعر الرازقي ١٢٩٧ هـــ · وعقب تسليك الشيخ محمَّد ، قامت الثورة المهدية وشغل الشـــيخ العبيد بنصرتها عن تسليك مزيد من الشيوخ وكان معلوماً عن أتباعه أن الطـــريقة سيكون مدارها على أربعين شيخاً · وكما شغلت الثورة المهدية الشيخ العبيد ، فقد حالت منيته في العاشر من محرم عام ١٣٠٢هـــ/١٨٨٤م عن إكمال نصاب الأربعين شيخاً · وقد خلفه ابنه الخليفة أحمد بن الشيخ العبيد والذي سلك ثمانـــية عشـــر شيخاً مكملاً النصاب إلى أربعين شيخاً · الطريقة البدريّة بانتقال مركـــزها مـــن النخـــيرة إلى أم ضبان وبحياة الشيخ العبيد في الأخيرة – والتي اســـتمرت سبعة عشر عاماً – اكتسبت ملامح الطريقة الصوفية المؤثرة والفعالة رغـــم حداثـــة الميلاد · فيهي بمراكزها التي أنشأها الشيخ كالنخيرة وأم ضبان وبقـــية المراكـــز التي أنشأها تلامذة الشيخ باسم الطريقة وتحت إشرافه أضفت الطـــابع المؤسّسي على الطريقة الوليدة · فقد أضحت ذات بنية تنظيمية واضحة من حيث التسلسل الهرمي بشيخ مؤسس وشيوخ مساعدون ·

ثم إنّ هذه المراكز نفسها كانت صورة طبق الأصل من مركزي النخيرة وأم ضـــبان فقد توافر فيها نفس المقومات والبنيات الخدمية المعينة على تيسير العـــيش إذ اختطت فيها مناهل المياه من حفائر وآبار وشيدت بها المساجد لأداء الصـــلوات وحلقـــات الدروس وبها خلاوى وسكن للطلاب ، وصار شيوخ هذه المراكـــز مفوّضين من الشيخ العبيد في تربية وتسليك المريدين وإصدار الفتاوي والإعانـــة بالاستشـــارات النافعة في الحياة اليومية للطلاب والأتباع في شؤون العيش المختلفة من علاج وغذاء وكسب عيش من زراعة ورعي أغنام · وكانت كـــل هذه المراكز والنجاح الكبير الذي أصابته · شهادة حية ونابضة بطول باع الشيخ العبيد وقدراته التنظيمية الكبيرة التي ولجت الطريقة الصوفية من عفوية المظاهـــر إلـــى رحابـــة المؤسســـة المقامـــة على ركائز راسخة من التجريب والمهارات المكتسبة ·

ملامح من نشاط القادريّة الصادقاب

عُـــرف المجـــتمع السوداني الطرق الصوفية وزواياها ومسايدها ، بأنها جمـــيعاً مـــن أركان الإلفة والتجمع والتماسك الأسري والنشاط الديني ، لذا كان المجتمع المسلم في السودان صوفياً بطبعه ، قائماً على أمر دينه بالفطرة ، مؤلفاً للنشاط الصوفي ، قريباً منه ·

وللطـــريقة أنشطة واسعة في مجال الأوراد الموروثة من آباء الصادقاب الأوائـــل إلى جانب احتفالهم بالمناسبات الدينية كالأعياد والمولد النبوي الشريف والإســـراء والمعـــراج وإقامة ليالي رمضان بالتلاوة وصلاة التراويح والتهجد والذكر فضلاً عن الحوليات ·

يـــتزيا مريدو الطريقة بزيّ خاص ، خاصة في المناسبات المذكورة آنفاً يرتديه المريدون من الذكور صغاراً وكباراً ، وهي عبارة عن الملابس البيضاء

التـــي علـــيها الأغلبية وكذلك الخضراء إلى جانب(الجبة المرقوعة) وهي رداء المقـــاديم يرتدونها في المناسبات وفي السابع والعشرين من شهر رجب في كل عـــام ، وللمقـــاديم أيضـــاً(الطاقـــية أم قرين) والكراية والعصاة الخاصة بالذكر والفروة٠

يحمـــل الـــبعض الطارات والطبول المستخدمة جميعها في إيقاع الإنشاد والمديـــح عمومـــاً ، وفـــي وسط هذا الاحتفال هناك (الراية الخضراء) وشكلها مستطيل مكتوب عليها (لا إله إلا الله) وهي رمز الشيخ عبد القادر الجيلاني٠

لا يقـــف جهـــد الطريقة عند المظاهر الاحتفالية بالهيئة المذكورة آنفاً ، ولكـــنها تقـــوم من داخل الخلوة المعدَّة لطلاّب العلم ومهاجريه بتحفيظهم القرآن الكريم وتجوِّيده والاطمئنان على موقف الطلاب في هذا الجانب بوساطة معلّمين خبروا هذه الوظيفة جيداً ، حتى خرَّجوا الأعداد الغفيرة من حفظة كتاب الله ، و هـــؤلاء المدرســـون مـــتفقهون ، يتقـــنون عمليتيْ التعليم والتربية على النسق الإســـلامي، و يدرِّسون السيرة النبوية العطرة والفقه والحديث والتفسير ويلقّنوُن الدعاء ٠

ومما جعل النشاط الصوفي في كل بقاع السودان محبوباً ومرغوباً فيه ، قيامه بأدوار اجتماعية محسوسة ، تجعل العامة والخاصة على حد سواء يقبلون علـــى مراكز المتصوفة ، فالصادقاب في ديارهم على سبيل المثال ، يصلحون ذات البيـــن بدايـــة مـــن مستوى الأسر إلى الجماعات والقبائل ، وتنظيم عملية التكافل بين الناس بحيث تجري عملية تسهيل كسب العيش في الزراعة والرعي ومعاونة المحتاج وإغاثة المستغيث ٠ ومن الخدمات الجليلة أيضاً ذلك النفير الذي يعـــرفه المجتمع السوداني لسد الحاجة وتأسيس ما يحتاجه مجتمعهم من مرافق عامـــة كالمساجد والمدارس والمراكز الصحية ونقاط الشرطة ، وتشهد على كل ذلك مساجدهم التي بنوها هنا وهناك مثل مسجد البقعة في مدينة الصباغ ٠

الصادقاب الركابيّة

تنسب كلمة الصادقاب إلى الشيخ عبد الصادق، والد الشيخ محمَّد الهميم، شيخ الطريقة، فهو: الشيخ محمَّد الهميم بن الشيخ عبد الصادق بن السيد عبد الرحمن بن السيد حسن حاشر بن السيد عبد النبي بن السيد ركاب الذي تنتسب إليه "الركابيّة" بن السيد غلام الله.

إسهامات أسلاف الصادقاب في نشر الدين الإسلامي داخل وخارج السودان

لا يخفى على أحد دور آل البيت الكرام رضي الله عنهم في تحمل المشاق والمكابدة في نشر الدعوة الإسلامية وحمل راية **لا إله إلا الله** والذود عنها ونشر النور المُحمّديّ في الخليقة إذ أنهم وُرّاثه(ﷺ) وهم ثمار تلك الشجرة الطيبة المباركة وسوف أذكر بعض الأمثلة لأسلافهم فلقد قام جدهم السيد عمر الزيلعي بنشر الدّين الإسلاميّ في القرن الإفريقي في منطقة إثيوبيا والصومال وجيبوتي وإرتريا حتى أن ملك الحبشة همّ بمحاربته، خشية على المسيحية في بلده ولقد كان دور عمر، القدوة الحسنة والتطبيق الحيّ في نفسه أولاً فانقادت له أنفس العباد وبعد ذلك غادر إفريقيا عائداً إلى الجزيرة العربية فاستقر به المطاف مع الشيخ أبو بكر العقيليّ بمنطقة الأُحيّة شمال اليمن، على الساحل بين جدة وعدن وعقبه ولده السيد أحمد المقبول السائح وذهب إلى جدة وأسس زاويته وكانت تقام بها الأذكار خاصة في عصر كل جمعة حسب رواية المؤرخ الإنجليزي (بيرتون) ويضربون الدّفوف وكان ضريحه بها ظاهراً يزار واشتهر بالسيد المقبول راجل جدة ، وبعد ذلك أمر السيد أحمد ولده السيد عائد أبو الفتح للذهاب غرباً لنشر الدعوة على شاطئ البحر الأحمر بالسودان ففعل وضريحه عند مدخل ميناء سواكن الحالي واشتهر بأبي الفتح راجل سواكن بعد

ذلـــك اتجه ولده السيد غلام الله " الشريف أحمد المُجَمّرْ " غرباً إلى دنقلا لأجل تأســيس خلاوي القرآن وتدريسه وعلومه في أوائل القرن الثامن الهجري فدخل ســكان دنقلا ونواحيها في الإسلام على يديه طواعية وأسّس مسجده بالقرب من كنيســـة دنقـــلا العجوز فأنجب ابنيه السيد ركاب جد الركابيّة والسيد رباط ومن اســميهما نســتدل على هؤلاء الرجال في سلوكهم على نهج اسلافهم من ركوب الخـــيل للجهـــاد والمرابطة في سبيل الله تعالى. وكان من أحفاد الشيخ غلام الله أولاد جابر الأربعة الأكابر ناشري العلم والدين.

عـــندما ذهـــب الشريف حمد أبو دنانة الحسنى إلى شمال السودان؛ كان مجـــازاً مـــن شـــيخه السيد أحمد زروق الفاسي، مؤلف قواعد التصوف خليفة السجادة الشاذلية في وقته ، فقد استصحب معه زوجته السيدة خديجة بنت الشيخ محمَّد الجزولي مؤلف دلائل الخيرات فأنجبت للشريف حمد أبو دنانة سبع بنات وولـــداً واحـــداً فأنجبـــت بناته السبع سبعة صالحين نشروا الدين والصلاح في الســـودان وكانـــت منهـــن الســـيدة مكة والدة الشيخ محمَّد الهميم بن الشيخ عبد الصادق " عالم أربجي".

الشيخ محمَّد الهميم ود عبد الصادق " أدّاب الفيلة"

كـــان والده الشيخ عبد الصادق " المكنى بتور الفِجّة" من علماء أربجي الأجـــلاّء وكان يدرّس بها العقيدة والتوحيد فولد له من السيدة مكة بنت الشريف حمد أبو دنّانة، أربعة من الأولاد هم الشيخ محمَّد الهميم ، أحمد العالم ، إدريس و محمَّد أبو البتول ، فنشأ الشيخ محمَّد الهميم في بيت دين وشرف وصلاح فكان تّواقـــاً إلـــى معـــرفة ربّـــه ، فعندما كان في السابعة عشر من عمره ، قدم إلى السودان الشيخ تاج الدين البهاريّ القادريّ البغداديّ من الحجاز بدعوة من حجّاج الســـودان، وكان خليفة الشيخ عبد القادر الجيلاني فتنقل بين وادي شعير والعكد

وأربجي وسنار وغيرها من بقاع وسط السودان وتزوج من العكد ·وفي يوم من الأيام طلبت زوجة الشيخ تاج الدين البهاري دوكة فذهب إلى الشيخ محمَّد الهميم واشـــترى الدوكة وحملها على رأسه فوجد الشيخ قد ارتحل من العكد إلى وادي شـــعير فتبعه إلى هناك ووجده كذلك قد ارتحل إلى سنار فلعلوّ همّته تبعه وكان يضعها على رأسه حيث ينام ويحملها في سيره إلى أن قدم على الشيخ في سنار فعندما رأي الشيخ منه ذلك قال في دعائه يا ولد أصلح الله بهمتك هذه أمر دينه·

أوصـــى الشيخ تاج الدين الشيخ بانّقا والشيخ عجيب باتباع محمَّد الهميم لعلوّ شأنه وأنه خليفة الشيخ عبد القادر الجيلاني وأمرهم بأن ينظروا إليه مثل نظرتهم له· وقد كان اسمه محمَّد حسان فسماه الشيخ تاج الدين بمحمَّد الهميم·

سند الطريقة القادرية الصادقابية البهارية

وردت في مخلفات الآباء والأجداد مخطوطة سند الطريقة القادرية بخط يـــد الشـــيخ الطيـــب بـــن الشيخ الضو لابنه الشيخ أحمد البدوي والشيخ الطيب ســـنترجم له لاحقاً وهو الخليفة التاسع للشيخ محمَّد الهميم في أوائل القرن الثالث عشر الهجري فيما يلي السند تصاعدياً من الخليفة الحالي:

الشـــيخ على ، الشيخ أحمد البدوي ، الشيخ محمَّد الحار ، الشيخ على المرين ، الشيخ طه ، الشيخ أحمد البدوي ، الشيخ الطيب ، الشيخ الضو ، الشيخ مصطفى الـــبكري ، الشـــيخ الطائف ، الشيخ الهميم ، الشيخ الزين ، الشيخ الجنيد المكنى براعـــي البقر ، الشيخ على النيل ، الشيخ محمَّد الهميم ود عبد الصادق ، الشيخ تـــاج الديـــن البهاري ، الشيخ عبد الوفاء ، الشيخ أكبر، الشيخ أصغر ، الشيخ محمَّـــد ، الشـــيخ أحمد ، الشيخ قاسم ، الشيخ يحيى ، الشيخ حسين ، الشيخ عبد الرازق ، الشيخ عبد القادر الجيلاني ، الشيخ أبو سعيد القاضي المبارك ، الشيخ على الهكاري ، الشيخ أبو الفرج الطرطوشي، الشيخ أبوبكر الشبلي ، الشيخ أبو

القاســم الجنــيد، الشيخ السري السقطي ،الشيخ معروف الكرخي ، الشيخ داؤد الطائي ، الشيخ حبيب الله العجمى ، الشيخ الحسن البصري، الإمام على بن أبي طالــب مفــرق الكتائب ومظهر العجائب ، وهو مجاز من سيدنا ومولانا الذي اصــطفاه الله وولاه علــى سائر خلقه في الدنيا والآخرة سيدنا محمَّد بن عبد الله (ﷺ) وهــو مجاز من سيدنا جبريل عليه السلام وهو مجاز من ربّ العالمين جلّ جلاله.

ثم قال الشيخ الطيب الشيخ الضو ، فهذه سلسلة القوم وأشياخها لمن كان راغــباً ومقــبلاً ومــتوجهاً إلى ذلك فليواظب على اتباع آثارهم والقيام بجميع أوامــرهم والمراقبة لهم في غيبتهم كما في حضرتهم وليحسن أدبه معهم وليكن بيــن أيديهم كالميت بين يدي الغاسل وكالمريض بين يدي الطبيب وكالطفل بين يــدي مرضعته وكالظمآن في طلب الماء وليتجنّب جميع ما ينهونه عنه إذا كان قــولاً أو فعــلاً أو إرادة بقلــبه ولا بقالــبه وبعد ذلك ينال منالهم ولا يحرم من وصالهم وبالله التوفيق والله وحده ولا ربّ غيره ولا معبود سواه.

وهذه الإجازة الإسنادية ممهورة بختمين للشيخ الطيب بن الشيخ الضو.

صفة التلقين لمن أراد سلوك الطريقة القادريّة البهاريّة

وهــي بخــط الشــيخ الطيب بن الشيخ الضو خليفة الشيخ أحمد البدوي وصفته، أن تضع يدك على يدي المريد الاثنتين وتأمره أن يغمض عينيه وتقول له فرّغ قلبك عما سوى الله وقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحــيم الحمــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين (ﷺ) "ثلاثــاً" تبــت لوجه الله الكريم من كل وصف ذميم "ثلاثاً" اللهم صل على سيدنا محمَّــد وعلــى آله وصحبه وسلم "ثلاثاً" لا إله إلا اله " ثلاثاً" محمَّد رسول الله (ﷺ) "مــرة واحــدة " استغفر الله العظيم "ثلاثاً" الله الله الله الله " خمس مرات"

وتعـــرفه بنفسك وتقول له قل سلكت الطريقة على يد فقير الله سيدي الشيخ أحمد البدوي على يد شيخه وأبيه الشيخ الطيب على يد شيخه وأبيه الشيخ الضو على يد شيخه وأبيه الشيخ مصطفى البكري وهكذا تتقدم في السند ما شئت ثم تقول له ســلكت الطـــريقة البهاريّة الجيلانيّة الجنيديّة العلويّة النبويّة المحمّديّة الجبريليّة الربانـــيّة وبعـــده تلقنه صلاة تنجينا على النبي (ﷺ) مرة واحدة إن كان أهلاً لذلك.

فمعلــوم أن التصـــوف بني على ثمانية أخلاق منها السخاء ، الرضا، الصبر ، الإثارة ، الغُرْبَة، لبس الصوف والسياحة والفقر.

أوراد الطريقة وأذكارها وأساسها

الإطار العام ملء الوقت وبذل الوسع واستفراغ الجهد في الذكر وتلاوة القـــرآن الكـــريم آناء الليل وأطراف النهار فكل الوقت لله غير أن هنالك أعداداً مخصوصـــة ألزموا أنفسهم بها سميت ورداً إذ إن به الورود لحضرة الحق عزّ وجـــل فالحد الأدنى قراءة يس صباحاً ومساء أقلها مرة واحدة وتقسيم المصحف لأســباع تقرأ صباحاً ومساء بصفة ثابتة وقراءة دلائل الخيرات في الصلاة على الرســول (ﷺ) صـــباحاً.وللطـــريقة أساس ثابت يلتزم به الشيخ والمريد عقب الصلوات المفروضة.

الأساس

وأساس الطريقة القادرية خمسة دبر كل صلاة أوله (١) بسم الله الرحمن الرحـــيم أصغره عشرون مرة وأوسطه مائة وأكبره مائتان، . ثانيه (٢) استغفر الله العظيم أصغره عشرون وأوسطه مائة وأكبره مائتان. ثالثه (٣) اللهم صلى علـــى سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم أصغره عشرون مرة وأوسطه مائة مـــرة وكبراه مئتا مرة. رابعه (٤) لا إله إلا الله أصغره عشرون مرة وأوسطه

مائـــة مرة وأكبره مئتا مرة وخامسه (٥) الله الله أصغره عشرون مرة وأوسطه مائة مرة وأكبره مئتا مرة. ثم عقب صلاة العشاء يا لطيف مائة وتسع وعشرون مـــرة والأســـاس الآن الملتزم به الصادقاب ومريدوهم مائة مرة لكل واحدة من الأسس الخمسة.

ومن أورادها

ورد السَحَر لا إله إلا الله بالسبحة الكبيرة وأصغره اثنتا عشرة ألف مرّة وأوسطه خمـــس وثلاثون ألف مرة وأكبره سبعون ألف مرة ومضاعفاتها حسب الطاقة " جرداً " فإن الحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء بغير حساب.

ورد الصباح والمساء

١. حسبي الله ونعم الوكيل أربعمائة وخمسون مرة ٤٥٠ مرة.
٢. يا حيّ يا قيّوم " بياء النداء" ألف مرة ١٠٠٠ مرة.
٣. استغفر الله العظيم ألف مرة ١٠٠٠ مرة

ويكون ذلك بعد الأساس صباحاً ومساء سقطاً وليس جرداً

***المولد النبوي الشريف**

يقـــرأ الصـــادقاب مولـــد أشرف الأنام تأليف الأستاذ الأكبر الشيخ محيي الدين العربي.

***استفتاح الذكر**

عـــندما يريد المريد أو الشيخ تأدية ورد السحر ؛ يتوضأ ويصلي ما شاء أيّ عـــدد زوجـــي مـــن الركعات ثم يجلس جلوسه للصلاة ويقرأ الفاتحة مرة ، آية الكرســـي مرة ، لقد جاءكم مرة مع تكرار فإن تولوا سبع مرات قبل ختم الآية ، مـــا مقصود إلا الله ثلاث مرات ، ما نعبد شيئاً بحق سواك يا الله ثلاث مرات ، شـــيء لله برســـول الله ثـــلاث مرات مع الميل قليلاً إلى جهة اليمين ، شيء لله

بسيدي الشيخ ثلاث مرات مع الميل قليلاً جهة الشمال ، يا حيّ يا قيّوم ألف مرة جرد بالسبحة الكبيرة ، الله سميع بصير ألف مرة بالسبحة الكبيرة جرد ثم يستهلّ ذكـــره بقول فأعلم أنه لا إله إلا الله استصحاباً وتبركاً بالقرآن ويشرع في الذكر بـــلا إله إلا الله حتى يفرغ ومع نهاية كل ألف بنهاية السبحة إن كانت ألفية يكمل الشـــهادة بمحمَّـــد رسول الله(ﷺ) ليستصحب بركة حضور رسول الله(ﷺ) وللخـــروج من الخلاف· وبعد نهاية ورده يختم بعدد من الركعات ثم يا حيّ يا قـــيّوم ألـــف جردة بالسبحة الكبيرة والله سميع بصير ألف جردة كذلك بالسبحة الكبيرة·

كيفية تأييد المشايخ

عندما يجد شيخ السجادة أنّ أحد تلاميذه أهل للمشيخة فإنّه يجمع المشايخ الآخرين ويخبرهم بأنه ينوي تأييد ذلك الشيخ ويكون ذلك في أحد الأعياد الكبيرة وفـــي ثاني أيام العيد فيُلبس ذلك الشخص من داخل حجرة الشيخ عباءة وعمامة بتوجـــيه الشيخ لأحد المشايخ الموجودين ثم يسير بين شيخين وهم جميعاً يتبعون شيخ السجادة بكلمة التهليل أو الدائم ويوجد وسط الحلقة ككرين من الخشب (مثل التـــي كانت عند سلاطين مملكة الفونج) فهو بمثابة كرسيّ المملكة أو قل كرسي الأســـتاذية فـــي الجامعات الحديثة فيجلسه الشيخ على أحدها وإن كانوا أكثر من شـــيخ يمكن تأييدهم في وقت واحد بإجلاسهم الاثنين كل على ككر إذ يوجد الآن ككـــران بالسوكي الصادقاب وآخران بالبنية الصادقاب فيبل رأسه لحلاقة شعره فيـــبدأ الخلـــيفة ثـــم يعطي الموسى لغيره من المشايخ فهذه بمثابة تخلية وتحلية بإماطـــة الأذى وجعـــل النقاء مكانه· وبعد ذلك يلف له الشيخ أو من ينوب عنه العمامـــة ويأتـــي الشاعر وينشد عليه وهو جالس نشيده للتذكير بالسلف الصالح وشـــحذ الهمـــم ثم يخلع الخليفة نعليه ويقبل يده ويفعل بقية المشايخ ذلك بعده ثم

ينهضـــه ويؤخذ بين شيخين بالتهليل يمررّ على كافة الحلقات ثم يوقف في حلقة الذكر بين إخوانه ويظلّ لابساً تلك العباءة ثلاثة أيام.

كيفية تقديم المقدمين

وهو مَنْ رأى الشيخ فيه أهلية خدمة اخوانه والإنابة عن الشيخ في أمور الطـــريقة بالتوجـــيه والقـــدوة الحسنة لاخوانه فيسير أمام الفقراء بأن فلاناً مقدم ويلبس الطاقية أم قرنين وفي عموم بقاع الصادقاب هذه الطاقية لا تلبس إلا ثاني أيـــام العيد ويسمى بعام تغليب الذكر وتنزع بعد ذلك ويوم التغليب يكون الذكر فـــيه بعـــدة أوجه منها بأسماء وصفات وضمائر تبشير للحق عزّ وجلّ لاستيفاء الذكر بأسمائه الحسنى وصفاته.

يقـــوم بذلـــك مجموعـــة من أبناء الشيخ والمشايخ خلف الشيخ يرددون العبارة وخلفهم كلّ الحلقة وهكذا.

حلقة الذكر

يســـمى الذكر السرياني بلفظ " الله الله ".يجتمع المريدون في المسيد أو الـــزاوية فـــي حلقة يأخذ فيها كل واحد بيد أخيه إشارة للجسد الواحد ولحصول الـــتلاقح بيـــن أنوارهـــم ولا يفـــرقون بينهم إلا لإدخال آخر قادم فتكتمل الحلقة كـــالحوض، إشـــارة لحقن الأنوار فيها ومنها تفيض على القلوب والتي هي قبلة التجليات الإلهية وأوسعها قلوب العارفين من المشايخ لأهليتها لذلك فتتنزل عليها البركة والرحمة وهم بدورهم إذا نظروا المريدين أفاضوا عليهم الأحوال فيحصل التجلـــيّ الروحـــيّ فتخشع القلوب فمنهم من يطيق ومنهم من يغشى عليه فيخر مغشياً عليه فكثيرون يحدث له ذلك إن كان مستقيماً يشاهد غاية الإكرام وإن كان مســـرفاً على نفسه فلا يفيق إلاّ على صلاح حال والمجال في هذا أوسع من أن

يحصر في كلمات لأنه ذوق فينالون شهادات الأذواق والتي تفوق شهادات الأوراق فعلم الصدور يفوق علم السطور.

معاصروه

بعض من عاصرهم الشيخ محمَّد الهميم من الشيوخ: منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ إدريس ود الأرباب ابن خالته بالعيلفون والشيخ عجيب المانجلك ابن خالته كذلك والشيخ حمد أب عصا ابن خالته والشيخ شرف الدين راجل أنقارى ابن خالته والشيخ عبد الله الأغبش ابن خالته والشيخ محمَّد سوار الذهب ابن خالته فكلهم أبناء بنات الشريف حمد أبو دنانة جدهم الحسنيّ نسباً الشاذليّ طريقاً.

ومنهم الشيخ شاع الدين ودّ التويم الشكريّ والقاضي دشين والشيخ عبد الله العركيّ والشيخ محمَّد بانقا الضرير أب يعقوب وغيرهم كثير من أهل التقوى والصلاح الذين حملوا سوياً راية لا إله إلا الله ونشروا الطريقة والدين في ربوع السودان.

تلاميذه

أول تلاميذه أبناؤه وأبناء عمومته وخلق كثير في وسط وشرق السودان وجموع غفيرة من قبائل رفاعة والشكرية والمسلّمية والركابيّة والهدندوة والبني عامر والأشراف وخلق لا يمكن حصرهم إنما فقط الإشارة تكفي والآن مساجد أتباعه وأبنائه تربو على الخمسين مسجداً عدا الزوايا والتكايا والرباطات.

وتتلمذ على يديه الشيخ سلمان الطوالي ويمكن الرجوع إلى سيرته في طبقات ود ضيف الله والشيخ محمَّد ود دوا البوادري والشيخ محمَّد عبد الدائم الشيخابي بأرض الهدندوة والمقبور بشرق السودان وولده محيي الدين دفين أتبرة ومساجده الآن بشرق السودان في مناطق كثيرة منها على سبيل المثال مسجد

الشيخ محمَّد ثمرة أبو فاطمة بأدويب بمنطقة جبال محمَّد محمود على بعد ثماني ساعات من كسلا بالعربة وفي جبال هيا وأدروت وخور أبو ثمرة في بلدة تنيبرش وخور بركة وغيرها.

مساجد الصادقاب

المندرة شرق رفاعة وبها ضريح الشيخ محمَّد الهميم وولده الشيخ على النيل وحفيده الشيخ الجنيد راعي البقر وضريح ولده الشيخ حمد الحار بجوار ضريحه وضريح حفيده الشيخ الشريف بن الشيخ الجنيد ومقبور معه أولاده الشيخ نور الدين الفيالي والشيخ الصافي والشيخ مصطفى وأم حقين بنته.

مسجد السوكي الصادقاب

شرق الفاو على بعد ثمانين كيلو متراً منها ،أسسه الشيخ أحمد البدوي بعد أن انتقل والده الشيخ الطيب الشيخ الضو إلى البنية الصادقاب إذ إنّ الشيخ الطيب، كان مسجده الأول وسط جبال الفاو بالسوكي وأمر ابنه الشيخ أحمد بتأسيس مسجده الموجود حالياً بالسوكي الصادقاب.

البنية الصادقاب

وسط جبال الفاو على بعد عشرة كيلومترات من الفاو بها مقرّ الخلافة حالياً وأسسها الشيخ الطيب بن الشيخ الضو ومقبور بها ومعه الشيخ على المرين والشيخ حمد الشيخ طه والشيخ أحمد البدوي والشيخ الضو الشيخ على المرين وغيرهم.

الهلالية

مسجد الشيخ الطيب ود المرين وخليفته الحالي الشيخ البدوي.

كما أسس الصادقاب مساجد هي:

مسجد المحكرة ، مسجد أم خنجر شمال القضارف ، مسجد أم دمور ، بيلا ، خشم القربة ، حلفا الجديدة القرية ١٨ ، الرهد القرية ١٨ ، مارنجان عووضة ، كسلا ، حلة العاقب ، أم شجرة ، الرواشدة ، الشواك ، الصباغ ، الشيخ الطائف، بانت ، رفاعة ، القلابات ، كجرة بعصار ، القرية ١٦ بالرهد ، البوادرة ، دلّوت، حفيرة ، الحرقة ، صقر ، القضارف ، القويسي.

وفاة الشيخ محمَّد الهميم ود عبد الصادق

توفي الشيخ محمَّد الهميم ود عبد الصادق عن مائة وعشرين عاماً قضاها في نشر الدّين وتسليك المريدين والنهوض بهم إلى رحاب الحق عزّ وجلّ. ولقد كان في حياته قبلة القاصدين من أدنى الأرض وأقصاها لطلب الهداية والارشاد وحمل بعده أولاده الرّاية التي لم تسقط قطّ وقبر بالمندرة بمسجده يزوره الاحباب من كل الأجناس ولقد كان محل تقدير واحترام من كل المشايخ الذين عاصروه واللاحقين ووصفوه بكل صفات المعرفة وعلوّ المكانة.ولقد وصفه الشيخ هجو ود الماصع خليفة الشيخ التوم ود بانّقا بأن قال "والله إنّ الشيخ محمَّد الهميم عتيق الله ومثله في الأولياء كمثل جده رسول الله في الأنبياء". فما أعظمه من وصف من رجل عارف بالله إذ إنّه لا يعرف قدر الرجال إلاّ الرجال وللدلالة علي علو قسمته عند ربه واصطفائه له وصف شيخه الشيخ تاج الدين البهاري .

واستشهد ببيتين لأحد شعرائهم إذ قال في وصف حالهم :

النور المُحمّدي بجسمه عم   وبذكر الجيل خلطوا اللحم والدم
حرموها النفوس من الطعام والشم   خاليات القلوب من الحساب والهم

خاتمــة : مذيلــة بــبعض أحفاده وشعرائه ومقاديمهم وغيرهم من المنتسبين للطريقة القادرية

ذكر السادة الصادقاب الركابيّة أكثر من أن يسع بضع صفحات وهم يعتبرون جزءاً من سيرة عموم قبيلة الركابيّة وإسهاماتها لا تغيب عن فكر كل مستنير في نشر الدين وتعليم القرآن والعلم والطريقة منذ قدومهم إلى السودان وإلى أن يرث الله الأرض ومــن عليها ولا يزال المنتسبون إليهم في ترقٍ دائمٍ وإمدادٍ ظاهرٍ . كما وصفهم الشيخ الطيب ود السائح "إن الشيخ محمَّد الهميم قد ساح بقبيلته فراراً إلى الله تعالى فهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله".

بعض أحفاد الشيخ محمَّد الهميم من بقاع مختلفة

١. الشــيخ يوســف بن الشيخ الضو بن الشيخ أحمد البدوي(مسيد المحكرة غرب الرهيد)

تــتلمذ على يد شيخه الشيخ محمَّد بن الشيخ طه الخليفة الأسبق وخاله ولقد كــان والده الشيخ الهميم صاحب مجاهدات كثيرة وقدم راسخ في الطريقة وبلغ الشيخ يوسف شأواً عالياً في مراقي الطريق وعلومه ففتح عليه وأرشد الكثيرين إلــى الله تعالى وكان حكيماً طبيباً يقصده أصحاب العلل المستعصية طلباً للشفاء فيمدهم ببركته وينالون مطلوبهم وكانت كراماته مشهورة في منطقة ما بين النيل الأزرق والــرّهد حيث مسجده على ضفته الغربية توفىّ عام ١٤١٥هــ/١٩٩٥م وخلفه ولده الشيخ الهميم ويقوم بأمر المسيد والطريقة خير قيام.

٢. الشيخ دفع الله بن الشيخ محمَّد المرتجى

بــأم دمــور وشــهرة قريته دمبس شرق الدندر ، وهو من أحفاد الشيخ الضــو والــد الشيخ الطيب ود الضو عالم حافظ لكتاب الله أخذ عليه الكثير من قــبائل رفاعة شرق وغرب الدندر وجنوبه إلى تخوم الحبشة خليفته الآن الشيخ

الـــبكري ويعاونه إخوانه الشيخ الجنيد والشيخ محمَّد والشيخ تاج الدين وغيرهم من المريدين والأحباب.

٠٣ الشيخ أحمد الشيخ الهميم ود الفضل: كسلا قرية خاتو"

تلمـــيذ الشـــيخ محمَّـــد الحار وكان مسيده بأبوقمل داخل الحدود الإرترية الســـودانية خلف والده الشيخ الهميم الذي كان سائحاً بتلك النواحي وصاهر قبيلة النوايمة وأسّس مسجده معهم وانتقل أخيراً إلى داخل السودان قرب كسلا فهو ذو مجاهدات عالية وبطل من أبطال خلاوي الصمدية.

٠٤ الشيخ أحمد البدوي بن الشيخ البكري الشيخ الهميم الصباع

هـــو سَمِيُّ جده الشيخ أحمد البدوي ساكن القلاّبات حفظ القرآن وتعهده فلا يكاد يرى إلا وبيده صحيفة من كتاب الله أيّده الشيخ الباقر شيخاً للطريقة في تلك المنطقة وكانت تربطه بالشيخ الطيب ود المرين ابن عمه أخوة قوية في الله حتى انـــه زاره في مرضه الذي انتقل فيه وبعد خروجه منه اشترى كفنه ونعى للناس الشـــيخ الطيـــب يوم الخميس وكانت وفاة الشيخ الطيب يوم الجمعة وتوفىّ هو صـــبيحة الســـبت أول أكتوبر عام ١٩٩٩م إذ تعاهدت روحاهما الطاهرتان أنّ يـــرحلا مـــن هذه الدار ويحطا الركائب قرب المصطفى(ﷺ) في دار الخلد ، رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

٠٥ الشيخ السماني الشيخ على المرين

أنشـــأ مســـيده بخشم القربة وهو أخ غير شقيق للشيخ الطيب ود المرين تولّى إرشاد السالكين بتلك الجهة ورباطه وثيق ببقعة الخلافة موطن آبائه بالبنية الصادقاب في كل المناسبات الدينية يأتي بمريديه وأتباع الطريقة قاطعين المفاوز للمشـــاركة في كل حدث وأبناؤه محمَّد ، أحمد ، الباقر ، الطيب ، الضو ، نور الدين ، أبو القاسم ، مجتبى ، منى ، صفية ، آسية وغيرهن.

مقاديم الصادقاب

عددهـــم كبـــير ، وأثرهم واضح في الطريقة ومسئولياتهم هامة ومحددة تجـــاه الطـــريقة والمريدين ، وعليهم تقع مسئولية إدارية في الطريقة حتى ليبدو المقـــدم هـــو المحـــرّك المساعد لنشاط الطريقة وحل ما يطرأ من قضايا تخص الجماعات والأفراد ٠

اشتهر في القادريّة الصادقاب عدد من المقاديم والفقرا حتى كانوا بمثابة القـــدوة ، يحملـــون راية الريادة، منهم على سبيل المثال: عبد المحمود فلفل، المقـــدم العطايا ، المقدم غلام الله دفع الله ، المقدم محمَّد العوض، المقدم عبد الفراج ، المقدم دراج، المقدم محمَّد علي كرار، حاج طه البوادري، المقدم عبد الله ود أحمـــد ، المقـــدم أحمد يوسف ، المقدم محمَّد ود بلال ، المقدم بابكر، المقـــدم جابـــر، المقدم ود أرباب، الشيخ عبد الله ود عمر، الأمين ود عباس، محمَّـــد عـــبد العال، ود برته، المقدم بخيت، ود عطا الله، المقدم بلولة، المقدم الصادق، المقدم جادين، المقدم الطيب ود عبيد وسواهم ٠

شعراء الصادقاب

يمـــثّل الشـــعر الصوفي ، وهو شعر مادح بالنسبة لأية طريقة صوفية الصـــبغة واللونية الحقيقية والهامة في مسيرة الطريق ، يردّده المريدون وعشاق التصـــوف عمومـــاً وعلـــيها يجتمعون فيؤلّف بين قلوبهم أوراد وأذكار لابد من حفظها والتّغنى بها ، لذا نجد في الطريقة الصوفية أشعارها٠

فالصادقاب كانوا و لا يزالون لديهم كوكبة من الشعراء ، وثّقوا لأفكارهم وشخصياتهم وخلفائهم ، وهم كثيرون ، نذكر منهم :

- الشاعر محمَّد ود مالك ، شاعر الشيخ الطيب ود الضو ٠
- الشاعر ود الجاموس ، شاعر الشيخ الطيب ود الضو ٠

- الشاعر محمَّد ود دفع الله أبو منصور ، شاعر الشيخ طه·
- الشاعر أحمد ود بخيت ، شاعر الشيخ علي ·
- الشاعر أحمد ود هجانا ، شاعر الشيخ طه ·
- الشاعر سليمان العقلي ، شاعر الشيخ طه ·
- الشاعر الضو ود عبيد ، شاعر الشيخ علي المرين ·
- الشـــاعر الهميم الفكي أحمد علوبة ، شاعر الشيخ محمَّد الحار وشاعر البقعة الحالي ، ويقيم بالقرية ١٨ بمشروع الرهد الزراعي
- الشاعر سليمان ، شاعر الشيخ محمَّد الحار ·
- الشـــاعر أحمد ود مراح ، شاعر الشيخ أحمد البدوي الشيخ طه ، ويقيم الآن ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م بالقرية ٣ بمشروع الرهد الزراعي ·
- الشاعر الفضل ود أحمد ·
- الشاعر فضل الله ·
- الشاعر إبراهيم ود أبو خليف ·
- الشاعر الزاكي ود البشير ، مادح الصافي ·
- الشاعر الباقر ود المقدم عبد الله ، مادح الشيخ أحمد ·
- الشاعر أحمد المقدم محمَّد أحمد محمَّد علي ·

الطريقة القادرية الكباشية

مؤســـس هذه الطريقة هو العارف بالله الشيخ إبراهيم الكباشي الذي ولد بقـــرية أبـــو قمـــيص شـــرق قرية معتوق حالياً والتي تقع غرب المناقل بولاية الجزيرة في عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م·

أما عن مراحل تعليم الشيخ العارف بالله الشيخ إبراهيم الكباشي فقد قرأ القرآن وحفظه برواياته المختلفة على يد الفقيه علي ود الفادني بقرية ود الفادني

المعروفة والتي تقع جنوب مدينة الحصاحيصا وكان عمره آنئذٍ ثلاثة عشر سنة ومــن ثــم جــوّد القرآن على الفقيه "علي" بقرية العركيين طيبة ثم درس الفقه والتوحــيد والحديث وكثيراً من علوم الدين والشريعة الإسلامية بمسيد ود عيسى المشهور بشمال الجزيرة على النيل الأزرق (كُترانج) ·

هــو الشــيخ إبراهيم بن الفقيه الأمين الفقيه علي المكني بود سهول بن الفقــيه محمّد بن الفقيه أحمد بن الفقيه عمر بن الفقيه إبراهيم بن الفقيه علي بن الفقيه عبد الله بن الفقيه محمَّد الدرويش بن السيد سلامة بن السيد حماد بن السيد بكــنون بن السيد فاضل بن السيد محمد الحسن المعارك بن السيد أحمد بن السيد رافــع بــن السيد عامر بن السيد حسن بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الله بن الســيد إبراهيم بن السيد الإمام موسى الكاظم بن السيد الإمام جعفر الصادق بن السيد الإمام محمّد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وبنــت ســيد المرسلين سيدنا محمّد (ﷺ)· هذا من جهة أبيه أما والدته هي أم الحســين بنت محمّد علي ود محمود وهي جعلية نفيعابية وهي بنت عمة الأمير عبد الرحمن النجومي أحد قادة الثورة المهدية المشهورين ·

أخــذ الشــيخ إبراهيم الكباشي الطريقة القادرية عن الشيخ طه البطحاني الأبــيض عن الشيخ المكاشفي عن الشيخ عبد الباقي النيل عن الشيخ عبد الله ود العجــوز عن الشيخ محمّد المسلمي عن الشيخ دفع الله المصوبن عن الشيخ أبو إدريس الزاهد عن الشيخ عبد الله العركي مؤسس الطريقة القادرية العركية عن الشــيخ حبيب الله العجمي عن الشيخ تاج الدين البهاري عن الشيخ محمّدين عن الشــيخ أحمد عن الشيخ أجمل عن الشيخ محمّد أكمل عن الشيخ علي أكبر عن الشيخ علي اصفر عن الشيخ جلال الدين عن الشيخ كمال الدين عن الشيخ علاء

الديـــن عـــن الشيخ محمَّد عن الشيخ المرجي عن الشيخ البدوي عن الشيخ عبد الـــرازق عـــن الشـــيخ عبد القادر الجيلاني عن الشيخ أبي سعيد محمَّد القاضي المخذومـــي عن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري عن الشيخ أبي الفرج محمَّد بن عبد الله الطرطوسي عن الشيخ أبي الفضل عبد الواحد عب الشيخ عبد العزيـــز ابن الحرس عن الشيخ أبو بكر الشبلي عن الشيخ أبو القاسم الجنيد عن الشـــيخ السري السقطي عن الشيخ معروف الكرخي عن الإمام علي رضاء عن أبـــيه الإمـــام موسى الكاظم عن أبيه الإمام جعفر الصادق عن أبيه الإمام محمَّد الـــباقر عن أبيه الأمام علي زين العابدين عن أبيه سيدنا الإمام الحسين عن أبيه سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن سيد الأولين والآخرين سيدنا محمَّد (ﷺ).

أما صفته فقد كان مربوع القامة ليس بالطويل ولا القصير أخضر اللون بين أسنانه فُرْجه(فلجة) وتوجد شامة على كتفه الأيمن وأخرى على كتفه الأيسر.

تنقل الشيخ إبراهيم الكباشي (رضي الله عنه) بين كثير من قرى الجزيرة المختلفة وكان مشهوراً بالصلاح والتقوى والزهد والورع والعلم والتصوف وكان رحمه الله مجاب الدعوة وكان هذا التجوال بقصد تعليم وارشاد الناس والدعوة إلى الله تعـــالى إلى ان وصل الخرطوم ومنها أتجه شمالاً إلى ان وصل قرية الخوجلاب الحالـــية فنزل بالقرب من منطقته العبدلاّب وكانت بجوارها غابة كثيفة بها كثير مـــن الحـــيوانات المتوحشة والثعابين وغيرها وجاء ملوك العبدلاّب وطلبوا من الشيخ الكباشي ان يسأل الله لطرد هذه الحيوانات المفترسة وهذه الثعابين الفتاكة التـــي تفـــتك بمواشـــيهم . وأكرم الله الشيخ الكباشي بعد أن سأل الله رحيل هذه الحـــيوانات والثعابين وقد رحلت هذه الحيوانات والهوام جميعها وأصبحت الغابة آمـــنه فمـــا كان من الملوك العبدلاّب إلا وأن أعطوا الشيخ الكباشي هذه الغابة

والتي عرفت فيها بعد بأسم "الفرع "٠ وبعد مدة وجيزة من سكنه في هذه المنطقة قـــام بقطع معظم الأشجار واشتغل بالزراعة واستوطن بعض الناس بالقرب منه وبعد ذلك بدأ في أنشاء الخلاوى لتدريس الناس القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وصـــارت البلدة تحمل أسمه "الكباشي" إلى يومنا هذا وكان الناس يتوافدون إلى خلاويـــه مـــن كـــل منطقة من مناطق السودان المختلفة لدراسة القرآن وحفظه ولمعرفة التوحيد والفقه و لم يقف عند إنشاء الخلاوى وتدريس الناس فحسب بل كان داعية من دعاة الإسلام المشاهير ٠فقد تتلمذ على يديه الكثيرون من المشايخ وأخـــذوا علـــيه الطـــريق وكان كل منهم داعية إلى الله في مكانه وعلماً بارزاً وأنشاوا المساجد والخلاوى وساروا على نهجه في تعليم الناس وإرشادهم ٠

إبكار الشيخ إبراهيم الكباشي:

ارشـــد الشـــيخ العارف بالله الشيخ إبراهيم أقواما كثراً وأوصلهم لله تعالى نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

٠٦ الشيخ أحمد ود محمود المسلمي وهو والد الشيخ إبراهيم ود أحمد ود "نفيسة" شاعر الشيخ المعروف٠

٠٧ الشـــيخ عـــوض الله الحمـــدي "الفرقان" وهو مدفون شرق قرية الكباشي٠

٠٨ الشـــيخ عدلان الحساني ٠وهو مدفون بقرية الفطيسة جنوب مدينة القطينة بالنيل الأبيض ٠

٠٩ الشيخ الحسيني "المسلمي" وهو مدفون بقرية ود مكاوي ٠

١٠٠الشيخ مكي ود الحسيني وهو مدفون بقرية المسلمية٠

١١٠الشـــيخ ود حاجـــة وهـــو الشـــاعر المعروف وله شعر في مدح المصطفى (ﷺ)والمدفون الآن بقرية الفادنية ٠

١٢٠الشيخ طه ود الفكي حسونة "مسلمي" وهو مدفون بقرية البشاقرة٠
١٣٠الشـــيخ بشـــير الحمري وهو شاعر الشيخ المعروف وقبره بقرية العسيلات شرق أم ضواً بان ٠
١٤٠الشيخ محمَّد ود أم قمير وهو من بلاد المغرب توفى بقرية فطيس بالجزيرة ٠
١٥٠الشيخ مرزوق المغربي وهو صاحب القرية المشهورة بأم درمان وهم كما ذكرنا كثيرون لا يحصى عددهم ٠

نهجه :

لقـــد كـــان الشيخ إبراهيم الكباشي رحمه الله زاهداً وصوفياً وداعياً إلى الله تعـــالى يظهر في تقشفه وتواضعه و المغارات التي كان يتعبد فيها بعضها تحت الأرض والبعض الآخر في الجبال وله غار تحت الأرض بقرية الكباشي وآثاره مـــا تزال موجودة حتى الآن وله غار ايضاً بجبل "المرخيات" شمال غرب مدينة أم درمـــان وآخـــر بجبل السليت جنوب شرق قرية الكباشي وآثارهم باقية حتى الآن٠

ومن خصوصياته ، والخصوصية محض فضل من رب العالمين يؤتيها من أراد من عباده وأوليائه ولقد أجمع العلماء والأولياء والمعاصرين للشيخ إبراهيم الكباشي بهذه الخصوصيات التي تفرد بها وهي :

علـــم التصـــريف: لقـــد مـــنح الله (سبحانه وتعالى) الشيخ إبراهيم الكباشي الإجابة والتصرف فأمره في لسانه وما يقوله يحدث بفضل الله وهذه درجة ولاية كبرى وخصوصية ربانية فريدة ونادرة٠

صحبة الخضر عليه السلام : ومن سبق العناية والفضل على الشيخ إبراهيم الكباشـــي ان خصـــه الله تعالى بصحبة الخضر عليه السلام قبل البلوغ فاشرف

على تربيته ورعايته حتى ان الشيخ الكباشي يقول في رده على السيد الحسن بن السـيد محمَّـد عـثمان الختم عندما طلب منه اسم الله الأعظم قال وعن مربيّ الخضر انه أخفى في أسماء الله التسعة والتسعين كالجوهرة الفريدة.

وقد عاش الشيخ إبراهيم في الفترة ما بين ١٢٠١هـ-١٢٨٦هـ/١٧٨٦م-١٨٦٩م والتـي وافـق ظهور أمره فيها الحكم التركي على السودان والذي ظل مناهضاً له محرضاً عليه إتباعه وقد أظهر الله على يديه كثيراً من الخوارق في قهر الحكام الأتراك.

قوله أول شيء يبدأ به المريد طريق الله تعالى : تصحيح التوبة إلى الله تعالى من جميع الذنوب وان كان عليه شيء من المظالم لاحد من الخلق فليبادر بأدائها لاربابها ان أمكن و إلا فليطلب الحلال منهم فن الذي تكون ذمته مرتهنة بحقوق الخلق لا يمكنه السير إلى الحق

ان المعاصي تعمل في القلوب عمل السم في الأجسام وقلب المريد اعز عليه من جسمه.

الحسـد هو معاداة الله ظاهره ومنازعته له في ملكة بينه لانه سبحانه إذا أنعـم علـى بعض عباده بنعمة فلاشك أنه مريد لذلك ومختار له إذ لا مكره له تعالى فإذا أراد العبد خلاف ما أراد مولاه فقد أساء الأدب واستوجب العطب.

ان العلـم مانفع ومن علم ولم يعمل فليس بينه وبين الجاهل فرق إلا من حيث ان حجة الله عليه أكد فعلى هذا يكون الجاهل أحسن حالاً منه ولذلك قيل:

علم لا يعود عليك نفعه فالجهل أعود اليك منه

للشـيخ إبراهـيم مؤلفات من الكتب والأحزاب والأدعية منها ما طبع و منها ما هو تحت الطبع نذكر منها على سبيل المثال :

١٠ السـير إلـى رب العالميـن ·تحدث فيه الشيخ عن التصوف شارحاً معناه وتحدث عن أخلاق المتصوف ثم أبان كيفية السير إلى رب العالمين
٢٠ الـذوق – تحـدث فـيه عن خفايا النفس والقلب وأمراض القلب الباطنية وشرح كيفية العلاج منها والتخلص من شرّها ·
٣٠ مقصد الصديقين – تناول فيه أخلاق المتصوفة وصفاتهم ·
٤٠ إرشاد المريد تحدث فيه عن آداب الطريق وما يجب على المريد ووظائف الإدارة ·
٥٠ مجموع الأحزاب والأدعية

خلفاء الشيخ إبراهيم الكباشي :

تولى خلافته بعده أبناؤه وأبناءُ أبنائه على النحو التالي :

١٠ الخلـيفة محمّد بن الشيخ إبراهيم الكباشي – وكانت مدة خلافته ١٨عاماً·
٢٠ الخليفة الحاج طه بن الشيخ إبراهيم الكباشي – ومدة خلافته ١٣ عاماً·
٣٠ الخلـيفة عبد الوهاب بن الشيخ إبراهيم الكباشي – ومدة خلافته ٤٠ عاماً·
٤٠ الخلـيفة البشـير بن الشيخ إبراهيم الكباشي –ومدة خلافته ٢٦ عاماً·
٥٠ الخلـيفة الحـبر بـن الشيخ إبراهيم بن الشيخ الحبر بن الشيخ الكباشي و مدة خلافته ٣٧عاماً ·

وهؤلاء السلف من خلفاء الشيخ الكباشي جميعهم ساروا على نهج الشيخ إبراهيم في نشر العلم والمعرفة وارشاد العباد والدعوة إلى الله تعالى ولهم من الخصوصيات والكرامات وخوارق العادات مالا يُحْص ولا تُعدّ

٠٦ والخليفة الحالي ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣ الخليفة عبد الوهاب بن الخليفة الحبر الكباشي أطال الله عمره وهو جاد في السير على نهج آبائه السلف الصالح في تطوير رسالة المسيد والتوسع في إحياء نار القرآن وحلقات العلوم الإسلامية والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى هذا بجانب حل قضايا ومشاكل المسلمين الحياتية حيث يقصده كثير من الناس لحل قضاياهم وهؤلاء جعلهم المولى عز وجل رحمة للعباد لانهم بضعة المصطفى (ﷺ) وهو الرحمة المهداة فلا غزو في ذلك نفع الله بهم العباد ٠

الطريقة القادريّة العركية والمكاشفية والكباشية[١]

الحديث في هذا الشأن مهما أوجز فيه يتطلب مرتكزات أساسية يقوم الحديث عليها٠ أولى هذه المرتكزات هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، وثانيها السنة الغراء اللذين تركنا رسول الله(ﷺ) بهما على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك قال تعالى مخاطباً الذي لا ينطق عن الهوى : " قُل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني " {يوسف : ١٠٨} وقال(ﷺ) : " نَصر الله امرءاً سمع مقالّتي فوعاها فأداها كما سمعها " ٠

إن الطريق الصوفي هو بيعة وعهد ، يجب الالتزام به والوفاء بعهده قال تعالى : " وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا "{الإسراء : ٣٤} ٠

[١] أنظر الدكتور / عبد الرحمن أبو إدريس ، فيض المناقب إسناد القادريّة للسنة والقرآن

وجوهـــره يقوم على سند البيعة وتسلسلها من أجل هذا يجب إثبات سند الطريق الأم لهذين الطريقين : المكاشفية والكباشية ٠

فالطريقة القادريّة العركية أنشأها وأسّسها الشيخ عبد الله العركي المولود بأبـــيض ديـــري التي تقع شمال الخرطوم بحري بالقرب من الجيلي في النصف الثانـــي مـــن القرن السادس الميلادي ففي كمال سيرته الذاتية أنظر كتابنا **فيض المناقب إسناد القادريّة للسنة والقرآن** ص ٦٠ طبعة أولى ٠

ســند الشـــيخ عبد الله العركي في الطريقة القادريّة والذي ظلّ يتوارثه أتـــباعه فـــي الطـــريقة القادريّـــة وهو بيد كلّ شيخ مجاز في الطريق وهو سند متوارث خلفاً عن سلف وكثيرمن المشائخ العلماء نظمه شعراً كالشيخ الحسن ابن قـــرش حفيد الشيخ حامد أبو عصا وتلميذ الشيخ محمّد يونس في الطريق وتلميذ الشيخ محمَّد البدوي في العلم حيث قال : في مطلعه :

مولاي في اللـــــوح أنزلـــه

والوحـــــــي جــــــبريل نقــــله

ومنه إلى خاتم المرســـــلين

وإلـــى الإمام علـــــي أمير المؤمنين

إلى سلاسة الصادق والأمين

أغنى الحين وابنه علي زين العابدين

وهكذا إلى أن وصل به إلى شيخه الشيخ محمَّد يونس حيث قال :

إلى ودّ يونس الحد * بجاههم ربنا نمتد

بجانـــب العربي والد الشيخ حياتي إلى أن وصل به إلى شيخه : الشيخ العبيد ودّ بدر حيث يقول:

هذا طريـــق الســـــير والكـــمال

أحياه عوض الجيد درج المــــراقى نال

أحياه ودريّة غوث الوجود في الحال

أهل ببعث بدوال للقلـــــــوب عـــدال

هذا طريق الوصال أحياه ودّ العجوز الأزرق المشهود

وأحياه المكاشفي أحمد صاحب العطا والجود

وممـــن نظموه شعراً أيضاً أبن أبي كساوي وكالشيخ عوض الجيد عبد العدل وغيرهم لا يحصى عددهم كما ذكر ابن ضيف الله مشيراً إليه مضمّناً في قصيدة ذكر منها أبياتاً وها نحن نثبته كاملاً كما يلي :

"فطـــريق الشـــيخ عبد الله العركي وإجازته من شيخه الشيخ حبيب الله العجمي عن شيخه : الشيخ تاج الدين محمّد بهاري عن شيخه : الشيخ محمَّد دين عـــن شـــيخه وأبيه : السيد نور الله مرقده عن شيخه : السيد أكمل عن شيخه : السيد أكبر عن شيخه : السيد أصغر عن شيخه : السيد جلال الدين عن شيخه : السيد كمال الدين عن شيخه : السيد علاء الدين عن شيخه : السيد محمّد المساعد عـــن شيخه : السيد أحمد المرجي عن شيخه : السيد محمّد البدري عن شيخه : الســـيد عـــبد الـــرازق عن شيخه و أبيه غوث الثقلين محيى الدين عبد القادر الجيلانـــي قـــدس الله ســـره العزيـــز عـــن شيخه وأستاذه : أبي سعيد بن علي المخزومي عن شيخه : الشيخ يوسف الطوسي عن شيخه: الشيخ علي بن محمَّد بن يوسف القرشي الهكاري عن شيخه : الشيخ عبد الواحد التميمي عن شيخه : الشـــيخ عبد العزيز اليمني عن شيخه : أبي بكر الشبلي عن شيخه شيخ الصوفية علماً وعملاً الشيخ الجنيد البغدادي النهاوندي القواريري رحمه الله عن شيخه : الشـــيخ سري القطي عن شيخه : الشيخ أبي محفوظ معروف بن فيروز الكرخي عـــن شيخه : سليمان بن داود ابن نضير الطائي الكوفي تلميذ الإمام أبي حنيفة

النعمان وأجل أصحابه عن شيخه : السيد الإمام علي الرضي عن أبيه السيد الإمام موسى الكاظم عن أبيه : السيد الإمام جعفر الصادق عن أبيه : السيد الإمام محمَّد الباقر عن أبيه:السيد الإمام علي زين العابدين عن أبيه السيد الإمام الحسين عن أبيه الإمام أمير المؤمنين أسد الله الغالب سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) وكرم الله وجهه وهو مجاز من سيد المرسلين سيدنا محمَّد(صلى الله عليه وسلم) تسليماً".

الشيخ عبد الله العركي هو الرجل الأول في الطريقة القادريّة العركية والرجل الثاني فيها شقيقه : الشيخ محمَّد أبو إدريس الزاهد الذي من تلاميذه: الشيخ إدريس بن الأرباب والشيخ حسن بن حسونه الذي قال فيه ولد أبو مروه الشيخ محمَّد بن الطريفي والد الشيخ يوسف أبو شرا :

أرشد في زمانو ود حسونة ودفعه الفعال

ولد مرعى معه الشيخ ولد بلال

الرازقي سقاه وليسو الأحوال

أبو إدريس التقي الزهد الدينية ومال

ثم ورث الشيخ عبد الله العركي وشقيقه : الشيخ أبو إدريس الزاهد ابنه الشيخ دفع الله المصوبن الذي أخذ منه مدد الطريقة كما ورث الشيخ دفع الله جده الشيخ دفع الله بن السيد أحمد صعيل في الطريقة الشاذلية أولاده : الشيخ حمد النيل والشيخ عمر الملقب بالمجذوب والشيخ أبو بكر المكنى بأبي عائشة ثم ورثهم أيضاً ابن شقيقهم الشيخ أبو عاقلة الكشيف ثم أخذ الطريقة القادريّة من عمه الشيخ أبو إدريس الزاهد وظلّ أبناؤه يتوارثون الطريقين : الشاذلية والقادرية وخلفائه الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله الطريفي ، وخلفه الشيخ دفع الله الصاموته وخلفه الشيخ يوسف أبو شرا "وكان فريد في عصره" وخلفه الشيخ

محمّـد طـايل اليد، وخلفه الشيخ احمد الريح ،وخلفه السيخ حمد النيل ، وخلفه الشيخ عبد الله، وخلفه الشيخ عبد الباقي "صاحب الاسم لطيبه – طيبة الشيخ عبد الباقـي – أول مـن قبر بها، وكان فريد في عصره – وخلفه الشيخ حمد النيل، وخلفـه الشـيخ احمـد الريح وخلفه الشيخ أبو عاقلة، وخليفته الآن ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م الشـيخ عبد الله الشيخ أحمد الريح وهو خريج جامعة الخرطوم وعمل علـى توسـيع المسجد وتجديد وزيادة الخلاوى وجمع شمل الطريقة – وهناك خلافـات تـنطوي تحـت مظلة خلافة طيبة الشيخ عبد الباقي منهم أبناء وذرية الشـيخ حمد النيل بأبي حراز غرب والخليفة الشيخ حمد النيل بن الشيخ العليش والشيخ مولانا العركي الشيخ الرّيّح وأيضاً خلافة الشيخ دفع الله الصائم وخليفته الشـيخ احمـد عبد الباقي وتلاميذه الشيخ الصادق عباس خالد ، والشيخ محمّد الخير إبراهيم ، والشيخ عبد المنعم وغيرهم · والشيخ علي الحاج القادري تلميذ الشـيخ عبد الباقي وخليفته الشيخ فتح الرحمن الشيخ علي الحاج ·والشيخ محمد الشيخ إسحق الشيخ حمد النيل · والشيخ محمّد كزام تلميذ الشيخ أبو عاقلة الشيخ احمـد الـريح · وبـرفاعة خلافة الشيخ العباس – والخليفة الآن الشيخ عبد الله الشـيخ العـباس خليفة الشيخ يوسف أبو شرا و الخليفة الحالي بطيبة الشيخ عبد الباقـي : الشـيخ عبد الله بن الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الباقي بطيبة والخلافة الثانية في طيبة هي خلافة الشيخ عبد الله الشيخ محمد الشيخ عبد الله الشيخ عبد الباقـي والعركيين فرع اخر بالكريمت ريفي المناقل – والخليفة الآن الشيخ أبو يزيد الشيخ دفع الله أبو نائب – والمناقل الشيخ احمد محمد دفع الله أبو نائب ·

أمّـا تفرع الطريقة القادريّة من الشيخ دفع الله المصوبن يتمثل في بيت الشـيخ حمد الزيادي ابنه وخلفائه من بعده الشيخ أبو عاقلة أبو مسك ابن الشيخ حمد، والشيخ قسم الله أبو شلة ابن الشيخ أبو عاقلة ، والشيخ المجذوب ، وخلفه الشيخ الإمام وخلفه الشيخ حمد النيل ، وخلفه الشيخ احمد الناجي ، وخلفه الشيخ

محمد بن الشيخ احمد الناجي ،خلفه الشيخ حمد ، خلفه الشيخ الحسن، خلفه الشيخ دفع الله ابن الشيخ حمد الناجي. وكانت خلفته أطول مدة خلافة (٥٩) سنة، والخليفة الآن الشيخ عبد الرحمن الشيخ دفع الله الشيخ حمد الناجي، ويساعده في الخلافة الشيخ احمد الشيخ عبد الله الشيخ حمد الناجي، والشيخ عبد الله والده توفي ١٩٩٢م، وكان دوره في الدعوة بمنطقة صعيد السودان من منطقة الرصيرص حتى الحدود الحبشية ، وكان دخوله تلك المنطقة سنة ١٩٣٧م . والخلافة الكبرى للطريقة القادرية العركية بأبي حراز الخليفة الشيخ عبد الرحمن إلى الخليفة الحالي الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ دفع الله بن الشيخ حمد الناجي.

وابنه الأكبر الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ دفع الله المصوبن وخلفائه الشيخ زين العابدين، وخلفه الشيخ عبد الرحمن، وخلفه الشيخ النور، وخلفه الشيخ يونس، وخلفه الشيخ محمد ، وخلفه الشيخ أحمد ، وخلفه الشيخ محمد، وخلفه الشيخ عبد الرحيم، وخلفه الشيخ محمد، والخليفة الآن الشيخ يوسف بن الشيخ محمد والشيخ عبد الرحيم ود يونس بأبي حراز، وتفرعت خلافة الشيخ محمّد ابن الطريفي والشيخ أحمد أبو فلج في الطريقة القادرية من الشيخ دفع الله المصوبن أمّا الذين تفرعوا من الشيخ دفع الله المصوبن في الطريق والسند الشيخ المسلمي وورثه في ذلك ودّ العجوز ثم الشيخ عبد الباقي النيل راجل أم قرقور ثم الشيخ أحمد المكاشفي جد الشيخ عبد الباقي المكاشفي بالشكينيبة . ثم ورث المكاشفي الشيخ عوض الجيد الملقب بنور عفينة ثم ورثه في الطريق الشيخ العبيد ودّ بدر بأضوابان ثم ورثه الشيخ عوض الجيد الشيخ طه الأبيض البطحاني ثم ورث البطحاني في الطريق والسند الشيخ إبراهيم الكباشي .

نص بيعة الشيخ عبد الله العركي

تكون بالمكافقه إيذاناً بالتمسك والوفاء بعدها ثم التلقين يتم بعد التعوذ بالله من الشيطان الرجيم والاستعانة بالله تعالى ثم الصلاة على الرسول وتلقين كلمة التوحيد ثم الاستغفار ثلاث مرات ثم نص البيعة وهو : "بايعتك في الدين والشريعة والمتابعة وجعلت نفسي مريد الشيخ عبد القادر الجيلاني محيى الدين قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه اللهم يا مصرف القلوب أصرف قلبي على طاعتك، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمّن سواك وصلى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه وازواجه وذرياته أجمعين".

بيعة الشيخ عبد الله العركي وبناؤها على الكتاب والسنة

استهلت البيعة بالاستغفار امتثالاً لأمر الله تعالى : " واستغفروا الله إن الله غفور رحيم " {المزمل : ٢٠} وقوله تعالى : " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم " {المزمل : ٣٥}.

وتأسياً بالمعصوم(ﷺ) حيث قال : "إنه ليغاث على قلبي وإني لا ستغفر الله في اليوم مائة مرة " { صحيح مسلم ج١٧ ص ٢٣}.

وتأتي التوبة في صدر البيعة مصحوبة مع الاستغفار استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم و أتوب إليه – استجابة لله تعالى في قوله سبحانه:" واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه " { هود : ٩٠} وقوله تعالى : " وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " { النور : ٣١} وقوله تعالى: " ومن تاب وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً" {الفرقان: ٧٠} وقوله تعالى " يا أيها الذين أمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً

عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم" { التحريم : ٨} وقوله(ﷺ) "الله اشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها" {صحيح مسلم جـ٧ ص ٦٠ }.

ولقد كان الاستغفار والتوبة في مستهل تلقين البيعة لأن النفس البشرية لا تصلح للترقي في المقامات السلوكية إلا بتطهيرها من الذنوب والرعونات بالاستغفار والتوبة ثم تأتي بعد ذلك مرتبة التلقين لكلمة التوحيد وتلقينها لا يأتي ثماره وأكله إلا من تلقين عارف بالشريعة والحقيقة أهل لأن يقتدي به كما جاءت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: " وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها " { الفتح : ٢٦ } .

لذا فإن لكلمة التوحيد في القرآن الكريم مدلولين إحداهما مقارن بالقول الظاهر كما في قوله تعالى : " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون " { الصافات : ٣٥ } وثانيهما مقرون بالعلم الحقيقي كما قال جل شأنه : " فأعلم إنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات " {محمد : ١٩}.

فجاء التلقين بالبيعة بسبب نزول هذه الآية الشريفة لأجل الخواص . فقد ذكر القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني نقلاً عن بستان الشريعة : أول من تمنى قرب الطرق وأفضلها وأسهلها من النبي(ﷺ) عليُ(رضي الله عنه) وكرّم الله وجهه فأنتظر النبي(ﷺ) الوحي فنزل جبريل عليه السلام ولقّنه هذه الكلمة ثلاث مرات ثم قال النبي(ﷺ) كما قال جبريل عليه السلام ثم لقّن النبي(ﷺ) علياً (رضي الله عنه) ثم جاء إلى الصحابة رضوان الله عليهم فلقّنهم جميعاً وبايعهم على طاعة الله والسمع والطاعة له(ﷺ) **سر الأسرار** ص ٢٩.ومن هنا تأتي البيعة عبارة عن أخذ المواثيق على بذل الطاقة والنفس في طاعة الله ورسوله والبيعة بهذا المعنى هي بيعة لله ورسوله لذا جاء وعد الله الذي لا يتخلف بالثواب العظيم

لمـــن وفىّ بها وجاء وعيده لمن ينكث فيها حيث قال عز من قائل : " إن الذين يـــبايعونك إنمـــا يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومـــن أوفـــى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً "{الفتح : ١٠} ·هذه الآية الكريمة بينت أثر البيعة بكلمة التوحيد ومقتضياتها إيجاباً وسلباً لمن هو مستحق لها وأهل لها ، ومدلول هذه الآية الكريمة هو الذي طبقه الشيخ عبد الله العركي في بيعته حيث لم يبايع بها إلا من استوثق من أحقّيته ، لذا وجدنا كلّ من أخذها منه وأوفى بها صلحت حاله وأصلح حال غيره والمجال لا يتسع لذكر الأمثلة·

كما نجد أن أركان بيعته هذه تتطابق تماماً مع ما جاء في قوله تعالى: " يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنيـــن ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصـــينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم"{الممتحنة : ١٢} ·

هـــذه المبايعة التي تضمنتها هذه الآية الكريمة تحتوي على كليات ثلاث هي : توحيد الله تعالى المضمن في قوله تعالى : " أن لا يشركن بالله شيئا" ·

واتـــباع الشريعة المتمثلة في الأمور الأربعة التي نهت الآية عنها وهي "ولا يسرقن" وما عطف عليها وهي نواهي وأوامر لأن النهى عنها يستلزم الأمر يضرّها ومجمل الشريعة أوامر ونواهي والأمر الثالث : اتباع الرسول(ﷺ) في قوله وأفعاله المدلول عليها بقوله تعالى : " ولا يعصينك في معروف " ·

فالآيـــة الكـــريمة بعد أن حددت صيغة البيعة في هذه العموميات الثلاث فأمرت الرسول(ﷺ) بأخذ البيعة والاستغفار وجاء هذا في قوله تعالى:" فبايعهن واستغفر لهن الله " ·

وهذه الآية وإن جاءت في بيعة النساء بعد فتح مكة فالعبرة بعموم السبب لا بخصوصه ٠

ونص بيعة الشيخ عبد الله العركي مبني على الكليات التي جاءت في الآية الكريمة بالترتيب فقوله : يبايعنك في الدين مبني على قوله تعالى :" على أن لا يشركن بالله شيئا " لأن النهي عن الشرك يعني التوحيد الذي عبر عنه سبحانه بالدين في قوله تعالى :" شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه "{ التوبة : ١٣} ٠

فالدين الذي أمر الله تعالى بإقامته وعدم التفرق فيه هو التوحيد ، لأنهم مختلفون في الشرائع ٠ ومما يدل أيضاً على أن المراد بالدين في الآية : التوحيد قوله تعالى : " كبر على المشركين ما ندعوهم إليه " لأن جميع الرسل أساس دعواتهم توحيد الله تعالى قال تعالى : " قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم "{ إبراهيم : ١٠}٠ وكذلك يدل على أن المراد بالدين في الآية : التوحيد قوله تعالى : " الله يجتبي إليه من يشاء "

لأن من لم يأذن له الله لم ينله كما جاء في قوله تعالى : " وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون " {يونس : ١٠٠}٠ وقوله "والشريعة" مبنى على قوله تعالى : " ولا يسرقن ولا يزنين " وقوله "والمتابعة " مبنى على قوله تعالى :"ولا يعصينك في معروف " ٠ ويؤخذ من قوله تعالى : " فبايعهن واستغفر لهن الله " ٠

إن البيعة لا تعطى إلا من هو أهل لها وبدليل توضيح مقتضياتها في صدر الآية ٠ ثم مجيء الأمر بها عقب ذلك كما يؤخذ من مجيء الأمر بالاستغفار إثر الأمر بالبيعة لزوم الطهارة من الذنوب القولية والفعلية والباطنية والظاهرية والوفاء بعهد البيعة لأن أحب شئ للنفس ما منع إلا من حفظ الله

تعـــالى. من أجل ذلك كله جاءت بيعة الشيخ عبد الله العركي مصدرة بالاستغفار والـــتوبة . كمـــا يؤخـــذ من قوله تعالى : " ولا يعصينك في معروف ". إن الاهـــتداء والوصول إلى الله تعالى لا يأتي إلا بالقدوة الحسنة التي يؤتمر بأمرها وينتهي بنهيها وبدليل قوله تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ".{الأحزاب : ٢١}.

وقوله تعالى :" وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله إن الله شديد العقاب " {الحشر : ٧} .

وقوله تعالى : " الرحمن فاسأل به خبيراً " {الفرقان : ٥٩}.

وقـــول النبي(ﷺ) للإمام علي(رضي الله عنه): " فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النَّعم "(صحيح البخاري جـــ ٧ ص ٧٠).

ومـــن أراد أن يعـــرف بناء أساس طريقة الشيخ عبد الله العركي على الكـــتاب والســـنة فعليه بكتابنا : **فيض المنان في إسناد القادريّة للسنة والقرآن** ص ٩٤ طـــــبعة أولى كما أنه من أراد أن يعرف جوهر الطريقة القادريّة الأم وبنائها على الكتاب والسنة فعليه بنفس المصدر سالف الذكر ص(٣٥) .

٢. الطريقة المكاشفية

لها مؤسّسان مؤسسها الأول الشيخ أحمد المكاشفي الذي ورث الشيخ عبد الباقي النيّل في الطريق والسند والإرشاد والمؤسس الثاني الشيخ عبد الباقي أبو عمـــر (راجل الشكينيبة) وهو وأرث لشيخه : الشيخ عبد الباقي بن الشيخ الإمام أبـــو شام المكني (بأبي الشول) الذي هو حفيد الشيخ عبد الباقي النيّل والنيّل هذا ورث الشـــيخ عـــبد الله بن العجوز في القادريّة وسندها وإرشادها وابن العجوز المسلمي المكنى بأبي سلة والمسلمي ورث الطريقة وسندها وإرشادها من الشيخ دفع الله المصوبن .

فالطريقة المكاشفية هي فرع من الطريقة القادريّة العركية ومنهج مستمد مـــن مـــنهج القادريّة العركية وإرشادها قائم على تعليم الكتاب والسنة والتربية السلوكية والمستمدة منها ومن منهج السلف الصالح التابعين والصحابة ٠

٠٣ أمّا الطريقة الكباشية

مؤسّســـها الشـــيخ إبراهيم المكاشفي العركي الحمادابي الذي قرأ القرآن علـــى الشـــيخ الطريفـــي بن الشيخ يوسف أبو شرا وأيضاً على الشيخ علي بن الفادنـــي تلمـــيذ الشيخ أحمد الريّح وأبو الشيخ حمد النيل (راجل أم درمان) في حوالي ألف ومائتين هجرية وقد ولد الكباشي بمنطقة معتوق وأخذ الطريق وسنده وإرشـــاده على الشيخ طه البطحاني الملقب بالأبيض لبياض لونه ٠ والشيخ طه أخذ على الشيخ أحمد المكاشفي ٠

فالطريقة الكباشية هي فرع من المكاشفية الأولى والمكاشفية الأولى كما بينَّا هي فرع من القادريّة العركية ٠ومنهجها في الإرشاد وسندها هو نفس منهج القادريّة العركية ٠

فالطـــريق المكاشفية والطريقة الكباشية والطريقة البادرابية التي أسّسها الشيخ العبيد ولد بدر راجل أم ضوابان جميعها فروع من القادريّة العركية لأنها مســـتمدة من القادريّة العركية وجميعها صاحبة مدد وإرشاد إلى يومنا هذا لأنها قائمـــة علـــى قول الحق عز وجل : " الرحمن فاسأل به خبيرا " أيّ فاسأل عنه خبـــيراً فـــرجال القادريّـــة العركية وفروعها جميعهم خبراء في تربية النفوس والســـلوك لأنهـــم يعرفون المريد بعيون نفسه ويدلونه على كيفية جهادها حتى تترقى من النفس الأمّارة إلى النفس اللوّامة ثم الملهمة ثم المطمئنة ثم الراضية ثم المرضيّة ثم الكاملة التي هي مقرّها مقعد صدق عند مليك مقتدر قال تعالى :" إنّ المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر "{ القمر : ٥٤/٥٥}٠

والترقي إلى النفس الكاملة هو أعلى الترقي والوصول إلى الله تعالى من عامة المكلفين أمّا ترقي الأنبياء فبدايته من النفس الكاملة لأنهم الصفوة المختارة ونهايته مقام الرسل وبداية ترقي الرسل مبدؤه نهاية ترقي الأنبياء.

وبدايـــة ترقي أولى العزم نهاينه ترقي عامة الرسل صلوات الله وسلامه علـــيهم أجمعيـــن وبداية ترقي سيد أولى العزم لا نهاية لـــه لأنه مصدر الكمال البشري ولأن الحق عز وجل قال له : " وقلّ ربي زدني علماً "{ طه : ١٤٤ } . وقـــال جل شأنه : " وفوق كلّ ذي علم عليم " { يوسف : ٧٦ } . هذا هو منهج التصـــوف الحق القائم على الشريعة والحقيقة والذي قال عنه الإمام مالك: "من تصوّف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفّسق ، ومن جمع بينهما فقـــد تحقـــق" (شـــرح مـــبارة الكبرى علي بن عاشر ص ٦) ، وهذا هو منهج التصـــوف الـــذي هـــو ركـــن من أركان الدين الثلاثة وهي: الإيمان والإسلام والإحسان . كما جاءت في حديث جبريل المشهور والإحسان هو التطبيق العلمي للركنين الأولين والذي عّرفه الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه بقوله: "أن تعـــبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" ولا يتحقق مقام الإحسان إلا بمـــنهج التصوف . ومن هنا كل من أعتمد على ركني الإيمان والإسلام واكتفى بهما دون الركن الثالث أصبح مرتعاً خصيباً للشيطان قال تعالى : " إن الشيطان لكـــم عدو فأتخذوه عدوا وإنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير"{ فاطر: ٦} وقـــال تعالى : " وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فأستعذ بالله إنه هو السميع العليم " { فصلت : ٣٦ } .

ومنهج التصوف هو الذي دعا إليه علماء الشريعة قال الشيخ ابن عاشر :

يصحب شيخاً عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك

يذكـــــــــــره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاه

يحاسب النفس على الآنفاس ويزن الخاطر بالقسطاس

ويحفظ المفروض رأس المال والنفل ريحــه به يوال
ويكثر الذكــر يصوف ليــه والعون في جميع ذايريه
يجاهد النفس لرب العالــمين ويتحلى بمقامات اليقين
خوف رجا شكر وصبر ثوابه زهد توكل رضا محبّة
يصدق شاهده في المعاملة يرضي بما قدره الإاله له
يصبر عند ذاك عارف بربه حرا و غيره خلا منه قلبه
فحيه الإلــه واصطـــفاه لحضرة القدس واجتباه

مصـــدق قول ابن عاشر هذا هو قوله الحق عز وجل : " الله يجتبي إليه مـــن يشـــاء ويهدي إليه من ينيب " وقوله تعالى : " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم ســبلنا و إن الله مع المحسنين" { آخر العنكبوت }.وقال تعالى : " وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى " { النازعات: ٤٠–٤١ }.

وقــد ســمى(ﷺ) جهاد النفس بالجهاد الأكبر حيث قال : "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس" لأن مشقة جهاد النفس دائمة ومشقة جهاد العدو في وقت دون وقت ولأن جهاد النفس متصل بالإنسان وجهاد العــدو منفصــل منه ولأن جهاد النفس لا يحصل إلا بامتثال جميع المفروضات بخلاف جهاد العدو .

وأجمــع العلمــاء والحكماء على أنه لا طريق لسعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى كما تقدم في الآية الكريمة السابقة الذكر وقال(ﷺ) :"المؤمن بيــن خمــس شدائد : مؤمن يحسده وكافر يقاتله ومنافق يبغضه وشيطان يضله ونفس تنازعه" وذكر أن راهباً نصرانياً يتعبد في صومعة فلا يأتيه ذو عاهة إلا يبرأ يمرّ يده عليه فسمع به رجل صالح فتعجب من ذلك فأتاه وسأله بماذا بلغت هــذه المنزلة قال بمخالفة النفس وهواها فقال له ذلك الرجل أعرضت لا إله إلا

الله علــيها قــط ؟ فقال : لا ولا أعرفها ثم قال له دعني إلى غد فإني أعرضها علــيها هذه الليلة فذهب الرجل الصالح فلما أتاه من الغد قال له النصراني امدد يمينك أنا أقول لا إله إلا الله ثم قال له عرضتها على نفسي البارحة فنفرت منها غاية النفور فقلت : إن فيها رضا الله تعالى وليكن من دعائك اللهم ملكنا نفوسنا ولا تسلطها علينا هكذا المؤمن العارف بالله يدلّ على الله تعالى بحاله ومقاله .

فـــالذي يراقـــب علاّم الغيوب في اعتقاده وأقواله وأفعاله يصل إلى مقام المشاهدة أيّ يشهد أن جميع ذرات الوجود أثر من آثار رحمة الله ثم يتحقق بعلم اليقيـــن الذي هو القطع بغير مشاهدة ثم يصل إلى عين اليقين الذي هو المشاهدة مع المعاينة والذي يصل إلى حق اليقين الذي هو مشاهدة كل شئ عياناً على ما هو عليه وهذا لا يحصل إلا في الآخرة اللذان قبلها يحصلان في الدنيا بالوصول إلـــى التوحيد الجمعي الذاتي الذي هو إسقاط الحدث و إثبات العدم ، فقال تعـــالى : " شهد الله أن لا إله إلا هو فهذا توحيد ذاتي حيث أثبت ذاته بذاته أيّ وجد نفسه بنفسه وفي تمام الآية توحيد جمعي وفرقي بين حيث أن بعد أنه لا أله إلا هـــو بقوـــله تعالى : " والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط " حيث وحَّد نفسه بنفســـه ووحَّـــده الملائكة المقربون والعلماء العاملون . ومن توحيده الذاتي قوله تعـــالى : " لمن الملك اليوم لله الواحد القهَّار "{غافر : ١٦ } وقوله : " ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون " {القصـــص : ٨٨ } وقوله تعالى " كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكـــرام " { الرحمن : ٢٦/٢٧ } ، وقوله تعالى : " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد يكن له كفؤا أحد " .

هـــذا هو منهج الدعوة إلى الله تعالى كما جاء في الكتاب والسنة وأتباع الســـلف الصالح الذي نص القرآن الكريم على أنه سبب في دخول الجنة والفوز العظيم حيث قال عنه جل شأنه : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار

والذيــن اتــبعوهم بإحسان(رضي الله عنهم) ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم " { التوبة : ١٠٠ } ٠

وأيضـا مـنهج الدعـوة الحـق يتمثل في صحبة العارفين بالله تعالى والأئـتمار بأمرهم والانتهاء بنهيهم والوفاء بالعهد في ذلك ٠وما عدا ذلك سبل تتفرق بسالكيه فتفضي بهم في سبيل الجحيم ولظى ٠

اليعقوباب

الـيعقوباب سلالة دينية معروفة ، تسكن في كثير من ولايات السودان خصوصـاً ولايتي سنّار والجزيرة في قرى السبيل والحمر وود سعد وحلّة هجو الأحمـر والحجّاج وتباخة وأم قزازة العزاز والعمارة الشيخ هجو وعمارة الشيخ الـتوم ود بانّقـا وحلّة هجو أبو قرن٠ والحاج بانّقا ، وحلّة بانا ومنها الرازقاب بالشمالية بحوش بانّقا٠

الـيعقوباب ينتسـبون إلى جدّهم الشيخ موسى أبو دقن الجعلي الذي وفد إلى سنّار قادماً إليها من منطقة كنور بشمال السودان في أوائل عهد دولة الفونج الإسـلامية ٩١١هـــ/ ١٥٠٥م–١٢٣٧هـ/١٨٢١م وعرف بسياحته في البلاد وبلغ درجة من الزهد ، فأعجب به الملك عمارة دنقس فدعاه إلى بلاده ، وزوّجه إحـدى قريباته حيث أنجب منها الشيخ بانّقا المشهور بالضرير وذلك من أسباب مكانتهم الدّينية في ظلّ ملوك سنّار طيلة فترة حكمهم٠

أخذ الشيخ بانّقا الطريق القادري على يد الشيخ تاج الدّين البهاري الذي قدم إلى سنّار حوالي عام ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م بدعوة من أحد أبنائها التجار٠

وتشير الروايات الخاصة باليعقوباب بأن الشيخ بانّقا قد تآخى في الله مع الشيخ محمّد الهميم عبد الصادق وقد أديا فريضة الحجّ معاً٠

أنجب الشيخ بانّقا الضرير عدداً من الأبناء والبنات أولهم الشيخ يعقوب والــذي إلــيه تعود التسمية المشهورة ، ومن الأبناء أيضاً عيسى وذريته كانت موجودة في أبي حجير بالقرب من المدينة عرب بالجزيرة ، وكذلك بدوي الذي لــم يخلّف ذرّية ٠أما من البنات فابنته بتول الغبشاء التي تزوجها الشريف حمّاد المعــروف بحمّـــاد الخفي ومنها أنجب الشيخ هجو أبو قرن، أما البنت الأخرى فهـــي زينب نقاوة ، وقد أكّدت كلّ الروايات أنّه لا بنات سواهما للشيخ يعقوب ، وكان لبتول الغبشاء صيت ذائع ووضع مميز حيث عرف عنها الزهد والسياحة لدرجة عزوفها عن الزواج من الشيخ حمّاد وما حدث لم يكن إلا إرضاءً لأخيها الشـــيخ يعقوب، فكان نتيجة ذلك الزواج إنجابها لابنها هجو ود حمّاد الذي بقيت ســـلالته حـــتى الآن بمـــنطقة اليعقوباب آنفة الذكر حيث عُرف بالتقوى والزهد والسياحة في البلاد٠

مـــن ســـلالة الشـــيخ هجو أبناؤه حجر وعبد القادر الناجي وتاج الدّين والتوم، ومازال أحفاد هؤلاء يعمرون الأماكن التي عاشوا بها وبقوا فيها لذا نجد أسماء الأماكن والقرى التي تحمل اسم (هجو أبو قرن)٠ وقد خلفه بعد وفاته ابنه الشيخ حجر حيث أقام في (هجو أبو قرن) والذي خلفه بعد وفاته ابنه الزين ومنه انتقلـــت الخلافة إلى ابنه حجر المعروف بـــ(أبو حجل) ثم ابنه الزين فمرزوق ، وهـــي ســـلالة موجـــودة في أيامنا هذه في كل من (حلّة بانّقا) وحلّة (هجو أب قرن)٠

قيل عن جدّ اليعقوباب الشيخ يعقوب ، إنه أكبر أبناء الشيخ بانّقا الضرير وأكثرهم علماً ودراية حيث درس على والده وأخذ عليه طريق القوم ونهل العلم من معين الشيخ عبد الرحمن ود جابر ، وقد ذكر سيرته (ود ضيف الله) بشيء مـــن التفصيل ،ويستشفّ من الطبقات أنه أخذ الطريق عن والده والفقه وعلوم الدّين على الشيخ عبد الرحمن بن جابر ، وخلف والده في إرشاد المريدين حيث

تفقّــه علـــى يديه كبار مشايخ اليعقوباب منهم ابنه الشيخ موسى والشيخ حمدان والشـــيخ مرزوق والشيخ ود هجو حمّاد والشيخ عبد الرازق أبو قرون ابن أخته زينـــب نقـــاوة وعـــبد الرافع ، وجميعهم قد بلغوا مبلغه إذ لهم علوم ومكاشفات وإرشاد٠

لقد كان للشيخ يعقوب عدد من الأبناء اشتهر منهم على وجه الخصوص مـــرزوق وهـــو ابـــنه الأكبر وخليفته الذي ما زال أحفاده يوجدون في الحجّاج وتباخة، كذلك اشتهر ابنه موسى المعروف بموسى أبو قصة الذي يقال إنه حفظ القـــرآن وهـــو في الثانية عشر من عمره ، وتولّى الخلافة بعد وفاة أخيه الشيخ مـــرزوق ، ثم خلفه محمَّد زين بن مرزوق ، فابنه بانّقا ، ثم ابنه عبد القادر أبو الحسنى هذا وقد دفن الشيخ يعقوب وابنه مرزوق وموسى في الحمر٠

أمـــا الشـــيخ عـــبد القادر أبو الحسنى ، فقد عاش إلى زمن قيام الثورة المهديّة وذهب لمبايعة المهدي وقد خلفه عقب وفاته ابنه حمدان الذي خلف بعده ابـــنه محمّد الذي خلفه أخوه عبد القادر٠ وفي تباخة كان الشيخ موسى بن الشيخ حمدان بن الشيخ عبد القادر أبو الحسنى هو الخليفة على زمن أبيه ، ومن أبناء الشـــيخ يعقـــوب الشيخ حمدان البطران الذي عاش في كترة بالقرب من المناقل ولكنه عاد إلى الحمر حيث مات ودُفن مع أبيه وأخويه٠

ومـــن اليعقوباب أيضاً الشيخ محمَّد توم ود بانّقا بن الشيخ هجو الأحمر بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو ود حمّاد حفيد الشيخ هجو ود حمّاد٠

شـــهرة الشيخ محمَّد توم ود بانّقا طبقت الآفاق ، كذلك سيرته وقصصه وكـــراماته وتكســـب ســـيرة الشـــيخ محمَّد توم ود بانّقا أهمية خاصة في تاريخ الـــيعقوباب وتراثهم ، لأنه تمّ في عهده التحول التاريخي لمشايخ اليعقوباب ٠ فقد قام الشيخ محمَّد توم ود بانّقا بإدخال الطريق السمّاني من الشيخ أحمد الطيّب ود

البشـــير راجـــل أم مرحي ومنذ ذلك التاريخ أصبح اليعقوباب هم قادرية سمانية حتى اليوم وهم مشايخ مجازين في الطريقتين.

ومـــن الأمـــور الســـائدة في سيرة الشيخ محمّد توم ود بانّقا ، علاقاته بمشايخ العركيين من زمن الشيخ أحمد الرّيّح وله في ذلك كرامة متداولة.

ومن أشهر تلاميذ الشيخ محمّد توم ود بانّقا ، أبناء أخويه عبد القادر ود الخضـــر المعروف بالماصع هجو ود عبد القادر. من اليعقوباب وغيرهم يفوق الثلاثمائة شيخ.

ومن تلامذته الشيخ دينق الدّينكاوي والشيخ بساطي والشيخ رهودة ومقدم اللـــواء مقـــدم موسى ود الحاج والشيخ محمّد البخاري المدفون بالبقيع بالمدينة المنورة.

ومن تلاميذه المشهورين أيضاً – من غير أسرته – الشيخ النور ود أحمد المســـلمي المعـــروف بالـــنور العربي أو الشيخ محمّد نور ود عربي ، وتقول الـــروايات ، بأنـــه لما توفّى الشيخ محمّد النور ود عربي في التركية خلفه ابنه الشـــيخ الطيّـــب الذي تولّى الخلافة بعده الشيخ السمّاني وأخوه الذي استشهد في ســـنّار على عهد المهديّة وقد تولّى خلافة الشيخ محمّد النور من بعده الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عربي الذي أقام زمناً بقرية أبلة إلى الجنوب الشرقي من سنّار فأقـــام فيها نار القرآن وأخذ الناس عليه الطريق السمّاني ، وبعد هذا انتقل إلى " ريـــبا" الواقعة إلى القرب من سنّار التقاطع حيث لم يزل خلفاؤه وأحفاده يقيمون هناك.

ومن تلاميذ الشيخ محمّد توم ود بانّقا ، الشيخ طلحة ود حسين في القرية التي تحمل اسمه ، ومن هناك امتدّ نشاطه وإرشاده ليشمل مناطق البطانة ونهري الدندر والرهد والتي لم تزل فيها طائفة تدين بالولاء لهذه الأسرة.

وقد خلف الشيخ طلحة ابنه الشيخ محمَّد توم والذي خلفه ابنه الشيخ أحمد البدوي ، ولما توفّى الشيخ أحمد البدوي كان ابنه الشيخ محمَّد توم صغيراً ، فتولّى الخلافة الشيخ سليمان بن الشيخ طلحة وبعد وفاته تولّى الخلافة الشيخ محمَّد التوم بن الشيخ أحمد البدوي ثم خلفه أخوه الشيخ السمّاني بن الشيخ أحمد البدوي بن الشيخ محمَّد توم بن الشيخ طلحة.

ومن تلاميذه كذلك الشيخ برير ود الحسين الذي قيل إنه قابله أول مرة في ديار العركيين ، هذا وقد اشتهر الشيخ برير وسط عرب النيل الأبيض وكردفان وضريحه بشبشة بالنيل الأبيض.

أما خلفاء الشيخ التوم ود بانّقا ، فقد اجتمع المريدون على أن يعقدوا الخلافة من بعده لأخيه شرف الدّين ، ولكنها آلت بعد قليل إلى الشيخ عبد القادر ود الخضر ود بانّقا (الماصع) ثم من بعده تولاها الشيخ هجو ود عبد القادر ود بانّقا والذي توفّى عام ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م وقد قيل إنه كانت له صلات حميمة بمحمَّد أحمد المهدي.

من خلال هذا السرد الموجز لتاريخ أسرة اليعقوباب يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

أولاً: أنّ تاريخ هذه الأسرة واضح المعالم ومتداول شفاهياً ومتوارث بين أبنائها ومريديهم خاصة أمر الكرامات وخوارق العادات.

ثانياً: أنّ تاريخ هذه الأسرة يعود إلى بدايات عهد الفونج حيث إنّ الرّوايات تجعل من جدّهم موسى أبو دقن صهراً للملك عمارة دنقس، أول ملوك دولة الفونج الإسلامية ، وكذلك فإنّ والد الشيخ موسى أبو دقن هو الشيخ حمدان بن الشيخ عبودي الذي ينتسب إلى محمَّد الفضل جد الجعليين الفاضلاب بمنطقة كنُور بالقرب من عطبرة.

ثالثاً: اشتهر مشايخ أسرة اليعقوباب بالسياحة، والخلوة بأنفسهم للعبادة وذكر الله وتمـثل ذلـك في الشيخ موسى أبو قصة وهجو ود حمّاد والشيخة بتول الغبشاء وزوجها الشريف حمّاد الخفي والشيخ موسى أبو قصة والشيخ هجو ود الماصع.

رابعـاً: لـم تزل سلالة اليعقوباب أهل علم وصلاح لإرشادهم لكثير من الناس ونشر الطريق القادري ثم الطريق السمّاني.

خامساً : كانت علاقة شيوخ اليعقوباب بشيوخ الطرق الصوفية الآخرين وطيدة. خصوصـاً مع بيت الشيخ أحمد الطيّب ود البشير والصادقاب والشريف عبد الله بالحاج عبد الله.

سادسـاً: تعرضـت ديار اليعقوباب لهجمات غادرة من الحكم التركي بالسودان ١٢٣٧هـ/١٨٢١م–١٢٩٩هـ/١٨٨١م ممـا دعا الشيخ محمّد توم ود بانّقا للتدخل لإيقاف الظلّم الذي حاق بمواطنيه وقد شارك بعض شيوخ اليعقوباب في حـروب المهديّـة وذلك لوجود العلاقة الرابطة بين الشيخ هجو ود عبد القادر بالإمام محمّد أحمد المهدي.

ثامناً: اليعقوباب هم من المؤسسين للطريق القادريّ في السودان وهم الذين أيضا نشروا الطريقة السمّانية على يد الشيخ محمّد توم ود بانّقا على مستوى السودان خصوصاً في غرب السودان.

تاسعاً: من أتباعهم ومريديهم أولاد الشيخ عبد الله ود العباس بقرية زيدان شمال مدينة أم روابة. والشيخ محمّد أحمد أبو عزة بقرية أم عشرة ريفي عشانا ولديه خلوة قرآن تضم أكثر من خمسة آلاف"٥٠٠٠" طالب على نفقته الخاصة والشيخ المختاري بالأبيض وأولاد الشيخ عبد الله ود شعيفون بالنهود.

عاشراً: جزء من اليعقوباب بسكن منطقة الرهدّ وهم اليعقوباب الفضليين.

- ألّف مشايخ اليعقوباب عدداً كبيراً من الكتب والمخطوطات خصوصاً الصلوات على المصطفى "(ﷺ)" كالصلاة التوأمية للشيخ محمَّد توم ود بانّقا.
- من أكبر البقع لليعقوباب هي: عمارة الشيخ هجو والخليفة الشيخ عبد الله الشيخ يعقوب هو الذي يجلس على السجادة السمّانية لليعقوباب والشيخ تاج الدّين الشيخ محمَّد بالغراز والشيخ بانّقا الشيخ هجو الشريف حلّة الشيخ التوم ود بانّقا والشيخ محي الدّين الشيخ بقرية هجو أبو قرن والشيخ يعقوب الشيخ حمدان بالحجّاج والشيخ عبد القادر الشيخ موسى أبو قصة بالسبيل والشيخ حمدان الشيخ الطيّب بالمرتفعة والشيخ عبد القادر الشيخ هجو بقرية هجو الأحمر والشيخ حمّاد الشيخ الزين بالحاج بانّقا والشيخ موسى أبو قصة بقرية ود سعد والشيخ عبد القادر الشيخ موسى بتباخة والشيخ مرزوق والشيخ محمَّد توم بأم حمرة والشيخ تاج الدين الشيخ حمدان بود كري ريفي المسلمية وأولاد الشيخ موسى الشيخ محمّد بحلة الشيخ موسى بود العباس والشيخ حمدان الشيخ ضو بقرية كترة حمدان بالقرب من المناقل والشيخ بهاء الدين الشيخ شرف الدين بقرية الدنيقيلة بالحاج عبد الله.
- وهذه بعض تفاصيل الأنساب لأقطاب وشيوخ وآباء اليعقوباب تزيد من معرفة هذه الطائفة وهم:

**حمدان بن عبد القادر بن بانقا بن موسى بن مضوي بن محمَّد زين بن مرزوق بن يعقوب بن بانقا الضرير بن موسى بن حمدان بن عبود بن عبد الله بن كراف بن محمَّد بن الحصيني بن عابد الوثيق بن سليمان بن محمَّد الفضل بن قحطان بن سرار بن كردم بنت قضاعة بن عبد الله بن مسروق بن إبراهيم بن

إدريـــس بـــن قيس بن عدنان بن قصاص بن كرام بن ياطل بن هاطل بن زي الكـــلاح بـــن سعد الأنصاري بن الفضل بن عبد الله الراسخ بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ٠

**الشيخ أحمد عبد الله بن هجو بن الشيخ بانقا بن الشيخ هجو الأحمر... إلخ

**الشيخ محمَّد بن هجو بن الشيخ محمَّد بن الشيخ هجو بن الشيخ بانقا بن الشيخ هجو الأحمر...إلخ.

**الشـــيخ بانقـــا بـــن محمَّـــد توم بن زين بن موسى بن بانقا بن الشيخ هجو الأحمر...إلخ

**أحمد بن عبد القادر بن الفكي أحمد بن عبد الله بن بهاء الدين بن عبد الله بن الشيخ هجو الأحمر...إلخ.

**الشيخ عبد القادر بن الشيخ هجو ود هداية بنت الشيخ هجو الخليفة ود الشيخ بانقا ود الشيخ هجو الأحمر...إلخ.

**رجب بن محمَّد توم بن الزبير بن الشيخ عبد القادر بن الشيخ الزين بن الشيخ سالم بن الشيخ موسى جمل العاج بن الشيخ النور بن الشيخ موسى أبو قصة بن الشيخ يعقوب بن الشيخ بانقا.

**النمير ود بخيت بن سالم بن موسى بن عبد القادر بن سالم بن الشيخ موسى بن الشيخ النور بن الشيخ موسى أبو قصة.

**عباس بن محمّد أحمد بن آمنة أم الحسن بنت الشيخ يعقوب بن الشيخ بانقا بن الشيخ هجو الأحمر (الشيخ يعقوب بن الشيخ بانقا هو شقيق الشيخ التوم).

**هجـــو بـــن الخليفة بن هجو تاج الدين بن عبد القادر بن الشيخ مرزوق بن الشيخ هجو الأحمر.

**بهــاء الديــن بن محمود بن محمّد بن بهاء الدين بن حجر بن الشيخ بانقا بن الشــيخ هجو النحلان بن الشيخ بهاء الدين بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو أبو قرن.

**عمــرو محمَّد بن وداعة بن هجو بن الشيخ بانقا بن الشيخ هجو النحلان بن الشيخ بهاء الدين بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو أبو قرن.

**عينة بنت فاطمة بنت عينة بنت الشيخ هجو الخليفة ود الشيخ بانقا ود الشيخ هجو الأحمر.

**الشيخ عبد القادر بن الشيخ هجو بن محمّد توم بن موسى بن هجو بن الشيخ عــبد الله الخلــيفة بن الشيخ هجو الأحمر بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو أبو قرن.

**محمّد بن الجيلي بن بانقا بن عبد القادر بن الشيخ هجو الأحمر بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو أبو قرن.

**المهــدي بن عبد الله بن هجو بن عبد الله الخليفة بن الشيخ هجو الأحمر بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو أبو قرن.

**الجيلي بن يعقوب بن مريم بنت بانقا بن عبد القادر بن الشيخ عبد الله الخليفة بن الشيخ هجو الأحمر بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو أبو قرن.

**محمَّــد توم ود الحاج ود بانقا ود يعقوب ود بانقا ود هجو ود الشيخ مرزوق ود الشيخ هجو الأحمر.

**محمَّــد علي بن عبد القادر بن مرزوق بن هجو بن مرزوق بن الشيخ هجو الأحمر بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو أبو قرن.

**العــوض بن الزين بن حاج موسى بن عبد القادر بن الشيخ أحمد اللحوي بن الشيخ هجو الأحمر بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو أبو قرن.

**عــبد الرازق بن زينب نقاوي بنت الشيخ بانقا· أخذ الطريق على خاله الشيخ يعقوب بن بانقا· وأولاده الشيخ صالح أبو نائب والشيخ النقر والشيخ الزين وأول خلفائه الشيخ بانقا وبعده الشيخ صالح أبو نائب وخليفته الآن ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م الشــيخ صالح الشيخ محمّد الشيخ عبد الرازق خليفة ود بانقا عبد الرازق الشيخ صــالح وبحوش بانقا الشيخ بانقا الأزرق خليفته اليوم ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م حسن الحاج النويري الشيخ صالح الشيخ بانقا·

**البدوي بن فاطمة بنت زينب بنت آمنة بنت أم الحسن بنت يعقوب بن الشيخ بانقــا بــن الشيخ هجو الأحمر بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو أبو قرن·

**عائشـــة بنت الشيخ هاشم بن الشيخ هجو الأحمر تزوجها الشيخ هجو الخليفة انجــب منها عبد الله والد أحمد والشيخ تاج الدين والد عائشة وهاشم الذي توفى صغيراً·

الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

الطــريقة الكســنزانية هي امتداد للرسالة المحمَّدية وسائرة على نهجها فالمريد السالك فيها يخضع لكل ما خضع له المسلمون الأوائل ويتحلى بأخلاقهم التي حملوها إلى الناس فالإسلام قضى على التعصب الجاهلي وساوى بين الناس ولــم يفــرق بيــنهم إلا بالــتقوى ، جمع القلوب والأيدي رغم اختلاف الجنس والأشــكال فــبلال مــن الحبشــة وصهيب من الروم وسلمان من الفرس وكان المسلمون يحبون اخوانهم في الدين ويؤثرونهم على اخوة الرحم الذين كفروا·

هــذا هو الإسلام وكذلك الطريقة فمن شان المريد أن يعادي من عادى المريديــن ويحــب مــن يحبهم وأن يعفو عن زلتهم ويستر عيوبهم ويزهد فيما يملكــون ولا يحقــد علــيهم ويتواضع عليهم ويحثهم على الصلاة وإدامة الذكر

ويقـــنعهم بالحجة والدليل ويزور مريضهم ويساعده على شراء العلاج إن أمكن ويدعـــو لـــه بالشفاء ويدعوهم إلى طعامه ويستغفر لهم ولا يقبل نميمة من أحد فـــيهم ، قـــال الإمام على كرم الله وجهه (خالطوا الناس إن متم بكوا عليكم وإن عشـــتم حنوا إليكم)٠ وأن يحفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين وأن لا ينتقص أحداً مـــنهم وأن يمشي معهم بالنصيحة ويعلم جاهلهم ويرشد ضالهم وأن يكون حسن الظـــن بهـــم مشغولاً عن عيوبهم ٠ وأن يقوم بإصلاح ذات بينهم إذا اختلفوا او اختصمواصـــادقاً اميناً معهم غير طامع إلاّ في محبتهم ولا يبرر ايذاءه لاخوانه بتفســيرات روحـــية لان المشايخ لا يامرون المريد الا بالمعروف وهم وحدهم كفيلون بمحاسبة الخاطئ أو إعفائه لقوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) سورة النحل ٩٠

وصايا هامة للمريد :

المـــريد الذي يسلك على يد الشيخ وينتسب إليه يجب أن يعكس الصورة الإيجابية للمسلم وان يطبق كل ما يتعلمه من شيخه على حياته الواقعية طمعا في الـــتقدم علـــى الطـــريق وحفاظا على سمعة الشيخ والطريقة وبذلك فإننا نوصي المريد بـــ:

- الالتزام بالفرض والسنة وصلاة الجماعة٠
- مخالفة الشيطان والنفس في كلّ الأمور٠
- التزام العبادة بجد وترك اللهو ورفاق السوء٠
- عدم العمل بأوراد غير الأوراد المكلّف بها من قبل أستاذ الطريقة٠
- التزام مجلس الذكر والحضور بشكل مستمر ودائم٠
- عدم مدح شيوخ العصر أو تحسين طريقة أخرى على طريقة شيخه٠

- عـــدم الـــتحدث بالرؤيا و العلوم الروحية التي ترد على المريد بين الناس وعـــدم أخذ رأي اخوانه المريدين أو خليفته فيها لأنه لا يعرف تأويلها إلا أستاذ الطريقة.

كما نوصيه بأن:

- يترك الغرور ويتجنب الآثام ويبتعد عن الحرام أكلا وشرباً.
- يتبع تعاليم الطريقة " مفاهيم القرآن الكريم" ويترك المعاصي ويكظم الغيظ ويتجنب الرياء.
- يترك البغي والغيبة وشهادة الزور والكبر والعجب والتملّق.
- يقلل الجدل ويترك الدسائس والافتخار والتجبّر والكذب.
- يبتعد عن مجلس النساء ويترك الحسد وظنّ السّوء والنميمة.
- يؤدي حقوق الناس ويتحمل الأذى ويغض البصر ولا يغفل عن ذكر الله.
- يقلـــل الأكـــل والنوم ويؤنب نفسه على ما مضى ويلزم الاستغفار والزهد والتقوى.
- يحـــترم الكبـــير ويعطف على الصغير ولا يتكلم إلا إذا أذن لـــه ولا يكثر الكلام.
- يســـلّم على الجالسين ويجلس في المكان الخالي ولا يزاحم أحداً في مجلسه ويستمع لمن يتحدث ولا يقاطع المتكلم ولا يعلق إلاّ بعد الانتهاء.
- لا يخجل صبياً ولا يعنف ولا يحقر ضعيفاً.
- يســـعى مـــع الأرملة والمسكين ويساعد المحتاجين ويزرع المحبة وينشر السلام أينما حلّ.

سلسلة النسب الشريف:

يــرتفع نسب عبد الكريم الكسنزاني الحسيني إلى الدوحة النبوية الشريفة فهـو: السـيد عـبد الكـريم بــن السيد عبد القادر بن السيد عبد الكريم الشاه الكسنزاني.

الطريقة وتاريخها:

ويتساءل بعضهم عن عدم انتشار الدعوة إلى الطريقة في صدر الإسلام وعــدم ظهورهـــا إلاّ بعد عهد الصحابة والتابعين والجواب لأنهم لم يكونوا في حاجة إليها وذلك لأن أهل ذلك العصر كانوا متصوفين أصلاً وأهل ورع وتقوى ومجــاهدة وكانوا أقرب إلى رسول الله (ﷺ) يتبارون في الاقتداء به في كل أعماله وحركاته " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" سورة الأحزاب(٢١)، كمـــا أنّ أوّل مدرســـة نشأت في المدينة المنورة وظهر فيها زهاد كثيرون منذ وقـــت مبكر تمسكوا بالقرآن وجعلوا الرسول (ﷺ) قدوتهم في زهدهم وظلوا كذلــك حــتى أصــبح الإمام على كرم الله وجهه الإمام الثاني في الطريقة بعد الرســول (ﷺ) وأحبهم إليه وموضع سره وثقته وقال في حقه ما يعظم شأنه فــوق كل ذي شأن فقال في موضع غدير (خُم) من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" ، فالأحاديث النبوية هذه أكّدت عظمة علي وولايـــته فهو إمام الطريقة وبابها، عملاً بقول الرسول (ﷺ) " أنا مدينة العلم وعلـــيٌ بابها" ، وكان له تلاميذ من أصحاب الطريقة والصفاء والورع وهم من الصـــحابة ومـــن هؤلاء أبو ذر الغفاري المتوفى سنة (٢٢هـــ) وأبو عبيدة بن الجـــراح المتوفى سنة (١٨هـــ) وسلمان الفارسي المتوفى سنة (٢٦هـــ) ومن التابعين سعيد بن المسيّب المتوفى سنة (٩١هـــ) وسالم بن عبد الله المتوفى سنة (١٠٦هـــــ)، وتعــد مدرســـة المديـــنة المـــنورة من كبرى المدارس للطريقة

والتصوّف الإسلامي وتليها مدرسة البصرة وكان شيخ هذه المدرسة الإمام الزاهد الحسن البصري المتوفى سنة (١١٠هـ) وهو من واضعي دعائم الطريقة البيعة (العهد) من سيدنا الإمام على كرم الله وجهه وأتم مدرسته على نهجه ومن ثمّ تتابعت الطريقة وانتقلت من شيخ إلى شيخ حتى وصلت إلى عصر السلطان الأول والباز الأشهب الشسيخ عبد القادر الكيلاني قُدس سره العزيز فأنشأ مدرسة كانت الوحيدة في عصره والتي كان المئات من محبي الطريقة وعلومها وأصحاب الزهد والورع والحقيقة يتوجهون إليها لينهلوا من مناهلها، علوم الطريقة والشريعة والتصوف وذاعت شهرتها حتى اهتدى بها الكثير إلى طريق الحق والإيمان وكانت خير مدرسة يعظ فيها سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني وافواج من الناس والسالكين يفدون إليها لسماع الوعظ وكانت هذه المدرسة وشيخها سبباً في هداية كثير من الضالين إلى طريق الحق وأصبحوا سالكين على نهج طريقته حيث إنّ كثيراً من المدن والبلدان فتحت في عهده فدخلوا في دين الله أفواجاً.

وبعد ذلك لاحت في الأفق أنوار ساطعة تجسّدت في شخصية مقدسة عظيمة وهي شخصية الشيخ عبد الكريم شاه الكسنزاني الذي أنار الآفاق بوجوده وأشرقت الأرض بنوره المستمد من نور جده المصطفى (ﷺ) الذي أصبح علماً من أعلام الطريقة والهدى ومناراً اهتدت به جموع من شتى بقاع الأرض ومن بينهم الملوك والأمراء وكثير من العظماء كانوا يلقون بأنفسهم على عتبة بابه راجين نظرته ، وكانت كل هذه القدرات والمواهب الروحية هي امتداد ووصل وإحياءً لمآثر جده المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث تجلت في مدرسته " المدرسة الكسنزانية" التي أحيت الدين الإسلامي ومبادئه

الســـامية بجهـــاده وإرشاده المتواصل وسلوكه لُقب بمحيي الدين بعد الشيخ عبد القادر الكيلاني وبلغت منزلته منزلة لم يبلغها أحد.

وقـــد أنجبـــت المدرسة الكسنزانية رجالاً مؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأصبحوا دعاة للطريقة وهداة للناس إلى طريق الخير والمحبة فكانوا خير مـــن يأمـــرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتبعون سبيل الرشاد ، وإنّ ما ذكـــرناه آنفاً من تاريخ الطريقة يؤكده قول الحافظ السيد محمّد صديق الغماري رحمـــه الله عـــندما ســـئل عن أول من أسس الطريقة " لتصوف" وهل بوحي ســـماوي ؟ فأجـــاب أمّا أوّل منّ أسّس الطريقة فلتعلم أنّ الطريقة أسسها الوحي الســـماوي في جملة ما أسّس من الدين المحمّديّ ، إذ هي لا شك مقام الإحسان الـــذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي محمّد صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما بينها واحداً واحداً ديناً بقوله (هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم) [1] وهو الإسلام والإيمان والإحسان.

سلسلة مشايخ الطريقة القادرية الكسنزانية:

أنزلـــت هـــذه الطريقة المباركة من الله تعالى إلى سيدنا محمّد صلى الله تعـــالى علـــيه وســـلم ثم انتقلت منه إلى يد الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ومنه تفرعت بجناحين ثم التقى الجناحان عند الشيخ معروف الكرخي كما هو واضح أدناه:

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

النبي سيدنا محمَّد (ﷺ) ومنه إلى يد الإمام على كرم الله

الجناح الاول	الجناح الثاني
ومنه إلى يد الإمام الحسين	ومنه إلى يد الشيخ الحسن البصري
ومنه إلى يد الإمام على زين العابدين	ومنه إلى يد الشيخ حبيب العجمي
ومنه إلى يد الإمام محمَّد الباقر	ومنه إلى يد الشيخ داود الطائي
ومنه إلى يد الإمام موسى الكاظم	
ومنه إلى يد الإمام على الرضا	

ومنه إلى يد الشيخ معروف الكرخي

ومنه إلى يد الشيخ السري السقطي ومنه إلى يد الشيخ الجنيد البغدادي

ومنه إلى يد الشيخ أبي بكر الشبلي ومنه إلى يد الشيخ عبد الواحد اليماني

ومنه إلى يد الشيخ أبي فرج الطرسوسي ومنه إلى يد الشيخ على الهكاري

ومنه إلى يد الشيخ أبي سعيد المخزومي ومنه إلى يد الشيخ عبد القادر الكيلاني

ومنه إلى يد الشيخ عبد الرازق الكيلاني ومنه إلى يد الشيخ داود الثاني

ومنه إلى يد الشيخ محمَّد قريب الله ومه إلى يد الشيخ عبد الفتاح السياح

ومنه إلى يد الشيخ محمَّد قاسم ومنه إلى يد الشيخ محمَّد صادق

ومنه إلى يد الشيخ حسين البحراني ومنه إلى يد الشيخ أحمد الإحسائي

ومنه إلى يد الشيخ إسماعيل الولياني ومنه إلى يد الشيخ محيي الدين كركوك

ومنه إلى يد الشيخ عبد الصمد كله زرده ومنه إلى يد الشيخ حسين عبد الكريم الشاه الكسنزاني

ومنه إلى يد الشيخ عبدالقادر الكسنزاني

ومنه إلى يد الشيخ عبد الكريم الكسنزاني ومنه إلى يد الشيخ حسين الكسنزاني

الذكر الكسنزاني

الذكـــر يعني تمجيد الله سبحانه وترديد أسمائه بتركيز تام وترابط كامل قلـــباً ولساناً فعن الرسول (ﷺ) أنه قال " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة" أي أنـــه من أقرّ بلسانه وصدق بقلبه بأنّه لا إله ولا معبود ولا موجود ولا خالق ولا حـــاكم ولا رقيب سوى الله تبارك وتعالى، أي أنه من آمن وعمل وطبق ما بين دفتـــي الكـــتاب (القرآن الكريم) من إيمان بالله تعالى وكتبه ورسله وبما جاء به سيدنا محمّد (ﷺ) نور ربّ العالمين وسيّد المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين وسار على هديه ونهجه القويم وسيرته وسيرة أهل بيته الطاهرين مستقيماً عدلاً محـــباً متفانياً في حُبِّ الله تعالى وحبيبه العظيم محمّد (ﷺ) وآله الطيبين حتى وافاه الأجل المحتوم وتلقته المنية، فإنه لا ريب من أهل السعادة والجنة والنعيم في مقام كريم عند ربه الجليل تصديقاً لقول الرسول (ﷺ) الآنف الذكر.

وتقـــام حلقـــات الذكر الرسميّ يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع بعد صـــلاة العشاء فيقف المريدون بشكل حلقة . ثم يقف مسؤول الحلقة في وسطها ويستعد الجميع بتركيز تام ورابطة روحية مع الشيخ قدس الله سره.

ثـــم يبدأ الجميع بإشارة من مسؤول الحلقة ترديد الأوراد الآتية ويتم الانتقال من ورد إلى آخر بإشارة من مسؤول الحلقة:

- الله استغفر الله دائم استغفر الله.
- لك الحمد يا قدُّوس لا إله إلا الله.
- يا الله دائم الله.
- يا دائم الله دائم.
- يا حيّ أنت الحيّ ليس الباقي إلاّ الحيّ.

- يا باقي أنت الباقي ليس الباقي إلا الله ·
- يا هادي أنت الهادي ليس الهادي إلاّ الله·

وتكـــون تـــلاوة هذه الأوراد غير محدّدة بعدد وإنّما على مسؤول الحلقة تقدير ذلك·

ثـــم يدعـــو مســـؤول الحلقة بهذا الدعاء " اللهم يا حيّ يا قيّوم ، يا بديع السموات والأرض يا مالك الملك ويا ملك الملوك يا ذا الجلال والإكرام نسألك يا ربّـــنا أن تحيـــي قلوبنا وسمعنا وأبصارنا وأرواحنا بنور معرفتك أبداً دائماً باقياً هادياً يا الله"·

ومـــا أن ينتهي المسؤول من هذا الدعاء حتى يردد الجميع " يا الله" وهم ينحـــنون إجـــلالاً وتعظيماً لله (سبحانه وتعالى) ثم يعتدلون وهكذا لعدة مرات حتى يشير مسؤول الحلقة بالانتقال إلى الأذكار الآتية:

يا الله دائم الله ·

يا دائم الله دائم·

الله الله ، الله هو هو ، هو الله هو وتلفظ كلمة " هو" الأخيرة بصوت مرتفع الله ، الله ، الله هـــو هـــو ، هو الله ، ويلفظ لفظ الجلالة " الله " بصوت مرتفع ثم يردد الجمـــيع ورد " يـــا كريم " بصوت منخفض وهم ينحنون ذلاً وخشوعاً أمام الله (سبحانه وتعالى):

ثـــم يقـــول مســـؤول الحلقة " يا الله ، يا دائم ، يا كريم ، يا ستار ، يا رحمن، يا رحيم ، يا الله" وتردد الجموع ورد " حيّ الله ، الله " بعد كل اسم من أســـماء الله الحســـنى ، فـــإذا وصل المسؤول إلى لفظ الجلالة " يا الله" استمرت الجمـــوع بترديد " حيّ الله ، الله" ·إلى أن يشير مسؤول الحلقة بالانتقال إلى ورد

آخر وهو قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات قراءة جماعية وبصوت جهوري ، ثم تسكن الجموع ويسود الهدوء.

النقشبندية بالسودان

مؤسس هذه الطريقة التي ظهرت بمظهر النفوذ والقوة في القرن الرابع عشر الميلادي هو محمَّد خواجة بهاء الدين النقشبندي المولود في قرية "قصر عرفات " قرب مدينة"بخاري" في أوزبكستان المشهور بشاه نقشبند في الفترة ما بين ٧١٧/٧٩٢هـ-١٣١٧هـ/١٣٨٩م ولقب بالبخاري نسبة إلى "بخاري" وهي بلدة مشهورة ويعتبر من أعظم رجال الإسلام وسافر للحج مرتين ورغم أن هذا الشيخ من أهل المهن الحرفية إلاّ أنه أسس مذهباً دينياً سمي بـ(نقش - بندي) نسبة إلى تطريزه الحرير وهي الحرفة التي كان يحترفها وقد ذاع هذا المذهب ذيوعاً كبيراً بين المسلمين في مختلف البلدان.

حياته العلمية :

- تعهده والده بقراءة القرآن الكريم :
- درس الفقه وأصوله على يد الشيخ أحمد القلعي الحنفي .
- درس النحو والصرف والبيان والمعاني على يد الشيخ محمود الكردي بدمشق .
- درس الحديث ومصطلحه على يد الشيخ عبد الباقي الحنبلي.
- درس التفسير على يد الشيخ محمَّد المحاسني كما كان يحضر دروس والده في التفسير بالمدرسة السالمة .
- درس الطريقة النقشبندية على يد الشيخ سعيد البلخي .
- درس الطريقة القادرية على يد الشيخ عبد الرازق الحموي الكيلاني أول خليفة للشيخ عبد القادر الجيلاني .

ورحل إلى بغداد عام (١٠٧٥هـ /١٦٦٤م)

ذهب إلى القدس عام (١١٠١هـ /١٦٨٩م) والخليل

قام بزيارة لمصر ومن ثم إلى الحجاز و هذه رحلته الكبرى و ذهب إلى طرابلس والشام

ونظم بديعية في مدح الرسول (ﷺ).

وقد بدأ بالقاء الدروس والتأليف عند بلوغه العشرين من عمره بين المسجد الأموي والمسجد الصغير .

و له مؤلفات تشتمل على الكتب التالية :

- **الاقتصاد في النطق والضاد مخطوط في علم التجويد .**
- **إيضاح الدلالات في سماع الآلات .**
- **تعطير الأنام في تعبير المنام .**
- **جواهر النصوص جزءان – في شرح خصوص الحكم لابن عربي .**
- **الحضرة الأُنْسيّة في الرحالة الإنْسيّة .**
- **الحقيقة والمجاز في رحلة الشام والحجاز.**
- **حلة الذهب الإبريز في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز .**
- **خمرة بابل وغناء البلابل – من شعره مخطوط .**
- **خمرة الحان في شرح رسالة السيد أرشلان .**
- **خمس مجموعات ذكرها الزيات في خزائن الكتب .**
- **الدواوين – ديوان الإلهيات – الغزليات – المدائح والمراسلات.**
- **ديوان الحقائق .**
- **ذخائر المواريث .**
- **ذيل نفحة الريحانة.**

- **الرحلة الحجازية والرياض الإنسية ·**
- **علم الفلاحة ·**
- **الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان ·**
- **شرح أنوار التنزيل للبيضاوي ·**
- **شرح المقدمة السنوسية ·**
- **قلائد المرجان في عقائد أهل الأيمان·**
- **كشف الستر عن فريضة الوتر ·**
- **كفاية المستفيد في علم التجويد ·**
- **لمعان أنوار المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار ·**
- **مجموعة فتاوي في الفقه الحنفي·**
- **مناجاة الحكيم ومناغاة القديم** (النصوص)·
- **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار·**

أمـــا في آسيا الوسطى (ما وراء النهر) فمازال اتباعه كثيرون · وتخليداً لذكراه فقد بنى على قبره ضريح على مقربة من مدينة بخاري وعلى جانب هذا الضـــريح شـــيّد مســـجد ومدرســـة عبد الله خان وهذه المدرسة باقية حتى الآن بايواناتها على حالة جيدة وهي المعروفة باسم (مير عرب) ونجد أتباعه ايضاً في تركيا و الهند والبلاد العربية واندونيسيا والأقطار الإفريقية ·

طائفة الأنصار

الأمـــر الذي يليق بالمهدية أنها حركة إصلاحية تجديدية وليست طريقة صـــوفية والإمام المهدي لم يسمها طريقة لأنها تجاوزت الطرق كلها كما لا تتبع مذهباً معيناً فهي ليست مذهبية تابعة لأحد المذاهب الأربعة·

أسســها الإمــام محمّــد أحمد المهدي ١٨٤٣م–١٨٨٥م الذي نشأ نشأة صــوفية تقلب فيها بين مشايخ الطرق الصوفية ردحاً من الزمن، فبعد أن حفظ القــرآن، ذهب إلى خلوة الشيخ الأمين الصويلحي بمسيد ود عيسى بالجزيرة، ثم مضى لخلوة الشيخ محمّد الخير ببربر والشيخ محمَّد الشريف والشيخ القرشي ود الزيــن. لقد بهرته دون أقرانه أنوار التصوف فأقبل عليها.. وأنه ليروض نفسه حــتى يكبح جماحها.. ويقهرها على الصعب من الأمور حتى يلين مراسها وقد تــرك كــل هذا في نفسه أثراً كبيراً فأنصرف إلى التأمل والدراسة.. وأتجه إلى الاعــتكاف والخلــوة حــتى أصبح نجماً في الفلك الصوفي، ومن خلال تحليقه ودورانـــه فـــي هذا الفلك بدأ يفيد ويخبر عن مشاهداته. أخبر بأنه يرى الرسول (ﷺ) ويكلمّــه ويلتقـــي بـــه و يحدثه، بل أن اجتماعه بالأقطاب والأولياء مثل الشــيخ الجيلانـــي ونبـــي الله الخضر كاد أن يخبر به يومياً. بدأ تجانياً وانتهى ســـمانياً. واخـــتلف مع شيخه محمَّد شريف الذي ذكر قصته مع الخليفة عبد الله التعايشـــي قائلاً إنه:(وفي سنة ١٢٨٥هــ جاءني رجل من البقارة يروم سلوك الطــريقة السمانية علي، فلقنته أورادها ومكث ملازماً لخدمتي وأخبرني أنه جاء مع والده من بلاد " الكلكلة" جنوب مقاطعات درافور قاصدين الأقطار الحجازية لــتأدية فريضـــة الحج وأنهما فقيران لا يملكان غير عجل من البقر ذللاه بزمام وامتطياه على مألوف عادة أهل تلك البلاد، ولما وصل إلى بلاد الجمع من تخوم كردفان الشرقية مات أبوه، ولحق به العجل، فأقام بمزلي نحو عامين، فكان أكثر كلامــه قوله: (إنك المهدي المنتظر من ارتاب في ذلك فقد كفر.فكنت أنهاه عن ذلك القول.. ولا ينتهي، وفي ذات يوم قلت له: أنا لست مهدياً وابغض شيء إليّ ســماع هذه الكلمة التي لا يسير بها غير تلميذي الذي طردته محمَّد أحمد، وقلت له على سبيل السخرية والازدراء: إذا كنت ممن يتوقعون المهدية فعليك به.

وفـــي الـــيوم التالي سألت عنه فلم أجده، وأخيراً علمت أنه لحق بمحمَّد أحمــد فـــي الحلاوين وهو يشيّد قبة الشيخ القرشي، وأنه حيث وقعت عينه عليه خــرَّ على الأرض مدّعياً أنه أغمي عليه· وبعد أن رفع رأسه سأله الحاضرون عــن ســبب إغمائــه فقال: نظرت أنوار المهدية على وجهه فصقعت من شدة تأثــيرها على حواسي ومجحف من يظن عدم الصدق في كليهما، فالخليفة مؤمن بنــبوءة الشــيخ عثمان دانفوديو الذي بشر بظهور المهدي في الشرق، والمهدي مؤمن بفكرة المهدية والإصلاح، ولم يكن من طلاب الدنيا· خاض أهوال الجهاد، بــروح المســلم المؤمــن بأهدافــه ورحــل عن الدنيا وهو في ريعان الشباب ١٢٥٩هـــ–١٣٠٣هـ/١٨٤٣م–١٨٨٥م وترك من الأوراد والسلوك ما اغتنى به الناس·

تركت المهدية آثاراً قوية ليس في السودان وحسب وإنما تأثيراً في دول الجوار الأفريقي والعربي على حد سواء وذلك في عدد من المجالات منها على سبيل المثال:

أ· إقامــة نموذج لدولة إسلامية تحتذي وتركيا تخيم على السودان بعد أن هزّ قواتها وهزمها·

ب·قــدّم نموذجاً بطولياً بانطلاقته النضالية الضعيفة إلاّ من الإيمان بالله والإصرار على التفوق وبلوغ الغاية·

ج· مــا خلّفــته المهدية من تراث سلفي غاية في الدقة وإعطاء النموذج الأصولي الذي استقطب العامة والخاصة بالسودان·

د· المــنهاج الفكري الذي كان سمة مهدوية خالصة، صاغ منه فكراً عن الحقــب الزمنــية وتراثاً أحدث انقلاباً في التفكير والتخطيط محوره الدولــة الإسلامية الفتية وما وصلت إليه من شأو، وما نبع منها من مؤثرات اجتماعية ودينية وثقافية واقتصادية·

هـ· إطـــار المهدية كان صوفياً ودعوياً بعيد الأهداف وإصلاحياً أفاد العامة والخاصة·

و· أدبـــيات المهديـــة وآثارهـــا في السودان تركت بصمات واضحة في النضـــال والكفـــاح والقومـــية الســـودانية التي جاء وقت لاحق كان السودان أمة واحدة ضد المستعمر البريطاني، قاد إلى الاستقلال·

اســـتغل المهدي بعد ذلك حركته التجديدية الأنصارية وهو مؤسس دولة إســـلامية قامت على الاجتهاد المطلق وعدم تقليد المذاهب وأنهت العمل بالطرق الصوفية في جميع ولايات السودان، وأشهر خلفاء المهدي بعد خليفته الأول عبد الله التعايشي ابنه السيد عبد الرحمن المهدي والسيد الصديق والإمام الهادي·

والأنصـــار قيادة وقاعدة بهم صدق وعمق في التفكير ودور في تمكين مبادئ الدين غير منكور وأخرجت للناس راية الإمام المهدي ليكون عوضاً عن أوراد الطـــرق توحـــيداً للمجـــتمع على أمر الجهاد ومقاومة المستعمر التركي المستعين بالكفار من الأوربيين وقد نجح الإمام المهدي ومن بعده الخليفة عبد الله في الحفاظ على السودان بحدوده الجغرافية المعروفة الآن·

للســـيد عـــبد الرحمـــن المهدي الدور الكبير في استقلال السودان عام ١٩٥٦م بعيداً عن التاج المصري تحت شعاره الشهير (لا شيع ولا طوائف ديننا الإسلام ووطننا السودان والسودان للسودانيين)·

الطريقة الهندية

فـــي منتصف القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي أتى آل الشريف الهندي الشيخ محمد الهندي من الحجاز إلى السودان ولقب بالهندي نسبة لمرضعته هندية الأصل – واستقّر بمنطقة المنسي جنوب الحصاحيصا بالجزيرة المـــروية وكـــان ذلك خلال فترة الفونج وعمل أول ما عمل به بتدريس القرآن

وتحفيظه الى جانب علوم الفقه والحديث. استقبل الشريف محمد الهندي في قريته تلـــك الشيخ تاج الدين البهاري الذي أتى السودان ناشراً الطريقة القادرية حسبما ورد فـــي طـــبقات ود ضـــيف الله ونسبةً لتدريس القرآن الكريم حمل لقب (أبو الحـــيران)، ومـــن أقطـــاب الطريقة الهندية الشريف محمد الأمين بن الشريف مصطفى بن الشريف يعقوب أبا احمد بن الشريف اسماعيل بن الشريف الياسي بـــن الشـــريف موسى بن الشريف اسحاق بن حسين ابن الشريف أبو بكر عبد الرحمـــن بـــن الشـــريف طه الدائر بن الشريف حسيب الله البخدي بن الشريف إبراهـــيم بن الشريف محمد بن الشريف سليمان بن الشريف ياسين بن الشريف محمد المدثر بن الشريف محمد الصوري بن الشريف موسى بن الشريف محمد بـــن الشـــريف على بن الشريف الحسين بن الشريف موسى بن الشريف محمد النورانـــي بن الشريف يعقوب بن الشريف على الهادي التقي بن الشريف محمد الجـــواد التقـــي بن الشريف علي الرضا بن الشريف موسى الكاظم بن الشريف السلطان جعفر الصادق بن الشريف محمد الباقر بن الشريف على زين العابدين بـــن الكامل الحسين بن علي كرم الله وجهه ووالدة الحسين فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد (ﷺ).

كـــان الشريف محمد الأمين بن يوسف بن حمد من المؤثرين في أزدهار ونشـــر الطريقة الهندية بالسودان حيث نشأ في ديار العقليين – وهم يسكنون بين نهـــري الدنـــدر والرهد – في محل يسمى (الرائد) وهناك حفظ القرآن في خلوة والـــده الشريف يوسف ثم على يد الشيخ احمد ديباي الكاهلي الأساودي بمنطقة (المفازة) ثم أكمل حفظ القرآن على الفقيه عبد الله الصليحابي بعدها خرج بحثاً عـــن العلوم الدينية فدرس على الفقيه ود اسيد وواصل دراسته عند الشيخ محمد الأزرق الصـــوفي ثـــم انتقل الى سنار ودرس عند ود صبر ، ثم درس الرسالة

علـــى الفقيه احمد ود كنان (بالكريبة) وغفل راجعاً الى الزهد ودرس عند الفقيه بـــادي ومـــنها الى كُترانج فدرس لدى الفقيه المنصور ثم على شيوخ مسيد ود عيسى ٠

هذه السياحة والهجرة والبحث عن العلم يعضّد بعض معنى الهجرة عند طلبة القرآن ، وهي سياحة كانت بداخل السودان ولكنه أردفها بسياحة الى مصر فـــدرس بالأزهـــر علم البلاغة والفقه على يد الشيخ عليش والباجوري الصغير والعدوي وانتقل الى صعيد مصر (أدفو) فدرس التجويد على الشيخ أبو دريقة ، إثرها شدّ الرحال الى مكة ليؤدي فريضة الحج وغفل راجعاً بعد ذلك الى مصر ثم السودان ٠

نـــذر الشريف محمد الأمين جلّ حياته للقرآن حيث امضى ستة وأربعين عامـــاً معلمـــاً له ، مـــنها ٢٥ عاماً بالسروراب ،واربعة عشرة عاماً (بالشريف يعقوب) ثم مكث سبع سنوات (بنوّارة) ٠

أمـــا تعليم الشريف فهو ما أخذه عن ابيه وما استفاده من مطالعته بنفسه ٠ وما اخذه عن ابيه من القرآن والتجويد ، ولم يمهل الموت والده ليزداد الشريف مـــن علمه ومعرفته ٠ فعكف على الدرس والإطلاع على كل ما وقعت عليه يده مـــن كتـــب الدين والأدب حتى نال وحقق خلاصتها ما كتبه عن تاريخ السودان الماثل للطبع ، والذي اشتغل به ثلاثين سنة قضاها في البحث والتدقيق حتى بلغ به ما جعله اصدق مرجع لتاريخ السودان ولاسيما فيما يختص بأنساب القبائل ٠ وعلـــى ذكـــر التاريخ والإطلاع نذكر شغف الشريف بالآثار وخصوصاً أدوات الحـــرب منها التي تكاد تكون متحفاً رشيقاً في الدور الأرضي من قصره الذي تشغل (المكتبة) اكبر قاعاته وهي مكتبة فيها كتب قيّمة ، حوت الكثير عنه من كتب العلوم الدينية وكتب الأدب ٠

وللشـــريف مركز اجتماعي كبير وهام ٠ فهو من أكبر الناس ثروة في هذا الـــبلد ، كمـــا انه كثير المريدين والأتباع فقد كان آباؤهم واجدادهم اتباعاً لآبائه وأجداده منذ ان نزح الجد السادس إلى هذا القصر قبل أربعة قرون ونصف ٠

ومما جعل الشريف زعيماً خطيراً بحق ، صلته الشديدة بالحياة الاجتماعية والمشـــاريع الإصـــلاحية في هذا القطر الكريم ، وشدة عطفه على تلك الشؤون وإعانته لها بسخاء كما كان يعينها بآرائه التي يسديها إلى من يتفق أن يجتمع بهم

مـــن اقطـــاب الطريقة الهندية ، الشريف الصديق بن الشريف يوسف بن الشريف محمد الأمين المولود عام ١٣٣٣هـــ /١٩١٤م الذي توفيت والدته وهو صغير ترعرع في بيت القرآن وعلم التجويد والأدب ومدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وبدأ تعليمه النظامي لفترة قصيرة بمدرسة بري الأولية وأنتقل الى خلـــوة والده بالعيكورة فعكف على تعلَّم القرآن على يد شيخه الفقيه عبد الماجد احمـــد محمد حمدون المسيكتابي وهو من سكان الدوينيب بالقرب من العيكورة وهـــو ايضـــاً مـــن تلاميذ الشريف محمد الأمين الهندي الذي حفظ قرآن القرآن وختمه في خلوة الشريف يعقوب شرق مدني٠

أكمل الشريف الصديق تعليمه وعمرّ الخلوة لولده الشريف الأمين والأخوان من بناء القرية لمواصلة مسيرة القرآن الكريم وتعلق بالقرآن والأذكار والإطلاع والـــترويح الصـــوفي فامتلك مكتبة ضخمة ضمت أمهات الكتب في شتى أنواع المعرفة ٠

ســـار الشـــريف الصديق على نهج سلفه ومؤسس الطريقة الشريف يوسف الهـــندي نشـــاطاً شمل المناسبات الدينية والحوليات وليالي الذكر المحتوية على الأوراد الراتب والأدعية ٠

هـــذا وللطـــريقة الهندية آثار عديدة كالخلاوي المقامة في كل الأماكن التي فـــيها مـــريدو الطـــريقة فـــي غرب ووسط وشرق السودان ولها ايضاً المساجد

ومســاكن الضيوف والأستقبال خاصة في مركز الطريقة ببري الشريف · ومن الآثار أيضاً الكتب المؤلفة والمطبوعة في الأدب والتاريخ زيادة على المخطوط مــنها في ضروب المعرفة مثل : **ضياء الدوامس والطرق الطوامس** ومما هو ملاحــظ فـــي الطـــريقة الهندية أن الآباء الأوائل والأقطاب مالوا الى الزراعة فامـــتلكوا المشـــاريع والأراضـــي الزراعية التي كانت معيناً للطريقة في القيام بمهامهـــا ، وقد عمل الشريف الصديق بالزراعة منذ عام ١٩٤١ في منطقة أبو ريـــس ، محلـــية الحاج عبد الله بولاية سنار ·والى جانب هذه المشاريع ، كانت هناك عقارات في المدن الكبيرة ·

قبائل وعائلات الأسرة الدندراوية

تأسّـس هذا الجمع في عام ١٢٩٢هــ/١٨٧٥م على يد محمَّد الدندراوي الشـــهير بالسلطان· من أحفـــاد السلطان يوسف الأول من قبائل الإمارة بدندرة محافظـــة قـــنا بمصر· وهو المهاجر من الجزائر في مطلع القرن السابع عشر المـــيلادي تقريـــباً وهو من أحفاد الشريف إدريس الأول سبط الإمام الحسن بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه·

الغاية من التأسيس:

بســـبب تفتّـــت بنـــيان مجـــتمع الإسلام في كل مكان وتشتت نسيج أمة المســـلمين فـــي سائر الأوطان· رأى الدندراوي الأول سيدي محمَّد السلطان أن هـــناك أربعـــة حواجز زرعها أعداء الوحدانية على مدى انتشار أهل التوحيد ، لتحول هذه الحواجز دون وحدة الموحّدين ألا وهي:

الحاجز الأول·· التغاير بالأفكار الطائفية ··

وهـو الـتغاير الـذي أصاب الأمة بداء التباغض· إذ انقسم الشارع الإسلامي فريقيـن؛ أهل السلفية وهم رجال المذاهب الشرعية ، وأهل الصوفية وهم رجال المشارب الروحية·

ولقـد تفرّق كل فريق إلى فرق متعددة متباعدة ومتعاندة ·· وبسبب ذلك التـباعد وهـذا التعاند اندس بين صفوف السلفية متسلقون اختبأوا تحت عباءة الديـن لإظهـار المذاهب السلفية بمظهر التعنّت في الأحوال والتزمّت بالأقوال لتغييب سماحة الإسلام·

مثلما اندس بين صفوف الصوفية متصوفون تدثروا بوشاحات العارفين، لإظهـار المشـارب الصـوفية بمظهر الدروشة في الأحوال والهلوسة بالأقوال لإبراز توكل المسلمين ، ثم تطوّر الأمر في التغاير بالأفكار الطائفية حتى وصل إلـى الجمعـيات التعاونية والهيئات الوطنية مما تسبب في حصر الإسلام بدول نامية، وحبس المسلمين وراء أقفاص الفقر والفاقة·

الحاجز الثاني التناحر بالفوارق الطبقية:

وهـو الحاجز الذي أصاب الأمة بداء التحاسد فهاهو الغنيّ يمتصّ جهد الفقير، والفقير حاسد له ، وهاهو القوي يسحق الضعيف ، والضعيف حاقد عليه، وهـاهو العـالم يتعالى على الأمي ، والأميّ ناقم عليه ، وها هو الراعي سواء أكان والد عائلة أو ربّ عمل يقسو على بنيه أو عمّاله·· ورعيته خارجون عليه وقـد تسـبب هذا الحاجز بانشغال المسلمين بأمراضهم الاجتماعية فتخلفوا عن ركب التقدم ·· فالصقوا تهمة التخلف بالإسلام·

الحاجز الثالث :التفاخر بالعصبيات القوميّة:

وهو الحاجز الذي أصاب الأمّة بداء التدابر إذ تقوقع كلّ مسلم في صدفة عصـــبيته·· ناظـــراً لغيره من أهل دينه على أنه الأحقر نسباً ·· والأقلّ شأناً ·· فتشرذم أكثر المسلمين في شكل مجتمعات هزيلة متدابرة·· تعيش كل منها وراء أسوار الاغتراب ·· فعاش الإسلام غريباً بين المسلمين·

والحاجز الرابع: التناحر بالحدود الإقليمية:

وهو الحاجز الذي أصاب الأمّة بداء التقاطع ·· فها هم أهل أيّ بلدة من بلـــدان المسلمين في الوطن الواحد يتصارعون على الفوز بنصيب الأسد في كل شـــيء ولـــو على حساب جيرانهم من أهل في القرى أو الأحياء في المدن··مما أوغر في الصدور أحقاداً نراها لا تنفجر في الانتخابات المحلية فحسب ؛ بل في الملاعب الرياضية وفي سائر البلدان ·· مما تسبب في إلصاق الدمويّة بالإسلام·

بســـبب مـــا أصـــاب الإسلام مما يصنعه أكثر المسلمين؛ قرر السلطان الدنـــدراوي الأول أن يؤســـس جمعاً مسلماً·· يخترق به تلك الحواجز الأربعة·· ليـــتحقق في هذا الجمع مظهر تماسك بنيان المجتمع الإسلامي ·· وجوهر تلاحم نسيج أمة المسلمين·· فأسس كياناً اجتماعياً يقوم على قوائم أربعة:

القائم الأول:

أن يكـــون هذا الكيان على هيئة القبيلة الواحدة ·· التي تفرعت عائلاتها فـــي شتّى البلدان·· دون أن تفرق بينهم الأنساب أو تفرّق بينهم الأسباب·· فأخذ مـــن بعض القبائل في المجتمعات القبلية شرائح ·· وأخذ من بعض العائلات في المجـــتمعات العائلـــية شـــرائح··ســـكبها بالانتساب المعنوي إليه في قالب كيان اجتماعي واحد عرف فيما بعد باسم ·· قبائل وعائلات الأسرة الدندراوية·

القائم الثاني:

أن يكــون الكــيان الاجتماعي كيان الشمول ·· ليجمع كل المتناقضات الإنسانية · فوجّه نداء إلى كافة المسلمين ·· أياً كان فكره طائفته أو درجة طبقته وأيــاً كــان عصــب قوميته أو موقع بلدته أكان ذكراً أو أنثى ·· كبيراً كان أم صغيراً·

القائم الثالث:

أن تعكــس ملامــح الكيان المطلوب صورة القواعد الراسيات ·· فتدل عامــة أهــل التوحيد على كيان وصل النهج النبوي المبين·· فالمسلك لا ينفصل عن السلوك ومحال فصلهما عن المهج والمنهاج·

القائم الرابع:

أن تكــون ملامح الكيان المنشود بعيدة عن أي تحرر أو جمود ·· فتدل كافة الموحدين على كيان حراسة تطور شؤون الدنيا بثبات أمور الدنيا·

كيفية الانتساب:

يكفــي أن يعتــبر المسلم نفسه أنه منتسب للدندراوي الأول سيدي محمَّد الســلطان علــيه مــن الله الرضوان ·· ليحمل اسم الدندراوي الذي يسبق اسمه العائلــي كأن ينادي عليه بالدندراوي فلان·· ولكل دندراوي ودندراوية علاقات تحكم حياته··وهي أربع علاقات وجدانية وأربع علاقات وجودية··

أمــا العلاقــات الأربــع الوجدانية ·· فهي علاقات روحية تصدر عن إحســاس مرهف·· وحتى لا يتحوّل هذا الأساس إلى هوجائية تعصف بالإنسان إلــى مهــالك الاســتغراب والغيبوبة ·· فلا بد من أن يحكم هذه العلاقات ذوق الإدراك حــتى لا يطيش الصواب ·· وهمة الإرادة حتى لا ينقطع صاحبها عن الأخذ بالأسباب·

وأول هذه العلاقات الوجدانية·· علاقة المسلم بربه جل جلاله ··ولتحقيق هــذه العلاقــة الأســمى ·· على كل مسلم أن يكون عبداً خالصاً لرب العالمين فالعلاقة بين العبد وربه اسمها الدين ·· لأن الدين لله جميعاً ·· وعلاقة الدين كما بينها سيد البشر محمّد رسول الله عليه صلوات الله·· (أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)·

وثانــيها·· علاقة المسلم بسيد البشر محمَّد رسول الله صلوات الله عليه اسمها الارتباط وهما ارتباطان:

الأول: ارتباط الإيمان بذاته النبوية··لأن عليه الصلاة والسلام هو الرسول الخاتم الذي أقام الله جل علاه به الإسلام·

الثانــي: رباط الانتماء لذاته النبوية لأنه عليه الصلاة والسلام هو الزعيم الجامع الذي جمع الله جل علاه به المسلمين·

وعلاقــة المسلم بنبيه كما بينها صلوات الله عليه (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه ووالده والناس أجمعين)·

وثالــث العلاقات الوجدانية: أنه على كل من أراد الانتساب للأسر الدندراوية أن ينتســب انتســاباً معنوياً للدندراوي الأول سيدي محمَّد السلطان·· الجد المعنوي لقــبائل وعــائلات الأسرة الدندراوية فيكون عليه من الله الرضوان فتسعى كل شريحة من هذه القبائل داخل قبيلتها أو عائلاتها لتخليصها من عشوائية انفعالات التعصب·

ورابعها: أنه على كل واحد من جمع ساحات الأسرة الدندراوية أن تكون علاقته بــالدندراوي الثانــي سيدنا العباس المشهور بالإمام علاقة الابن بوالده·· ليكون رضوان الله عليه هو الوالد الروحي لكل دندراوي ودندراوية فيسعى أفراد قبائل

وعائلات الأسرة الدندراوية بين قبائلهم وعائلاتهم إلى تخليصهم من الاختلافات الطائفية والفوارق الطبقية والتشنجات الإقليمية·

ثـــم نأتي على ذكر العلاقات الوجودية: وهي علاقات نفسية تصدر من مشـــاعر مخلصـــة صـــادقة يحكم توازنها فكر سليم ·· حتى لا يضل الصواب ويســـيطر علـــى انفعالاتها ضمير يقظ لكي لا تغطي المشاعر·· فلا يقع المسلم صـــريع الشـــكوك والظـــنون ·· فيفقد المسلم دوام أمن سلامته واستقرار أمان رزقـــه·· ومن قول الدندراوي المأثور " طمأنينة الإنسان على دوام سلامة أمنه حصن كرامته·· ويقينه من استقرار أمان رزقه دفع حركته"·

والعلاقات الوجودية أربع:

أولهـــا··أن تكـــون علاقـــة كل دندراوي بعصب قوميته علاقة عصبية من غير تعصب·· فمن كان منهم من المسلمين فهو له الأخ الشقيق مهما اختلف معه في فكـــر طائفيّ أو اختلف عنه في بيئة طبقية ·· ففي الإسلام التجني على المسلمين حـــرام ·· ومن كان منهم من غير المسلمين فهو له الجار الرفيق ·· للجار حق حســـن الجوار·· ففي الإسلام " التجبر" على المسلمين حرام·· فالجميع في خليقة الإنسانية سواء·

وثانـــيها·· يرتـــبط كل دندراوي بطبقته الاجتماعية بعلاقة اسمها البيئة من غير فـــوارق إنســـانية فالغنيّ عون للفقير بماله والفقير سند للغنيّ بجهده ·· والقويّ عون للضعيف بأقدامه والضعيف سند للقوي بحنكته·· والعالم عون للأميّ بعلمه والأمـــيّ ســـند للعـــالم بإنصـــاته·· والرّاعي عون للرعية بعدله·· والرعية سند لـــرعاتهم بالســـمع والطاعـــة ·· عطاء بعطاء·· فلا فضل لطبقة على طبقة لأن الجميع في بنيان المجتمع شركاء··

وثالـــث العلاقـــات الوجودية: أن تكون علاقة كل دندراوي بأرض وطنه علاقة اســـمها التبعـــية مـــن غير نوازع إقليمية ·· وتبعيته هذه تفرض عليه أن يكون المواطـــن الصالح الذي يرعى لوطنه حقوقه ·· فهو الأمين على أمنه وأمانه ·· والحفيظ على مرافقه وثروته·· والعامل على نموه وازدهاره·· ثم هو المدافع عن وحدته وحدود ترابه· وعلى هذا الدندراوي وذاك ألاّ تنسيهما مواطنتهما أنّ لكل وطن حرمته ·· فالأوطان الأخرى أوطان اخوة آخرين لأنّ كل دندراوي في بلده مصدر خير لوطنه·· فجميعهم لأوطانهم فداء·

ورابعهـــا·· أن تكون علاقة كل دندراويّ بالسلطة الحاكمة لوطنه اسمها الولاء·· والـــولاء هـــو المحافظة على دستور الدولة بالتقيد بالقانون وبالقرارات المنظمة للدولـــة ·· على أن يكون هذا الولاء بغير خنوع حتى لا تسحقه أقدام السلطة ·· ومـــن غـــير عصيان حتى لا يفتك به سلاح السلطة ·· فالولاء لا قاهر فيه ولا مقهـــور ·· لأنـــه علاقـــة بين قمة سياسية حاكمة تحقق للوطن أمجاده·· وقاعدة شعبية تحفظ للوطن أمجاده ··فالجميع في خدمة الوطن·· لأنّ الكل للوطن أبناء·· بهذا استطاع السلطان الدندراوي الأول ·· أن يخترق بجمعه المسلم حواجز تفتك مجتمع الإسلام ··وتشتت نسيج أمة المسلمين··

كيفية الانتشار:

اتخـــذ علـــيه من الله الرضوان من انتشار كيانه الاجتماعي على هيئة شجرة وارفة أوراقها هي الإنسان ·· إذ جعل من أهل قريته نواة الشجرة ثم مكّن جذورها بغالبية قبائل جنوب الصعيد قنا ، وأسوان ، والبحر الأحمر ، ثم بساقها مـــن باقـــي أرجـــاء وطـــنه مصر·· ثم انتشرت فروع شجرته البشرية ·· في السودان، الصومال ، جزر القمر، وعدد من أوطان قارة إفريقيا ·· وفي باكستان وإندونيســـيا ، سنغافورة ، تايلاند، الصين ، وعدد من أوطان قارة آسيا ·· وفي

أوربـــا ، وأمـــريكا، وكندا ·· أما في بلاد العرب ففي سوريا ، لبنان ، اليمن ، الإمـــارات ، وغـــيرها من بلاد العرب·· حتى بلغ التعداد حتى اليوم ١٨ مليون نسمة·

ولقد استطاع هذا الجمع المسلم أن يتخذ لكيانه الاجتماعي نظاماً يلتزم به كـــل دندراوي ودندراوية ·· وهو نظام يحافظ على الشمول ويحقق الوسطية ·· ويقوم هذا النظام على أربعة مقومات أساسية:

المقوم الأول·· ألاّ تظهر على هذا الكيان الدندراوي أية ملامح طائفية أو طبقية أو قومية أو إقليمية·

المقوم الثاني··حفاظاً على وجود الكيان الدندراوي في أوطان انتشاره في وسط الشـــارع الإســـلاميّ ·· فلن يكون لجموع هذا الكيان في أيّ وطن من الأوطان وجود على المسرح السياسيّ ·· وذلك من غير أن يحول عدم الوجود هذا، دون قـــيام أيّ دندراوي أو دندراوية باستعمال حقه الدستوري في وطنه في الانتخاب أو الترشـــيح·· شريطة ألاّ يزج بالأسرة الدندراوية في معاركه الانتخابية ·· أو التحدث باسمها في المحافل السياسية··

المقوم الثالث·· القيادة في الكيان الدندراوي إمارة لأن الإمارة بيعة ·· فإن صلح الأمـــير أبقـــوه وإن فسد خلعوه··والأمر في القيادة شورى والقرار واحد·· وهو قرار حامل المسؤولية القيادية لقبائل الأسرة الدندراوية والذي اشتهر بين جموع ساحاتها وما حولها – محلية كانت أو دولية··باسم الشهرة " سمو الأمير" ومقرّه الرسمي بسراي شعبة النور بدندرة المعروفة باسم ديار الأسرة الدندراوية·

المقوم الرابع·· مراكز دندرة الثقافية وهي مؤسسات علمية تم ويتم تسجيلها في دول انتشـــار الكـــيان الدنـــدراوي ·· لتكون هذه المراكز هي آلية تملكها قبائل وعـــائلات الأسرة الدندراوية··لتهتدي بنشر الفكر الدندراوي ونشر الثقافة العامة

ومخاطـبة المؤسسات العلمية والتعامل مع الجهات الحكومية الرسمية ، وتسعى مراكز دندرة الثقافية ·· إلى إيجاد فرص تأسيس مؤسسات دندرة لتأمين تمويلها وفي الوقت نفسه للمساعدة في تنمية محليات دول انتشارها·

ونحــن في معرض التحدث عن الأسرة الدندراوية لا يفوتنا أن نذكر أن لجموع ساحات قبائلها وعائلاتها ، أربع اجتماعات سنوية:

الأول·· علــى مســتوى القــرية أو الحــيّ ·· وهو ما يسمى بمؤتمر الساحات الصغرى حيث تتزاور فيه جموع الساحات المتقاربة جغرافياً ·· لتدارس أحوال إنسان القرية أو الحيّ ، وترفع توصياتها إلى المؤتمر العام للمحافظة أو الولاية أو أيّــة محلــية علــى مستوى المركز·· حيث تكون خاتمة هذه المؤتمرات في المديــنة المركــزية عاصــمة الإقليم وهذه المؤتمرات تعقد بمناسبة ما يسمّى " الاحتفال بأفراح سيدنا العباس الإمام بالمولد النبوي الشريف"·

الثانــي·· وهو المؤتمر العام للساحة الكبرى·· أي على مستوى الوطن ·· حيث يقــام بالعاصــمة ·· بالقاهــرة مصــر··وبدمشق الشام وهكذا ، وهو يقام أيضاً بمناســبة الاحتفال بأفراح سيدنا العباس الإمام بالمولد النبوي الشريف وفي هذا المؤتمــر تناقش فيه توصيات الساحات الصغرى ليخرج مؤتمر الساحة الكبرى بتوصيات يتم عرضها على المؤتمر العام للأسرة الدندراوية بدندرة·

الثالــث·· وهــذا المؤتمــر العام الذي يقيمه الكيان الدندراوي بوفود تمثل جميع جمــوع المؤتمر العام للساحات الكبرى " الدولية" حيث يقام بدندرة ديار الأسرة الدندراويــة والمقام بمناسبة الاحتفال بالإسراء والمعراج الشريف·· حيث تناقش فيه كافة التوصيات القادمة مع وفود كافة الساحات الكبرى ، وتصدر التوصيات الملزمة للشقيق الكبير المعروف باسم سمو الأمير·

المؤتمـــر الرابع··هو مؤتمر جمع إنسان محمَّد ¯ صلى الله على سيدنا محمَّد·· حيـــث تدعو إليه الأسرة الدندراوية كل محبي سيد البشر محمَّد رسول الله عليه صـــلوات الله إلى المشاركة بهذا المؤتمر بدندرة المنعقد بمناسبة الاحتفال بالمولد النـــبوي الشـــريف ··ويخـــتص هـــذا المؤتمر بدراسة كيفية الحفاظ على ثوابت حضــــارة الإسلام مع الاحتفاظ باستمرارية تطور المسلمين ·· هذا المؤتمر ليس فيه حضور سياسي مهما قلّ شأنه أو كبر··

وبقـــى شـــيً علينا بيانه لأهميته وهو أن محور قيام الأسرة الدندراوية ونجاحهـــا فـــي تحقيق ما قد وصلت إليه من نشأتها وحتى اليوم أي قرابة ١٣٥ عامـــاً·· إنمـــا هو ارتباط كل واحد في جمع إنسان محمَّد صلى الله على سيدنا محمَّـــد·· بشـــخص ســـيد البشر محمَّد رسول الله عليه صلوات الله··ولولا هذا الارتباط المتين·· لما تحقق في الأسرة الدندراوية··

مظهر تماسك بنيان مجتمع الإسلام·· وجوهر تلاحم نسيج أمة المسلمين:

ولعله من اللازم أن نوضح حركة قبائل وعائلات الأسرة الدندراوية في وسط الشارع الإسلامي وذلك من أربعة شعارات نرفعها:

الشـــعار الأول: هـــو شـــعار يمثل نعال قدم سيد البشر محمَّد رسول الله عليه صـــلوات الله ليبيـــن أن مســـيرة الأسرة الدندراوية : هي مسيرة مسلمة مسالمة محمَّديـــة الخطوات يسيرها كل مسلم بذاته في إطار الجمع الواحد·· ولقد أطلق الجميع صيحة نداء تقول:

" الله أكبر نحن المحمّديون ولله الحمد" أي أنّه على كل من كان دندراويٍّ الكيان أن يكـــون محمَّـــدي التكوين·· فالإسلام ديننا·والمسلمون تسميتنا·· أمّا المحمَّدية فتكوينـــنا ·فبالتكويـــن المحمَّديّ·· سطّر السابقون علياء الإسلام·· وحققوا علاء المسلمين·

الشـــعار الثانـــي·· قـــول يقول " الجهاد اليوم اجتهاد في العلم وجهد في العمل" ومعـــناه أن الإســـلام اليوم بحاجة إلى أن ينهل كل مسلم من مناهل العلم ليحتل مكانه في الصدارة الدولية وبحاجة إلى أن يتقن كل مسلم عمله لينال نصيبه من الوجاهة العالمية· فلا تخلف ولا قهر ولا تخاذل ولا فقر·

الشعار الثالث·· قول يقول " حرب أهل التوحيد مع أعداء الوحدانيّة اليوم ميدانها الفكـــر وســـلاحها الكلمة " ومؤداه ··أنّ كلّ واحد من الموحّدين·· عليه أن يرد اعـــتداء أعـــداء الديـــن ليس بالاغتيالات ولا بالتفجيرات··ولكن بالحجة الدامغة والبـــيان الساطع·· فالدخول في التوحيد أساسه كلمة وهي الشهادتين ·· والعبادة أساســـها كلمـــة وهـــي القرآن ··والمعاملات أساسها كلمة وهو الحديث النبوي بأحكامه وحكمه·

الشعار الرابع·· قول يقول الإسلام حياتنا والسلام معاشنا" ومقصده : أنّ للإسلام عندنا أربعة أضلع لا يجوز لأحد التشكيك فيها:

الأول: إلهنا المعبود : هو الله الواحد الفرد الصّمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد·

الثانـــي: أنّ نبيّـــنا ســـيد البشر محمَّداً رسول الله عليه صلوات الله هو الصادق المصـــدوق الطاهر المطّهر الذي لا ينطق عن الهوى·· فهو وإن مات ودفن في مدينـــته المنورة·· فهو (ﷺ) الموجود حياً في وجدان إنسان أمته ليضـيء حياة كلّ واحد منهم على تعاقب أجيالهم بنور سراجه المنير صلوات الله عليه··

الثالـــث: أن القرآن هو كلام الله القديم المنزل بالوحي الأمين جبريل عليه السلام وحـــياً إلى سيد الموحّدين وزعيم المسلمين صلى الله عليه وآله الطاهرين ،وهو الكتاب المنزه عن التدليس والمبرأ من التدنيس··

الــرابع: أن الشريعة قد جاءت في علم القرآن المعصوم وأبانتها التعاليم النبوية العصماء .. ولقد بينتها المذاهب الفقهية الأربعة لأهل السنة.. ومحال العبث بها بزيادة أو نقصان.

فهــذه الأصول الأربعة هي الأضلع الأربعة لمساحة تعصبنا .. أمّا ما دون ذلك فهــي مســافات تسامحهم التي يتعايشون في داخلها مع الناس أجمعين .. مهما تعارض الفكر أو تخالف الدين..

ولعله من اللازم بعد هذه الإحاطة أن نوجز القول فنقول:

الاســرة الدندراويــة جمع مسلم حقّق الشمولية الوسطية بالارتباط بشخص مَنْ صلى الإله عليه وسلم: الرسول الخاتم للإسلام.. والزعيم الجامع للمسلمين.

أسرة المجاذيب بالدامر

أســرة المجاذيــب تنتســب لمجموعة الجعليين من أبناء عرمان الذين يســكنون المــنطقة من شندي حتى الدامر وهم من أبناء عبد العال بن عرمان، وجدهــم الشيخ الحاج عيسى قنديل الذي سكن منطقة الشاعديناب الحالية، وهي الآن حيّ من أحياء مدينة الدامر وتقع جنوبي المدينة، والشيخ الحاج عيسى أسس فــيها خلوة للقرآن واجتمع حوله الناس من أبناء عمومته أبناء شاع الدين وأهله وعشيرته من أولاد عبد العال وعدد من القبائل الأخرى، فظهر نجمه بينهم وكان رجلاً عالماً وعابداً، ومن أولاده الذين حملوا الراية من بعده الرجل الذي عرف بالصــلاح والولايــة الشيخ عبد الله حفيد الشيخ عيسى ولقب بالشيخ عبد الله لما عــرف بــه من صلاح وفلاح، وبمرور الزمن تحرفت الكلمة وصارت " راجل دَرُّو" ثــم سميت المنطقة وانتسبت لاسمه " فكانت شاعديناب درو " والشيخ عبد الله راجــل درو له ضريح يزار في هذه المنطقة وهذا الضريح يضم والده وجده وهما الشيخ الحاج عيسى ود قنديل والشيخ محمَّد ابنه والد الشيخ عبد الله راجل

دَرُّو ومقــبرة الشاعديناب التي بها هذا الضريح مقبرة قديمة دفن فيها الكثير من أبناء شاع الدين وأبناء عبد العال وأبناء تمير وكلهم من أبناء عرمان، أما الشيخ عــبد الله راجل دَرُّو فقد أنجب الشيخ أحمد الذي لمع اسمه وظهر فعرف الشيخ أحمــد بــزهده وكثرة عبادته حتى أراد لنفسه حياة البعد عن أهله والناس فذهب لموقــع يــبعد قليلاً من أهله وسكن فيه وجعل لنفسه مكان اختلاء يتعبد فيه ومع ذلــك لم يتركه أهله وبنو عمومته فهاجروا إليه والتفوا حوله فلم يبخل عليهم بما أعطــاه الله من علم وصلاح ففتح لهم خلوة للقرآن وأسّس مسجداً للصلاة فكان المسجد الأول بهذه البقعة التي سميت " دمر حمد" وهذا الدمر الذي اختاره الفكي أحمــد بطــول الزمن حُرّف اسمه إلى كلمة الدّامر وهي الآن مدينة الدّامر من أشــهر مــدن السودان بل عاصمة ولاية نهر النيل الحالية فالمسجد الذي أسسه الفكــي أحمد فيها هو المسجد العتيق للدّامر ولازال بحالة جيدة بعد إدخال بعض الإصلاحات في بنائه، فالشيخ أحمد أو الفكي أحمد بهذا فهو مؤسس الدامر وهو الفكي أحمد بن عبد الله راجل درُّو، وبعد انتقاله للرفيق الأعلى دفن بالجبانة التي تضــم الآن ضــريحه والشيخ على أبو دامع والشيخ موسى العزب وغيرهم وقد أنجــب الفكي حمد أبناء عرفوا بالصلاح، منهم الشيخ على أبو دامع الذي اشتهر بكثرة دموعه وبكائه من خشية الله حتى أثّرت الدموع في وجهه.

والشــيخ على أبو دامع له أربعة أبناء نجباء عرفوا بالصلاح وهم أهل قــرآن وعلم وهم الشيخ موسى بن على أبو دامع، وقد سمى بموسى العزب لأنه لــم يتزوج واشتغل بالعبادة والذّكر، ثم الشيخ عيسى، ثم الشيخ أحمد، ثم الشيخ محمَّــد وقد سمّى بالمجذوب لحاله، فهو أول من سمى بالمجذوب، وقد أخذ منه اســم الأســرة، وأنجــب هذا الشيخ المجذوب ابناً اسمه حمد وهو يعرف بحمد الثانــي، فالشــيخ أحمــد بن المجذوب الذي تعلم القرآن على يد الشيخ حمد عبد المــاجد الأغــبش، ودرس الفقه على يد الشيخ محمَّد بن مدني وعلم الكلام على

الشيخ الحاج سعد ثم أخذ الطريقة الشاذلية على الشيخ على الدراوي تلميذ الشيخ أحمد بن ناصر الشاذلي، وهو أول من سلك الطريقة الشاذلية من أبناء المجذوب. ولد الشيخ أحمد بالدامر عام ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م وتوفى عام ١١٩١هـ/١٧٧٧م ودفن بجبانة الشيخ المجذوب وقبره وسط الجبانة وله من الأبناء ستة عشر رجلاً كلهم أخيار أهل علم وصلاح أكبرهم سناً الشيخ عبد الله الشهير بالنّقر، ثم الشيخ محمَّد الشهير براجل السفينة، والشيخ أحمد الشهير بأبو جدري والشيخ أبو جدري أول خليفة لسجادة المجاذيب تعلّم القرآن والعلم على يد آبائه وهو أصغر أبناء الفكي حمد سناً، ومع ذلك فإن الفكي حمد سلّمه الخلافة قبل موته لما يعرفه فيه من همة عالية ومكانة رفيعة، وقد أخذ الطريقة الشاذلية على يد والده الفكي حمد، ثم الشيخ الأحمر، ثم الشيخ قمر الدين والد القطب الكبير الشيخ أحمد المجذوب قمر الدين صاحب المكانة العالية والشيخ قمر الدين استشهد في معركة النخيلة بالكويب، ثم الشيخ الأمين، ثم الشيخ الطيب الشهير بشيخ العلامة، ثم الشيخ الطاهر ثم الشيخ الأزرق، ثم الشيخ الصادق، ثم الشيخ مدني، ثم الشيخ القرشي، ثم الشيخ التهامي ثم الشيخ على الشهير بابي لاخط، ثم الشيخ منصور، وأخيراً الشيخ المكي، هذا وقد كانوا كلهم علماء وأخياراً وتفرقوا في بقاع السودان.

